٧٩٨

كتاب احياء علوم الدين

من مصنفات
المولى العلامة امام الائمة
وحجة الاسلام ابو حامد محمد بن
محمد الغزالي الطوسي شكر الله سعيه
في احيا علوم المستقيم

وفق لتعليقه العبد
الضعيف فضل الله بن عمر بن محمد المالكي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الإمام الأجل السيد الزاهد الموفق حجة الإسلام زين الدين شرف الأئمة ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله أحمد الله تعالى أولاً حمداً كثيراً متوالياً وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين وأصلي على رسله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين وأستخيره ثالثاً لما انبعث له عزمي من تحرير كتاب إحياء علوم الدين وأنتدب لقطع تعجبك رابعاً أيها العاذل المغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأساً عن تمام التلافي والجبر وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان فأصبح كل واحد منهم بعاجل حظه مشغوفاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً إحياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين وقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولاً عن العلم الذي تعبد رسول الله الأعيان بطلبه إذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وأميز فيه العلم النافع عن الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في الفقهيات وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر في كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور الأول حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم وإنما حملني على تأسيس الكتاب على أربعة أرباع أمران أحدهما وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وإلى علم المكاشفة وأعني بالمكاشفة التي لا رخصة في إيداعها في الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن منهج التأسي والاقتداء ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى محمود ومذموم فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام الباعث الثاني أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله تعالى للتذرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزي بزي المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منها الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل الله التوفيق للرشاد والسداد إنه الكريم الجواد

كتاب العلم وفيه أبواب سبعة

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم

الباب الثاني في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا

الباب الثالث فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره

الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل

الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم

الباب السادس في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة

الباب السابع في العقل وفضيلته وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم أما شواهدها من القرآن فقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها على أنه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى خلق الإنسان علمه البيان وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان

وأما الأخبار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السموات والأرض وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وبروي حتى يجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت وفقه في دين ولا تشك في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي بيان معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت برأته عن النفاق والرياء وقال عليه السلام أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه وقال عليه السلام الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال عليه الصلاة والسلام لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وقال يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودم الشهداء وقال عليه الصلاة والسلام من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال عليه السلام من حمل عن أمتي أربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما وقال عليه السلام من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام أوحى الله تعالى إلى إبراهيم يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم وقال عليه السلام العالم أمين الله في الأرض وقال عليه السلام صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء وقال عليه السلام إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهداء وقال عليه السلام ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال عليه السلام خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه وقال عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة وقال عليه السلام إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل

وقال عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أي الأعمال تريد يا رسول الله فقال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم

الآثار

قال علي رضي الله عنه لكميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق وقال أيضا العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه وقال أيضا نظما

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس خير سليمان بن داود عليهما السلم بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل دنياه بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي بها يتميز الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الجمل أوسع بطنا منه ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم وقال فتح الموصلي أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة أيام يموت ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ شغل الدنيا وحبها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل إحساس ألم الجرح في الحال وإن كان واقعا فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه أن يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها وكذا عن أبي هريرة وأحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتنى قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فإن أذنب ذنبا استعتبه فإن أذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي حرفة أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلي أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا وقد حكي ذلك في وصايا لقمان لابنه وقال أيضا يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر من السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكور الرجال

في فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

وأما الأخبار

فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وقال عليه السلام إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وقال عليه السلام لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة وقال عليه السلام باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام

اطلبوا العلم ولو بالصين وقال عليه السلام العلم خزائن مفاتيحه السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال عليه السلام
لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه وفي حديث أبي ذر حضور مجلس عالم أفضل من صلوة ألف ركعة وعيادة ألف
مريض وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قرآءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن إلا بالعلم وقال عليه السلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم
ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة **وأما الآثار** فقد قال ابن عباس رضي الله عنه ذللت طالبا فعززت
مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها فإذا تكلم فأعرب الناس لسانا فإذا أفتى فأكثر
الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال أبو الدرداء لأن أتعلم مسألة أحب إلي من
قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن
الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت
عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي
فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء من رأى أن الغدو إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص
في رأيه وعقله

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله تعالى ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم والمراد هو التعليم والإرشاد
وقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو إيجاب للتعليم وقال تعالى وإن فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال ولا تكتمونه وقال صلى الله عليه ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من
الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة **وأما الأخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه لما بعث معاذا إلى اليمن
لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا
وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال صلى الله عليه إذا كان يوم القيمة يقول الله للعابدين
والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم
يدخلون الجنة وهذا إنما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال عليه السلام إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس
بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير
علم فيضلون ويضلون وقال عليه السلام من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها
فتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو معلما أو متعلما
وقال إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما أفاد
المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله
صلى الله عليه ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله فإن شاء أعطاهم وإن
شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم وقال عليه السلام مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث
الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس
شربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع
والثالث للمحروم منهما وقال إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلث علم ينتفع به وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد
إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وقال صلى الله عليه على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك
قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله **الآثار** قال عمر من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر ذلك العمل وقال ابن عباس
معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي
أن سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال اكروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك
حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس أحد يسألني
عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس

مثل

[هامش: عن — فاعرب — كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ... عاقل — ضلوا واضلوا — واما]

مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمنا قيل وما ذا
قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه من آبائهم وأمهاتهم قيل كيف ذلك
قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ
ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت
وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل
على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء والقرين عند القرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم
في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب
ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلب من العمى ونور الأبصار من الظلم
وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع
الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق
المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعلم أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم
معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة فإذا تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله
الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر
والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان من
حيث المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه وإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته إلى
سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف
كمال الله وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة **واعلم** أن
الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب
لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة لهما ولولا أن الله تعالى يسر قضاء الحاجة بهما لكانتا والحصباء بمثابة واحدة
وأما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر إلى وجه الله تعالى وأما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فإن سلامة
الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى
العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل
إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم
والعمل ولا يتوصل إلى العمل أيضا إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذا أفضل الأعمال
وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة
ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن
أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل
البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما
سيأتي وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها **أما فضيلة التعليم** والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فإن العلم
إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل وكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام
للدين إلا بنظام الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا ولن
ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلثة أقسام أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي
أربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهي للمسكن والسياسة وهي للتألف والاجتماع والتعاون

[هامش: الانس — مستغفر — ويعرف الحلال والحرام — لم يعرف — بالاضافة — منهما — ر — ليس]

على اسباب المعيشة وضبطها الثاني ما هي مهيأة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من
الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها **القسم الثالث** ما هي متممة للاصول
ومزينة لها كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص
بالاضافة اليه فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب
والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتالف
والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب
هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب
الاولى وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم والثانية سياسة الخلفاء والملوك
والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم
على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع والرابعة الوعاظ
وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة
وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة
تعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة
بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل
الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال
العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه يتصل الى جوار الله تعالى واما عموم
النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف
موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم
العلم من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن
لانفس خزائنه ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى و
سياقتهم الى جنة المأوى

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم واقسامهما

واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة بيان
العلم الذي هو فرض عين قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم
الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم
الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف
العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون
والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم وهو التصوف فقال بعضهم هو علم
العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم
الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل لذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما تضمنه الحديث الذي
فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي
ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس
المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلثة انواع اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل
فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد
رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من
غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف

العرب

العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم
الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك
بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما ان يكون في الفعل واما في الترك
واما في الاعتقاد **اما الفعل** فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة
والصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل
بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد
وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان
يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية
الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول
من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم وكذا في سائر الاصناف فاذا دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم
الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد
والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم
اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب
اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الافعال التي هي فرض عين **واما التروك** فيجب علم
ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم
من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه
لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا الحرير او جالسا في الغصب او ناظرا الى غير محرم فيجب
تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر
واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب عليه تعلمه **واما الاعتقادات** واعمال
القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك
فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد
مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان
في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس فيه بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق خشية سبق الباطل الى قلبه
فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا
وجب عليه تعلم الحذر من الربا هذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب
ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى
له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه
محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال عليه السلام ثلاث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات
احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما يتبع هذه الثلث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها
ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب
فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني **ومما ينبغي ان يبادر**
في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة
كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة
ومن عصاهما فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هو هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه
وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته تتجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة

الى التعلم ما تسمع ووعد على القرب الذي غالبا فاذا تبين انه عليه السلم انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدرج في وقت وجوبه **بيان العلم الذي هو فرض كفاية** اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده ينقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة **اما فرض الكفاية** فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله **واما ما يعد فضيلة لا فريضة** فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه **اما العلوم الشرعية** وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فلتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب **الضرب الاول** الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثالثة وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن **الضرب الثاني** الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي وهو حاقن او جائع او متألم بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول **الضرب الثالث** المقدمات وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله عليه السلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا **الضرب الرابع** المتممات وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واساميهم واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم لتمييز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا **فاعلم ان الله** اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات

قولدت

فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم لك فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصوم والصلوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام **فاعلم** ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلثة الاسلام والصلوة والحلال والحرام واذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلثة فهو في غيرها اظهر **اما الاسلام** فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاموال بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه **واما الصلوة** فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة لان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير واما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا من فنه **واما الزكوة** فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع عن ادائها فاخذها السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكي ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها اسقاطا للزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار **واما الحلال والحرام** فالورع من الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان

النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد
زيادة قرب عند الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع
الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال صلى الله عليه لوابصة استفت قلبك وان افتوك
وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا
التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه
شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب
هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف
ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال
فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه
التسوية تخالف اجماع المسلمين **فاعلم** ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي
اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فهو ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا
المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر
الاعمال ومنشاها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى
اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفاء في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف
الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا علم الآخرة فان قلت فصل لي علم الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه
وان لم يمكن استقصاء تفاصيله **فاعلم** انه قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم وقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان
لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق له وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان
لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته
المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فيتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات
الله وبصفاته الباقيات وبافعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى
لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات
والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار
وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بموافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين
ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ ليس للناس
في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات متفاوتة فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها
وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى
اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح له جلية الحق في هذه
الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا
وانما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها و
تطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل
اليه الا بالرياضة التي ياتي تفصيلها في موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه منها شيء الا مع
اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده صلى الله عليه بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه

ط فانه — شرفه — الحجاب

الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ آتاه

واما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا
والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة
والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال في جميع الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها و
معالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود فذلك كله من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد و
الحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء و
الطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة
والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال
عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف
الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطي والاتكال على الطاعة والمكر
والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة
لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت
الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها
وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان
المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى علماء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى
صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن
وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق
والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم
بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع
فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق
الامر في فرض الكفايات لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة
ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالطب من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات
والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام
به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال
الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس
علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان وعليه التكلان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن
ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي يجلس
بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسال هذا البدوي فيقول
ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه
كيف وقد قال النبي صلى الله عليه لما قيل كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا سنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى
بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري
شيخي اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم
لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم
ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين
انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار

المباهاة — الخلق — عنه — قضاء — تستغل — له — من — ليتبين

مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة من حيث انه تعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا
تعلق بالدين ولم يكن شي منه مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت
البدع الصارفة عن مقتضى القران والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مولفا فصار ذلك المحذور
بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى
حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب
وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع
فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطى النهر خيفة عليه من الوقوع فيه وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة
الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما
داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط
اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر
انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى نورده في اقسام
العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان
على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما
علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات
المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استيجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك
العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة
فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد
للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين
الا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهو من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة
واما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا منه
وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت
فقد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد
الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء
الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم
الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق فان
وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم
على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الاخرة وسلوك طريقها وما فضل
ابو بكر رضي الله عنه على الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما
شهد له سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق
اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من
الصحابة كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتيا منهم
احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتيا يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه
اشارة الى ان الفتيا في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات
تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتيا والاحكام انما اريد العلم بالله

افترى

افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل
وضرب صبيغا بالدرة لما اورد سوالا في تعارض ايتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجرته واما قولك ان المشهورين
من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شي وما ينال به الشهرة عند الناس شي
اخر فلقد كان شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر رضي الله عنه
بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو
امر باطن في سره واما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والرياء والراغب في الشهرة فتكون
الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله
بعلمه وفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم
وجه الله بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل لانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون
مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل
بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب العبد به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة
وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه من العلماء
والعمال جميعا فانظر الى نفسك ان تكون يوم القيمة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبهما وتضرب بسهمك مع كل فريق
منهما فهذا اهم لك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على انا
سننقل من سير فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا
بالعلم الا وجه الله وقد شوهد من احوالهم ما هو من علامات علماء الاخرة كما سياتي في باب علامات علماء الاخرة وانهم ما كانوا
متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف جملة الصحابة
عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى
ذكرها ونحن الان نورد من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم
وهو مخالف لهم في عملهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة
الشافعي وابو حنيفة ومالك واحمد بن حنبل وسفين الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الاخرة
وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهو
التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا وللاخرة ان اريد
بها الاخرة فلصلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من
احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الشافعي فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلثة
اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعي يختم القران في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة
وكان البويطي احد اصحابه يختم القران في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما
رايته يزيد على خمسين اية فاذا اكثر فمائة اية فكان لا يمر باية رحمة الا سال الله لنفسه ولجميع المومنين ولا باية عذاب الا تعوذ منها وسال
النجاة لنفسه وللمومنين فكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على تبحره في اسرار القران وتدبره
فيها وقال الشافعي ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف
صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر افات الشبع ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجله وراس التعبد تقليل الطعام
وقال الشافعي ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل
الشافعي عن مسالة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه
اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء واعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب
الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم

فالتفت الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان
السفيه لينظر الى اخبث شي في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى بها قائلها وقال
الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده
فقد قال الشافعي من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض
الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فكان الناس ياتونه فما برح من موضعه ذلك حتى
فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده فدفعه اليه انسان فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة
الشافعي اشهر من ان يحكى وراس الزهد السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى
الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالاخرة ما روي انه روى له سفيان بن عيينة حديثا من الرقائق
فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا
نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث
تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان حسن الصوت فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر
جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين
وذلت رقبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان
هو بالعراق فقعدت على الشط اتهيا للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والاخرة فالتفت فاذا انا
برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم ان
من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت نعم
قال من كن فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت بلى
قال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي
فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله فانما
يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل من علوم الاخرة المستخرجة من
القران والاخبار اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الاخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه كما روي انه
سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم
وقال الشافعي اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر
واي بلاء تذكر فانك اذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار
افات القلب وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له
محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسال الشافعي عن
مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون
التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم ثم مكنه وامتحن موسى عليهما السلم ثم مكنه وامتحن ايوب
ثم مكن له وامتحن سليمن ثم اتاه ملكا عظيما والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة
مكن قال الله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القران واطلاعه على مقامات
السائرين الى الله من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض
لسائر العلوم فنظر فيها فانه عند ذلك يكون عالما وقيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجمعة قال انما المقصود منه واحد
وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله وعلوم الاخرة واما ارادته بالفقه خاصة
وبالمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شي فانظر كيف اطلع على افة العلم وطلب
الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه متجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي ما ناظرت احدا قط فاحببت

ان يخطئ وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط
وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني على
الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادته بالفقه والمناظرة وجه الله فانظر كيف تابعه
الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤون
مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى
درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى
الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان
الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي في
عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم
ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي
صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي في مناقب الشافعي رضي الله عنه **واما مالك** رحمه الله فانه كان
ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه اذا سئل يا مالك ما تقول في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح
الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح
لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله
عليه وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال
الله واما ارادته وجه الله بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي ويدل عليه ايضا قول الشافعي اني شهدت مالكا سئل
عن ثمان واربعين مسلة فقال في اثنين وثلثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري
ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك بن انس وروي ان ابا جعفر من الخلفاء منعه من رواية الحديث
في طلاق المكره ثم دس عليه من يساله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال
مالك ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم افة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما
روي ان المهدي امير المؤمنين ساله وقال هل لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره
وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة الاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص
قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمن الناس على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس
الى ذلك سبيل لان اصحاب النبي صلى الله عليه افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه اختلاف
امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما
ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته لدي
فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار
علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب
عنه ولقد كان سليمن عليه السلم في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال رايت على باب مالك كراعا
من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منها فقلت لمالك ما احسنها فقال هي هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك
منها دابة تركبها فقال اني استحيي من الله تعالى ان اطا تربة فيها نبي الله عليه السلم بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك
دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله واستحقاره للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون
الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا فقال قلت اعز الله مولانا الامير ان هذا العلم
منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس
واما ابو حنيفة رضي الله عنه فلقد كان ايضا زاهدا عابدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله

بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله
وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي لآخر وقال هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا
استحيي من الله ان اوصف بما ليس فيّ من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت
بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي
حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم
على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع
عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان في اليوم الذي توقع ان
يؤتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد
الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني
فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله
على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا
فالكاذب لا يصلح للقضاء واما علمه بطريق الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني
عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا
من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه نبذة من احوال الائمة الثلثة واما
احمد بن حنبل وسفيان الثوري فاتباعهما اقل من اتباع هؤلاء وسفيان الثوري اقل اتباعا من احمد لكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع
هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال
والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم آخر
اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في دعواهم ام لا

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهي الفقه والعلم
والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم
هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم
في حق العباد لاحد اسباب ثلثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له
وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وسحر رسول الله صلعم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل واخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد
من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع
وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين والاستعاذة بهم ويحصل من
مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح
الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر وكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع
حرز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه
الى الضرر **الثاني** ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن
بان مسير الكواكب محسوب اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام
وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة
الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا
واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدوا
به في ظلمات البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب
وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير

والشر

والشر محذورا ومرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها
عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منه
الى الارادة المحركة لليد ثم منه الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب
القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب فهذا احد اسباب النهي عن النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس
يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان
ذلك معجزة لادريس صلوات الله عليه فيما يحكى وقد اندرس ذلك وقد انمحى ذلك العلم والحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق
لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر
الله بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع
وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويتبدد الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر
وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية
هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطي ولهذا السبب يمنع القوي عن النجوم ايضا وثالثها انه لا فائدة فيه فاقل احواله
انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه برجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم
آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فالخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن
والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه **السبب الثالث** الخوض في علم لا يستقل الخائض به فانه مذموم في حقه كتعلم
دقيق العلوم قبل جليلها كالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف
على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص
خاض في العلوم واستضر به ولو لم يخض فيه لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما
يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكى الى الطبيب
عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها فقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض
عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت
المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك
قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من
الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه
الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع
والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على
ما هي عليها فاي ضرر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الآخرة
ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك
الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في
اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك
غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها فهكذا الامر في طريق الآخرة وفي دقائق
سنن الشرع وآدابها وفي عقائدها التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار
امورا غابت عن اهل الصنعة حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجائب والغرائب

في العقائد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وزكائها واصلاحها للترقي الى جوار الله وتعريضها لنفحات فضله لكنه واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وان ما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات واخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم وقال عيسى عليه السلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع والسلم

بيان ما بدل من الفاظ العلوم اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معاني غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معاني مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما نتكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلم علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابرهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال صلى الله عليه الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمي تدبر القرآن وعد النعم تفقها وقال عليه السلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق

لاستتباع

لاستتباع وكان اطلاقهم له على علم الآخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع **اللفظ الثاني العلم** وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وبآياته وافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وافعاله وصفاته وصار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة **اللفظ الثالث** التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح ابواب الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله رؤية يقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول آخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي اني فعال لما اريد وسياتي شواهده في كتاب التوكل وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوف احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الاموال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما

موقع نظر الله تعالى هو المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه **اللفظ الرابع** الذكر والتذكير وقد قال
تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملايكة سياحين في الهواء سوى ملايكة
الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا انفسكم
فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهي بدعة وقد
ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص
وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص
بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص
ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ
الا تستحيي قال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج علي رضي الله
عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس
وافات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بالاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها
وتصرمها وقلة عهدها وخطر الاخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث
قال حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود
الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال وهل تنفع قراءة القران الا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا
من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر
المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القران وتزيد عليه فان من القصص
ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك
قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا
فليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة
بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض
الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين
المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمود والى ما يشتمل عليه القران وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع
الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب
فيما ذكر الله سبحانه ورسوله غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد
سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال رسول الله صلى الله عليه لعبد الله بن رواحة في سجع
من ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندي
من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه اسجع كسجع الكهان **واما الاشعار** فتكثيرها
في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له
واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس
لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم
الا ما هو مستكن فيها فيشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من
الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال صلى الله عليه ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين
وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فاذ ذاك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما
يستمعه على ما استولى على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان يتكلم الجنيد على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم

اهل مجلسه عشرين وحضر جماعة باب داره فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هولاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي
هم الخواص **واما الشطح** فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة العريضة
في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة
بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذى وقلنا كذى ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه
كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من
الكلام عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا كلام يستلذه
الطبع اذ فيه البطالة في الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن
تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل حجاب والجدل
عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره
ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله
كان يحكيه عن الله في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انه انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه
ذلك الا على سبيل الحكاية **الصنف الثاني** من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رايقة وفيها عبارات هايلة
وليس وراها طايل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قايلها يصدرها عن خبط في عقله وتشوش في خياله لقلة احاطته
بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة
ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فايدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب
ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه
وقد قال صلى الله عليه ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه كلموا الناس بما يعرفون
ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قايله
فان كان يفهمه القايل دون المستمع فلا يحل ذكره قال عيسى صلى الله عليه لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا
تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في مواضع الداء وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن
منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه **واما الطامات** فيدخلها ما ذكرناه في الشطح
وامر اخر يخصه وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام كداب الباطنية في
التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع
ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله فان ما يسبق
منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيم
ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مايلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية لعنهم الله الى
هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد
على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد
بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله الق عصاك اي كل ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه السلام
تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره
المنقول عن ابن عباس وساير العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم قطعا بطلانها كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس
تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملايكة ومما لم يدرك
بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا
الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس
وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق لم ينقل شي من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على

والعلم صح

رايقة

دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون
غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا
ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معاني وستة
وسبعة ونعلم أن جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه فإنها تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا لحسن الفهم وطول الفكر
ولهذا قال صلى الله عليه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه
بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه لما هو في
نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله عليه وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد
المفهوم من قوله من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ
وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة إلى المذمومة
وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامي فإن اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت
كمن طلب التشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر ذلك لغفلته عن تبديل اللفظ **اللفظ الخامس** وهو
الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع
الطرق والحكمة هي التي أثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلم كلمة من الحكمة
يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار
بتلبيسات علماء السوء فإن شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرع إلى انتزاع الدين من قلوب
الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه عن شر الخلق أبى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال هم علماء السوء فقد عرفت
العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل
ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول صلى الله عليه بدأ الإسلام
غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه
من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم
وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن
نطق بالحق أبغضوه **بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة** اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلثة أقسام قسم هو مذموم قليله
وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء
فيه وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله
وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد
وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا أو فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر
والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة وإضاعة النفائس مذمومة ومنه
ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل منه **وأما القسم
المحمود** إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا
فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر
الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في
العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب
ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أول الأمر ويعين عليه في الآخر المجاهدة
والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيه بأنبياء الله وأوليائه ليتضح منه لكل ساع
إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غناء فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها وأما

العلوم

العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فإن في كل علم منها اقتصارا هو الأقل
واقتصادا هو الأوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد الرجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا إلى غيرك
بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو
فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذي أهمله الكل
علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والريا والكبر والعجب وأخواتها
وجميع ذلك مهلكات وإهمالها مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل
والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء
الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وإنما فزع الأكثرون
إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب
شرب الأدوية المرة المقرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة
وهاربا من هلاك الأبد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك إلى المقامات
المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض إذا نقيت من الحشيش
نبت فيها أصناف الزروع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به
فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو
يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن تفرغت
من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك فاشتغل
بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ثم بعلم التفسير وساير علوم القرآن من علم الناسخ
والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من
علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في واحد منها
منها طالبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكلما
يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن
غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار و
اقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف
القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط
فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له إلا انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل
خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون
الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج منهما مما أورد
في المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة
الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأساميهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو
الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء
ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من
السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقه ومقصوده حفظ السنة وتحصيل رتبة الاقتصار منه
بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة
وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن
قلب العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم أما المبتدع بعد أن تعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقل ما ينفع

مع الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عنده جوابا ما هو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة
عليه وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس
عنهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهذا أيضا من آفات العلماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى
المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك
بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا
بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا
عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس وأما الخلافيات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة
وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل
فإنها الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما
يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه
على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى
عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فإن علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون
ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذي
يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه
لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب
وقد ينقضي عليه العمر ولا يصرف همته إلى علم المذهب فكن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن
من التعب في الإغواء والإضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب
والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك
العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يديه ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف
الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في
معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان
قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي
الخبر المشهور أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم وفي الخبر ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل

الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا أئمة وعلماء بالله وفقهاء في
أحكامه ومستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء
لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم
فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى
استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو
الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا واضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات
فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه
من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من
أنجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلا(طين)
أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علماء الفتاوى والأقضية لشدة
الحاجة إليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى

سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيها التصانيف ورتبوا
فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن
السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله
ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من
فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى
المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا
على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد
وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف
والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن ولسنا ندري ما الذي قدر
الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا
إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به علم الدين
وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فإن
الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في
مسألة الجد والإخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض امرأة جنينها خوفا من عمر وكما نقل
في مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس
ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان الأول أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفاية من
لم يتفرغ عن فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم أن مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من
يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد الثوب فإن
ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة
مهملون لأمور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله عصى به فلا يكفي
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب الثاني أن لا يرى فرض كفاية أهم من
المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم
بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل في البلد جماعة من
الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة
العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها وأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد
عن جملة من الفروض المهملة لا يلتفت الفقهاء إليها وأقربه الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول
على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات
وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت
قام بها جماعة الفقهاء ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله بفرض الكفاية وقد روى أنس أنه قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فقال إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم الثالث
أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق في مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وأفتى
بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم أهل العصر وإنما يفتي فيه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر
له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل
عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فإني لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان

او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما ويستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما
ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا الرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او
قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقايع او ما يغلب وقوعه كالفرايض ولا ترى المناظرين يهتمون
بانتقاد المسايل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون
هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجايب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار
او لانها ليست من الطبوليات فلا يطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول الخامس
ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى لصفاء الفكر ودرك
الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الريا ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه
فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام السادس ان يكون
في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين ان يظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصيما ويشكره اذا عرفه الخطا
واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر فانه كان يشكره ولا يذمه وكان يكرهه او يفرح به فهكذا
كانت مشاورات الصحابة حتى ان امراة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال اصابت امراة
واخطا رجل وسال رجل عليا كرم الله وجهه فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطات
وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسالوني عن شي وهذا الحبر بين اظهركم
وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقام ابن مسعود فقال اعده على الامير فلعله
لم يفهم فاعيد واعاد الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف
طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل
احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته
باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر السابع ان لا يمنع معينه
في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه دقايق الجدل
المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل
ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال
له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر
فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا
ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجلس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكره
اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض
لسخطه بدعواه معرفة هو خال منها وان كان صادقا فقد فسق باخفايه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم ليفهمه وينظر
فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين
بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة
بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق ففتش عن مشاورات الصحابة ومفاوضات
السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى
آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما خطر لهم كما خطر وكانوا ينظرون فيه الثامن ان يناظر من يتوقع
الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون
فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن
يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوه ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل

مناظرة

بمناظرة غيره في مسايل الاجتهاد المجتهد مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان
به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعدها ونذكر تفصيلها بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات
الاخلاق اعلم ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشوف عند الناس وقصد المباهاة
والمماراة والمباراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها
الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش
الظاهرة من الزنا والقتل والقذف والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وساير الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه
فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهات
به دعاه ذلك الى اضمار الخبايث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق سياتي ادلة مذمتها من
الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال صلى الله عليه
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد
كلامه واخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى
نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب
الدايم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم
في بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال صلى الله عليه من
تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما
قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس
يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما
يتعلل الغبي والمكار المخادع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى عليه وساير
انبيايه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما
ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا
يقدر على ان لا يضمر حقدا على من حرك راسه على كلام خصمه وتوقف في كلامه فلم يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى
اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا
ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه ادنى تسبب فيه قلة
مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه يد الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال
المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي
عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن
التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية
النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء
على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا
المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه
ومعلوم ان الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظرة
لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج
بالسؤال مقابحه حتى يعده ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب
بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك
منه ويعد من لطايف التشبيب ولا يمتنع عن الافصاح وان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن اقوام من اكابر المناظرين

والمعاد ودين من نحولهم ومنها الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق
المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يساهمونه في الفضل ويكون التباغض
بينهم كما بين الضرات فكما ان احدى الضرات اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى
مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره وكانه شاهد شيطانا ماردا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين
علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء قال ان مع العلم بين اهل العقل رحم
متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان يستتب الانس مع طلب الغلبة
والمباهات هيهات هيهات فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها
النفاق ولا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد
باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطِب والمخاطَب وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب
وزور ونفاق وفجور فانهم متوادون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله منه فقد قال صلى الله عليه اذا تعلم الناس
العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه
الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر
ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه
ثم يصير المماراة عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن
والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه الى ترك المراء بالحق
فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة
الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء
والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما
يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستا[ذين]
والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد
يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك
احد منهم عنها مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لا نطول
بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة
والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب
المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء
الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلوته ما الذي يقرأه ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم
التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا
تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من
مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير
والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى
اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة
فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد
والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلاك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع في السلامة من الاذلال بل لا بد

من

من لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة
لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير
ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب
الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى يؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن
كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح
غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلثة اما مهلك نفسه وغيره
وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عز وجل ظاهرا وباطنا واما مهلك
نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر
من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسيأتيك في
كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه

الباب الخامس

في آداب المتعلم والمعلم اما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها تسع جمل الوظيفة الاولى
تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله تعالى
وكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه بني الدين على النظافة
وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على
الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة
عبارة عما يجتنب ويطلب البعد عنه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل
وكذلك قال صلى الله عليه لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم
والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو
مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون
عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو
القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من
ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار
ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة المصائب
وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي
هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة
الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض
الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني
باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس
كلبا ضاريا والشره باموالهم ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد
به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعدك عن العلم
الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رأيت من يتناول
شيئا مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه يرددونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك

من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم
ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني ارى جماعة
من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم
وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد التقرب الى
الله تعالى وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح **الوظيفة** الثانية ان يقلل علائقه من الاشتغال
بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت
عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر
والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ
المزدرع **الوظيفة** الثالثة ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل
ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي
صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال
ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله
عليه وقال صلى الله عليه ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف
من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه
لم يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة
المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل
حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل
كل ما القي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت
بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع
له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته
بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة خضر وموسى صلوات الله عليهما
حيث قال خضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا
تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى
لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر
فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع
خضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة
من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب
ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن احدا عنده ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته
وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة**
الرابعة ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم
الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة
المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته
نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله

فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار
القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب
الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان
وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار
زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظر انها بطالة وكسل واهمال
وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف
بالقوي فيما يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر
والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلائه
الى صفته والقليل يغلبه الكوز ويحيله الى صفته ومثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان
له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه
حتى ينجر الى معصية الله في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة** الخامسة ان لا يدع طالب العلم
فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل
بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة
ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال
الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله او معينة
على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور
ولكل واحد مرتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة** السادسة ان العمر اذا
كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من
علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية
المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي تلقفه العامي وراثة وتلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين
ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه
عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه
فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر
وعلي وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلى الله
عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت
راس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى
الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين
يلونهم وقد روي انه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن
انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان عرفت الله
سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة** السابعة ان تعرف السبب الذي به يدرك
شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب
فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية وثمرة الاخر الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان
الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف
باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا يتبين ان اشرف العلوم
العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه

الوظيفة الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي
الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده
طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوي وعلم النحو
واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا
يفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة
المجاهدين في سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد
منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين
ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة التاسعة**
ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيلا يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك في الدنيا
والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم
ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك يصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله
وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي
يطلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه
وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك
في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة اصناف من الشغل الاول
تهيئة الاسباب بشري الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا
والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة
وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادي الى آخره ومن اول اركان الحج الى آخرها وليس قرب
من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا
ثلثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشري الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم
يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز
عنها الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم
المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم
ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا
نجاة وفوز بالسعادة فالنجاة حاصل لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة لا ينالها
الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة
والسلامة كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو
من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين
اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال
من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة
وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات
المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة

البدن

البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس
على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم
الاديان واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت فلم شبهت علم الفقه
والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل
هو سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطايفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب
لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر
من علم المكاشفة وهو مضنون به ولا رخصة في ذكره وغاية الماذون ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز
اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات
منسوبة الى الله ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة
النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين والجبال اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من
عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان
عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانه من امر الرب فمنه
مصدره واليه مرجعه واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق
الحج وكالراوية الخاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى
ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في
انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل
طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الآلات لذلك كله فاضطر الى المخالطة
والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط
المتنازعة من داخل وبالسياسة يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طرق اعتدال الاخلاط طب وعلم
طرق اعتدال الناس في المقالات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطيته فالمتجرد لعلم الفقه والطب اذا
لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشري الناقة وعلفها وشري الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في
دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج
ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب والواصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانها
فتأمل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة
في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا
وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره
فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال
وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن تعلم وعلم وعمل وعلم فهو
الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي
يعلم ولا يعمل به كالدفتر يفيد غيره وهو خال عن العلم والمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي
عارية وذبالة المصباح تضيء غيرها وهي تحترق كما قيل ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق ومهما
اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة** الاولى الشفقة
على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصد انقاذهم من نار

الآخرة وهو اتم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر
والحيوة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدائمة اعني
معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه
وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحابب ولا يكون الا كذلك ان كان
مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله وسالكون
اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحابب
فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة
في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله انما المؤمنون
اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة** الثانية ان يقتدي
بصاحب الشرع صلوات الله عليه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله وطلب
التقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة
العلوم فيها كالذي يعير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة
وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله كما قال الله تعالى
قل لا اسالكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس
فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل نعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو
الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة
للمعلم وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما
فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك تركوا ولم يختلف
اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين
يديه في اوطاره فان قصر فيه ثار عليه وصار من اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان
يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله سبحانه ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات
الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم
خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك
في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي
يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست
من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون
به وعلم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ
والاستتباع ولكن ينتبه في اثناء الامر اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يرده الى
الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله
ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه
العلوم **فاما الخلاف** المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها
الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية
ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله اعلم وقد رؤي سفيان
الثوري حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا
الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا بصرح وبطريق

الرحمه

الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال صلى الله عليه
وسلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحوا عليهما السلم
وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان
الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لم يعزب عن فطنته **الوظيفة**
الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم
الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه
ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب
بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم
من رتبة الى رتبة **الوظيفة** السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط
عليه عقله اقتداء بسيد البشر صلى الله عليه حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم
فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال صلى الله عليه ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على
بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار
قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن من اهل الانتفاع به فكيف فيما
لا يفهمه وقال عيسى لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير
ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل
بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة
ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق **شعر**
ومن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة** السابعة ان المتعلم
القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش
قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشدهم حماقة
واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف
من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان
يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه
وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم
على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعة التي هم بصددها ويملا قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به
القرآن ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي ان يفتح للعوام باب
البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص **الوظيفة** الثامنة ان يكون المعلم
عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع
الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه
اطيب الاشياء والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف
ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت
وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم فيقتدون
به ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل
متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في علماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال صلى الله عليه ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وروي عنه انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه من كتم علما عنده الجمه الله بلجام من نار وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال ائمة مضلون وقال عيسى صلى الله عليه الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة

واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب في العمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل ابن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وانشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب

وقال النبي صلى الله عليه ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت النبي صلى الله عليه يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلم مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخرى وكالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت من الآخر وانهما كقدحين احدهما مملو فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلي يفرغ الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم

بل

بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شهوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود عليه السلم ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسال عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع طريق عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ان الله تعالى يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك اوتيت علما فلا تطفين نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى ابن معاذ يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية وماتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقيل

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين اترى ان يكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال لا شك ان من تكون الدنيا آثر عنده من الآخرة انه لا يعرف الله وهذا دون ذاك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وقال سهل العلم كله الدنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلم كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه عليه السلم قال اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله يوم القيمة سيدا شريفا حتى يوافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله

ففقده موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف
فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني الذي
دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن
جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام
نقصان وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في
الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهون بشيء من حقه غضب فذلك
في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك
الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من
يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس
فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من
النار عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي من غير ارب وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثنا
ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن لما انصرف من مجلسه حمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه
خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك
نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم يلقاه ولا خلاق له
وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين
ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه
في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل
صالحا فعرف اهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به وقال الله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى صلى الله عليه يا ابن مريم
عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه مررت ليلة اسري بي بقوم كانوا تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار
شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن
مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة
وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا
الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس
علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل
القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها وقيل
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابراهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر
فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من
مخوف بالله جري على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله
وقال ابراهيم بن ادهم اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا ولم نعرب وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني
عشرة من اصحاب النبي صلى الله عليه انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم
الله حتى تعملوا وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وقال عيسى عليه السلام مثل الذي تعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة
زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيمة على رؤس الخلائق والاشهاد وقال

معاذ

معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته
عالم من الخلق وقال ثلث يهدمن الدين احدهن زلة العالم وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه
عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل
عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها
الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله
فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا
لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه
عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال
عليه السلم القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم اولا يعلم فهما في النار وقال
كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويا[تونهم]
يؤثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم
على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل
يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال
سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قايلا يقول لي كم تضيع العلم ضيعك
الله فقلت اني لاحفظه فقال الحافظ حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما
العلم الخشية وقال الحسن اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية
وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فلا تؤثرن
عليه شيئا وقال ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم والعالم الذي
لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجايع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا يجدها ومن هذا قال ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما
اخاف على امتي زلة العالم وجدال منافق في القرآن ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة
متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من اعرض عن علم الاعمال واشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل
كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسوال عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب
وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وقال علمني من غرائب العلم فقال
له ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت
الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم بل ينبغي ان يكون المعلم
من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال فما
تعلمت مني في هذه المدة فقال ثماني مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسايل قال
يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسايل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد
يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال
احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
علمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت
كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي
شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده والرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب
والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون
عند الله كريما الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت

الى قول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق
عني والثامنة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره والتاسعة نظرت الى هذا الخلق
فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة الا على الله رزقها فعلمت اني واحد
من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده والعاشرة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين كلهم على خلق
هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم فوجدت
على هذه الثمان فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الاخرة واما علماء الدنيا فمشتغلون بما
يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي لها بعث الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من
بعض الا الورع وهم اليوم ما يتعلمون الا الكلام ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل
يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه
وارتفع في علماء الاخرة درجته ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة
وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة
فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وانا ايضا
اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال
ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها
وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر وسأل وحاتم قائم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم قال
وما هي قال مسألة اسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى اسألك فاستوى قال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله قال واصحاب رسول الله عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه قال ورسول الله عمن قال عن جبريل عن الله
سبحانه وتعالى قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله سبحانه وتعالى الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات
اليك هل سمعت فيه من كان في داره امير وكانت سعتها اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكثر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد
في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله عز وجل المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه
واصحابه والصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها
فيقول العالم على هذه الحالة افلا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان
الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح
صلوتي كيف اتوضأ للصلوة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ... يا هذا اسرفت قال له حاتم في ماذا
قال غسلت ذراعيك اربعا فقال يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجميع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون
التعلم فدخل البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن
عجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي ان لا اجهل
عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال
يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت
هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه قال فاين قصر
رسول الله حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كانت لهم قصور انما كانت
لهم بيوت لاطئة فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون قال فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون
قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول عليه السلام

فقلت

فقلت ان قصر وقص القصة وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه
ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل
ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة
الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم
وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض
لكان صلى الله عليه لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما
سيأتي وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في
الاولين والاخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس
على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا
بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله تعالى والسلام فكتب اليه مالك
بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة
في الشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال الله
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من
كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق
فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف
على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعرج على التنعم
في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر
ومنها ان يكون مستقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان
جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم
مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى
تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو
البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين
وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى
الله عليه من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال عليه السلام سيكون عليكم امراء تعرفون
منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال
سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء
يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال عليه السلام العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من يأخذ عنك
فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا قليل وقال
سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا
وقال صلى الله عليه شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن
وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم
ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه
على دينكم حتى جربت وما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به

الغلظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص كان لا يغشى السلطان فقعد عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني اآتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم للسلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطأها اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسألة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة بكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على الاثنين والثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه السلام لا ادري اعزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل فقال لا ادري لما سأله الى ان علمه الله ان المساجد خير البقاع وشرها السوق وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفين الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه ما منهم من احد يسأل عن حديث او فتيا الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على احدهم فيردها الى آخر ويردها الآخر الى آخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى آخر واهداه الآخر الى آخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب

عنه

عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتيا ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتيا اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله عليه السلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الآية ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الرأي من الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابو حصين ان احدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمن المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وابن عباس يقول جابر بن زيد وابن عمر سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقائق علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال عليه السلم فيما يرويه عن ربه جل وعز من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي العبد بشيء افضل من اداء ما افترضته عليه ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين فاذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية المقبلة على الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد

موت العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر
ثم تنفس الصعداء فقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا
ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا
بصيرة له لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقاد لهواه أقرب
شبها بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما
خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم وأين أولئك الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في
القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر
فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة
بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذي ذكره
آخرا هو وصف علماء الآخرة وهو الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة **ومنها** أن يكون شديد العناية
بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال صلى الله عليه اليقين الإيمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح
للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء
بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب
ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره
الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه من أقل
ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني
لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا
وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار القرآن
إلى ذكر الموقنين في مواضع دل به على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فإن قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه
فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان
لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات **الأول**
أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فإن
نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ونفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا **الثاني** أن تميل نفسك إلى أحد
الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات
على هذه الحالة هل يعاقب فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت
تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا
الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك
عن معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا
مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها
ومتبوعها ولو ذكر لها إمكان خطأ إمامه نفرت عن قبوله **الرابع** المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك
فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه سمي يقينا عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه
التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم أزليا ضروريا
مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضا ضروري فحق غريزة العقل أن
يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جازما
ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود

قدم

قديم فالموجودات كلها حادثة وإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب إذ فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي إلى
المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهو أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها
حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن كان كلها قديما فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الكل حادثا
فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر
مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن
المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرناه فشرط إطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا
لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك **الاصطلاح** الثاني للفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو
أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع
أنه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك
على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في أن الناس مشتركون
في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه وإلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به وفيهم من استولى
ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال
ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن أردنا
بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو
الغالب المتحكم وهو المتصرف وإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا آنفا إن اليقين ينقسم ثلاثة انقسامات بالقوة والضعف
والقلة والكثرة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات
اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت
بالجلاء والخفاء فلا ينكر أيضا أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر أعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه أيضا لا سبيل إلى
إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود يوشع مع
أنه لا تشك في الأمرين جميعا إذ مستندهما التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى
وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالأدلة فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح
بأدلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت
الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم
قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه فإن قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته
وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فإني ما لم
أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فإن اليقين عبارة
عن معرفة مخصوصة ومتعلقة المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير إلى بعض أمهاتها فمن ذلك التوحيد
وهو أن ترى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا تلتفت إلى الوسائط بل ترى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا
مؤمن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فإن غلب على قلبه غلبة أزال منه الغضب على الوسائط
والرضا منهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما
بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الأشرف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق
أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخر القلم في يد الكاتب وأن القدرة
الأزلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق
فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق في قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها واليقين بأن
ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيساق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على

ما يقويه وأثمر هذا اليقين أيضاً من الطاعات والأخلاق الحميدة ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال
ذرة شراً يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة
السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها وصغيرها
وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها يجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما
بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز
عن السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ ومن ذلك اليقين بأن الله مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس
ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو
عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال
مطرقاً متأدباً متماسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله
مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة أشد من مبالغته في تزيين
ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق
المحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب
كالأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو
الأساس والأصل وله مجاري وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ
ومنها أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته ونطقه وسكوته لا ينظر إليه
ناظر إلا وكان نظره مذكراً لله وكانت صورته دليلاً على عمله فالجواد عينه فراره فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة
والتواضع وقد قيل ما ألبس الله تعالى عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسيماء الصديقين والعلماء فأما التهافت
في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم
عقاب الله وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري عالم بأمر الله لا
بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين
وعالم بالله وبأمر الله وبأيام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي
أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا
للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال
ما آتى الله عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله تعالى زهداً و
تواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين وفي الخبر إن من خيار أمتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه
أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم
وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله ببغضه فإنه ممقوت في السماء
والأرض وروي في الإسرائيليات أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفاً في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى
إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقاً ولم تردني من ذلك بشيء وإني لا أقبل من نفاقك شيئاً فندم الرجل وترك ذلك وخالط
العامة ومشى في الأسواق وواكل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله إلى نبيهم قل له الآن وافقت رضائي وحكى الأوزاعي عن بلال
ابن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرياسة
فلا يمقته وهذا أحق بالمقت من ذلك الشرطي وروي أنه قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً
من ذكر الله قيل فأي الأصحاب خير قال صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك قيل فأي الأصحاب شر قال صاحب إن
نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك قيل فأي الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قالوا فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال
الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فأي الناس شر قال اللهم غفراً قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا وقال

صلى

صلى الله عليه إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس
فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي رهينة وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا
يظمأ على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علماً أغار في أغباش الفتنة سماه
أشباه الناس وأرذالهم عالماً ولم يغن في العلم يوماً سالماً تكثر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل
جلس للناس مفتياً لتخليص ما التبس على غيره وإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشو الرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل
العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي
منه الدماء وتستحل بقضاياه الفرج الحرام ولا ملي والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فرط به أولئك الذين حلت عليهم المثلات
وحق عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال علي أيضاً إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال
بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا
جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة به على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء
الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل
السورة فيعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان
فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده
يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات
علماء الآخرة مفهوم من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد أما الخشية فمن
قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء وأما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً وأما التواضع فمن قوله واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وأما حسن الخلق فمن قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وأما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين أوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولما تلا رسول الله صلى الله عليه قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإسلام فقيل ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال
نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها أن يكون أكثر بحثه في علم الأعمال
عما يفسد الأعمال ويشوش القلوب ويهيج الوساوس ويثير الشر فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها المواظبة على ذكر
الله بالقلب واللسان وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم
به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والأقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي
الدهور ولا تقع وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان في القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل
والنهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثاراً للقبول والتقرب
من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرهاً في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً عالماً بالدقائق وجزاؤه من الله أن
لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلساً متحسراً على ما يشاهده من ربح العاملين
وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام النبي صلى الله عليه وأقربهم هدياً
من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات
الخفية الغامضة من شهوات النفس وقيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك فمن أين أخذته فقال من حذيفة بن
اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه كان
الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر
لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا

رسول الله وما يفسد كذا وكذا فلما رأى أني أسأل عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص أيضا بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة
علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن
المنافقين فيخبر بأعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر إذا دعي
إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة
لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق
المذكرين فأين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال   الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم فهم على مهل يمشون قصاد   والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد   وعلى الجملة لا يميل أكثر
الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب
وتطهيرها عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء
وينزل منزلة من جعل العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك كان في البصرة مائة
وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة سهل التستري
والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا
لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا
على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على
سماعهم من رسول الله ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره فإن المقلد
إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع فعله فالرسول عليه السلام لم يفعله إلا لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال
والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم وكان لا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ
من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره
ولذلك قال ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن
كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ
ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت
بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان
الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن
الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب
والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن
التدبر وعن التذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر الصديق وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف
نفعل شيئا لم يفعله رسول الله وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون
هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع
فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر
على مالك تصنيف الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطأ بالمدينة
لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات
ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش
عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات
المسجعة عالما وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم
حتى

حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم
الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم من فلان يقول فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما وكان
الخواص يدركون الفرق بين العلم والقدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد
انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن لا يشتغل الإنسان بتعبية الكتب ومنها أن يكون شديد
التوقي عن محدثات الأمور وإن اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش
عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أكان في التصنيف والتدريس والمناظرة والقضاء والولاية وتولي
الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أو في الخوف والحزن والفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن
والظاهر واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن واعلم
تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه
خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما أن قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن نكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه
فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه فلم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل
للجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها
يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار إن رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى
يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتص آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك فكونوا
وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال إنما هما اثنتان الكلام والهدي فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها إن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة ألا لا
يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه طوبى لمن
شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه
وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله
ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة   وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم في
زمان خيركم فيه المسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت
في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة أعجب من هذا أن معروفكم اليوم
منكر زمان قد مضى وإن منكركم معروف زمان قد أتى وإنكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف
به ولقد صدق فأكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة إذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها
وإنفاق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل إنه من
محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم
الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الأذان والقرآن ومن ذلك التقشف في النظافة
والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسات الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر لذلك
ولقد صدق ابن مسعود حيث قال أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان
أحمد يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس لم يكن الناس فيما مضى يسألون
عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال أدركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه أنهم
كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم
عما أحدثوا فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا
من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإنما قال هذا لأن ما أبدع من الآراء قد قرع الأسماع
وعلق بالقلوب فربما شوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث

فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت خ

مروان المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي
خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا ووالله لا صليت وراءك
اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر
وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم
من خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى
الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه
السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن
وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس ان الضلالة
لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة
مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين
فقال ما شأنكم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل
ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب
من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا
من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم
كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون ولا تبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع
فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادتهم اين شاؤوا فان قلت من اين عرف قائل هذا
ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل
الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام
وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك وان يكون حظك
من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار
مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الا
في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين
علماء قال سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان
يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي
معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا
من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع
الطمع من اصلاحهم فالاسلم للدين المحافظة العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى
حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما او كانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهلها ولقد صدق فان
من خالط الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت عن منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تأمل علم ان المستفيد انما يريد
ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا الاسباب كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق
فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في بيع من يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه
اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحد منها جملة من اخلاق علماء السلف فكن احد الرجلين اما متصفا بهذه الصفات
او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين

وتلحق

وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن
لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل اعلم ان هذا لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل
منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة
السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة
واقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلم
الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك
ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل
رسول الله صلى الله عليه فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من
نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات
في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا فقال وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا وقال او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى
النور وقد قال صلى الله عليه يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم
عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى
وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا
بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال عليه السلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل
ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة
ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه حتى بالغوا فقال
رسول الله كيف عقل الرجل قالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه
ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر انه صلى الله
عليه قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل
عقله وقال صلى الله عليه ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند
ذلك تم دينه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه عليه السلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله
يكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر انه قال لتميم الداري ما السؤدد فيكم قال
العقل وعن البراء قال كثرت المسائل يوما على رسول الله فقال يا ايها الناس ان لكل شيء مطية واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجج افضلهم
عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره
ونحو هذا فقال النبي عليه السلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت
نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم
وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر
عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت و
في الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا من
العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن
العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل

[illegible]

قوام الدين وداعي العابدين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما الا ان الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الحمار والجماد في الحياة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركات الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة

الثاني هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم

الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا

الرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان

فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن اعبد الناس قال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون اصل الاسم في اصل الغريزة وكذلك في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض

البحث

الفرع

اللفظ له

البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر القنى ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق اليه شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولو الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما يطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة والهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا ايضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا في الغريزة واما تفاوتا في الممارسة فاما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء

النمط

للناظر

الزنا

نشو ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وحاد البصر
بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدرج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تركز في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل يظهر شيئا شيئا على
التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل
عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا
الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام
وعن مثله عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانه مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت
فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر
ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي
يستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم
شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا او وليا ولا كل من عرف الورع والتقوى والدقائق كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه
ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى
ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا اختلاف النفوس
في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان
الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل
قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي
فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا
اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطأتم
في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي
بها يعرف الله ويعرف صدق رسوله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة
الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى قول من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل
ما يريد بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي تميز بها الآدمي عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت
من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبيط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم بالصواب

تم كتاب العلم والحمد لله وحده والصلوة على رسوله محمد وآله

كتاب قواعد العقائد

وهو الكتاب الثاني من كتب احياء علوم الدين من ربع العبادات وفيه اربعة فصول بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الاول

في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق
الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد
المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى عليه السلام واقتفاء
آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف
اياهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر
له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم
الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن

التنزيه وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر
وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا
يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو

على

على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش
وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء
بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد فهو على
كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس
عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان وهو عليه وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في
سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات
كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار
واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم

القدرة وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه
فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في
قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا
يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من
تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء
يدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به
في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال

الارادة وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك
والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة
او عصيان كفر او ايمان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر
بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على
طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته
عجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت
في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص
زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان

السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان
خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير
اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق

الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث
من انسلال هواء او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه
المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله لا يقبل
الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر
ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والقدرة والعلم والارادة والسمع
والبصر والكلام لا بمجرد الذات

الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه
واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه
في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان
وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه
بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق
من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب و
متطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع

العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن قبيحاً ولا ظلماً وانه يثيب عباده على الطاعات
بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات
وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده
فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به معنى الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه برسالته
الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرره وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة
التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن به شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في
الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان
العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما
اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفه
في العظم انه مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح
صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في
كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل
عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم الى النار وتثبت عليها اقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد
صلى الله عليه يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق
فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن
شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين عن النار بعد
الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته
ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان
يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الصحابة بعد رسول الله ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما
اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة
وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله تعالى كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم ان ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي
في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك
مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع
عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى
انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته
ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد
رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظائفها وبما يسري
اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر
ويكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه
من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجر بالمدقة
من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر اجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان برهانا
فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي
والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم

يشغل

دليل

دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال
بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة
باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم
يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل
بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى
اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب
ابي بكر الصديق حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة
والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد
واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه **مسألة** فان قلت فعلم الجدل والكلام مذموم
كعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله بكل
ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه افضل الاعمال واعلى
القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث
من السلف قال ابن عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله تعالى العبد بكل ذنب
ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شيء
ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي سئل عن
شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد وقال من
انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا
منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له قال
الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب
والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى
هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست
تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة
وقال مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك ايضا لا تجوز شهادة
اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب
العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على
هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم
الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون
في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه ويعلم طريقه ويثني
على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال صلى الله عليه امسكوا و
على هذا استمر الصحابة فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة **واما الفرقة**
الاخرى فاحتجوا بان المحذور من الكلام ان كانت هي لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة فالامر
فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر
والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة
لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء
به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك

وقر ح

خ ابو

محرم وجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن
لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك
من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان أي من حجة وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة وقال ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم إلى
قوله فبهت الذي كفر إذ ذكر احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه
وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين إلى أو لو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن
من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة إلى غير ذلك من الأدلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن والصحابة أيضا كانوا يحاجون
ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس إلى
الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على إمامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم قال ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة يوم الجمل فوقعت
عائشة في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان
وروي أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن أبي طالب رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الإيمان
قال عبد الله لو قلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أنا من أهل الجنة
فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا
لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة
تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فيه فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة
إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيه وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه و
التفسير والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخارا ليوم وقوعها وإن كان نادرا
أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز
عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين فإن قلت فما المختار فيه
عندك فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد
يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام
ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على
بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه
بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين
وكان إطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فإن تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس
أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب أو واجب كما يقتضيه الحال
وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما
يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تأكيد اعتقاد المبتدعة و
تثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك
ترى المبتدع العامي يمكن أن يزال اعتقاده باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه
الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه
من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله لك الغطاء فيعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء
العظيم الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته
كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف

وهذا

وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد
التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه
مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة
الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن
العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد يدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها
إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة
كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق
في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله أن العوام المشغولين بالحرف
والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض
في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى
إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج
بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج
الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا مع من وقع
له شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن
يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة
بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه الدواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها
المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد التي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة
شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير
مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال
أو ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين
ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة
مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر الإمكان وينتظر قضاء الله فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر
على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان
أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والأكوان وعن الإدراكات والخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى
وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت بكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثاني
زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك
القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر
آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ
بسائر علوم الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد
والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى
وأرهقت الحاجة فلا بد وأن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية
وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية
حل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة فإن الحاجة ما كانت
ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم
بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء

لاتحذر وضرر الداء آخر محذور ولما ذكرناه فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال احديها التجرد للعلم والحرص
فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم
لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا يكون الشهوات
عليه غالبة فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها
ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي
من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس
واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا
عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره
كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم
لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليها ودرك
الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوائب
المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من تعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله **مسئلة** فان قلت هذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها
خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون
مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية
لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اول الصبي شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلى ومقامات العلماء والاولياء
وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال عليه السلام ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه ان هاهنا واشار الى صدره علوما
جمة لو وجدت لها حملة وقال عليه السلام نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم
الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال عليه السلام ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفها
الا العالمون بالله الحديث الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان
لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك في انهم يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في
قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلى الله
عليه ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام وصلوة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان
من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه
اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر
لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق
الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة **مسئلة**
فان قلت فهذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه
ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وان كان لا يناقضه
ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما
وينجر الى علوم المكاشفات ويخرج عن مقصود علم المعاملة الذي هو غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا
بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال
لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب
وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة
او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون

عن

عن افشائه العلم ترجع الى خمسة اقسام **الاول** ان يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص
وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه عن
بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله
فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء و
لكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول
الله الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما
يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مناسبة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكر
للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق
وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال او مما كانت
له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت
لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات ويصدق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب
تعالى به من الجلال ولذلك قال عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى اني عجزت عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف
بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله الحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى
معرفته الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن جملته
الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله في قوله عليه السلام ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كل ما ادركه بصره **القسم الثاني** من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكره ما هو مفهوم في نفسه لا يكل
الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم به عن افشائه من هذا القسم ولا
يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان
ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور كله بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض
الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق
عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما
ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها
كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم
القسم الثالث ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون
وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير
تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك ومن هذا قول الشاعر رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا
النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوي من النخامة كما ينزوي الجلدة
على النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى
المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله اما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام ان يحول الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث
الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته للونه وشكله بل لخاصيته وهي البلادة والحمق
ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق
ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فان يكون حمله
على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انها

مقايسة

من

ذلك

كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل
كنايته عن الاقتدار بقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فإن ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطابا مع الشيء قبل
وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في
تفهيم الاقتدار عدل إليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وأن معنى الماء هو القرآن ومعنى الأودية القلوب وأن بعضها احتملت
شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي
هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير
محال فيجب إجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** أن يدرك الإنسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا
ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك كما يتمثل للإنسان في عينه شخص في
الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والإيمان والتصديق إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع
بل للإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند
وقوعه والآخر بعد تصرمه فإن تحققك بالجوع بعد الزوال يخالف التحقق قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك
كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض
الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام **القسم الخامس** أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على
الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي
الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالبليد
في فهمه إلى أن يقدر حياة خلقها للأرض وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الأرض فتجيب بصوت وحرف وتقول أتينا طائعين
والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده فالبليد يفتقر
فيه إلى أن يقدر للجماد حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا
بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما يقال   وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد   وكما يقال هذه الصنعة المحكمة
تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد
يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظاهر و
لذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم أما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شيء شهادات
شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما تتفاوت
أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه ويظهر به مفارقة الباطن الظاهر وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف في
رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم
أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله زعموا أن كل ذلك بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل حتى منع تأويل قوله كن فيكون
وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة
ألفاظ قوله عليه السلام الحجر الأسود يمين الله في الأرض وقوله قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وقوله إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن
ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل
حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج عن الضبط وجاوز الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس
بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فإنهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالآخرة

على

على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا
المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها
على المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم
إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية روحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس
وأنها تكون إما معذبة أو منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق
غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع ثم إذا انكشف لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ
الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين
له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة
والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له وقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة وإذا رأينا أن نقتصر
بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة
الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسميناه
الرسالة القدسية وهي مودعة فيها **الفصل الثالث** من كتاب قواعد العقائد في لوامع الأدلة للعقيدة التي
ترجمناها فنقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية
إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر
لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا في
القبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس بطائل ولا محصول
إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلمتي الشهادة على إيجازهما تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات
صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول فعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن على عشرة أصول
الركن الأول في معرفة ذات الله ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه
ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهي العلم بكونه حيا
عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره
على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأن له تكليف ما لا يطاق
وله إيلام البريء ولا يجب عليه رعاية الأصلح وأنه لا واجب إلا بالشرع وأن بعثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد عليه السلام ثابتة
مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق
الجنة والنار وأحكام الإمامة **الركن الأول** من أركان الإيمان في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول
الأصل الأول معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان
وقد قال الله تعالى ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا
وقال تعالى إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا
به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى ألم تروا كيف
خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا وقال
أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون إلى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه أدنى مسكة إذا تأمل
بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الأرض والسماوات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب
المحكم الغريب لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره
ولذلك قال تعالى أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ولهذا بعث الأنبياء كلهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن

يقولوا أن الصانع للعالم إله فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان سنهم ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول أن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فإذا لا يستغني في حدوثه عن سبب فأما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فإن كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقديره تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى الأولى أن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسماً لا ساكناً ولا متحركاً كان لمتن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكباً والثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام وما لم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانعدامه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها لا تنتهي النوبة إلى وجود الحوادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن يكون شفعاً أو وتراً أو شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً ومحال أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً فإن ذلك جمع بين النفي والإثبات إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع يصير وتراً بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لأعدادها فيحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث فهو إذا حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة

الأصل الثاني

العلم بأن الباري تعالى قديم لم يزل أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر هو أيضاً إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وبارئه ومحدثه ومبدئه

الأصل الثالث

العلم بأنه مع كونه أزلياً أبدي ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المعدم لو كان قديماً لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وإن كان الضد المعدم حادثاً كان محالاً إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث

الأصل الرابع

العلم بأنه ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه أو متحركاً عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فإن سماه مسمى جوهراً ولم يرد به المتحيز كان مخطئاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصاً بحيز بطل كونه جسماً لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطاً في الاسم مع الإصابة في نفي معنى الجسم

الأصل السادس

العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فإذا لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء

بل

بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته

الأصل السابع

العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين أو شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى أن النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتاً وإن كان في حقنا فوقاً وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يميناً والأخرى شمالاً وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة أو كيف صار جهة بعد أن لم يكن له أبأن خلق العالم تحته وتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجوهر أو مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً فاستحال كونه مختصاً بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الأصل الثامن

العلم بأنه مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى إلى السماء وهي دخان وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الأسود يمين الله في أرضه على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال

الأصل التاسع

العلم بأنه تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ولا يرى في دار الدنيا تصديقاً لقوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولقوله تعالى في خطاب موسى لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الأرباب ما جهله موسى وكيف سأل موسى الرؤية مع كونها محالاً ولعل الجهل بذوي البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك من غير كيفية وصورة

الأصل العاشر

العلم بأن الله واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً فلم يكن إلهاً قادراً وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً قاهراً والأول ضعيفاً قاصراً فلم يكن إلهاً قادراً

الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول

العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لأن العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوباً من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعاً عن غريزة العقل ومنخرطاً في سلك أهل الغباوة والجهل

الأصل الثاني

العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسموات صادق في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد إلى صدقه قوله ألا

يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم لأنك لا تسترب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله هو المنتهى في الهداية والتعريف **الأصل الثالث** العلم بكونه حياً فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حياً لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات **الأصل الرابع** العلم بكونه مريداً لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريداً وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه **الأصل الخامس** أنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعاً بصيراً والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم عليه السلام على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلاً وغياً فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلاً بلا جارحة وعالماً بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيراً بلا حدقة وسميعاً بلا أذن إذ لا فرق بينهما **الأصل السادس** أنه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفاً للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم: إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا. ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديماً فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سر في إبعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد أن يسمع موسى في الدنيا كلاماً ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى في الآخرة موجوداً ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وإن عقل كون السماوات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظاً في ذرة من القلب وإن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السماوات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة محفوظاً في القلوب مكتوباً في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت ذات الله تعالى بكتبة اسمه في الورق لحلت ذات النار بكتبة اسمها في الورق ولاحترق **الأصل السابع** أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلاً للحوادث داخلاً تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفاً بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزهاً عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركاً لها في قبول التغير وينبني على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علماً بما في قلب أبيه من الطلب صار مخاطباً بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل فاخلع نعليك بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطباً به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الأصل الثامن** أن علمه قديم فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديراً حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوماً لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي أن نفهم قدم علم الله تعالى **الأصل التاسع** أن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريداً بها كما لا يكون أنت متحركاً بحركة ليست في ذاتك

وكيف

وكيف ما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى وكذا الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن تحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة **الأصل العاشر** أن الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف

الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول **الأصل الأول** العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقاً له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقاً لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوي الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السماوات **الأصل الثاني** أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وخلق الاختيار والمختار جميعاً فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليست بكسب له وأما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً وكيف تكون جبراً محضاً وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقاً للعبد وهو لا يحيط علماً بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله في الأزل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلاً بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها **الأصل الثالث** أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله ولا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله تعالى أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله فالجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علواً كبيراً ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له فإن قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بالأمر لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهداً ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه وهو محال **الأصل الرابع** أن الله متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر

اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب الماء حتى لا يموت وان اريد به الذي عدمه يودي الى محال كما يقال
وجود المعلوم واجب اذ عدمه يودي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ مع سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى
ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى وفايدة ثم مصلحة العباد في ان
خلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب

الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولولا جواز ذلك لاستحال سوال دفعه
وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة
اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده

الاصل السادس ان لله تعالى ايلام الخلق
وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن
التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على ذلك وجوده فان ذبح البهايم ايلام لها وما
صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسيها من الآلام ويجب ذلك على
الله فنقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب
والحشر لكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب

الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شي بل لا يعقل
في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون [illegible] واجب عليه عن مسلة نفرضها عليهم وهو ان
نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات
بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انك امتني
في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته فيقول الله لاني علمت
انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون
اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا القطع بان
الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب
كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا [illegible] ثم يكون الشي قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما
دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور
منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهي
يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقايق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب
رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به آفة وكل
ذلك على الله محال

الاصل الثامن ان معرفة الله وطاعته واجب بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة
لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فايدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفايدة وغرض وذلك لا
يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه سيان واما ان
يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المال الا الثواب ومن اين يعلم ان الله
تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص
وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من
الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه
فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي النظر والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول قلنا
هذا يضاهي قول القايل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك
ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت وراءي ولا التفت وراءي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا

على

حماقة هذا

على حماقة هذا القايل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران
المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى
ولا ضرر علي ان هلك الناس اجمعين وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة
بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشي واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف
للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب
ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة

الاصل التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبياء صلوات الله عليهم خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فايدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم
لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة [illegible] مباينة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف
صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة

الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه خاتما للنبيين وناسخا
لما قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابيين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي تحدى بها كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق
العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه
ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا
غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين روسكم ومقصرين
وكقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعل
الله فمهما كان مقرونا بتحدي النبي عليه السلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك فانه مهما قال
للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله
صدقت

الركن الرابع السمعيات وتصديقه عليه السلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول
الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى
كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول

الاصل الثاني سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق
به لانه ممكن وليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جزء من الاجزاء الذي له فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما نشاهده من سكون اجزاء الميت
وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن ظاهره ويدرك من باطنه من الآلام واللذات ما يحس تاثيره عند التنبه وقد كان يسمع رسول الله صلى الله عليه كلام
جبريل عليه السلم ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والروية لم يدركوه

الاصل الثالث عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب واستشهد من رسول الله صلى الله عليه والسلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا
يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى
على اعادة الادراك اليها

الاصل الرابع الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال فمن ثقلت موازينه والوجه فيه
ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلوما للعباد حتى يظهر لهم العدل في
العقاب والفضل في العفو وتضعيف الثواب

الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف
قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على
ان يسير الانسان على الصراط

الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في
خلقها قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

الاصل السابع ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله
عليه ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور
من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر

الامام الايثار والبيعة واما تقديم النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وخرق الاجماع وذلك مما لم يستجمع على
اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه السلم عليهم وما جرى بين
معوية وعلى كان مبنيا على الاجتهاد ولا منازعة في الامامة من معوية اذ ظن على رضى الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم
بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فرأى التاخير اصوب وظن معوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالايمة ويعرض
الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال القايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطية على رضى الله عنه ذو تحصيل اصلا

الاصل الثامن ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم اخبار واثار وانما يدرك المشاهد والوحي والتنزيل بقراين الاحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك
[illegible] لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف

الاصل التاسع ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة
الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله عليه السلم الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات
فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق

الاصل العاشر انه لو تعذر
وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى
المسلمين فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا
ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا
نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا
لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده. وقد فرغ الامام حجة الاسلام
من تصنيفه في المسجد الاقصى [illegible] بين ركنيه دعا وشكا بها من الله تعالى ان يحقق فيهم امله
[illegible] انى العلم الايمان

الفصل الرابع من قواعد العقايد في الايمان والاسلام وما بينهما من
الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلث مسائل. مسئلة اختلفوا في الاسلام
هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل عنه يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما
شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا
تحصيل له فنقول في هذا ثلث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة والبحث الاول
لغوي والثاني تفسيري والثالث شرعي فقهي

البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله
تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق
محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء
والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف
اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا

البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما
على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال
عليه السلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث
جبريل عليه السلم لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالبعث والحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام
فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلم اعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد
يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال عليه السلم او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله وروى ايضا انه سئل وقيل اي الاعمال افضل فقال
الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات في اللغة لان الاسلام عمل من الاعمال
وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال

لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف فكله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان
عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق
عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق
جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله قالت الاعراب آمنا
وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فضل احدهما عن الآخر فيريد بالاختلاف تفاضل المسميين واما التداخل فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام
عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق
للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السايل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من
الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا
الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميم وادخال الظاهر في معناه وهو جايز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن
ونتيجته وقد يطلق اسم الشجرة ويراد به الشجر مع الثمر على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا للاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه
ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين

البحث الثالث عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي
اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال صلى الله عليه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا
في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان
ومن قايل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء ونقول من جمع بين هذه الثلث فلا خلاف في انه مستقره الجنة وهذه درجة
الدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكباير فعند هذا قالت
المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره
الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من
الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل
وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله عليه السلم لا يكفر احد الا
بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكباير والقايل بهذا قايل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه و
شهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل
عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس
ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال
الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره
ولم يصر اليه صاير اصلا الدرجة الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب قبل ان ينطق اللسان او يشتغل بالاعمال ومات فهل نقول مات
مؤمنا بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال عليه السلم يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل للايمان الا التصديق بالله وملايكته
واليوم الآخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق
بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان
الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع
اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من
القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قايلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا
عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طايفة المرجية فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا
ان المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق
بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالايمة والولاة من

المسلمين لانه قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه واما يتعلق به امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين
الله وذلك بان يموت له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الان
في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة ثم صدق فهل تلزمه اعادة النكاح هذا محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا
وباطنا ويحتمل ان يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والاظهر والعلم عند الله
انه لا يحل له الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر كان يراعي ذلك ولا يحضر اذا لم يحضر
حذيفة والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا في جملة الواجبات لله كالصلوة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث
حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة
فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات
والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القران اما المرجية فقالوا لا يدخل
المومن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
ولقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي
مكذبا ولقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون
والايمان راس الحسنات ولقوله والله يحب المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة فيه فانه حيث ذكر الايمان في هذه الايات اريد به
الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين
ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله
الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص
والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مومن
عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى اراد به جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي فيها فوج
اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الاية وقع للاشعري وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف
فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وقوله والعصر ان الانسان لفي
خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
وكل اية يذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله ان الله
لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب
فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد
العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع
اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلوة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان
اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف بعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابة
ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مومن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس
بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول
فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان وان كان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص
موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود
بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في
ان

ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع
الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف
وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي
كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ
ولا تحقيق وبرهان وكذا النصارى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخو[يف]
مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يوثر في نماء هذا التصميم وزيادته
كما يوثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال عليه السلم
فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة
على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادرك التفاوت في السكون الى عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء
على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة
وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا
جميع صفات القلب يصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيوكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان
وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس
وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين
العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك
الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه وقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا [خمر]
ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل
ساعة على علوم المعاملة الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان
ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت
حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال
الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل
يوثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يوثر فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على
سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك
فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من واحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد
منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات
علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خبر اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب
لا يتفاوت مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف انا مومن ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا
كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري من قال انا مومن عند الله فهو من الكاذبين ومن قال انا مومن
حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مومن في نفسه ومن كان مومنا في نفسه كان مومنا عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا
في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا وبصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن
ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول
امنا وبين ان يقول انا مومن وقيل للحسن امومن انت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول
نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يومنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا اقبل
لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل لك امومن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسوالك

أنا بريء بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لا في أصل الإيمان ولكن في خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان إلى الشك الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقال ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم وقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء والوجه الثاني التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين وكان الله عالماً بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوماً كان أو مشكوكاً حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمني فإذا قيل لك إن فلاناً يموت سريعاً فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقاً إن شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقاً فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لا في أصله وكل إنسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين وصفاً كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقال هم درجات عند الله وقال عليه السلام الإيمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الإيمان بضع وسبعون باباً أدناها إماطة الأذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وفي بعض الروايات وإذا عاهد غدر وفي حديث أبي سعيد الخدري القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وفي حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقاً إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر رجلاً يطعن على الحجاج فقال أرأيت لو كان حاضراً أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال أيضاً شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن إن قوماً يقولون إنا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهباً وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة إني أخاف أن أكون منافقاً فقال لو كنت منافقاً ما خفت النفاق إن المنافق قد أمن النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً في جماعة من أصحابه فذكروا رجلاً وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت

حكيم كما

على

على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنساناً دخل بستاناً فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئاً فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لا يخلو عنها إلا الصديقون الوجه الرابع وهو أيضاً مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدري أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعاً فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق أي بالسابقة يعني أظهرتها وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد إلى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحداً على التوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً صدقاً لمن مات على الإيمان وعدلاً لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ولله عاقبة الأمور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجباً لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكاً في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله أعلم والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين

ثمة

جد

كتاب أسرار الطهارة ومهماتها

وهو الكتاب الثالث من كتب إحياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه وأعد لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الإيمان وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله الطهور نصف الإيمان عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخباث والأقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله عنه ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لأنهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن

يتصف بهما ما لم ينظف عن نقائضهما من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط
في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة
وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي
وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال
بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة
الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب
المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين
واستغراقهم جميع الهم والوكد في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر مع علو منصبه توضا من ماء في جرة نصرانية وحتى
انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد
كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم
وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشواء فتقام الصلاة فندخل اصابعنا
في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه ثم نفركها بالتراب وانما كانت مناديلنا
بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله اربعة المناخل والاشنان والموائد والشبع
فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه لما نزع نعله في صلوته اذ
اخبره جبريل ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه السلم لم خلعتم نعالكم قالوا رايناك نزعت نعلك فخلعنا نعالنا فقال عليه السلم
ان على نعلي اذى فخلعته وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت ان محتاجا جاء واخذه منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه
الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس
بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات
فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الان الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر
كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك منه ولا يتعجبون منه
ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على
الفرش من غير غلاف للقدم من ادم او توضا من انية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا فيه القيامة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر
واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا [illegible] ان تلك الرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر
معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه فان قلت افتقول ان هذه العادات التي اخذها
الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات والمنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول ان هذا التكلف
والتنظف باعداد الاواني والالات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر
الى ذواتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه فلا
يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فيفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصلا في الدين ويفسر
قوله صلى الله عليه بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او ان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان
ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على ترك ذلك ولا يؤخر
بسببه الصلوة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تزيد علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل
قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشغلوا انفسهم بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى
لان الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا باس به اذا لم يخرج الى منكر واسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من
اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من
ذلك

ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ الا لما
هو اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس
الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة
والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال
سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف
فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل
الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه
المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف
من ان يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال
وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا
بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا لسنا في هذا الكتاب نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي
نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث
وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره القسم الاول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال
به والازالة الطرف الاول في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل
مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح
وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما ولا ينجس الماء بوقوع شيء فيه منها واما اجزاء الحيوانات فقسمان
احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميتة والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه وكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر
طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل الا ما هو مادة للحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من كل
الحيوانات ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني
طين الشوارع يعفى عنه مع تعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها
فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته الخامس دم
البثرات وما يترشح منها من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه وخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التي
تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج وغيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة
الشرع في هذه النجاسات الخمسة تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها الطرف الثاني في المزال به وهو اما جامد
او مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء
منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه
او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسماية رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل
خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي هذا في الماء الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما
تحتها لان جريات الماء متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان
كان جرى الماء اقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما تسفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع
قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير
اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله ومما لا
اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن
اول عصر رسول الله صلى الله عليه الى اخر عصر الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت
مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون وقد توضا عمر بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء

والأجانة النصرانية وإناءها غالب يعلم بطن قريب فإذا تعسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله صلى الله عليه الإناء للهرة وعدم تغطيتهم الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الآبار والرابع أن الشافعي نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا ولا فرق بين طرح الماء في إجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني الخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضي به وإن كان قليلاً وأي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر فما الفرق وإن جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضاً جارية ثم البول أشد اختلاطاً بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذ قضي بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع قلتان فأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة السادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال المعنى تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها السابع أن الحمامات لم تزل في الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أو ريحه وفيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوباً من جهته فكما يرى الكلب يقع في الملاحة فيستحيل ملحاً ويحكم بطهارته لصيرورته ملحاً وزوال الصفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر معنى كونه طهوراً إذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي إصغاء الإناء للهرة ولا يظن أن ذلك عفو إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجساً ولا ينجس بالغسالة والولوغ الشيوع في الماء القليل وأما قوله لا يحمل خبثاً في نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير فإن قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثاً ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلباً ولا غيره أي يقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيراً مؤثراً أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فإن قيل قد قال جنباً ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها أيضاً حكماً كما حملها حساً فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات إلى المساهلة فيها من سيرة الأولين وحسماً لمادة الوسواس ولذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل

الطرف الثالث في كيفية الإزالة والنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء لرائحة فائحة يعسر إزالته فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيد للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليها نجاسة ولا يعلمها يقيناً يصلي معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط

القسم الثاني

طهارة الأحداث وفيها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة.

آداب قضاء الحاجة ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء والعدول عنها في البناء أيضاً أحب وإن تستر في الصحراء براحلته جاز وكذا بذيله وأن يتقي الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وأن يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاهاً من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائماً قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم أن النبي صلى الله عليه كان يبول قائماً فلا تصدقوه وقال عمر رآني النبي صلى الله عليه وأنا أبول قائماً فقال يا عمر لا تبل قائماً وفيه رخصة إذ روى حذيفة أنه عليه السلم

بال

بال قائماً فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل وقال عليه السلم عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك إن كان الماء جارياً فلا بأس ولا يستصحب شيئاً عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلثاً وإمرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فإن كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه فعل ذلك أعني رش الماء وكان أخفهم استبراء أفقههم فيدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله عليه السلم كل شيء حتى الخراءة أمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك إني لأحسنها حاذق أبعد الأثر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعي إقعاء الظبي وأجفل إجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والإجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول الإنسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه فعل رسول الله صلى الله عليه مع شدة حيائه ليبين الناس

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجي لمقعدته بثلثة أحجار فإن أنقى كفى وإلا استعمل رابعاً فإن أنقى استعمل خامساً لأن الإيتار مستحب قال عليه السلم من استجمر فليوتر ويمرها بالمسح والإدارة إلى المؤخر ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة كذلك ويمرها إلى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة إدارة وإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة والمؤخرة أجزأه ثم يأخذ حجراً كبيراً بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلثاً في ثلث مواضع أو في ثلثة أحجار أو في ثلث مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فإن ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم يبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره أن يصل الماء إليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله لأهل قبا ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم قالوا نجمع بين الماء والحجر

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه قط خارجاً من الغائط إلا توضأ ويبتدي بالسواك فقد قال صلى الله عليه إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فيه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلوة وقال صلى الله عليه صلوة على إثر السواك أفضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وقال لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال ما لي أراكم تدخلون علي قلحاً استاكوا أي صفر الأسنان وكان عليه السلم يستاك في الليلة مراراً وعن ابن عباس أنه قال لم يزل يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء وقال عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي بن أبي طالب السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان أصحاب النبي صلى الله عليه يروحون والسواك على آذانهم

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضاً وطولاً وإن اقتصر فعرضاً ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الأزم أو أكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه لا وضوء لمن لم يسم الله أي لا وضوء كاملاً ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلثاً قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلوة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثاً ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائماً فيرفق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم غرفة لأنفه ويستنشق ثلثاً ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول اللهم أوجدني رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسل من مبتدأ تسطيح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيف فلا وحكم العنفقة

في الاستنثار

[illegible]

فضيلة الوضوء

[illegible]

كيفية الغسل

[illegible]

الا

[illegible]

كيفية التيمم

[illegible]

القسم الثالث

[illegible]

غسل ذلك كثيرا لما يبقى على اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه بغسل البراجم السابع تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه العرب
وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقاريض في كل وقت فتجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله قلم الاظفار ونتف الابط و
حلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبرئيل قال له كيف ننزل عليكم
وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله ولا تقل لهما اف اي لا
تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله
الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب النبي صلى الله عليه حمامات بالشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء و
ابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز عن
آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبات في عورته وهو ان يصونها عن نظر الغير ومسه ولا يتعاطى امرها وازالة
وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوأتين في
التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة والواجبات في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك
وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق عليه الى مباشرة حرام آخر فاما
قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثير بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك
يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت
السرة الى فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا استحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا
لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام وروي ابن عمر في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين
ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه واما السنن فعشرة الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به
التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين
وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان
الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من
قلة الحياء وهو مذكر للتأمل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بالتفاوت في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري
ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون ن
فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار وله مؤونة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في
البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها
مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر الى قدر همته فاذا دخل بزاز ونجار وحائك وبناء
دارا معمورة فاذا تفقدته رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء
الى الحيطان يتأمل كيف احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الاشياء الا ما يكون له عظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح
الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية ذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة ذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع
صوتا هائلا ذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا ذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار يذكر ما ينكشف من آخر امره بعد الحساب من الرد
او القبول وما اجدره بان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها
ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنة ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب
قال عافاك الله ولا باس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة ذه
من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن
اسباط انه اوصى ان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما
روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان
الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم

الذي

الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل النورة في كل شهر مرة تطفي المرارة
وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء افضل من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل
القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس بعد الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال واما النساء
فقد قال صلى الله عليه لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول ل
الحمام الا نفساء او مريضة دخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها
اجرة الحمام فيكون معينا على المكروه

النوع الثاني

مما يحدث في البدن من الاجزاء وهي ثمانية الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد
التنظيف ولا باس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا اي قطعا فهي دأب اهل الشطارة او ارسل الذوائب على هيئة اهل الشرف
حيث صار ذلك شعار العلم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه قصوا الشوارب وفي
لفظ آخر قصوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفاف الشفة اي حولها والحفاف الشيء حوله وترى الملائكة حافين
من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم
واما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب النبي صلى الله عليه
وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا
الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود
يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما
مرة وذلك سهل على من تعوده في الابتداء فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا
يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر العانة ويستحب ذلك اما بالنورة او بالحلق ولا ينبغي ان تتأخر عن اربعين يوما الخامس
الاظفار وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه يا ابا هريرة اقلم اظفارك
فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لانه لا يمنع وصول الماء ولانه يتساهل فيه للحاجة
لا سيما في اظفار الرجل والاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي من العرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه يامرهم بالقلم
وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات ولو امرهم لكان فيه فائدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار
في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي ان رسول الله صلى الله عليه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى
بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهام اليمنى ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ
هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم
عند الله انه لا بد من قلم الاظفار من اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة اصابع
والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدئ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره
على اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمين واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا
الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على
الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها
ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى تصير الاصابع كالاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف
على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيه نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان
المعاني التي ذكرناها ههنا لا تتجه اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان
تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب
علينا ثم لو سئلنا ابتداء عنه ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وترتيبه ربما تيسر لنا بالاستشهاد بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط ط
المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي يتردد فيها الفاعل بين
قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل لمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات

بموازين المعاني بحيث لا يطلع عليها إلا الأنبياء والأولياء والله تعالى وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال والترك سدى أبعد قربته إلى رتبة الأولياء والأنبياء أكثر وكان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبي هو القريب من الله وأن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات بالكحل فإنه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين ليكون المجموع وترا فإن للوتر فضلا على الزوج فإن الله وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من أوصاف الرب ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خص اليمين بالثلث لأن التفضيل لا بد منه للإيثار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق وإن قلت اقتصر على اثنين لليمنى وواحدة لليسرى وهو زوج فذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة ثلاثا كان المجموع ستا وهو زوج ورعاية الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصله ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الثانية زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية أشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم الثالثة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق بذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى والأمر في هذا قريب إذا لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

فصل

في اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد من بعض خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب وإلى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب أهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالحمرة والصفرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله تعالى عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقوله إنهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان أنس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أو شين هو قال كلكم يكرهه ويقال إن يحيى بن أكثم

ولي

ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله إمارة مكة وقضاءها فأفحمه وروي عن مالك أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختياني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق إلى العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير قال إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا بنزول الرابع نتفها بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه وهو مشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن لله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال أصحاب الأحنف وددنا أن نشتري للأحنف لحية بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية بعشرة آلاف وكيف يكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إذا كان للمشتوم لحية وقيل إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخو موسى صلى الله عليهما فإن له لحية إلى سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس تقصيصها طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى أو ينتهي إلى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لأجل الناس وتركها متفلة لإظهار الزهد التاسع والعاشر النظر إلى سوادها أو بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من الخبر الحادث من سنن الجسد اثنتا عشرة خمس منها في الرأس فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلث في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب وأربعة في الجسد وهي نتف الإبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذ كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنلحق به فضلات الباطن وأوساخها التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله

كتاب أسرار الصلوة ومهماتها

وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه الذي ينزل من عرش الجلال إلى سماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه ويفارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلوة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما أما بعد فإن الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعوله إليه يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب

الباب الأول في فضائل الصلوات

الباب الثاني في تفصيل الأعمال الظاهرة من الصلوة

الباب الثالث في تفصيل الأعمال الباطنة منها

الباب الرابع في الامامة والقدوة — الباب الخامس في صلوة الجمعة وآدابها
الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى — الباب السابع في التطوعات

الباب الاول في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان قال صلى الله عليه ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وام قوما وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله تعالى ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاول لا حول ولا قوة الا بالله العلي وفي الثانية كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة

فضيلة المكتوبة قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا ان الصلوة كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال من لقي الله وهو مضيع للصلوة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله على خلقه شيئا بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شيء احب اليه منها تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان باختلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه دخلها وبلغها وقال صلى الله عليه من ترك صلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وقال ابو هريرة من توضأ فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسعى فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه يا ابا هريرة امر اهلك بالصلوة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها

فضيلة اتمام الاركان قال النبي صلى الله عليه مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه لا ينظر الله عز وجل يوم القيمة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه السلم اسوأ الناس سرقة من يسرق من صلوته وقال ابن مسعود رض الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال تعالى في المطففين

فضيلة الجماعة قال صلى الله عليه صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه فقد ناسا في بعض الصلوة فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء وقال عثمن مرفوعا من شهد

العشا

استخفافا

ها

العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه من صلى صلوة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد ابن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من من الرزق عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لم يجبه وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه من صلى اربعين يوما الصلوة في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروي ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام اذا فاتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتهم الجماعة

فضيلة السجود قال النبي صلى الله عليه ما تقرب العبد الى الله بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة قال اعني بكثرة السجود وقيل اقرب ما يكون العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر السجود والوضوء وقال صلى الله عليه اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وروي عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشبان بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك

فضيلة الخشوع قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وعن وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال صلى الله عليه من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي عن الله في الكتب السابقة انه قال ليس كل مصل اتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه اذا صليت صلوة فصل صلوة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال صلى الله عليه لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل صلى الله عليه اذا قام الى الصلوة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم ينقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وروي ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلوة فتطردها فقال لا

هم

اعود نفسي شيئا افسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفتيان يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة وروي عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم وروي عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وروي عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد اقوم وروي عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلم الهي من يسكن بيتك وممن تقبل الصلوة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان سألني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا ييبس انهارها ولا تتغير ثمارها وروي عن حاتم الاصم انه سئل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلوتي واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد

وموضع الصلوة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه من بنى مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه الله تعالى وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان لا يقول الا خيرا ويروى في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجبة للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلوة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله تعالى الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداءة بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء والطهارة عن الخبث في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلم عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قائما مستقبلا القبلة كذلك فليقرأ قل اعوذ برب الناس تحصنا من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اؤدي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وليكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث تحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف

فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدؤه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء واللام شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمه فهذه هيئة التكبير

القراءة وما بعدها

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي للذي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة تمامها بتشديداتها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرأ السورة او مقدار ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور طوال المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلوة

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي فيه امورا ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلوة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة

السجود

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وانفه وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وان يكون مخويا ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء

التشهد

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلوة على النبي وسننه كسنن التشهد الاول ولكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه

من جانب الأيمن ويلتفت شماله كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلوة وينوي بالسلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الأولى
وينوي مثل ذلك في الثانية ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيأة صلوة المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله صلى الله عليه
في الصلوة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الإقعاء والسدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة
الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه أما الإقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه
وينصب ركبتيه وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض إلا رؤوس أصابع الرجلين واليد وأما السدل فمذهب أهل الحديث
فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلوتهم فنهوا عن التشبه والقميص في معناه فلا ينبغي أن
يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب وأما
الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث
أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا وكره أحمد بن حنبل أن يأتزر فوق القميص في الصلوة ورآه من الكف وأما الاختصار فأن يضع
يديه على خاصرتيه وأما المواصلة فهي خمسة اثنتان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا ركوعه بقراءته واثنتان على المأموم أن لا يصل تكبيرة
الإحرام بتكبيرة الإمام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما وأما الحاقن فمن البول والحاقب فمن
الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فإن كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه إذا حضر العشاء وأقيمت
الصلوة فابدؤوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل أحدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان
وقال الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث سبعة أشياء من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب
والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلوة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه
وتسوية الحصا وأن يصلي بطريق من يمر بين يديك ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه أو يفرقع أصابعه أو يستر وجهه أو يضع إحدى كفيه على الأخرى
ويدخلهما بين فخذيه في الركوع وقال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الأرض عند السجود للتطهير وأن يسوي الحصا بيده
فإنها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل سقط فالأظهر بطلان
صلوته تمييز الفرائض والسنن جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيئات والآداب التي ينبغي لمريد طريق الآخرة جمعها فالفرض من جملتها
اثنتا عشرة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما
والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلوة على رسول الله صلى الله عليه والسلام الأول
فأما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند
الهوي إلى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الأول وأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش
هيئة تابعة للجلسة والإطراق وترك الالتفات هيئة القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنن للأفعال لأنها كالتحسين
لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم يفرد بذكره وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين
فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة التكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلوة فيه على النبي ثم الدعاء في آخر التشهد
الأخير ثم التسليمة الثانية وهي وإن جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ يجبر من جملتها سجود السهو أربعة أما من الأفعال فواحد وهو
الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلوة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في نفس النظم
فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الأبعاض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلوة على رسول
الله صلى الله عليه فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتهما مخالف للعادة ويحصل بهما معنى العبادة
مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا يغير صورة العبادة وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد
فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة وكذلك الدعاء في
التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صار بالمد مع التشهد جلسة للتشهد
الأول فبقي قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلوة
فإن قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور

[margin: السورة ثم]

على

على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل فما معناه فاعلم أن اشتراكها في الثواب والعقاب
والاستحباب لا يرفع تفاوتها ولنكشف لك ذلك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة
فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ
وكل عضو يفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها
لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل
الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة
فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص
كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت
وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى اليدين والعينين
والرجلين ولا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب
فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزي من الصلوة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف وأما الهيئات وهي
ما وراء السنن فيجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين والأهداب وحسن اللون وأما الوظائف الآداب في تلك السنن فهي مكملات الحسن
كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك من الملوك كوصيفة يهديها
طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها
فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف
السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقء العينين لا يبطل وجود الإنسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء
المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلوة لم يتم الإنسان
ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلوة ليظهر لك
وقعها

الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما
ينبغي أن يحضر في كل صلوة لتكون صالحة لزاد الآخرة بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله
تعالى أقم الصلوة لذكري وظاهر الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله ولا
تكن من الغافلين وظاهره للتحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار
الدنيا وقوله صلى الله عليه إنما الصلوة تمسكن وتواضع حصر بالألف واللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله إنما الشفعة
فيما لم يقسم الحصر والإثبات والنفي وقوله صلى الله عليه من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع
من الفحشاء وقال صلى الله عليه كم من قائم حظه من صلوته التعب والنصب وما أراد به إلا الغافل وقال أيضا ليس للعبد من صلوته إلا
ما عقل والتحقيق فيه أن المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه أن الزكوة إن غفل الإنسان عنها
مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد
أن يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن
أما الصلوة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه مجاورة ومناجاة مع الله تعالى فإما أن يكون المقصود منه كونه
خطابا ومحاورة أو المقصود الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة بالجوع والفرج بالإمساك في الصوم وكما يمتحن البدن
بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكوة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه
على الغافل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور
القلب فأي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلا وإن لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأي مشقة في حركة اللسان به مع الغفلة
لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثنين عليه وأسأله حاجة ثم

[margin: ركن من]

جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم ولم يتر في بينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير
بارزا في بينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل
لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارزا في بينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار
الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة
فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية
لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه
لجاز ان يكون معظما للصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا
مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد للامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وساير العبادات
ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص كما لى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجات فان ذلك
يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها فهذا
ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت به اجماع الفقهاء
فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا
في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان فاما انه ينفع في الاخرة
فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت
صلوته وروي عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في
الصلوة فلا صلوة له وروي ايضا مسندا قال عليه السلم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته
ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلوته الا
ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والايات
ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان
ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة
واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على
الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره
وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد
حالا من الذي يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء صار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا
مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها
ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع
فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الان وحاصل الكلام ان
حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة
وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة اعلم
ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن تجمعها ستة جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها
ثم العلاج في اكتسابها اما التفاصيل فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له وهو متكلم به فيكون العلم بالفعل والقول
مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل
حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه
بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم

التضرع

يكن

يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو
امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زايد عليهما واما
الهيبة فزايدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه
من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال واما الرجاء فلا شك في
انه زايد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خائف
بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زايد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء
حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب اما اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر
الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة
مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب
منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها
حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان
لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الان في تقوية الايمان
وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار
القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني التنزع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر
اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو
له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احدهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد
عظمته لا تذعن النفس لعظمته الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع
لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره
صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس
تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري
على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية
والهيبة وسياتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه
ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار
التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها
الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف
اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة
العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونه يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما
سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة كان عليه السلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا
ولم نعرفه وقد روي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلم يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا
واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي ان الله اوحى اليه قل لعصاة
امتك لا يذكروني فاني اليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان
وباختلاف المعاني في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث
لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على
يمينه ويساره ووجيب قلب ابراهيم صلى الله عليه كان يسمع على ميل وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان
اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه

النفس بمعرفة جلال

رف

بهمه ويخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد
من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال
هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال
قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم بيان الدواء النافع في حضور القلب اعلم
ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة
يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا
الخواطر الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر
للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار ثم يصير بعض الافكار
سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب
بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة
على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر
السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من
على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا الا اخذه ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه. اما الاسباب الباطنة فهي اشد
فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب
من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد
على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا
يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه لعثمان بن شيبة اني نسيت ان اقول لك خمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل
الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق
العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع
عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما
روي انه صلى الله عليه لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلوتي
وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان
عليه السلم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشتري
له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وقيل ان طلحة صلى في
حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه ما اصابه من الفتنة
ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك
لعثمن وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمن بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا
هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا
حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجادلة ومثاله
رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود
الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرقت اغصانها
انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا
فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد هو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل
فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شي منها لا ليتزود منها ويستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة
فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليه همه ولكن مع هذا فلا

ينبغي

ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا
حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا وذلك لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او
ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل فبقدر ما
يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط في الصلوة فنقول حقك ان كنت من
المريدين للآخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها اما الشروط السوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة
والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا
النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه
ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها واما
الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بدنك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو
قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة
فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار خلقك فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك وفضائح سرك التي لا يطلع عليها الا ربك
فاخطر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله تعالى ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسي الآبق الذي ندم
فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى افترى ان صرف
القلب من سائر الامور الى امر الله تعالى ليس مطلوبا منك هيهات هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين
لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله تعالى
فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى
الله تعالى وقد قال عليه السلم اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه ووجهه وقلبه الى الله تعالى انصرف كيوم ولدته امه واما الاعتدال قائما فانما
هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله تعالى فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطيا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها
على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله تعالى في هول المطلع عند العرض
للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله تعالى وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه
جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند
ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع فاذا احسست من نفسك بالتماسك
عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعي معرفة الله تعالى وحبه افلا تستحيي من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده
او تخشى الناس ولا تخشاه وهو احق ان تخشاه ولذلك لما قال ابو هريرة رضي الله عنه كيف الحياء من الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها و
مفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة
عصيانك في عظم نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك
من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شي هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان
الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله فانت اطوع له منك لله فقد اتخذته
الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة
والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه
القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك
ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على

الدوام ليكون قولك في الحال صادقاً واذا قلت حنيفاً مسلماً فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم يكن كذلك كنت كاذباً
فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن متقياً من هذا الشرك واستشعر الخجل في قلبك
اذ وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا
حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائماً
للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن
بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله تعالى لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو
ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يفيده الا تبدل المكان فكذلك من يتبع الشهوات
التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ
قال لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده
ان يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنع عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان
غير مقصودة بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه
كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني ولاثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان وبين ان يكون
معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء
القراءة بكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله
اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن
الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر في قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا
له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك اياك
نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلاً لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعوذ ومن قولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقاً فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك
وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحاً وتفصيلاً وتاكيداً واستشهاداً بالذين افاض عليهم نعمة الهداية
من النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت
الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين
فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى آخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته
فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من السورة كما سياتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه
ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر مننه واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ
حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وروي ان زرارة بن اوفى لما انتهى الى قوله فاذا نقر في الناقور خر ميتاً وكان ابرهيم اذا سمع قوله
اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوباً وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده
فانه عبد ذليل بين يدي جبار قاهر ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر
والصلوة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضاً ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا
يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء وقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما
دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب
حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات باطناً وظاهراً الى غير الصلوة فان التفت الى غيره
فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً

ثمرة

ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وقد راى مصلياً يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي
ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق في صلوته كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه
بحيث يقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن
يطمئن بين يدي غير الله خاشعاً ويضطرب اطرافه بين يدي الله عابثاً فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد عندهما ذكر كبرياء الله فترفع يديك مستجيراً
بعفو الله من عقابه ومتبعاً سنة نبيه ثم تستانف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك
واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار
ثم ترتفع عن ركوعك راجياً انه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد
فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملأ السموات والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل
الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل
فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى
وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف
والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبراً وسائلاً حاجتك وقائلاً رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار
فعد الى السجود ثانياً واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادباً وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات ومن الاخلاق الطاهرة
لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو
اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تامل ان يرد الله عليك سلاماً وافياً بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى
الله عليه بالرسالة مجدداً عهد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفاً للتحصن بها ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة
والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك في دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلوة
به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه صل صلوة مودع
ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان تكون ممقوتاً بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان
يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلوة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل
صلوة الخاشعين الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان
نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذي تيسر له منه ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة الغافلين فانها مخطرة
الا ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف
بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله وادائها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم
والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما
يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب ويكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن
كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثال كما كشف
لبعضهم الدنيا بصورة جيفة والشيطان بصورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضاً بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله
ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت
مصروفة الى شيء معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية
لا لبخل من جهة المنعم بل لتراكم الخبث على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى الانكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل
لانكر امكان وجود الانسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور
يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطواراً فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة
المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة

ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهوآء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السمآء الى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي ما التفت وان ابواب السمآء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح ابواب السمآء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التورية مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكآء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيهما بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك اخبر عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيد قربة وباب المزيد مسدود على الملائكة وليس لكل واحد منهم الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي الى هذا الحد ولذلك قال الله تعالى في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان

حكايات واخبار في صلوة الخاشعين

اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع رأسه الى السمآء اربعين سنة حيآء من الله تعالى وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلوة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلوة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في صلوتي ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا انه سقط ركن من المسجد وهو في الصلوة فلم يعلم به وتآكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلوة لا يحس بما يجري عليه فقطع وهو في الصلوة وقال بعضهم الصلوة من الآخرة فاذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلوة فقال لا في الصلوة ولا في غيرها وسئل آخر هل تذكر في الصلوة شيئا فقال وهل شيء احب الي من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدردآء يقول من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلوة ليدخل في الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروي ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلوة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلوة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وسئل ابو العالية عن قوله الذين هم عن صلوتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلوته فلا يدري على كم ينصرف على شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان

اخرها

اخرها لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلوة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلوة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى يقول الله تعالى بالفرائض نجى مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضته عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل ابي بن كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الآخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلوتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة عنده انه يتقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذاك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه يصغي الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله اعلم

الباب الرابع في الامامة والقدوة وعلى الامام وظائف قبل الصلوة وفي القراءة وفي اركان الصلوة وبعد السلام

اما الوظائف قبل الصلوة فستة فاولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلثة لا تجاوز صلوتهم رؤوسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه ان كان ورآءه من هو افقه منه الا اذا امتنع من هو اولى به فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلوة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة من الصحابة فسببه ايثارهم من رأوه اولى وخوفهم على انفسهم السهو والخطر وخطر ضمان صلوتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في الصلوة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس الثانية اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلا وقصدا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيه خطر الضمان وقال ايضا الامام امير فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان تم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه قال عليه السلم اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من ام في المسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر افضل كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه فقال صلى الله عليه وسلم ائمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وبهذا احتج الصحابة في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال صل بازآء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوة فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر الاربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر النبي صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تأخر للطهارة ولم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء وهم في الصلوة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله تعالى في طهارته وفي جميع شروط صلوته اما الاخلاص فبان لا يأخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلوة فهي اولى بان لا يؤخذ عليها اجر فان اخذ رزقا من المسجد فقد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه

مكروه والكراهة في الفرائض أشد منها في التراويح ويكون أجرته على مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلوة وأما
الأمانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق وعن الكبائر والإصرار على الصغائر والمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فإنه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي
أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فإنه لا يطلع عليه سواه فإن تذكر في أثناء صلوته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحيي بل يأخذ
بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه الجنابة في أثناء صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلوة قال سفيان صل
خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر أو معلن بالفسق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق الخامسة أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا
وشمالا فإن رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامون في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن
الأذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لأنه نهى عن مدافعة
الأخبثين وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا
بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الأئمة
وليؤخر المأمومون تكبيرهم عن تكبير الإمام فيقتدون بعد فراغه

وظائف القراءة

ثلثة أولها أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر
بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين
الإمام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي الجهر الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلث سكتات
هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه أولهن إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك
وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلوتهم فإن لم يقرؤا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك
عليهم لا عليه والسكتة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى فاتحته وهي نصف السكتة الأولى السكتة الثالثة إذا
فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت
الإمام قرأ الفاتحة معه والمقصر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة الثالثة أن يقرأ في الصبح
سورتين من المثاني ما دون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو
الثلثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد
روي أنه عليه السلام قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع وقد روي أنه قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية
ربنا آمنا بما أنزلت وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلثين
آية وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ما صلى بعدها حتى
قبض وبالجملة التخفيف أولى لا سيما إذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه في هذه الرخصة إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا
الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلوة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل
فتشاكيا إلى رسول الله فزجر صلى الله عليه معاذا وقال أفتان أنت اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها

وظائف الأركان

ثلثة أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلوة من رسول الله صلى الله عليه في تمام نعم وروي أيضا
أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه من هذا الشاب
قال فكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا أنهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث إذا كثر الجمع أحسن
فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده الثانية المأموم
لا ينبغي أن يساوق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه ولا
يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راكعا وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلوة على ثلثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد
ركوع الإمام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الإمام وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل
لينال به فضل جماعتهم وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين وإن حقهم مرعي في ترك التطويل
عليهم الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول
اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن النبي صلى الله عليه فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم

وعذاب

وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لأنه يمسح الأرض
بطولها وقيل لأنه ممسوح العين أي مطموسها

وظائف التحلل ثلثة

أولها أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة
الثانية عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وأبو بكر وعمر ويصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر
المشهور أنه عليه السلام لم يكن يقعد إلا قدر قول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام الثالثة إذا وثب فينبغي
أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام فقد روي عن طلحة والزبير أنهما صليا خلف إمام فلما سلم قالا للإمام ما أحسن صلوتك
وأتمها إلا شيئا واحدا أنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلوتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء
من يمينه وشماله واليمين أحب إلي هذه وظيفة الصلوات أما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم م
فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه
ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فإذا صح الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا ترفع فيها اليد
بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وهو أن للأيدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا
يبعد أن يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فإنه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والإمامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال
بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة وقال صلى الله عليه إن الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه من
ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد
جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا
عنه وهدانا الله له وأخره لهذه الأمة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه أنه قال أتاني
جبريل في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من
دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله إياه أو ليس له قسم ادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله تعالى من أعظم منه وهو سيد الأيام
عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى
لهم حتى ينظروا إلى وجهه وقال صلى الله عليه خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه
تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك يسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة وفي الخبر إن لله تعالى في كل جمعة ستمائة
ألف عتيق من النار وفي حديث أنس أنه صلى الله عليه قال إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وقال صلى الله عليه إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال
عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنها صلوة كلها وإن جهنم لا تسعر فيه وقال كعب إن الله تعالى فضل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام عليكم يوم صالح وقال عليه السلام من مات
يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر بيان شروط الجمعة اعلم أنها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط
الأول الوقت فلو وقعت تسليمة الإمام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف
الثاني المكان فلا تصح في الصحارى والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط
حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنه
شتاء ولا صيفا فإن انفضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلوة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر الرابع الجماعة فلو صلى أربعون
في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية
اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممه ظهرا الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في تلك البلدة فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد
جاز في جامعين وثلثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي تقع فيها التحريم أولا فإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلوة خلف الأفضل من
الإمامين فإن تساويا فالمسجد الأقدم فإن تساويا فالأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى السادس الخطبتان فهما فرضتان والقيام
فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية الصلوة على رسول الله والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة

وأما السنن

فأما شروط الوجوب

شدين

واجمعت

وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال
الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى ويكره الصلاة في الأسواق والرحبات الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس
ويقيمهم من الرحاب الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت
عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في خبر ولا أثر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بالدعاء فيه لأنه وقت شريف ولا يحكم بتحريم
هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنهما قالا من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران
ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له وهذا
يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة
فأومى إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه فقال صدق أبي وإن كان بعيدا من
الإمام فينبغي أن لا يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لأن كل ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينمة حتى ينتهي إلى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع
بالبعد فلينصت فهو المستحب وإذا كان يكره الصلاة في وقت خطبة الإمام فالكلام أولى كان علي رضي الله عنه يكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد
العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب التاسع أن يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فإذا سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فإذا
فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وروي عن بعض السلف أن من فعل ذلك عصم من الجمعة إلى
الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك
وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن
عمر أنه عليه السلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة أربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكمل أفضل العاشر
أن يلازم المسجد حتى يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فإن
لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا لله تعالى مفكرا في آلائه
شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا بقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا يفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث
الدنيا قال صلى الله عليه يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الآداب والسنن الخارجة

عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة أمور الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة
أو بعد الصلاة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص ولا خير في كلامهم ولا ينبغي أن يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه
الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة روى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة إلا
أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع
العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة قال أنس بن مالك في قوله تعالى
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أما إنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله وقد
سمى الله العلم فضلا في مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم
في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع بكر ابن عمر إلى مجلسه في الجامع
فإذا قاص يقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وقد سبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة
لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه
حتى يعود إليه وروي أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فقالت لابن عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره
ثم طرده الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه وفي
خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة
وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر
خادمها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن أبيها وقال
بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا

الأشبه

الأشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام
فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال
كعب الأحبار إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه يقول لا يوافقها
عبد يصلي فيها وليس ذلك حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود
الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه من صلى علي في يوم
الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي
وتعقد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو
أهله واجزه أفضل ما جزيت نبيا عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع
جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وإن أراد أن يزيد أتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي
بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر
ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة
والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه
وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا
حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة
ولو المشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ
سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وأبو هريرة أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى
الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب
أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله
فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين ركعة فهو أفضل من
ختمة وكانوا يصلون على النبي ألف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة أو
ليلتها فحسن وليس يروى أنه صلى الله عليه كان يقرؤها بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون
وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي أنه كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح
سورة سجدة بعد لقمان وسورة هل أتى على الإنسان الخامس يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله
أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي
التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف أمر رسول الله صلى الله عليه بذلك وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه سكت للداخل حتى فرغ منها فقال
الكوفيون إن سكت له الإمام صلاهما ويستحب في هذا اليوم أن يصلي أربع ركعات بأربع سور الأنعام والكهف وطه ويس فإن لم يحسن قرأ يس
وسجدة لقمان وحم الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن فيقرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر
من سورة الإخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها روي أنه قال صلى الله عليه لعمه العباس رضي الله عنه صلها في كل
جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى
العصر لاستماع العلم وبعده إلى المغرب للتسبيح والاستغفار السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فإنها تضاعف إلا على من سأل
والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن أحمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جنب أبي فأعطى أبي
رجل قطعة ولم يعر فليناولها إياه فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه
ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكان من غير تخط وقال كعب الأحبار من شهد
الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم

وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ان يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ

احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم

[illegible]

الباب السادس في مسائل متفرقة

[illegible]

[illegible]

مسلم حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة في صلاته ان يغيره وينكر عليه وان صدر عن جهل من الجاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية
الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من
الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال ان الخطيئة اذا اخفيت لم
تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر قال
تفقدوا اخوانكم في الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة فلا ينبغي ان يتساهل فيه
وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتخلف عن الجماعة دون الحي ومن دخل
المسجد فينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة المسجد
كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه ويدخل هو اعني اذا لم يكن بالغا هذا ما اردنا ان نذكره من
المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي احكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلاثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما
ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثال ذلك
ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا وكأنه
متبرع بها اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الاقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة
وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا بالاصطلاح عليه التعريف لهذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح
فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد ولا حرج على من يغيره وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيه من الاخبار والآثار
المعرفة لفضله وبحسب طول مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد
وافضل سنن الجماعة صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها
واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق باوقات
ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي
وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى واحياء ما بين العشاءين والتهجد الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال
صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة
عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر
فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنتي عشرة من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج
وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت
فريضة الصبح وهو بطلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانه صلى الله عليه
وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة فليقم اليهما وليصلهما والصحيح انهما اداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لانهما تابعتان للفرض
في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل
ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة ومن الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار
على ركعتي الفجر والفريضة **الثانية** راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة
وان كانت دون الركعتين لما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس حسن قراءتهن
وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب
السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روته ام حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر

وركعتين

وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن
يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت
الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربع بعده ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل
عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف
النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة دخل
وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة
يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق
القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب
بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون
الخط مائلا الى احد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ح وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في
صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب ح بحيث لو مد طرفه لانتهى على الاستقامة الى مسقط
الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في
منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك
بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا
صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر هذا القدر لا بأس بمعرفته من علم الزوال
الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله
مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر
الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته
على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة
او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي
الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن شاء
وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن
ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها من جهة المغرب
فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب
المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخرت واديت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقعت اداء ولكنه مكروه اخر عمر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم
فاعتق رقبة واخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين **الخامسة** راتبة العشاء الآخرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة
قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب
سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء وهي
الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة في ذلك فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار
كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم
يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فريضة من غير جابر **السادسة** الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر
بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر انه كان
صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد ان يدخل فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين
قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت وسورة الهاكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة

[illegible]

السابعة

[illegible]

الثاني

[illegible]

يوم الاثنين

[illegible]

يوم الثلاثاء

[illegible]

يوم الاربعاء

[illegible]

يوم الخميس

[illegible]

يوم الجمعة

[illegible]

يوم السبت

[illegible]

اما الليالي

[illegible]

ليلة الاثنين

[illegible]

ليلة الثلاثاء

[illegible]

ليلة الاربعاء

[illegible]

ليلة الخميس

[illegible]

ليلة الجمعة

[illegible]

ليلة السبت

[illegible]

القسم الثالث

[illegible]

من شعائر الدين وينبغي ان [illegible] التكبير مثنى نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلوة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد الثاني اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والردآء والعمامة هو الافضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله وكان النبي صلى الله عليه يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور الرابع المستحب الخروج الى الصحرآء الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلوة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقويآء مكبرين الخامس ان يراعي الوقت فوقت صلوة العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلوة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه السادس في كيفية الصلوة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادي مناد الصلوة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما بعد الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزوائد في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلوة العيد قضاها السابع ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من رأى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من اظفاره شيئا قال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه بالشاة عن اهل بيته فيأكلون ويطعمون وله ان يأكل من الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثني عشر ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة

التراويح

وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه فضل صلوة التطوع في بيته على صلوته في المسجد كفضل صلوة المكتوبة في المسجد على صلوته في البيت وروي انه قال صلوة في مسجدي هذا افضل من مائة صلوة في غيره من المساجد وصلوة في المسجد الحرام افضل من الف صلوة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان الريآء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما رآه عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الريآء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكان قائله يقول الصلوة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الريآء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يتردد في تفضيل احدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان

اما صلوة رجب

فقد روي باسناد عن النبي صلى الله عليه انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشآء والعتمة اثني عشر ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثني عشر مرة فاذا فرغ من صلوته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملئكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه لا يصلي احد هذه الصلوة الا غفر له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلوة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد لان هذه الصلوة نقلها الآحاد ولكن رأيت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها

اما صلوة شعبان

فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة

بعد

بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمونها صلوة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروي عن الحسن انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه ان من صلى هذه الصلوة في هذه الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة

القسم الرابع

من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة صلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتا الوضوء وركعتان بين الاذان والاقامة وركعتان عند الخروج من المنزل والدخول ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن الاولى

صلوة الخسوف

قال رسول الله صلى الله عليه ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلوة قال ذلك لما مات ولده ابرهيم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلوة فيها مكروه وغيره مكروه نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين ويركع في كل ركعة ركوعين اوائلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الاولى من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النسآء وفي الرابع الفاتحة والمائدة او مقدار ذلك من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلوة الى الانجلآء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية وفي الثانية قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر في الصلوة لانها ليلية فاما وقتها فعند ابتدآء الخسوف الى تمام الانجلآء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلوة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان تجلى في اثناء الصلوة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول الثانية

صلوة الاستسقاء

فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام ان يأمر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه لولا صبيان رضع ومشائخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحرآء نودي الصلوة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلوة العيد من غير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول ردآءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون ارديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا ثيابهم ويقول في الدعآء اللهم انك امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا بأس بالدعآء ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعآء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات الثالثة

صلوة الجنازة

وكيفيتها مشهورة واجمع دعآء ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالمآء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال عوف بن مالك حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى ما فاته كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وانما يصير نفلا في حق من لم يتعين عليه لحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه

نها

صلوة ؟

واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتدا وقال السلم على اهل الديار من المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شا الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السما لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في حسناته وان كان مسيا فتجاوز عنه الرابعة

تحية المسجد

ركعتان فصاعدا وهي سنة موكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب على المنبر يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغا الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضا تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتدا دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضو فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين احديهما ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضا النوافل اذ اختلف العلما في ان النوافل واذا فاتت هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضا فاذا انتفت الكراهية باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلوة الجنازة اذا حضرت ولا صلوة الخسوف والاستسقا في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة الثانية قضا النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه ولنا في رسول الله اسوة حسنة وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلما من كان في الصلوة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى الجواب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضا اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله في وقت الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر كي لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه السلم قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالا مقته الله فيحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركها ملالا فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه الخامسة

ركعتان

بعد الوضو مستحبتان لان الوضو قربة ومقصودها الصلوة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل الصلوة فينتقض الوضو ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفا لمقصود الوضو قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيا الا اني لا احدث وضوا الا اصلي عقيبه ركعتين السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السو واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السو وفي معنى هذا كل امر يبتدا به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتدا السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذا كل امر يحدثه وبدايات الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيها باسم الله قال صلى الله عليه كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتدا النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت هذا النكاح وقد كانت عادة الصحابة في ابتدا اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرا دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب السابعة

صلوة الاستخارة

فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخيرة في تركه او في الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير اينما كان انك على كل شي قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكما من اعطي

[margin: واسالك من فضلك العظيم]

اربعا

اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب الثامنة صلوة الحاجة [illegible] فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلوة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعا الذي لا يرد ان يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شي بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شا الله قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاكم فيتعاونون بها على معصية الله تعالى التاسعة صلوة التسبيح وهذه الصلوة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال صلى الله عليه للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشي اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تصلي ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه قال يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلى نهارا فبتسليمة واحدة وان صلى ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلوة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا يستحب شي من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا التحية للمسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضو وصلوة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي موكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقا والتحية وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضو وهو في غاية البعد لان الوضو لا يكون سببا للصلوة بل الصلوة سبب للوضو فينبغي ان يتوضأ ليصلي لا انه يصلي لانه توضأ وكل محدث يريد ان يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضو كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كي لا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضو وحديث بلال لم يدل على ان الوضو سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضو فيستحيل ان ينوي بالصلوة الوضو بل ينبغي ان ينوي بالوضو الصلوة وكيف ينتظم ان يقول في وضوئه اتوضأ لصلوتي ويقول في صلوته اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضا ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضا صلوة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضا الصلوات في اوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه لها ففي النهي في اوقات الكراهية مهمات ثلث احدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال عليه السلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة في هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوة في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضا الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شي واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادة من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشي الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن ارتكاب اوقات الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضا الصلوات وصلوة الاستسقا والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم به مقصود النهي

هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم وهذا آخر كتاب الصلوة والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله الطاهرين الاخيار كتبه في اواخر رمضان سنة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

كتاب أسرار الزكوة وهو الكتاب الخامس

من كتب إحياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى
وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما
أيسر به من استغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكوة للدين مبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده
من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله المخصوصين بالعلم والتقى وسلم تسليما كثيرا أما
بعد فإن الله تعالى جعل الزكوة إحدى مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلوة التي هي أعلى الأعلام فقال أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال صلى الله عليه
بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكوة قال الأحنف بن قيس كنت في نفر
من قريش فمر أبو ذر وهو يقول بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حلمة ثدي أحدهم
فيخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال أبو ذر انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني
قال هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل
ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت
عليه أولاها حتى يقضى بين الناس وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية
ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني عن معرفته مؤدي الزكوة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول الأول في أنواع الزكوات
وأسباب وجوبها **الثاني** في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة **الثالث** في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه **الرابع**
في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول

في أنواع الزكوة وأسباب الوجوب والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة
أنواع زكوة النعم والنقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعدن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر **النوع الأول** زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة
إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فأما المال فله شروط خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا
على الكمال الشرط الأول كونه نعما فلا زكوة إلا في الإبل والبقر والغنم أما الخيل والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكوة فيها الثاني السوم فلا زكوة
في معلوفة فإذا أسيمت في وقت وعلفت في وقت ظهرت بذلك مؤنته فلا زكوة فيها الثالث الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن
هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكوة فيه بحول الأصل ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف
فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لأنه هو الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق
لماله فلا زكوة عليه فإنه ليس غنيا إذ الغني ما يفضل عن حاجته الخامس كمال النصاب أما الإبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة
هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين
بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائه وفي ست وثلثين
بنت لبون ثم إذا بلغ ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها
حقتان فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فإذا صارت مائة وثلثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت
لبون وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين
مسنة وفي كل ثلثين تبيع وأما الغنم فلا زكوة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين
وواحدة ففيها شاتان إلى مائتين وواحدة ففيها ثلث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين
كصدقة المالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلثة نفر مائة وعشرون وواحدة ففيها شاة على
جميعهم وخلط الجوار كخلط الشيوع ولكن بشرط أن يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا
جميعا من أهل الزكوة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم
إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ

الجبران

الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكوة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من
المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غذاء المال **النوع الثاني** زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات
بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر أن يكون ثمانمائة من
تمرا أو زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فيحصل لجميعهم ثمانمائة من
زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت
فإنه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فإن اجتمعا فالأغلب معتبر وأما صفة الواجب
فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك
فيؤخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب أن
يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكوة النقدين فإذا تم الحول على مائتي
درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن
مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكوة وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة
الخالصة وتجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو
على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي كزكوة
النقدين وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا فإن كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة
فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فإن كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن
نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والأولى أن يؤدي زكاة تلك السنة
وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكوة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية
بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة هذا هو الأقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن
والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجر عليها في الإسلام ملك فعلى واجده من الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر
النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس ببعيد لأن مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين
فلا زكوة فيما خرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي
قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فإنه نوع اكتساب وفي الحول
بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين أيضا خروجا عن شبهة
هذه الاختلافات فإنها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الأشباه **النوع السادس** صدقة الفطر
وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو منوان وثلث من جنس قوته أو أفضل منه فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها
أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكوة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه
وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعني من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد قال صلى الله عليه وسلم أدوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة
العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل
عنده ما يؤدي عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها
على نفقة الخادم فهذه أحكام فقهية لا بد للغني من معرفتها [illegible] عند نزول الواقعة
بعد إحاطته بهذا المقدار

الفصل الثاني

في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة بيان الشروط الظاهرة اعلم أنه يجب
على مؤدي الزكوة مراعاة خمسة أمور الأول النية وهو أن ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الأموال فإن كان له مال غائب فقال هذا
عن مالي الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية
السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا أعني في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة

لا ان يستاذن الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر
لا يؤخرها عن يوم الفطر [illegible] ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى
ولم تسقط عنه بتلف ماله [illegible] تعجيل الزكوة جائز [illegible] كمال النصاب وانعقاد
الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين [illegible] ليس بزكوة واسترجاعه غير
ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع [illegible] الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزى
ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق [illegible] غرض الشافعي [illegible] المقصود من سد الخلة وما ابعده عن

[illegible]

من آحاد الصنف [illegible] فلا تقبل الزيادة والنقصان ولا ينبغي ان ينقص كل
صنف [illegible] الى خمسة عشر [illegible] لا امكان غرم نصيب
[illegible] حتى يتساهمون فيه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة

فان ذلك لا يتم [illegible]
وظائف [illegible]
[illegible] ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد [illegible] بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد
محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال
محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم
في

في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك
بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد
ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي
درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال
صلى الله عليه ما ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ما ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه بينكما ما بين كلمتيكما
فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** درجتهم دون هذا وهم الممسكون
اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة
الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي
والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي
القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل هو داخل في
حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي في الفقه من هذا انه مهما ارهقت
حاجة كان ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط
الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات
العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد
اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويحفكم اي يستقصي عليكم
فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله تعالى عباده ببذل الاموال المعنى الثاني
التطهير عن صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي عنه وانما يزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشئ
لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله
وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات
البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكرا لله
تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل
عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير
آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة وليعين لزكوته
ان كان يؤديها جملة شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة
وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه
انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكبيرة الفضل فانه شهر
حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل
ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه افضل الصدقة
جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه ان العبد
ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث
المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب
تعالى وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه
لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص

من ذلك وقد بالغ في قصد الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير ومن حيث
جلوسه حتى يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط
شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل
ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط
عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب
في القبر في حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال أفعى من الأفاعي وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما
فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون
عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأي فائدة في أن
يبطل داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى وسيأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** أن يظهر
حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال تعالى
إن تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق
خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان وهذا لأن في الإظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو
هتك ستر الفقير فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار
الفسق على من تستر به فإنه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فأما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثله
قال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب
فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل
ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال **الوظيفة الخامسة** أن لا يفسد صدقته
بالمن والأذى قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال
سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال أن يذكره ويتحدث به وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل المن
أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وعندي أن المن له أصل ومغرس وهو من
أحوال القلب وصفاته ثم تتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إليه ومنعما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه
بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله في قبض حقه
قال صلى الله عليه وسلم إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل فليتحقق أنه مسلم إلى الله حقه والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلما
إلى الله ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا
فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه أما هو فإنما يقضي الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة
التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل
أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا
إليه تفرع منه إلى ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام
بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير
وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة
ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير بسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل
أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله والثواب
في الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها وأما الثاني
فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الغنى لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد
الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الأخسرون ورب الكعبة فقال أبو ذر من هم قال هم الأكثرون أموالا الحديث ثم
كيف

ثم إعلان في بعض صح

قبض صح

كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرا له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر
حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة
الفضلات إلى أن يموت فيأكلها أعداؤه فإذا مهما انتفت الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له في أداء الواجب وتقيضه للفقير حتى يخلصه
عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والأذى فإن قلت فرؤيته
نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة
وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فإن زاد
لم يخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فإن قلت فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه
فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول
وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك
كراهيته لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة
وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث
المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكاة تجري مجرى الخشوع
من الصلاة وثبت ذلك بقوله عليه السلام ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها وهذا كقوله لا يقبل الله صدقة منان وكقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والأذى وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة **الوظيفة
السادسة** أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ويوم حنين إذ
أعجبتكم كثرتكم ويقال إن الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاث
تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والأذى بل
العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس
درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل
أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه إذ أعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وإن كان مقامه
يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك
بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله وبذل جميعه
هو الأحب عند الله وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** أن ينتقي من
ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع
وفي حديث أبان عن أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد
لنفسه أو لعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله
فإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى والذي يأكله
قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجل وترك الادخار وقد قال تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من
الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي لا تأخذونه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا
به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل
وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال
ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم أن لهم النار أي كسب
لهم جعلهم لله ما يكرهون النار **الوظيفة الثامنة** أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف

الثامنة فان في عموم كلام خصوص فليراع خصوص تلك الصفات **الصفة الأولى** أن يطلب لأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعته بإعانتك إياه وقال صلى الله عليه أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ أضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همتهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله سبحانه أحب إلي من أن أعطي ألفاً ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد رحمه الله فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا ثم حكي أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالاً وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالاً لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية** أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل **الصفة الثالثة** أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله وهو أن يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمن لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعماً واعدد نعمة غيره عليك مغرماً ومن شكر غير الله فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله إذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله تعالى في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله خالق للبواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه فأما إعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روي أنه صلى الله عليه بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلاناً يعني نفسه فاجعل فلاناً لا ينساك فأخبر رسول الله صلى الله عليه بذلك فسر وقال علمت أنه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه عرف الحق لأهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر قومي فقبلي رأس رسول الله فقالت والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه دعها يا أبا بكر وفي لفظ آخر أنها قالت لأبي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه ورؤية الأشياء من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** أن يكون مستتراً مخفياً حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال **الصفة الخامسة** أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضرباً في الأرض لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف فهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لأن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهماً ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضاً يقدمون على المعارف كما يقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فإن أحد أجريه في الحال تطهيره

نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله تعالى في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي يقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني فبهذا معنى يضاعف أجر المصيب في الاجتهاد هاهنا وفي سائر المواضع

الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق اعلم أنه لا يستحق الزكوة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا تصرف زكوة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي أو مطلبي أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما فلنذكر الأصناف الثمانية **الصنف الأول** الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث يفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال فلا يجعل السؤال كسباً بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وإن قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقهاً ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا يعتبر قدرته وإن كان متعبداً يمنعه الكسب عن وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال النبي صلى الله عليه طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من المسألة وإن كان مكفياً بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني** المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأساً أو حبلاً وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك كما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى الكتاب فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكوة الفطر ويمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم فإن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا تسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال ما لا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فإذا قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن يقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلا إلى إحداهما فإن قال إحداهما أصح والأخرى أحسن فإنا محتاج إليهما قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه وإن كانت نسختان من علم واحد إحداهما بسيط والأخرى وجيز فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحد فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتصدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها إلا الاحتياط **الصنف الثالث** العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجر المثل فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع إلى السيد سهم المكاتب بإذنه وإن

دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبده **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي
استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة واطفاء فتنة
الصنف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن**
ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز به فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي بقدر بلغته فان قلت فبم
تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر
مستقبل فيعطى بقوله اني غازم فان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد
فسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى **بيان وظايف القابض** وهي خمسة الاولى ان يعلم ان الله تعالى اوجب صرف الزكوة اليه ليكفي
مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق بان يكون همهم هما واحدا وهو الله واليوم الآخر وهو المعني بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولكن لما اقتضت الحكمة ان تسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها
في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي
المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفايدته تنصب الى
الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عنه فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق
الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه ان شاء الله فليأخذ
ما يأخذه من الله تعالى رزقا له وعونا على الطاعة ولتكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان
كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله الثانية ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة
ولكنه طريق وصول نعم الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه من لم يشكر الناس لم يشكر
الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه
طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه من اسدى اليكم معروفا فكافئوه
فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا
منع ويعظم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا يناقض
اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله
فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا الثالثة ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه
من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سيأتي
بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة عن مؤديه وهو حرام الرابعة ان يتوقى
مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ الا القدر المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ بالكتابة
والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان
كان مسافرا لم يزد على الزاد وكرى الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد
وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه
او يستغنى عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه
انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات
في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون التوسع وهو ممقوت
في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت
تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره
او حاجة يومه فهو اقرب الى التقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت

يومه

وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية انه صلى الله عليه نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال آخرون يأخذ
الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال
قايلون حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود انه عليه السلم قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيمة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون درهما
او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا انه عليه السلم قال من سأل وله اوقية فقد الحف في
السؤال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني بها لان هذا
هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان يأخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم
الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل ابا طلحة بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال عليه السلم اجعله في قرابتك فهو خير لك فاعطاه
حسان وابا قتادة فحايط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما حكي فيه اما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في
كراهية السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني اقرب الى الاحتمال وهو مائل الى
الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس
للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض
في نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها
تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة الخامسة ان يسأل صاحب
المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه لانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف
الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما جهلا او تساهلا وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور
اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

بيان فضيلة الصدقة من الاخبار

روى عن النبي صلى الله عليه انه قال تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال عليه السلام اتقوا النار
ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه السلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله عز وجل
يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك
فاصبهم منه بمعروف وقال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال الصدقة
تسد سبعين بابا من الشر وقال صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد
به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه اي الصدقة
افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقال صلى الله
عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي
آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال انت ابصر به وقال صلى الله عليه لا تحل الصدقة لآل
محمد انما هي اوساخ الناس وقال ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال لو صدق السائل ما افلح من رده وقال عيسى من
رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره
وكان يناول المسكين بيده وقال عليه السلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرأوا ان شئتم
لا يسألون الناس الحافا وقال عليه السلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة

الآثار

قال عروة بن الزبير
لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا قال وهم
يشتهونه وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوي الحاجة منا وقال عبد العزيز بن عمير الصلوة تبلغك نصف
الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك الجنة وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتفتح سبعين بابا من الشر وفضل سرها
على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط
عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمن لابنه اذا اخطأت خطيئة فاعط صدقة

وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة ترجح جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلثة من كنوز الجنة كتمان
المرض وكتمان المصائب وكتمان الصدقة وقال عمر بن الخطاب ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق
بالسكر ويقول سمعت الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشي لله لا يسرني
ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله
ومن كسى لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب
الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد
لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس
اترضى فيها بالدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة

بيان اخفاء اخذ الصدقة واظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى الاظهار
ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معاني الاول انه ابقى للستر
على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك ستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف الثاني انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء
او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني اني لاترك
لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشي لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن
ابراهيم التيمي انه رأى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته الثالث
اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا
انكشف امر المعطي ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في
اخفاء معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددته عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما اعطاك فقال
انك اشركت غير الله فيما هو لله ولم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك
فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث
بها لقبلت صدقته الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية
ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة
الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ولان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم
افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فانفراده بها مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد
سلم عن هذه الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه اربعة معان الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال
والمراياة والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين
الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط عن قلبه اذا فعلت ذلك فذلك
هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك
وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف
الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا او غابوا نقصان في الحال بل
ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكي ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فاراد ان يظهر
لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد
فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما امرنا الشيخ فقال للمريد ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اقدر على مكان لا يراني فيه احد فان الله تعالى يراني في كل موضع فقال الشيخ
لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت لغير الله الرابع ان في الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة
وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله من فضله وقرنه بالبخل فقال الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه

اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل
والسر في امور الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر
الناس لم يشكر الله والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به خيرا
وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا
ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم فهو مكافاة فالآن اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس
فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال

كشف الغطاء

في هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال
او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه
حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا
في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس
ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر
معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تألمه بانكشاف اخذه الصدقة
كتألمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انتهاك الستر
او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من
انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من
حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن
ملاحظة هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب
لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهاره عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبون في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن
والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد
عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه

ومعيار ذلك

ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر
حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم ان لا
يعطوا الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور
ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصر
على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلام كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيدهم رغبة
في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال في آخر اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال
اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح
الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله علي فاشكر والا فلا تشكر فدقائق
هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا
العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر
وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يندفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي
السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكوة

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة المساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذها
صفة الاستحقاق كما وصف في كتاب الله تعالى واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون يأخذ الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على واجب
ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوة لاثموا ولان الزكوة لا منة فيها وانما هي حق واجب لله تعالى رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان
يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين ادخل في الذل

والمسكنة والبعد عن التكبر اذ يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان يأخذ الزكوة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فان الواجب يصرفه صاحبه الى مستحقه ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متفاوت واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اكثر الاحوال آخر كتاب الزكوة

كتاب اسرار الصيام ومهماته

وهو الكتاب السادس من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلوة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم كثيرا اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه وقال صلى الله عليه للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع صلى الله عليه في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم يقول الله عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه لاجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه لعائشة داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسيأتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات ان شاء الله فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى ففي قمع عدو الله نصرة لله سبحانه ونصرة الله للعبد موقوفة على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداءة بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا مترددين لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبينه بثلاثة فصول

الفصل الاول

في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلثين من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة

واحدة

واحدة لم يكفه وهو الذي عنيناه بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست نية جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او تستند الى استصحاب حال كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او تستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها الثالث الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه او ما يسبق الى الجوف في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي ان يأكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد الرابع الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر لزمته الكفارة الخامس الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا مضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركها اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القيء فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما

لوازم الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او غير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء مفرقا او مجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما امساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بالغ من حيث يجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم بمد واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في رمضان لما سبق من فضائله في الزكوة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب وداب اهله اي اداموا النصب في العبادة لان فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار ليلة احدى وعشرين وثلث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضأ في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر بل كان رسول الله صلى الله عليه لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسأل عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح ولا بالاكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه يدني رأسه فترجله عائشة وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد فينبغي ان يستأنف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

الفصل الثاني

في اسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا

الا الدنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك
من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال
بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم. واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه
بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال صلى الله عليه النظرة سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه. وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب
والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة. الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه
السكوت او شغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان
تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى الله عليه انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم
اني صائم وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد النبي صلى الله عليه فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه
تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه
فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس
فهذا ما اكلتا من لحومهم. الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل
السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام
وقال انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه المغتاب والمستمع شريكان في الاثم. الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره
وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم
مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام
سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل
هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام. الخامس
ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا
تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه
ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى ليقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت
شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها
فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة
لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر
ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء
وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة من الطعام
فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلي همته عن غير الله فذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد
بيان في كتاب الاطعمة ان شاء الله تعالى. السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من
المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال
ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب
في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن
اللعب وحسرة المردود تغلق عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة
الله اهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال
الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط الباطنة
لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة

يعنون

يعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة
في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته
ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار
البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب
من الله كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب
القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله
صلى الله عليه كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى
وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر
صائم فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام وياكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن
فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمقارفة الآثام كمن مسح على عضو من اعضائه في الوضوء ثلاث مرات
فقد وافق في الظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه
مرة مرة فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومن جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال
وقد قال صلى الله عليه انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على
سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك
فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب
او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث

في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتأكد
في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشورا
والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه يكثر صوم شعبان
حتى كان يظن انه من رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم لانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام بركته
وقال صلى الله عليه صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلاثين من شهر حرام وفي الحديث من صام ثلاثة
ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا
استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان
بيومين او بثلاثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب
وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات
وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن
افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال
ولا الجهاد الا من عقر جواده واهريق دمه. واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهي الثالث عشر
والرابع عشر والخامس عشر. واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات
لتضاعف اجرها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على
كراهيته والصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم
حجرا على نفسه مع ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من
الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن
له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله
اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم وقد قال صلى الله عليه عرضت علي مفاتيح خزائن الارض وكنوز الدنيا فرددتها وقلت اجوع يوما
واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه افضل الصيام صوم اخي داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما

ومن ذلك منازلته صلى الله عليه لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اريد افضل من ذلك فقال صلى الله عليه صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك
فقال لا افضل من ذلك وقد روي انه صلى الله عليه ما صام شهرا كاملا الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا باس بثلثه
وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلثة من اول الشهر وثلثة من الوسط وثلثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين
والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله
والفقيه بدقايق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلى الله عليه كان يصوم حتى يقال
لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال انه لا يقوم ويقوم حتى يقال انه لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام
بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق ذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي
العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع
به والله اعلم آخر كتاب الصوم بحمد الله ومنه

كتاب اسرار الحج ومهماته

وهو الكتاب السابع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل
البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب
ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا اما بعد فان الحج من بين اركان
الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها
الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان يصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضائلها
وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله في ثلثة ابواب **الباب الاول** في فضائلها وفضائل
مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرايط وجوبها **الباب الثاني** في اعمالها الظاهرة
على الترتيب من السفر الى الرجوع **الباب الثالث** في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية و
اعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الاول وفيه فصلان

الفصل الاول في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المساجد

فضيلة الحج قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر الله تعالى
ابرهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في
الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان
عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال ايضا ما رؤي الشيطان
في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من
الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له
في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه
اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك
قال قول العبد اسألك حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه من خرج من بيته حاجا او معتمرا
فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة خير من
الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال عليه السلم الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم
وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له
وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مايه وعشرون رحمة ستون للطايفين واربعون
للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا

يستحب

يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه
ويقال ان الله تعالى اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفر لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر
لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فقال
اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة
ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان علي بن موفق حج عن
رسول الله حججا قال فرايت رسول الله في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم
القيمة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة
فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا
وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا
الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام ويروى عن علي بن موفق قال
حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا
عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل
منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوا فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة
انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان
قد نزلا على هيئتهما فنادى صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال افتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من
الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا
يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت
السخاء والاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة قال صلى الله عليه ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله بالملايكة وان الكعبة تحشر كالعروس
المزفوفة وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث
يوم القيمة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة
فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه يقبلك ما قبلتك ثم بكى
حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنهما فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات قال علي يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع
قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود
قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم
بمكة بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلث عمر تعدل
حجة وفي الخبر عمرة في رمضان تعدل حجة مشكوة وروي حجة معي وهذا مذكور في الصحيح وقال صلى الله عليه انا اول من تنشق عنه الارض
ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملايكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه
من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طايفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه نايما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاوليا
وقال اني رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من
الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سببا لرفعه من الارض فيصبح وقد رفعت الكعبة لا يرى
لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف
ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة
عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة

ورُوي عن النبي صلى الله عليه انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره

فضيلة المقام بمكة وكراهته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة احدها خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب
في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر بمنع الناس من كثرة
الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وامنا اي
يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه
وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد اخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله عبادا تطوف بهم
الكعبة تقربا الى الله تعالى الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور وبالحري ان يورث مقت الله لشرف الموضع وروي عن وهيب
ابن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي وسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكو اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من
تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد
يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال السيئات تضاعف
بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية
احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى ان لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى
الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة ولا يظنن ان كراهة المقام
تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام
مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه السلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض
الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما قدمناه

فضيلة المدينة وسائر البلاد

ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه فالاعمال فيها ايضا تتضاعف قال صلى الله عليه صلوة في مسجدي
هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمسماية وكذا
ساير الاعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة الف صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في
المسجد الحرام بماية الف صلوة وقال صلى الله عليه لا يصبر على شدتها ولأوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت
فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك
قال صلى الله عليه لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا
الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه كنت نهيتكم عن
زيارة القبور فزوروها والحديث انما ورد في المساجد فليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة ولا بلد الا وفيها مسجد فلا معنى
للرحلة الى مسجد اخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يرحل الى موضع فيه مسجد
وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلم فالمنع من ذلك
في غاية الاحالة واذا جوز ذلك في قبور العلماء والاولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحيوة من
المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب
من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه البلاد بلاد الله والعباد عباد الله
فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من بورك له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم
رايت سفيان الثوري قد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص
اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء
لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد
اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة واراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد به الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة
قيل فمكة قال تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني فقال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا

(هامش: ى)
(هامش: ان يشد الرحل)

ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحته

واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرائط فشرط صحة الحج شيئان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه
وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم
النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من
الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي
او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاساءة وشرط
هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج تطوعا عن الحر البالغ فهو براءة ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام مقدم
ثم القضاء لمن افسد في حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة
الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه
الاحرام على قول ثم تحلل باعمال حج او عمرة واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان
تكون خصبة امنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وان
يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة او كراها بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع
الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام عن نفسه وتكفي نفقة الذهاب [illegible] في هذا
النوع ولو ان ابنه عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض المال لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد
وبذل المال فيه على الوالد منة ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في اخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج
لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كساير ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل
حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر لقد هممت ان اكتب الى الامصار بضرب الجزية
على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت
عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله تعالى رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج

اما الاركان

التي لا يصح الحج الا بها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف
بعرفة والحلق بعد الزوال على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات
محلا فعليه دم شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه
يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب

واما وجوه اداء الحج

فثلثة الاول
الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية
وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت
الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان من شرط طواف
الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو
ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري
المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع
ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا
ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة
تتابعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران

واما محظورات الحج

والعمرة فستة الاول اللبس فيحرم القميص
والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبين وان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة
والاستظلال في المحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها
الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة

(هامش: الحديبية)
(هامش: تباعا او متفرقة)

ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر السادس الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان
كان بعد التحلل الاول لم يفسد الحج ولم تفسد البدنة السابع مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة
وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد الثامن قتل صيد البر اعني ما يؤكل او هو متولد بين الحلال والحرام فان قتل
صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع

وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمان الاولى في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء
الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه
وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية
على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان
يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه واخوانه
المقيمين ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل له في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك
وكان صلى الله عليه يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة
في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين اولا يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا
فرغ رفع يديه [illegible] اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد
والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك [illegible] ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن
والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال
والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت
[illegible]

معيك

بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك
واماءك برأفة وتحننا انك ارحم الراحمين [illegible] من الارض في الطريق يستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل
شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت
السادسة في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور
الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف فيسرح رأسه ولحيته ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق
الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله تعالى ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى
جرمه بعد الاحرام فقد رؤي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس
الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراده ويكفي
مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان تقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك
لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا
انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك
في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت
من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة
ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا
عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا
ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام
ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه اذا اعجبه شيء قال لبيك ان
العيش عيش الآخرة الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول
مكة والاغسال المستحبة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة
ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فيعود
الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول الى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني من عذابك يوم
تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح [illegible]
[illegible]

[illegible]

ويجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكن لا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد تتصل بالارض

ويلتبس و الطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلاه ثم من هذا الموقف

يبتدئ الطواف [illegible] الحجر [illegible] ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك

واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن

امنك وهذا مقام العائذ بك من النار ويومئ بعينه الى مقام [illegible] اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني

من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وآمني من اهوال يوم القيامة واكفني مؤونة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده

[illegible]

من عمل ولا شفيع سوى تأميلي لرحمتك الهي ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاهاً ولا للاعتذار وجهاً ولكنك أكرم الاكرمين الهي لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك
فان رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاماً ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي أنت
أنت وأنا أنا العواد الى الذنوب وأنت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك
عمداً وتوجهت الى معصيتك قصداً فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت
لي يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

خطايانا

خطايانا وتقصيرنا وتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين **الروضة** فيصلي فيها ويكثر من الدعاء
ما استطاع لقوله صلى الله عليه ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على
الرمانة التي كان صلى الله عليه يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان يأتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي
صلى الله عليه ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على
رسول الله ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي عليهما السلم وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها
ويزور قبر ابرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وقبر صفية عمة رسول الله فذلك كله بالبقيع ويستحب ان يأتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه
لما روي ان رسول الله صلى الله عليه قال من خرج من بيته الى مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بير ارس يقال ان النبي صلى الله عليه تفل فيها وهي
عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد
بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان عليه السلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي
سبعة ابار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وان امكنه الاقامة مع مراعاة الحرمة فله فضل عظيم قال صلى الله عليه لا يصبر على
لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت
له شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع
رسول الله صلى الله عليه ويسأل الله ان يرزقه العود اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي مقام رسول الله صلى الله عليه قبل
ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري
بزيارته واصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي الى اهلي سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة
ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا **فصل** في سنن الرجوع من السفر كان صلى الله عليه اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف
من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير آيبون تائبون ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه
السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كي
لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله عليه من زيارة
بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا
في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقايق الآداب وهي عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب
وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي في طريق اهل البيت اذا كان آخر
الزمان خرج الناس الى الحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة
الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج
بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه
فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك فينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة
اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله عليه السلم يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج
بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه
ومتجره فان الله يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ اجرا مثل ام موسى ترضع
ولدها وتاخذ اجرها فمن كان في اخذه الاجرة على الحج مثل ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج

الثاني أن لا يعاون أعداء الله تسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امرا مكة والاعراب المترصدين في الطرق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلما ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يوخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يوخذ منه شي بل ربما يظهر اسباب الترفه فتكثر مطالبته ولو كان في زي الفقرا لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حال الاضطرار

الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على اقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة ...

[illegible]

...

بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار

بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج من الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شرا ثوب الاحرام ثم شرا الزاد ثم اكترا الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور ...

[illegible]

خضوعًا للجلال واستكانة للعزة مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم
ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار
وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة
بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيأة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى فاما
ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال لا حظ للنفوس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث
الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان
كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك
قال صلى الله عليه في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة ولا غيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة
الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد
كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت
لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج اما الشوق
فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله وزائر له وان من قصد البيت
في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين
القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الآخرة
بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم
فالشوق الى لقاء الله تشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحرى
ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **واما العزم** فليعلم انه بعزمه قاصد مفارقة
الاهل والوطن ومهاجر الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر
رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل
من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه
باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير **واما قطع العلائق** فمعناه رد المظالم
والتوبة الخالصة لله من كل معصية فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول الى اين تتوجه اتقصد
بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العاصي فيردك ولا يقبلك
فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك
لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا
الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاولاده واهله فان المسافر وماله لعلى قلت
الا ما وقى الله وليتذكر عند قطع العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في
تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **واما الزاد** فليطلبه من موضع
حلال واذا احس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر
الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي
يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت
بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير **واما الراحلة** اذا احضرها فليشكر الله سبحانه بقلبه على تسخير الله له
الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان
امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك
منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك

فيه

فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن **واما شراء ثوب**
الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره
اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت
الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيهما مخيط ولا محيط كما في الكفن **واما الخروج**
من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه
وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا
العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان
يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل
والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل اليه وادركته المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا اليه اذ قال
تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله **واما دخول البادية** الى الميقات
ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر
من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن
اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر **واما الاحرام**
والتلبية من الميقات فليعلم ان معناه اجابة نداء الله تعالى فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك
فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل
الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له
لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن
ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله تعالى اوحى الى
موسى عليه السلم مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله
تعالى لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابته لنداء
الله تعالى اذ قال واذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين لنداء الله و
منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون
ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **واما دخول مكة** فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم الله آمنا وليرج عنده ان يامن
بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا
فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع **واما وقوع البصر على البيت** فينبغي
ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما
رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس
في القيمة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى مأذونين في الدخول والى مصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل
عن تذكر امور الآخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الآخرة **واما الطواف** بالبيت فاعلم انه صلوة
فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين
الحافين من حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدي
الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدي الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان
البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب
الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة
وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق

[illegible] حول العرش ... والذي يقصد ... الطواف هو الطواف [illegible]
الكعبة ... وأما الاستلام فاعتقد عنده أنك مبايع لله تعالى على طاعته فصمم عزيمتك
على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح
الرجل أخاه وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً إلى البيت ولرب
البيت وتبركاً بالمماسة ورجاء التحصن عن النار في كل جزء من بدنك ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان
كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله
إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً
مرة بعد أخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من
قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين
كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان
متردداً بين العذاب والغفران وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع
الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم
في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله فتحشر في زمرة الفائزين
المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا
ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال
قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب
أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم و
الاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم
وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضاً
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بإبراهيم صلوات الله عليه حيث عرض له إبليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه
شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه
وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا
فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى
إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس
والعقل فيه وأما ذبح الهدي فاعلم أنه تقرب إلى الله بحكم الامتثال فأكمل الهدي وأجزاءه وارج أن يعتق الله بكل جزء منه
جزءاً منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك به من النار أعم وأما زيارة المدينة

فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه عليه السلام وجعل إليها هجرته وأنها داره التي فيها شرع
فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك
مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينة
ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر
نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع
كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر
وأنك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قال عليه السلام يرفع إلي أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يا رب أصحابي
فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعداً وسحقاً فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه
بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى

حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك أن ينظر الله إليك بعين الرحمة فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله تعالى أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حياً وميتاً
فليعظم أملك في الله تعالى أن يرحمك بدخولك إياه وادخله خاشعاً معظماً وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن
كما حكي عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رحمه الله ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما
أفاق قال أخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد مدفون وأشار بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي
أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتاً كما تزوره حياً ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً وكما
كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلاً بين يديه فكذلك فافعل فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى
واليهود واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً في اللحد
بإزائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وكل بقبره ملكاً يبلغه سلام من سلم عليه من أمته هذا في
حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقاً إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة
وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم
ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائماً على المنبر
وقد أحدق به المهاجرون والأنصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته وسل الله أن لا يفارق في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في
أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فإنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه
وألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن أعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرافاً إلى دار الأنس بالله ووجد أعماله قد
اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس
فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب هذا آخر كتاب الحج وأسراره والحمد لله
وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين أجمعين

كتاب آداب تلاوة القرآن

وهو الكتاب الثامن من كتب إحياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده
بنبيه المرسل صلى الله عليه وكتابه المنزل عليه الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار
بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء
والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله هو حبل الله المتين
ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده
عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى
قومهم منذرين فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي
ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة
على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف
مقاصده في أربعة أبواب **الباب الأول** في فضل القرآن وأهله
الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر **الباب الثالث**
في الأعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال ما من شفيع أفضل منزلة
عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه
أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن وقال أيضاً إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة قالت طوبى

لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال عليه السلم من شغله
قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته ثواب الشاكرين وقال ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم
حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وام به قوما وهم به راضون وقال عليه السلم اهل القرآن اهل الله وخاصته
وقال ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه
وسلم لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته **الآثار** قال ابو امامة الباهلي اقرؤا القرآن ولا يغرنكم هذه
المصاحف المعلقة فان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه علم الاولين
والآخرين وقال ايضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام
حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان
يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرأ القرآن
فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته
الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله تعالى ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته
الشياطين وقال احمد بن حنبل رأيت الله تعالى في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد
قال فقلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم
القيمة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم فينبغي
ان تكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع
من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفين الثوري اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر
مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى النبي صلى الله عليه وقال اقرأ علي فقرأ عليه
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول
هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات
من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك
ما ها هنا احد تستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن ابي طالب ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن
البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن **في ذم تلاوة الغافلين** قال انس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن
يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمن الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون
منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له ما لك
ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان اصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيمة وقال
ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس
يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون
جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال اقرأ
القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرأه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد
ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك فقال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال
بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين
وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان
قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به
فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر
وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها

وما

وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره
ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التورية يا عبدي اما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في
الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصلت
لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك
بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف
وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة

وهي عشرة الاول في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا
مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل
الاحوال ان يقرأ في الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا
فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام ثم القعود
ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو
جالس في الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء
فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان
طول القيام بالليل افضل الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم
والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول النبي صلى الله عليه
وقد قال صلى الله عليه من قرأ القرآن في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة لما سمعت
رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه عبد الله بن عمر ان يختم القرآن في سبع
وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمن وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات
الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار كما انه مبالغة في الاستكثار
وبينهما درجتان معتدلتان احديهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة الليل
وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما
ليستقبل ختمتيه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فتشمل
بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين
في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على
مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتأمل الثالث في وجه
القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة احزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن احزابا فروي ان
عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين
بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان
يقسمه بسبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب
الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا
حزبه الصحابة وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن النبي صلى الله عليه وهذا قبل ان يعملت الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا
فهو محدث الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين
وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرأه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابرهيم
كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان

يؤدي الى احداث زيادات فحسماً للباب وشوقاً الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييراً واذا لم يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل
به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثاً فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة التراويح في الجماعة انها من محدثات عمر وانها بدعة
حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ في المصحف المنقوط ولا انقط
بيدي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن مجرداً في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه
نور له ثم احدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا لا باس به يعرف به راس الآية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح وقال
ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما اعراب القرآن فلا باس
به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر
القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلثين جزءاً والى اقسام اخر الخامس الترتيل هو المستحب
في هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه فاذا هي
تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن هذرمة
وقال ايضاً لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً وسئل مجاهد عن رجلين
دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً الا ان احدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب
لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد
تاثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال السادس البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه اتلوا القرآن وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه في المنام
فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم
فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا
ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره
حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الآيات
فاذا مر بآية سجود سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان
وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل ان يقرأ قوله تعالى خروا
سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على
اوليائك واذا قرأ قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وهكذا في كل سجدة ويشترط في
هذا السجود شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن عن الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا
تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعاً يديه لتحريمه ثم يكبر للهوي للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو
بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة
نفسه اذا كان ماموماً الثامن ان يقول في مبتدأ قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه
الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبح وكبر واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان
مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع
رسول الله صلى الله عليه فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة الا سال ولا بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ
قال ما كان يقوله صلى الله عليه عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني
منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر به الى حد
يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف فلا بد من صوت فادناه ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث
يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه قال فضل قراءة السر على قراءة

واستغفار صح

العلانية

العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر
العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض
في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع
سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله تعالى بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك
من الله شيئاً فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه
صلى الله عليه سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه اذا قام احدكم من الليل يصلي
فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على
ابي بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان
وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آياً من هذه السورة وآياً من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال
كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه
فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق ايضاً بغيره والخير المتعدي
افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه
للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق
الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل الابرار و
تتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد في العمل النظر
وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر ايضاً عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة
قراءته منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي
في السحر وبين يديه المصحف فقال له الشافعي شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح العاشر تحسين
القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال رسول الله صلى الله عليه زينوا القرآن باصواتكم
وقال صلى الله عليه ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل
اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما
حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتاً منه فقام صلى الله عليه حتى استمع اليه طويلاً ثم رجع فقال هذا سالم
مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله ورأى هيثم القارئ النبي صلى الله عليه في منامه فقال لي انت الهيثم الذي تزين القرآن
بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيراً واستمع ايضاً ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً ثم قال
من اراد ان يقرأ القرآن غضاً كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله
اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه الى قراءة
ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيراً وفي الخبر
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده
حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا في صلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر
وقال صلى الله عليه من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع
وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الاجر الا ان يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة

وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم
ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري الاول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه

خلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فانظر كيف لطف خلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت
لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة
الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق
الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله
في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته
لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم
الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فسأله الملك عن امور فاجاب بما احتمله فهمه فقال
الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا
بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم
مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير
والاصوات القريبة من اصواتها لكي يطيقوا حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله تعالى بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات
التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوة في تلك الصفات من ان شرف
الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز
لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام علي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي
العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي كلام الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون
عين الشمس ما يحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهر مكنون
عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوة التي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام
التي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه الثاني التعظيم
للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر
فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا
بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان
عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته
وجلاله وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق
لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة
ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب
وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم
اذا قرات القرآن تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية
وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب ان كان
التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين
وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصير القرآن والمسبحات
عرائس القرآن والحاميمات ديباج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين
ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق
فكره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود
من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها
ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا

ومقاصير

مثل

مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قراها فهذا وسواس فقد روي
عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي
بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني
ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه قرا بسم الله الرحمن الرحيم
فرددها عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيها وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان
بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا
اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين
لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا
يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومساناة وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه
بنا ليلة فقام باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري رضي الله عنه ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات وقام
سعيد بن جبير رضي الله عنه ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها
اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار
اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
فليتامل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه بقوله
ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من
اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم
ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل
على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل
على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني
الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات
وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرا التالي قوله افرايتم ما تحرثون افرايتم الماء الذي تشربون
افرايتم النار التي تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر
في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب و
غيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر
والجهل والتكذيب كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجائب ليترقى منها الى اعجب العجائب
وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبياء فاذا سمع منها انهم
كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم
في آخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته
ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف
الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت
لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن
له فهم ما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها من موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف
النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب

اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال رسول الله صلى الله عليه لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت
ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف
باخراجها من مخارجها وهذا تولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليه انه لم يخرج من مخرجه فهذا
يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا
لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه
فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة
وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية
ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم
فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون
مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان
يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثاني وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد
يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع
على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا
بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب
للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى
فيه فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصدا ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المراة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلا
للمراة ولذلك قال صلى الله عليه اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل
يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال
انما يتذكر اولوا الالباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرا
تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القرآن
برايه فقد تبوا مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالراي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي
الله العبد فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن
فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من
تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله ثبت
فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه
لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا احسن ما انزل اليكم من
ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد
القارئ مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه
القرآن فكانما كلمه الله تعالى واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقراه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال
بعض العلماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات وكان
مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا
قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا الثامن التاثر وهو ان يتاثر قلبه بآثار مختلفة بحسب
اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر
العارف عن نيلها كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه ذكر ذلك باربع شروط وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين

آمنوا

آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان
يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن
يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه
الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية
المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر
صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر
في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه
لابن مسعود اقرا علي قال افتتحت سورة النساء فلما بلغت قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت
عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه
عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم فان لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا فان لم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا
فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان
مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي قوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن
هو المبين لتلك الآيات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرا
القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرا القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في
كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء
واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض
عن العمل به داخل في قوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه اقرؤوا القرآن
ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرا رايت انه
يخشى الله تعالى وقال ايضا لا يسمع القرآن من احد اشهى ممن يخشى الله تعالى فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤونة
في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرا ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن علي عملا اذهب
فاقرا على الله تعالى فانظر بماذا يامرك وبماذا ينهاك وهكذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه عن عشرين الف
من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما
جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال
النبي صلى الله عليه انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على المؤمن عقيب فهم الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى
بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى
كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق
تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ
والتاثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ التاسع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من
الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون
حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه
فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته

ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره
وهذه درجة المقربين وما قبله من درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد
الصادق فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر
مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي
مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله يتلوه على اصحابه
ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا
اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال
ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله
لا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل
شيء الا الله العاشر التبري واعني به ان يتبرى من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين
فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر
انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تعالى ان الانسان لظلوم
كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير
في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف به بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن
الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه
ولم يشاهد الا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت وقال ابو سليمان وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه
من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادي معك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا
آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات
لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تتخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء
ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك
لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان
يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف
لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره

بالرأي من غير نقل لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب
ذلك وقد قال صلى الله عليه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين
الى التصوف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن
سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن
الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار
والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك
الفهم وقال صلى الله عليه ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر و
البطن والحد والمطلع وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار
وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن
يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله
صلى الله عليه بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود
من

من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القرآن شرح ذاته
وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير
الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركه
فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال عليه السلم اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال عليه السلم في حديث علي والذي بعثني بالحق
نبيا لتفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان
فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين
ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث
وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله فما تأمرني ان ادركت ذلك قال تعلم
كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي رضي الله عنه من فهم القرآن فسر به جمل العلم اشار به الى ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال
ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال تعالى ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما سمى ما آتاهما
علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمن بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان
المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه وقول ابي بكر اي ارض تقلني واي سماء تظلني
اذا قلت في القرآن برأيي الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع
وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا ان يكون المراد ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما يسمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون
ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي
ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وكذا غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين
اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه محال ولو كان الواحد مسموعا
لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له من استنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل فقيل الر هي
حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف لا يكون الكل مسموعا والثالث انه صلى
الله عليه دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه
بذلك والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه
من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله
واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه
وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي
يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية
محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه اي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير
ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن
يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلم تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به
الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس
قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة
لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون
احد وجهي المنع من التفسير بالرأي ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح والفاسد
والموافق للهوى قد يخص باسم الرأي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل
فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم
ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر بالرأي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر

التفسير ولا يستغني به عن مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل
بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار
القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة
الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله
تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناها آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة
كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل فحذف الحب
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى
بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله واسأل القرية التي كنا فيها والعير اي اهل القرية فالاهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات والارض
معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن
وما سبق له ذكر وقال حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم
وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك
فان لم يرد به ذلك كان متناقضا لقوله تعالى قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله وطور سينين اي
طور سيناء سلام على آل ياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل
الكلام في الظاهر كقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن
وقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا للمؤمنين من الذين استضعفوا ومنها
المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان
نصبا كاللزام وقوله يسألونك كأنك حفي عنها اي يسألونك عنها كأنك حفي وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك فهذا
الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال الغنائم اذ انت راض
بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره وقوله حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه ومنها المبهم وهو
اللفظ المشترك بين معاني من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله تعالى مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اراد به الامر بالعدل والاستقامة
وقوله فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى تبتدئ بها العالم في اوان
الاستحقاق وقوله ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم انه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء وقوله قال قرينه هذا ما لدي عتيد
اراد به الملك الموكل به وقوله وقال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى
وجد عليه امة من الناس واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله ان ابراهيم كان امة والامة الدين كقوله
تعالى انا وجدنا آباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة
اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي ام
زيد واما الروح فقد ورد ايضا في القرآن على معاني كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله تعالى فاثرن به
نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن
جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات يعني الماء وامثال هذا في القرآن لا ينحصر ومنها التدريج
في البيان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه ليل ام نهار وبان بقوله انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر انه في اي
ليلة فظهر بقوله انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع
والقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف
وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع

والنقل

لعني ح

والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل ان يفهم الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه الى ما
سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال
هذه الامور على ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله
تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقته ومعناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في
الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم
المقاتلين كيف يكون الله المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم
المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله حتى ينكشف
بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى
وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين
في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى
درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان
تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب
القلوب من قوله عليه السلام في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك انه قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد
قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات وقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى
الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار
وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ
عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله
اعلم آخر كتاب اسرار التلاوة والحمد لله رب العالمين

كتاب الاذكار والدعوات

وهو الكتاب التاسع من كتب احياء علوم الدين من ربع العبادات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشاملة
رأفته العامة رحمته الذي جازى على عباده عن ذكرهم بذكره فقال اذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال ادعوني
استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والقاصي والداني في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني والصلوة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه خيرة اصفيائه وسلم كثيرا اما بعد فليس بعد تلاوة كتاب
الله تعالى عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة
ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والد عوات
الخاصة لسؤال المغفرة او الاستعاذة او غيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة

الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا

الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله

الباب الثالث في ادعية مأثورة معزية الى اصحابها واسبابها

الباب الرابع في ادعية منتخبة محذوفة الاسانيد من الادعية المأثورة

الباب الخامس في الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الاول في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار

والآثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله تعالى اذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا
منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله

عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا وقال
تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال ابن عباس اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر
والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما
ان ذكر الله لكم اكثر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات

وأما الأخبار

فقد قال
صلى الله عليه ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال عليه السلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين وقال
صلى الله عليه يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال ايضا ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا
يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع
وقال صلى الله عليه من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب
بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا
وقال صلى الله عليه قال الله تعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه سبعة يظلهم الله يوم لا
ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا وما ذاك
يا رسول الله قال ذكر الله دائما وقال صلى الله عليه قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين

وأما الآثار

فقد قال الفضيل بلغنا ان الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول
ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك
وبين الله ما احسنه واعظم اجره وذكر الله عند ما حرم الله وروي ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل ليس
يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه ما جلس
قوم مجلسا يذكرون الله الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون
بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال ايضا ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه
ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه الا كان عليهم حسرة يوم القيمة وقال داود عليه السلم الهي اذا رأيتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم
فانها نعمة تنعم بها علي وقال عليه السلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراؤن بيوت اهل
الارض التي يذكر فيها اسم الله كما ترى النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا
الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم ها هنا وميراث رسول الله
صلى الله عليه يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فقال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما
يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون
بهم الى السماء الدنيا فيقول الله تعالى اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول هل رأوني فيقولون
لا فيقول كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل رأوها فيقولون
لا فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول فاي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون
لا فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول اني اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة
فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم

فضيلة التهليل

قال رسول الله صلى الله عليه افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي
لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في
كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت احد

بافضل

بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه ما من عبد توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع الى السماء فقال اشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال ايضا ليس على اهل لا
اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور وكاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توزن
في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال
لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب
هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال
عليه السلم ليدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شراد البعير على اهله فقيل يا رسول الله من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا
من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي كلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة
الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة
وكذا قوله للذين احسنوا الحسنى وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه قال من قال في يوم مائتي مرة
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله
وقال عمر من قال في سوق الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتبت له الف الف
حسنة ومحي عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة وروي ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى الصحيفة فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد
حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه قال من تعار
من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلوته

فضيلة التسبيح والتحميد

وبقية الاذكار قال رسول الله صلى الله عليه من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم المائة
بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه من قال
سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه فقال تولت
عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه فاين انت من صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت ماذا يا رسول الله
قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من
كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال
الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما
نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف
رسول الله عن صلوته قال لقد رأيت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله
وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله ولا قوة الا بالله الا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه انه
قال الذي تذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه او لا يحب احدكم ان لا
يزال عند الله يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه
الشمس وفي رواية وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه كان يقول الطهور
شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر تملآن ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن

حجة لكا او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان
الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه اي الكلام احب الى الله تعالى قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر
قال رسول الله صلى الله عليه من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه ذهب اهل الدثور
بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة
وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة قالوا يا
رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارأيت لو وضعها في حرام اكان عليه فيها وزر كذلك اذا وضعها في حلال كان له فيها اجر
وقال ابو ذر قلت يا رسول الله صلى الله عليه سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه افلا ادلك على عمل
اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلثين وروت
بسرة عن النبي صلى الله عليه انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيامة
وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري انهما شهدا عليه انه قال اذا
قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله صدق
عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت
لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال
يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من
كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه الا ادلك على عمل من كنز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة
الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه
نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة [illegible] رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك
هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فيتفرق عنه الشياطين فيقولون لا
سبيل لكم على من هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة
المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور
القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال
بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو
غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد
في بداية امره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان تتعجب
من هذا فان من المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا
عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه
فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت
القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة
حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه
حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة لما تتكلف هي النفس كما عودتها تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن
غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به
وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت
غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه

اراد

اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان
تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك
بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما
يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه القبر اما حفرة من حفر النيران
او روضة من رياض الجنة وبقوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم اني قد وجدت
ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي
نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد
قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله وقال تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب
مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف
القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريد ذلك لحيوته وقد هون على قلبه حيوته في حب الله وطلب
مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة لخاتمة فان القلب وان استغرق ذكر الله فهو
متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة
هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه بعد الموت فيحن اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على
ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال وان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله
واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالآخرة
وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله
لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه فلم يساعده حاله فامره في مشية الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا
الله على ساير الاذكار وذكر في ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى
الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين
اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر
لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني

فضيلة الدعاء

في آداب الدعاء وفضيلة بعض الادعية المأثورة قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
وقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني
استجب لكم وقال الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه
ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما
يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج ٥

احدى صح

آداب الدعاء وهي عشرة الاول

ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة
ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقوله
صلى الله عليه ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلم انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت
السحر واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه اني غفرت لهم وجعلتهم انبياء **الثاني** ان يغتنم الاحوال الشريفة قال

ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال
مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال
ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات
ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع
البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء
وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه انه قال الا اني نهيت ان اقرأ القرآن راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه من
الدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم **الثالث** ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه ان ربكم
حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء
ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه احد احد اي اقتصر
على الواحدة وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان
عليه السلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما
يلي وجهه فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن
ابصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة
كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق
ركابكم وقالت عايشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا
وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس** ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع
والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فقيل معناه
التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء ولذلك
ورد في الخبر ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال صلى الله
عليه اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له اعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت
حبيبا العجمي يدعو ما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه
وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون
في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك **واعلم** ان المراد
بالسجع المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه كلمات متوازنة لكنها
غير متكلفة كقوله عليه السلم اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود
وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله
السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا وخفية
وقال صلى الله عليه اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال
صلى الله عليه لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة
فان الله لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال
سفين بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله تعالى اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من
المنظرين **الثامن** ان يلح في الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان عليه السلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سأل سأل ثلثا وينبغي ان
لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فسل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال

بعضهم

بعضهم اني اسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه
اذا سأل احدكم ربه مسألة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال
التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه يستفتح الدعاء
الا استفتحه بسبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمن الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلوة على
(العلي صح)
النبي صلى الله عليه ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن النبي صلى
الله عليه اذا سألتم الله حاجة فابدأوا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب
المكي **العاشر** وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة
يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلم فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج
ثلث مرات ولم يسقوا فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله
اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال
سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنؤذينه قيل وكيف تقدر ان
تؤذيه وهو في السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله السماء وقال سفين الثوري بلغني ان
بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم
الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم لكم باكيا حتى تردوا
المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم
ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي
عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمن عليه السلم يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء
وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمن ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال
الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة فهل يكون
مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم
تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة وروي ان عيسى صلى الله عليه خرج يستسقي فلما اضجروا قال لهم عيسى عليه السلم من اصاب منكم
ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه الا رجل واحد فقال له عيسى عليه السلم اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شيء غير اني كنت ذات
يوم اصلي فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى فادع
حتى اومن على دعائك قال فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلم فاختاروا
ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف
عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في
توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا قال فسقوا وقال عطاء السلمي
منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطاء اهذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا
منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل
للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك
وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام
حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول

[illegible] الزاهدون والعابدونا — اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة فيه — فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى — قيل في الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر
باحديهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد احتبست
عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة [illegible]
السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا
وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه وروي ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه
قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه
وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير
وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مثل الجبال

فضيلة الصلوة على رسول الله

صلى الله عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي
انه صلى الله عليه جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال انه جاءني جبريل عليه السلم فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد
من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل
عبد من ذلك او ليكثر وقال ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة وقال حسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال
صلى الله عليه اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة وقال من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال
حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة
يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال صلى الله عليه من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال
صلى الله عليه وسلم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلم وقال صلى الله عليه ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلم وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك
حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما
كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الاية بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول
بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذا باعجب من اصابعك حين نبع الماء صلى الله عليك
بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمن اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة
ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه السلم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب
من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقال الذراع لا تاكلني فاني مسموم بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان
تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه
وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت
الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت
طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك

فضيلة الاستغفار

قال الله تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب
الله تعالى ايتان ما اذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم

ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان
صلى الله عليه يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه من اكثر الاستغفار
جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
سبعين مرة هذا مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه انه ليغان على قلبي حتى اني لاستغفر الله
كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه من قال … استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات غفرت
ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث اخر من قال ذلك غفرت
ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار
فقال صلى الله عليه فاين انت عن الاستغفار فاني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه ان كنت
الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي
خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما
قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي
رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني احد من
اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول
ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
الاية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى
ابو هريرة انه صلى الله عليه قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت
عائشة انه صلى الله عليه قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا وقال صلى الله عليه اذا
اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت
فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه ان رجلا لم يعمل خيرا
قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك وقال صلى الله عليه من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد
اطلع عليه غفر له وان لم يستغفره وقال صلى الله عليه يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني
ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل وروي ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي [illegible] وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها
وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت

الاثار

قال خالد بن معدان قال الله تعالى ان احب عبادي الي
المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم
وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار
وقال علي بن ابي طالب العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد
ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا
الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل
اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو
متعلق باستار الكعبة يقول ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع
غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم
الراحمين

وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله اللهم
انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت
به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل
ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل [illegible]

الباب الثالث [illegible]

[illegible] ابن عباس رضى الله عنهما [illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible]
ابن عباس يعنى العباس الى رسول الله صلى الله عليه فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى الركعتين قبل
صلوة الفجر [illegible] اللهم انى اسئلك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها
[illegible] اللهم اعطنى ايمانا صادقا ويقينا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اللهم [illegible]
[illegible] خلقك
اللهم [illegible] الدعاء وعليك الاجابة [illegible] ذا الحبل الشديد
والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل
ما تريد سبحان الذى تعطف بالعز وقال به سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم
سبحان ذى القدرة والكرم سبحان الذى احصى كل شىء علمه اللهم اجعل لى نورا في قلبى ونورا في قبرى ونورا في سمعى ونورا في بصرى ونورا
في لحمى ونورا في دمى ونورا في عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى
اللهم زدنى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا

دعاء عايشة

رضى الله عنها قالت رسول الله صلى الله عليه
[illegible] بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى اسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله
عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسألك من الخير ما
سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه واسألك ما قضيت لى من امر ان
تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين

دعاء فاطمة

رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه يا فاطمة ما يمنعك ان
تسمعى ما اوصيك به ان تقولى يا حى يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلنى الى نفسى طرفة عين واصلح لى شانى كله

دعاء الصديق

رضى الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه ابا بكر الصديق رضى الله عنه ان يقول اللهم انى اسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى
نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وكل وحى اوحيته او قضاء قضيته
او سائل اعطيته او غنى افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسألك باسمك الذى انزلته على موسى صلى الله عليه واسألك باسمك الذى
[illegible] به ارزاق العباد واسألك باسمك الذى وضعته على الارض فاستقرت واسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت واسألك
باسمك الذى وضعت على الجبال فارست واسألك باسمك الذى به استقل عرشك واسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل
في كتابك من لدنك من النور المبين واسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك
ان ترزقنى القرآن والعلم وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين

دعاء بريدة الاسلمى

روى انه قال لى رسول الله صلى الله عليه يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن
اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقونى في رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى
واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فاعزنى وانى فقير فاغننى يا ارحم الراحمين ٥

دعا

دعاء قبيصة

بن المخارق روى انه قال لرسول الله صلى الله عليه علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبر سنى وعجزت عن
اشياء كنت اعملها فقال عليه السلم اما للدنيا فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول
ولا قوة الا بالله فاذا [illegible] من الجذام والبرص والفالج واما الآخرة فقل اللهم اهدنى من عندك وافض على من فضلك
وانشر على من رحمتك وانزل على من بركاتك ثم قال عليه السلم اما انه اذا وافى بهن عبد يوم القيمة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة
يدخل من ايها شاء

دعاء ابى الدرداء

قيل لابى الدرداء ذات يوم قد احترقت دارك وكانت النار وقعت في
محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك [illegible] وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت وقال يا ابا الدرداء ان النار حين
دنت من دارك طفئت فقال قد علمت فقيل له ما ندرى اى قوليك اعجب قال انى سمعت النبى يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل
او نهار لم يضره شىء وقد قلتهن وهى اللهم انت ربى لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العظيم
ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن اعلم ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما اللهم انى اعوذ بك من شر نفسى ومن شر
كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم

دعاء ابرهيم الخليل

صلوات الله عليه كان
يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى
وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى
شكر يومه

دعاء عيسى

عليه السلم كان يقول اللهم انى اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح
الامر بيد غيرى واصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير افقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسوء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى في دينى ولا تجعل
الدنيا اكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى

دعاء الخضر

عليه السلم يقال ان الخضر والياس يلتقيان في كل موسم لم يتفرقا الا عن
هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله
فمن قالها ثلثا اذا اصبح امن من الحرق والغرق والشرق

دعاء معروف

الكرخى قال محمد بن حسان قال لى معروف
الكرخى الا اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما
ردها على بكر بن خنيس حسبى الله لدينى حسبى الله الكريم لما اهمنى حسبى الله الحليم القوى لمن بغا على حسبى الله الشديد لمن كادنى
بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرؤف عند المسائلة في القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله اللطيف عند
الميزان حسبى الله القدير عند الصراط حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روى عن ابى الدرداء انه
قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبى الله الآية كفاه الله ما همه من امر آخرته صادقا كان بها او كاذبا

دعاء

عتبة الغلام رؤى عتبة في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادى المضلين وراحم المذنبين
ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين

دعاء آدم

صلوات الله عليه
قالت عائشة لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس ببنى وهو حجر احمر ثم قام فصلى ركعتين ثم قال
اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما في نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى اسألك
ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الا ما كتبته على وارضنى بما قسمت لى فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولن
ياتى احد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له
من كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها

دعاء على

رضى الله عنه رواه عن النبى صلى الله عليه انه قال
ان الله عز وجل يحمد نفسه كل يوم ويقول انى انا الله رب العالمين انى انا الله لا اله الا انا الحى القيوم انى انا الله لا اله الا
انا العلى العظيم انى انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد انى انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدى كل شىء والى يعود العزيز
الحكيم الرحمن الرحيم ملك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد
الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعالى المقتدر القهار الحليم الكريم

اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى القادر الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة انى انا الله [illegible]
ثم دعا بهذه الاسماء فليقل انت الله لا اله الا انت كذا وكذا ثم دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين جاوروا محمدا وابرهيم
وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين [illegible]

دعاء ابي المعتمر

وتسبيحاته روى ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رايتم من الاعمال
قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد
ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضيه ومثل ذلك واضعاف
ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد
ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة
واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره

دعاء ابرهيم بن ادهم

روى ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء
في يوم الجمعة اذا اصبح وامسى مرحبا [illegible] الشهيد يومنا هذا يوم عيد ثم تقول مرحبا
يوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد [illegible] الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه
مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله
منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق وان الحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك
حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا اله
الا انت خلقتني وانا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك
وسعديك والخير كله بيديك انا بك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله
على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرا ختم كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا
رويا سائغا هنيئا لا نظما بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا اللهم اعصمني من فتن
الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك
يا علي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت
له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها ونضارتها
وسبحان من سبحت له السموات والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي يا قيوم يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك
لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب الرابع في ادعية مأثورة

عن رسول الله صلى الله عليه وعن اصحابه محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمة
الله عليهم يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون اول اوراده الدعاء كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول
الله صلى الله عليه فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وقل اللهم اني
اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي
وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تامني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك
ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسالك
الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان

اظلم

اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد
اسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير
ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما
لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي
اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك
ما تحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك
حياء وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن
سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره
تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله
الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته وبارك
على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا
لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا واصرفنا بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه
وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك
انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي
فاغفر لي ذنبي انك انت الملك ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه
وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره
الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين
انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي
وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم
انك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل

انواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ
بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في
غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس
الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب
القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزائم مغفرتك
ومنجيات امرك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني
اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهرم واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لطلب الدنيا

اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك
من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم
واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء
في دار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر
والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم
اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة
النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم
اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر العمر وفتنة الصدر اللهم اني
اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس في الادعية المأثورة

عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء
والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي
نورا واجعل في بصري نورا واجعل في خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني
اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء
مرضاتك اسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله
رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت
الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول
وان رأيت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر بذلك
رسول الله صلى الله عليه فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخره كما اوردناه
عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك
اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان
احببت قلت سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله
لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه
وبصره تبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت
على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلم
ومنك السلم تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر
لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا
يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسألك خير هذا السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها
اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك
واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ
بك من شره وشر ما صنع له واذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت
لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فكبر ثلثا وقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك
الله وتقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر

ويكره

ويكره قوله اولا ثلثا فاذا هبت الريح فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بالله من شرها
وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين
واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند الصدقة
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول
عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى
السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا الآية فاذا سمعت صوت الرعد
ورأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته كما قاله كعب فاذا امطرت السماء فقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب
واذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك
في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فصل على محمد
وقل ذكر الله من ذكرني فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطأت فقل
الحمد لله على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك
اسألك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ في قضاؤك
اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان
تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب
الله همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك
او جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه كان اذا اشتكى الانسان قرحا او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال
بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك
وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بالله من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا
الله العظيم [illegible] رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم [illegible] او لا ثم توسد
على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من
سخطك ومعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت
على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى
ومنزل التورية والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت
الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك
خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية
باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اني اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجأت
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا آخر
دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه بذلك وقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال
اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت
من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والقدرة
لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك
اصبحنا وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسألك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان
نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم
فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه

بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسيت قلت ذلك الا انك تقول امسينا وتقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت الى المراة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله في اهلك ومالك اذ قال رسول الله صلى الله عليه انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والوضوء والصلوة فقد ذكرناه في كتاب الحج والصلوة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وان لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال النبي صلى الله عليه الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض فستاتي في مواضعها ان شاء الله

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

وهو الكتاب العاشر من كتب احياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا

اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم في سفرهم الى اوطانهم ويكتنزوا منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار

الباب الثاني في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به ⊙

الباب الاول

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هي الطريق الى الله تعالى

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الفكر والذكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها على الذكر فلذلك ينبغي ان تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها للطبع او يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق جميع اوقاته في الطاعة ومن اراد ان يترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي سبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام قال صلى الله عليه احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف مقادير الاوقات فيشتغل بها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة ويدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان اعداد الاوراد وترتيبها

اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم الى اوراد اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به

فالورد الاول بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى
به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول
الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات
ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي ستر عورته امتثالا لامر الله واستعانة على عبادة الله من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى
بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج
ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا جميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات
لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك
كان يفعل صلى الله عليه ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسألك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم خرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى
الصلوة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد به الحديث ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء
المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب
الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في منزله ويشتغل بالدعاء المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا
للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة
فان لهما زيادة فضل روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه انه قال في صلوة الصبح من توضأ ثم توجه الى مسجد يصلي فيه الصلوة كان له بكل
خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة
مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل حسنة الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول
المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فالفيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من
منزلك في هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله
او قال مع رسول الله وعن علي ان النبي صلى الله عليه طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا
بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسمعته وهو مول منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء
جدلا ثم يشتغل بالاستغفار والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في
الصلوة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه لان اقعد في مسجد اذكر الله فيه من
صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب ويروى انه كان صلى الله عليه اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس
وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه كان فيما يذكر من رحمة
ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم
الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع **ادعية واذكار** يكررها في سبحة **وقراءة**
قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت
السلم ومنك السلم واليك يعود السلم حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلم تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان
يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدئ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الدعوات فيدعو بجميعها

ان

ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه **واما الاذكار** المكررة فهي كلمات
ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثره مائة او سبعون
واوسطه عشر وليكرر مقدار فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر ولكن الاوسط الاقصد ان يكون عشر مرات فهو اجدر بان
يداوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تأثيرا في القلب
من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء يتقاطر على الارض على التوالي فيحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على حجر ومثال
الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة **الاولى** قوله
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير **الثانية**
قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله **الثالثة** قوله سبوح قدوس رب
الملائكة والروح **الرابعة** قوله سبحان الله العظيم وبحمده **الخامسة** قوله استغفر الله الذي
لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة **السادسة** قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد **السابعة** قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين **الثامنة** قوله بسم الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم **التاسعة** قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
عبدك ونبيك **العاشرة** قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحد
فضل على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال
فاما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة
من قوله آمن الرسول وشهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك آيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الى آخرها وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم
... وخمس آيات من اول الحديد وثلثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي ووصاه
ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له بذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال
قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي
من اهدى لك هذه الهدية فقال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم تسأل ابرهيم من اعطاه قال بلى قال كنت جالسا
في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها
[illegible]

ريش لها مال ومومن حدود الله [illegible] فمن فعل هذا او علمه ولم يرسل الذي رات في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال
والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويومر صاحب
الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل هذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان
ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولا يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة وان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من
من القرآن او اقتصر عليها فحسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادابه في كتاب التلاوة **واما**
الافكار فليكن ذلك احد وظايفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه يرجع الى فنين
احدهما [illegible] ما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف
والعوايق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي
معاملته للمسلمين والثاني [illegible] بل يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها و
يكثر شكره عليها [illegible] لا تحصى كثيرة ويتبع
التفكر فيها [illegible] كتاب التفكر [illegible] العبادات اذ فيه معنى الذكر لله
[illegible] اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف
عظمة الله وجلاله الا بمعرفة صفاته وقدرته وعجايب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر
ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار
نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص
غايب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون
على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها
بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا لم يحط بكنه
جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد
حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا وفيه قال رسول الله صلى الله عليه ان لله سبعين
حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره وتلك الحجب ايضا مرتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب
ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم الخليل صلى الله عليه في ترقيه فقال فلما جن عليه الليل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الذكر والقراءة [illegible]
[illegible] بعد صلوة الصبح [illegible] وظيفة [illegible] ويقوى على ذلك
بان ياخذ [illegible] الشيطان المعادي [illegible] عن سبيل الرشاد [illegible] طلوع الصبح
صلوة [illegible] في هذا الوقت بالاذكار
[illegible] **الورد الثاني** [illegible] من طلوع الشمس الى ضحوة
النهار [illegible] والربع
[illegible]
[illegible] الشمس [illegible] ركعتين
[illegible] المخبرات

التي

التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا
سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال
فلذلك يقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلوة بين
طرفي وقت الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى ينطلق
على الكل وكان ركعتي الاشراق يقع في مبدا وقت الاذن في الصلوة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله عليه ان الشمس تطلع ومعها
قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاول ارتفاعها ان ترتفع عن حجاب الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب **الوظيفة الثانية**
في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس
علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شي من ذلك عاد الى الوظايف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة
والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست مكروهة الان فتصير الصلوة قسما خامسا
من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي
الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر **الورد الثالث** من ضحوة
النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات امر بصلوة فاذا انقضى ثلث ساعات
بعد الطلوع فعندها وقبيل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلث
اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفترض لانه وقت اكباب الناس
على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور
السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله
ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود
لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد
المومن الا في ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما
عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة
منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان
بها على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث
نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم
افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفين الثوري رحمه الله
كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبل الزوال
بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب
واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه
عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل
وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة اي يخلف احدهما الاخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الاخر **الورد الرابع** ما بين الزوال
الى الفراغ من صلوة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد
فمهما زالت الشمس وابتدا المؤذن فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذانين فهو وقت الاظهار
الذي اراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة وحدها
من بين ساير صلوات النهار هكذا قال بعض العلماء ومذهب الشافعي انه يصلي مثنى مثنى كساير النوافل وليطول هذه الركعات اذ
فيها تفتح ابواب السماء كما اوردنا الخبر فيه في باب صلوة التطوع وليقرا فيها سورة البقرة او سورة من المئين او اربعا من المثاني

فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر جماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة
لا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود ان يتبع الفريضة مثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرا في هذه النافلة اية الكرسي
واخر البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والفكر والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف
الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او الصلاة او فنون الخير ويكون
في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المساجد بين الظهر والعصر
فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه فاحياء هذا الورد وهو ايضا وقت
غفلة الناس كاحياء الورد الاول في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلث يمقت
الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال
في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم
ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء للروح كما
ان الطعام غذاء للبدن وكما ان العلم والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن
الا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله
تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل
عن انواع العبادات **الورد السادس** اذا دخل وقت العصر دخل ورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا
احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله تعالى وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد
صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس
الى رؤوس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلوة تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج
في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها
الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوئها فيدخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف
النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا واخره للاخرة فيستحب
في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسئله
التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران
احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال
اللهم اني اسئلك عند اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغي
ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد
قال صلى الله عليه لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه
وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله
على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له اخر تغرب فيه شمس الحيوة فلا يكون لها بعده
طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها

بيان اوراد الليل وهي خمسة

الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فاخر هذا
الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه هي ناشئة الليل لانه اول
نشو ساعاته وهو ان من الاناء المذكورة في قوله تعالى ومن اناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع
روي ذلك عن الحسن واسند ابن ابي زياد الى رسول الله انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة
بين

بين العشائين ثم قال فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب اخره والملاغاة جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال
لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان
يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا
يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه الاعتكاف في المسجد وان عزم
على الاعتكاف لانتظار عشاء الاخرة فهو الافضل اذا كان امنا من التصنع والرياء **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء الاخرة الى
حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل
فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعات ثلثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل
الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيها من القران الايات المخصوصة كاخر البقرة واية الكرسي واول الحديد
وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشرة ركعة اخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه صلى به من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول
الليل والاقوياء من اخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فاخر الليل افضل ثم ليقرا في
هذه الصلوة قدر ثلثماية اية من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمن وسورة الدخان وتبارك
الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السورة او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلثة احاديث ما كان يقراه رسول الله صلى الله
عليه في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها اية
افضل من الف اية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر انه صلى الله عليه كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث
ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث
الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه الا انام الا على وتر وان كان معتادا صلوة
الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عائشة اوتر رسول الله صلى الله عليه
اول الليل واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين
ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت
اخرت الوتر ليكون اخر صلوتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فصح فيه نهي فلا ينبغي ان
ينقض وروي مطلقا انه عليه السلم قال لا وتران في ليلة ولمن تردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر
ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرية وافراد العبادة لله فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة
واحدة وكان له ان يوتر في اخر صلوته وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه
ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو كما ذكر لكن ربما خطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ
ولبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه ايتاره قبلهما واعادته الوتر
فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما ووتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر
ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت
العباد بالموت وروي انه عليه السلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف
اجر القاعد وهذا يدل على صحة النافلة نائما **الورد الثالث** النوم ولا باس بان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا
روعيت ادابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره
ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة يرفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف
في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال
معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيئا واتفوق القران فيه تفوقا قال معاذ لكني
انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال معاذ افقه منك

وآداب النوم عشرة الأول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه إذا نام العبد على طهارة
عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق
وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثر في انكشاف حجب الغيب **الثاني** أن يعد عند رأسه
سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه يستاك كذلك كان يفعل بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه
أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وإن لم يتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد
فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال رسول الله
صلى الله عليه من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى
الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عنده فإنه لا يأمن القبض في النوم فيقال إن من مات من غير وصية
لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن
غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس له مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم
الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم واحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال
رسول الله صلى الله عليه من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم **الخامس** أن لا يتنعم بتمهيد
الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم
وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد
السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد
كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وإن غلبه النوم عن الصلوة والذكر
و لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه إن فلانة
تصلي بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا من
العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وقال خير الدين أيسره وقيل له إن فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني أصلي وأنام و
أصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله
السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن
يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشق الأيمن
الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك رب وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب
الدعوات ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله وإلهكم إله واحد إلى قوله يعقلون يقال
إن من قرأها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
وآخر بني إسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما
وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ
لقيام الليل كان علي رضي الله عنه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين
مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات مائة مرة **التاسع** أن يتذكر عند النوم
أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فسماه توفيا وكما أن المتيقظ
ينكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت
مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمن لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث
فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل
القبلة بوجهك فإنها وفاة وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه
ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء إلى آخر كما ذكرناه في الدعوات

نحق

نحق على العبد أن يفتش عن قلبه عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه أو حب الدنيا ويتحقق أنه يتوفى على
ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب **العاشر** الدعاء عند التنبه فليقل في
تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما
العزيز الغفار وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا
يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه بها فإنها علامة تكشف عن باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار ليستجر القلب
إلى ذكر الله فإذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ **الورد**
الرابع يدخل بمضي النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد
الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال والليل
إذا سجى أي إذا سكن وسكونه وهدوه في هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجى إذا
امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه أي الليل أسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلم إلهي إني أحب أن أتعبد
لك فأي وقت أفضل فأوحى الله إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فإنه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل
حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إلي حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه أي الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل
وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار إلى السماء الدنيا وغير ذلك من الأخبار وترتيب
هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا
للقبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملك
والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه في قيامه للتهجد
اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ولك الحمد أنت قيام
السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه حق اللهم لك أسلمت
وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله
إلا أنت اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل ولا تجعلني بدعائك
رب شقيا وكن بي رحيما يا خير المسؤولين وأكرم المعطين وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه إذا قام من الليل افتتح صلوته قال
اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني
لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر
له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلوتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد
صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر
بالتدريج إلى ثلث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان يجهر رسول الله في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر وقال
عليه السلم صلوة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقال عليه السلم صلوة المغرب أوترت صلوة النهار فأوتروا صلوة الليل
والأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه في قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة
ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد إلى أن يبقى من السدس الأخير من الليل **الورد الخامس** السدس الأخير
من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالأسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر
الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أبا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال
في آخره فلما كان نصف الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح
قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا وقال إن لنفسك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي
الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأتيا رسول الله صلى الله عليه فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهو الورد الخامس وفيه

دونا

يستحب التسحر وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فيه هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم و
يصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته
واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل
لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك
في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود صلوة جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي
رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن آخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا فيه بتمرة او بصلة او كسرة خبز
لقوله عليه السلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة الى سائل عنبة فاخذها [illegible] كان
عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا يكرهون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه ذلك ما سأله احد شيا
فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسد الانسان ثلثمائة وستون
مفصلا وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة
حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد
واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا
غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده هذا قد ذكرناه نعم لا يبعد ان تختلف وظايفه بان يستغرق اكثر الوقت اما في الصلوة او في
القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة
الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فكان يختم الواحد
منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة
فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان
عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهما مائتان وثمانون ركعة **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات
من هذه الاوراد **فاعلم** ان قراءة القرآن في الصلوة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف
باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا فيه
فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق
والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها
فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض
الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا
ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله
مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل
ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد
له في قلبه وقعا فليلازمه وانما يجد القلب عنده وفتوحا له فليواظب عليه الثاني العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف
فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق
الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم
المواظبة على ذكر الله وتأمل ما قال الله وقال رسول الله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم
فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا
او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول
الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس

بالاذكار

بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى ضحوة النهار في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن
فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات
ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار
يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس
في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى ضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وورده الرابع بعد العصر في
عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتبة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار
عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما الليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي فانه كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم
وهو الاول وثلث للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء فاما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار
فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم
في ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب اوقاته كما
ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان
من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وقبل الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث
ابي ذر حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها
فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة فقال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة
امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع
على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله تعالى لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال
رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الراهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات
على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها
الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل من القلب من عقدة حب الدنيا بقول واعظ حسن
الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس
له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله
في صناعته فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون ناطورا فانه
لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته
فهو افضل من سائر الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فائدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه
تقربه الى الله ثم يحصل به فائدة الغير وتنجذب اليه بركة دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر **الخامس** الوالي مثل الامام او
القاضي والمتولي النظر في امور المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس
نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت
بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم
وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة وتفضل سائر العبادات بتعدي عبادته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه **السادس**
الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا
ويرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب
مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن
الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال تعالى
لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه
الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا

طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا تستفزه عظائم الاشغال وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض وفي الخبر الايمان ثلث وثلثون وثلثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقا بعدد الانبياء فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط اولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لابد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا فلم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وكان هذا هو السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به روت ذلك عائشة وام سلمة فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية **فاعلم** ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

مهتدون وبعضهم

الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل

وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء ما بين العشائين قال صلى الله عليه فيما روته عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وروت ام سلمة وابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكثر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه من صلى المغرب في جماعة ثم ان يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشي فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم ركع وسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف ثوابه في الحديث بما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيئا اعمله في ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلوة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما انت يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وادم الصلوة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال

اني

اني حضرت محمدا صلى الله عليه حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه وكنت عنده وكان ذلك بحضرتي فتعلمته ممن علمه اياه وقال ان هذا الدعاء وهذه الصلوة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه ادخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى رسول الله صلى الله عليه وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبد مولى رسول الله صلى الله عليه هل كان رسول الله يأمر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلوة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال افطر وصل بينهما

فضيلة قيام الليل اما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطأ وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله امن هو قانت آناء الليل الآية وقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان عليه على مجاهدة النفس

بالصبر

ومن الاخبار قوله صلى الله عليه يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله عليه ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وفي خبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل كله حتى يصبح وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه حتى تفطرت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضاء ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه ما من امرئ تكون له صلوة بالليل فغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلوته وكان نومه صدقة عليه وقال عليه السلم لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيمة الا انبئك يا ابا ذر ما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وروي انه كان على عهد النبي صلى الله عليه رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبريل وقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة ويروى ان جبريل صلى الله عليه قال للنبي صلى الله عليه نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود لصلوته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن ابي الحسن شبع يحيى بن زكريا عليهما السلم من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال سينهاه ما يقول وقال عليه السلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امرأته فصلت فان ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال عليه السلم من استيقظ من الليل وايقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلم افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال عليه السلم من نام عن حزبه او عن شيء منه بالليل فقراه بين

صلوة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل

الآثار

روي ان عمر كان يمر بالآية في ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض. وكان ابن مسعود اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح. ويقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح. وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين. وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال. وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره. وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه ففاته ورده فحلف ان لا ينام بعدها على فراش ابدا. وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله ان في الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله. وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي. وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل. وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك. وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار. وقال رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل. وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة قالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها. وقال الربيع بت في منزل الشافعي ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا. وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه. وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني استحيي ان اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله. ويروى انه ما كان له فراش بالليل. ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الآية ليلة حتى اصبح «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات». وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر. وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها

شعر

الهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان ... تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا ... من النوم التهجد بالقران

ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد. وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وقال ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم. ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم. وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمن التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الآخرة اربعين سنة. ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء. وروي عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك.

بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهرة فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا كثيرا عند الموت وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام. الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم. الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قيام الليل. الرابع ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة. قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما لي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك. وكان الحسن

اذا

اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون. وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذاك قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء. وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرأ حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته. وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمن الداراني لا تفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب. وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد. وقال بعض الحكماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد ليأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاول. فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات. وقال بعض السجانين بقيت سجانا نيفا وثلثين سنة اسأل كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر.

اما الميسرات الباطنة فاربعة

الاول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنائم

الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين. وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا يأتيه النوم. وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام. ولذي النون المصري في ذلك

منع القران بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه ... فرقابهم ذلت اليه تخضعا

وانشدوا

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات
ان في القبر ان نزلت اليه ... لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه ... بذنوب عملت او حسنات
أامنت البيات من ملك الموت ... وكم نال آمنا بيات

الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وكانت امرأته تنتظره فراشها تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل طول ليلتي شوقا اليها.

الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه واحواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله. **فان قلت** ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى **فاعلم** انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده. **فان قلت** انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله **فاعلم** انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له ايضا لذة في عرض احواله ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات. واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد. وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر. وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا

طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت
بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمن اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء
في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليس من الدنيا انما هي من
الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال
بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المستيقظين فيملاها نورا فترد الفوايد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين
وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم
ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب
بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباكي وبين متاوه وشاكي
بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت
السموات السبع والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن
دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار وقال وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من
القلب وهذا سر وتحقيقه سياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك
وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات
في الليل والنهار تصيب القلوب المستيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل
ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر
عن رسول الله انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله
من امور الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القايمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان
وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل

اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب المرتبة الاولى احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله و
تلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحيوة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد
كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين
من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض
ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمن الداراني وعلي بن بكار الشاميان
وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمن التيمي ويزيد الرقاشي
وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة
ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم المرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد
المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو
الافضل المرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه
يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه
وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه
بلال فيوذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نايما عندي قال بعض السلف هذه الضجعة سنة منهم ابو هريرة وكان نوم
هذا الوقت سبب للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار
وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود صلى الله عليه المرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه

والافضل ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه المرتبة الخامسة ان لا يراعي المقدار فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه
او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب ذلك في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا
انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان
هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان
انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم
نصف الليل وثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل فقوله تعالى ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه
فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقالت عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك
وهذا يكون السدس فما فوقه وروى غير واحد انه قال راعيت صلوة رسول الله صلى الله عليه في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ
فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى
مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال مثل ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة المرتبة السادسة وهي الاقل ان يقوم
مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل
برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما راه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه
القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما
ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان [illegible] هذه المراتب بحسب طول الوقت واما في الرتبة [illegible]
والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر [illegible] فليس دون ما ذكرناه في السادسة ولا
الخامسة دون الرابعة

بيان الليالي والايام الفاضلة

اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل
التي يتاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى
غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم يربح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان وستة هي اوتار العشر
الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال
ابن الزبير هي ليلة القدر

واما التسع الاخر

فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه
وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى
فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القران ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه واخرته
ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص
عشر مرات كانوا لا يتركون ذلك كما اوردناه في صلوة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه من احيا ليلتي العيد لم يمت
قلبه يوم تموت القلوب

واما الايام الفاضلة

فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة
ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم قال صلى الله عليه من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له
صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف من
شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق
وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء
من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الاخرة واراد بها العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في
الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة
والله اعلم اخر كتاب الاوراد واخر ربع العبادات يليه ربع العادات والحمد لله حق حمده والصلوة على رسوله محمد وعترته

كتاب اداب الاكل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات فخلق الأرض والسماوات وأنزل الماء الفرات من المعصرات فأخرج به الحب والنبات وقدر الأرزاق والأقوات وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرات وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم كثيرا أما بعد فإن مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها

الباب الأول فيما لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل

الباب الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل

الباب الثالث فيما يخص الدعوة والضيافة وما يجري مجراها

الباب الرابع فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

الباب الأول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة الأول أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سيأتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيما لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة الثالث أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام وضعه على الأرض فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعلى السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى قال أنس بن مالك ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلام كنتم تأكلون قال على السفر ويقال أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والأشنان والشبع واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهي وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التنعم المفرط وأما المائدة فتيسير للأكل وهو أيضا مباح ما لم ينته إلى الكبر والتعاظم وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات الرابع أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا إنما أنا عبد آكل كما يأكل

العبد

العبد وأجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ويكره الأكل نائما ومتكئا إلا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل قال إبراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات السادس أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الخبز فكل ما يبقي الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة وإن كان الطعام حاضرا وأقيمت الصلاة وكان يبرد الطعام أو يتشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت تاقت النفس أو لم تتق لعموم الخبر ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا السابع أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده

القسم الثاني في آداب حالة الأكل وهو أن يبدأ باسم الله في أوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة في الأكل وأن لا يذم مأكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب مأكولا كان إذا أعجبه أكله وإلا تركه ويأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا ولا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهي عنه وقال انهشوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به وقال صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه السلام إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعه في كفه بل يضع النوى من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه وكذا كل ما له عجم وثفل وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد يقال إن ذلك مستحب في الطب وإنه دباغ المعدة وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فإن الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وأبو بكر عن يساره وأعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن ويشرب في ثلاثة أنفاس يحمد الله في أواخرها ويسمي الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذه قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الآثار والأخبار

القسم الثالث فيما يستحب بعد الطعام وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجتمع من أصول أسنانه بلسانه

اما الفرح بالحلال فمن منه وليمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة يقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان
له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا
من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا
فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد و
لايلاف قريش ولا يقوم من المائدة حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه
بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر
الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله صلى الله عليه كل لحم نبت من حرام فالنار اولى
به وليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويلهو وليقل اذا كان لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وان اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا
وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء فيما خصص به رسول الله صلى الله عليه اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي
اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد
آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا
طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان
يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يمعن
غسل الفم باصبعه ويد [illegible] [illegible] ظاهرها وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الاشنان اليابس
اصابعها ظاهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله

الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة

في الاكل وهي سبعة **الاول** ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو
المتبوع والمقتدى فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرئبوا للاكل واجتمعوا له **الثاني** ان لا يسكتوا على الطعام فان
ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يرفق
برفيقه في القصعة فلا يقصد ان ياكل الزيادة على ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي
ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استاذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد
في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان صلى الله عليه اذا خوطب في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلث وكان عليه السلم يكرر الكلام ثلثا فليس
من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام اهون من ان يحلف عليه **الرابع** ان
لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى تفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤونة القول
فلا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه
حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن
وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن كان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول
من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحياء وزيادة النشاط في الانبساط
وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعاهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على
المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله **الخامس** ان غسل اليد في الطست لا باس به
وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت
البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله تعالى وروي
ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية تدري من صب على يدك قال لا قال
امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل الايدي
في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست

قال

في الطست قال صلى الله عليه اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا يرفع طست من بين ايدي
القوم الا مملوءا ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على اليد
كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم جالسا
لانه اقرب فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع
الذي يصب وان كان له فيه نية تكبر ممن كينته من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست سبعة آداب ان لا يبزق
فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج
الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي في اول
نزوله عليه وقال لا يرعك ما رايته مني فخدمة الضيف فرض **السادس** ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون
بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الا ان
يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء او قلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم آخرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع
لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند
وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة
فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها باسنانه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

الباب الثالث في ادب تقديم الطعام

الى الاخوان الزائرين **فضيلة** تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان
على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب
عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يسأله عن ذلك هذا ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه لا
تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه
طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من
اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لناكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب الرجل على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم
يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال
علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه
وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان
على الكفاية مع الانس والالفة ليس من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب
العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلم اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال عليه السلم ان في الجنة
غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال خيركم من اطعم
الطعام وقال من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام
واما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل
وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني حينه
ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم
يؤذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل
اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت اكله فلا باس به قد قصد رسول الله صلى الله عليه وابو بكر وعمر منزل ابي الهيثم بن التيهان
وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف
كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة فكان اخوانه
معلومين وهذا لا عن كسبهم وكان قيام اولئك لهم على قصد التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه

إذا أكل من طعامه فأولى أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن وهو غير
راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى أو صديقكم ودخل صلى الله عليه دار بريرة وأكل
طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير
استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون
ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن أنه كان قائما يأكل من متاع بقال من هذه الجونة
ويأخذ من هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله أو
صديقكم فقال من الصديق يا أبا سعيد في الورع فقال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وجاء قوم إلى منزل
سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا
وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد
خبز وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي
إن عادوا فعد فهذه آداب الدخول **وأما آداب التقديم** فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر فإن لم يحضر شيء
ولم يملك شيئا فلا يستقرض لأجل ذلك فيشق على نفسه وإن حضر ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدمه دخل
بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت
بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه
وقال بعضهم ما أبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت
أدخل على أخ لي فيتكلف فقلت له إنك لا تأكل وحدك ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلنا فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع
التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم وروي أن رجلا دعا عليا رضي الله
عنه فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في
بيته شيئا فلا يترك إلا وأحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف
لتكلفت لكم وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله
أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي عليه السلام أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجز لهم
بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا أن الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس رضي الله وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من
الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه **الأدب الثاني**
وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه
كذلك السنة وفي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه بين شيئين إلا اختار أيسرهما وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب
لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ
سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك
على أخيه أو كراهيته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني إذ كان نازلا عليه ببغداد
وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذها الشافعي في رقعة بعض الأيام وألحق بها لونا آخر
بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال ما أمرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك
وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه قال أبو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له أيش
تعمل أنا أشربه كله في مرة فضحك وقال هذا أفضل لك من حجة وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أقسام مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان
بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب **الأدب الثالث** أن يشتهي المزور على أخيه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه
طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن
فقد سر الله عز وجل وقال صلى الله عليه فيما رواه جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع

له

له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد **الأدب الرابع** أن لا يقول له
هل أقدم لك طعاما بل ينبغي أن يقدم إن كان قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع
وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما فلا ينبغي أن يظهر عليهم أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكل فلا تحدثهم به ولا يرونه
معك قال بعض الصوفية إذا دخل عليك الفقراء فدلهم على المحراب

الباب الرابع في آداب الضيافة

الآداب فيها ستة الدعوة أولا ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولنقدم على جملتها فضيلة الضيافة قال
صلى الله عليه لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال عليه السلام لا خير فيمن
لا يضيف ومر رسول الله برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق
بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه إنه نزل به ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق إلى
رجب فقال اليهودي والله لا أسلفته إلا برهن فأخبرته فقال والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي
وارهنه عنده وكان إبراهيم الخليل صلى الله عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته دامت
ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين الثلاثة إلى العشرة إلى المائة وقال قوام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف
وسئل رسول الله صلى الله عليه ما الإيمان فقال إطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة
بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والأخبار الواردة
في فضل الضيافة وإطعام الطعام لا تحصى فلنذكر آدابها أما الدعوة فينبغي للداعي أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه أكل طعامك
الأبرار في دعاء دعا له وقال صلى الله عليه لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه
شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في
أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة
رسول الله صلى الله عليه في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب
من الأسباب وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان الثوري من دعا إلى الطعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه
خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهته ولو علم ما كان يأكله وإطعام التقي إعانة له على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن
المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم
أما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت
وللإجابة خمسة آداب **الأول** أن لا يميز الغني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل
الإجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء
وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي عليهما السلام بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة
الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب
المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم
فاخر الطعام وجلس يأكل معهم وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك
فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه كان يحضر لعلمه أن الداعي قد تقلد منة
ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل إطعام الطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا
فليس من السنة إجابته بل الأولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك وديعة كانت لك
عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي آه على لقمة ليس علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فإذا علم المدعو أنه
لا منة فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل
من دعاك تمر إليه فقال أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني **الثاني** أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه

فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف

جاهه بل كل [...] لا ينبغي ان يمتنع ... في التوراة او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال
اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى
كراع لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه في سفره. **الثالث** ان لا يمتنع
لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل وذلك في صوم
التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك
اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثواب فوق ثواب الصوم ومهما
لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القرائين. **الرابع** ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام
طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج او آنية فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط
او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا كان
الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر. **الخامس** ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن
فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى
كراع لاجبت وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم
من اكرم اخاه المؤمن فكانما اكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله من سر مؤمنا فقد سر الله تعالى وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين
في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة نفسه
عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم او ما يجري مجراه [...] حتى
في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات [...] فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر
اخوانه بمساعدتهم على شرب خمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف
عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث. واما الحضور
فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على
الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه البتة فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه
بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة
النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيفا
للمبيت فليعرفه صاحب المنزل [...] القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل
قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتاخر بالغسل لينتظر ان يدخل من ياكل معه واذا دخل فرأى
منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان واستماع الملاهي
والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا رأى مكحلة راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم ياذن في الجلوس
الا في ضبة وقال اذا رأى كلة فينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه لا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذا قال يخرج اذا رأى حيطان البيت
مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وانما
النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير يحرم على الرجال قال عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط
ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته لقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده لا سيما في وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة
للتفاخر [...] في صحن النساء
[...] **واما احضار الطعام فله آداب خمسة** الاول تعجيل الطعام
فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان
[...] واحد

فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل نية

المعنيين

المعنيين في قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فراغ
الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة
من الشيطان الا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب
ويستحب التعجيل في الوليمة وقيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء. **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة
اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة
مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابراهيم اذ احضر العجل الحنيذ
اي المحنوذ وهو الذي احمد نضجه وهو احد معنى الاكرام اعني تقديم اللحم قال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن
العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر
المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل
وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله وقال بعض
الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء
لم نكن نحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن
على المائدة خير من زيادة لونين ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب لما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان
المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون
وحب الرمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة. **الثالث** ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الاكل بعده وعادة
المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة
المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره
ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروءات انه كان يكتب نسخة ما يستحضر من الالوان ويعرض على الضيفان
وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا آخرا فقال وكذلك يقال عندنا بالشام ولم يكن له لون
غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الالوان من الرؤوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا ناكل ننتظر بعدها الوانا او
حملا فجاءوا بالطست ولم يقدموا غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان
قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب شيئا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده. **الرابع** ان لا يبادر الى رفع الالوان
قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استحضر او بقيت فيه حاجة الى الاكل
فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التي يقال انها خير من لونين ويحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل ان يراد به
سعة المكان حكي عن السنوري وكان صوفيا ظريفا انه حضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة وقدم حملا وكان في صاحب المائدة بخل
فلما رأى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى [...] فقام السنوري يعدو خلف
الحمل فقيل الى اين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وامر برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي
ان يكون آخرهم اكلا وكان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام
واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه. **الخامس** ان يقدم من الطعام قدر
الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة لا سيما اذا كانت النفس لا تسمح بان ياكلوا الكل الا ان يقدم
الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع ونوى ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا
على مائدته فقال له سفيان يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير مكروه وقال
ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يحضرون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت

حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فيضيق صدره وصدورهم ويكون قد اطعم الضيفان ما تتبعه كراهيتهم وذلك
خيانة في حقهم وما يبقى من اطعمة الضيفان فليس للصوفية ان يأخذوه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك
بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يؤخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة **فاما الانصراف فله**
آداب ثلثة الاول ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلم من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلم ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار وقال ابو قتادة وفد وفد النجاشي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال لا انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام
طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت
على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا **الثاني** ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير
فذلك من حسن الخلق والتواضع قال عليه السلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعا بعض السلف برسول فلم يصادفه
الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم قال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم تبق
قال فالقدر امسحها قال قد غسلتها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن
الخلق ويحكى ان الاستاذ ابا القسم دعاه صبي الى دعوة ابيه ثلث مرات فرده ابوه في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب
الاب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله فاطمأنت بالتوحيد وصارت ترى في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما
يجري من العباد من الاذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم اني لا اجيب الدعوة الا لاني اتذكر بها طعام
الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه **الثالث** ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة
واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلثة ايام فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل
عليه عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع
للشيطان **فصل** يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة الاول حكي عن ابرهيم النخعي انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورأى بعض الشيوخ من الصوفية المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق فاكل في البيت فقيل له ادخل
المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم
فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن
يليق ذلك بجميع احواله واعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني** قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله تعالى
عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده
شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبشكارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج
مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر
الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء قيل وما خفة الرداء قال قلة الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال
لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن
طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت
بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد ويقال
ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه الرابع في الخبر ان قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول
ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الالية وقال بعض الحكماء لابنه لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك يعني تتغدى فيبقى حلمك وهو ايضا
اقل لشهوته لما يراه في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فمم هي قال من اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخالص البنفسج
والبس الكتان **الخامس** في الحمية قال بعضهم الحمية تضر الصحيح كما يضر تركها المريض وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العافية
وهو حسن في حال الصحة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل التمر وبه رمد فقال أتاكل التمر وانت ارمد فقال يا رسول الله انما
امضغ بالشق الآخر السادس يستحب ان يحمل الطعام الى اهل الميت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء نعي جعفر بن

ابي

ابي طالب رضي الله عنه قال عليه السلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى
الجمع حل الاكل الا اذا كان يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يؤكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل
الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت
مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلي التزكية واما ان ازكي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون
المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان
حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما
ودفعه الى احمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا
منه الا اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمته اليه فاكل واخذ الباقي فقال اتدرون لم قلت اشتروا طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص
الشكر اتدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل اتدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل وحكى ابو علي الروذباري
عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء
واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة
كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الشافعي رضي الله عنه الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت
وباصبعين من الكبر وبثلث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان
واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال الكعبة والكحل عند النوم والنظر
الى الخضرة وتنظيف المجلس واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة واربع تزيد
في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء النوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلم يتفكرون
في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضموا طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين
واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء واربع هن من العبادة لا يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد
وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت
وقال لم ار شيئا انفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب

كتاب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام
الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن اوائل بدائعها الا والهة حيرى ولا تزال نعمه على العالمين
تترى عليهم اختيارا وقسرا ومن بدائع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى
الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا
وجعل اقتحامه جريمة وفاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما
وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشأ منها الخلق وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين
نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلوة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلوة لا يستطيع
لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم كثيرا اما بعد فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير
الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما احرى بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله
وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلثة ابواب

الباب الاول في الترغيب فيه وعنه

الباب الثاني في الآداب المرعية في العقد والعاقدين

الباب الثالث في آداب المعيشة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه اعلم ان العلماء قد اختلفوا في

فصل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق
النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع وقال الآخرون الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن
الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أولا ما ورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه
ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله أو لم يسلم **الترغيب في النكاح**
أما من الآيات فقال الله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم وهذا أمر وقال تعالى فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال
تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومدح أولياءه بسؤال ذلك في الدعاء
فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين فقالوا إن يحيى
عليه السلم قد تزوج ولم يجامع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لغض البصر وأما عيسى فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له
أما الأخبار فقوله صلى الله عليه النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي وقال أيضا تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيمة
حتى بالسقط وقال أيضا من رغب عن سنتي فليس مني وإن من سنتي النكاح فمن أحبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه من ترك التزوج مخافة
العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لأصل الترك وقال صلى الله عليه من كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه
أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا يستطيع فليصم فإن الصوم له وجاء وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء
عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال عليه السلم إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا
تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وهذا أيضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله وقال
صلى الله عليه من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكأن
المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزوج أحدهما وقال صلى الله عليه كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلث فذكر فيه وولد صالح يدعو له ولا
يوصل إليه إلا بالنكاح **وأما الآثار** فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور فبين أن الدين غير مانع منه وحصر
المانع في أمرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل أنه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر أنه أراد به
أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزوج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريب وغيرهما ويقول إن أردتم
النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكي لا ألقى الله عزبا
وماتت امرأتان [illegible] زوجوني [illegible] ظن أن [illegible] يدل على أنهما [illegible]
فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه
يخدمه ويبيت عنده [illegible] فقال له صلى الله عليه ألا تتزوج فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا
فأعاد الجواب ثم تفكر [illegible] والله لرسول الله أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة ألا تتزوج
قال فقلت يا رسول الله زوجني فقال اذهب إلى بني فلان فقل إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال
لأصحابه اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم وجمع له من الأصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل
على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكي أن بعض العباد [illegible] في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل
هو لولا أنه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي صلى الله عليه عن ذلك فقال أنت تارك للتزوج قال لست أحرمه ولكني فقير
وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل علي أحمد بن حنبل بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره
وأنا أطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولأنه نصب إماما للعامة ويقال إن أحمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبد الله
وقال أكره أن أبيت عزبا وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول
بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال ما يمنعني [illegible] تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل
بشر إنه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي [illegible] الجنة [illegible] وأشرف بي على مقامات
الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وفي رواية [illegible]
درجة [illegible] وقال سفين بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان

أزهد أصحاب رسول الله وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء وقال رجل لإبراهيم بن أدهم
طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امرأة
وما أريد أن أغر امرأة بنفسي وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب
وأما ما جاء في الترغيب عن النكاح فقد قال عليه السلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد
وقال صلى الله عليه يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق
فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وقد قيل قلة العيال أحد اليسارين وكثرته أحد الفقرين وسئل أبو سليمن الداراني عن النكاح فقال
الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل
وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى وقال أيضا ثلث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة
أو كتب الحديث وقال الحسن إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال وقال ابن أبي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم
على أنه ليس معناه أن لا يكونا له ولكن أن يكونا له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمن الداراني ما شغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤوم وبالجملة
لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بالشرط وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه
بحصر آفات النكاح وفوائده **آفات النكاح وفوائده** وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة
العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن الفائدة الأولى الولد وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود بقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس وإنما
الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر وبالأنثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع
كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج
ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة
وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب
أحدهم أن يلقى الله عزبا الأول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه في
تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله
أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة
في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمته وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد
قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع الحيلة
كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في الفقار وهيأ لها في
الأنثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات
تشهد بلسان ذلق عن مراد خالقها وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له هذا إن لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه بالمراد حيث
قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق من
الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي
ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك الحكمة الأزلية ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع
لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة
الله لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فإن قلت قولك إن بقاء
النفس والنسل محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحيوة بالإضافة إلى إرادة الله ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن
الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حيوتهم وبقاؤهم عن فنائهم **فاعلم** أن هذه كلمة حق أريد بها باطل فإن ما ذكرناه
لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها نفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة تتضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة
فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية
أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضي ومحبوب وقد قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته

كالبقاء وهو تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن هو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه فقوله لا بد له منه اشارة
الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله هو الذي خلق الموت والحيوة ولا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم
الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق الى الافهام امور
تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات
الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذلك صفات الله لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقايق داخلة في علم المكاشفة
ووراءها سر القدر الذي منع من افشائه فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع
نسلا ادام الله وجوده من آدم صلى الله عليه عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع قد حسم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب
له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك
الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع باعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار وانما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك
للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة
خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها
بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا
الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة
تعطيل المراة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة

الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله بذلك ويدل على مراعاة امر
الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المراة العقيم اذ قال عليه السلم لحصير في ناحية
البيت خير من امراة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل
في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة

الوجه الثالث ان يبقى
له ولد صالح يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا عن ثلث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القايل ان
الولد ربما لم يكن صالحا لا يوثر فانه مومن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء
المومن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك
قال الله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم

الوجه الرابع
ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه
كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة محبنطيا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا
وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر آخر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيمة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملايكة
اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين آباؤنا وامهاتنا فيقول
الخزنة ان آباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتصايحون ويضجون على باب الجنة
ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا وامهاتنا فيقول
الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي آبائهم وادخلوا الجنة وقال صلى الله عليه من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال
صلى الله عليه من مات له ثلثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين
كان يعرض عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسيل عن ذلك فقال لعل
الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رايت في المنام كان القيمة قد قامت وكاني في جملة الخلايق في الموقف وبي من
العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلايق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من
فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني
العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى

فاتوا

فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد

الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله
من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما
نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكل بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله ودافع لجعله وصاد
لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط
وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة
والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو
دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطنة
لم ينفع الترغيب فاحدى فوايد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية
الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود
والحيوة الباطنة هي الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد
العبد بشدة الرغبة فيها تيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات
والارضين الا وتحتها من لطايف الحكمة وعجايبها ما تحار العقول فيه ولكن ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة
الدنيا وغرورها واغوالها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يوتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة ان
غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما
بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوساوس والفكر فلا يدخل تحت
اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلوة
حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق
وراس الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان يضاف اليه ضعف في البدن
وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر على النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر
الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة
اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحيوتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم واليه اشار صلى الله
عليه ما رايت ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه في دعائه اللهم اني اعوذ بك
من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه كيف يجوز
التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يخلو من اثنين وثلث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم
انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في
عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ
اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال ياكلون كثيرا
قال وانا ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانا ايضا لو حفظت عينك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما
ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر
رسول الله صلى الله عليه كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر
ان النبي صلى الله عليه راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم
امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال صلى الله عليه لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنها زوجها فان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفين بن عيينة فاسلم اي انا منه هذا معناه فان الشيطان

لا يسلم ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل
وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان منه وروى انه جامع ثلثة من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس
خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على امزجة العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح
الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس
فيه الا تنغيص الحيوة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروى
انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسئلة فاستحييت من
الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة لي وربما
خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا
فهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلثة شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس
رضي الله عنه الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح
اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في
النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما
سبق من امر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على
الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفات فاطمة بسبع ليال
ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امراة وكان ربما عقد على اربع في عقد واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد
واستبدل بهن وقد قال صلى الله عليه للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال الحسن مني والحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق
رسول الله صلى الله عليه وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في الصحابة من له الثلث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث
معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة

الفائدة الثالثة

ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة
بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب
ويروح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها
اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه
فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم
وقال صلى الله عليه لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة
والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن النبي
صلى الله عليه قال شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح فلا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع
الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال صلى الله عليه حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الاذكار والافكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين
السابقتين حتى انها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد
بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فيما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى
ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له

الفائدة الرابعة

تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن
له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة
المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو
سليمن الداراني الزوجة فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى

قول

قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال صلى الله عليه ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على
آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب يقول ما اعطي عبد
بعد الايمان خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء وقال صلى الله عليه فضلت
على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على
الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما
ينغص المعيشة وتضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج
اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز
بالكثرة دافع للذل

الفائدة الخامسة

مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن
واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربيته لاولاده فكل هذه اعمال عظيمة
الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال
رسول الله صلى الله عليه يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح
نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال
بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال صلى الله عليه ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل
ليؤجر في رفعه اللقمة الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال اين انت من
عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك
قال انا اعلم رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال صلى الله
عليه من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي
الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه اثر عن النبي
صلى الله عليه انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله عليه من كان له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى
يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا قال والله من غرائب الحديث وغرره وروي ان
بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي قال فرايت في المنام بعد
جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو
المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشؤم
الذي تومون اليه فقال انت فقلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فما ندري ما
احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان او ثلث وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس عليه السلام فاضافهم فكان
يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله وقلت ما انت معاقبي به في الآخرة فعجله
لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق
فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه
بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه
رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد الرياضة والمجاهدة
وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر
والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلوة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه
التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب
في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا
عمل وفائدته اعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة والسلم ٥

أما آفات النكاح فثلاثة الأولى وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لا سيما
في هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والإطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب في أمن من
ذلك وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه وفي الخبر إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات
أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي
الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله
تعالى ويقولون ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف إذا أراد الله
بعبد شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه يعني العيال وقال صلى الله عليه لا يلقى الله سبحانه أحد بذنب أعظم من جهالة أهله فهذه آفة عامة قل
من يتخلص منها إلا من له موروث أو مكتسب حلال يفي به وبأهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة [illegible] فإن ذلك يتخلص من
هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطياد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على أن يعامل
بها أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو أفضل في زماننا لمن أدركه شبق غالب مثل
الحمار يرى الأتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فإن ملك نفسه فتركه أولى **الآفة الثانية** القصور عن القيام بحقهن
والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهي دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن
أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومسؤول عن رعيته قال صلى الله عليه كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول وروي أن الهارب من عياله
بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب وقد قال تعالى قوا أنفسكم
وأهليكم نارا أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى
والنفس أمارة بالسوء إن كثرت كثر الأمر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف إليها نفسا أخرى
ولذلك اعتذر إبراهيم بن أدهم وقال لا أغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن أي من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه ولذلك اعتذر
بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤي سفيان
على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذا عيال أفلح وكان سفيان يقول يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه
ولا صياح فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن
عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش
وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له **الآفة الثالثة**
وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا إلى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال
والادخار لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله تعالى من أهل ومال وولد فهو مشؤوم على صاحبه ولست أعني بهذا أن يدعوه إلى
محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الإغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان في التمتع
بهن ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد
لها ولذلك قال إبراهيم بن أدهم من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال أبو سليمان من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أي يدعوه ذلك إلى
الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الإحاطة
بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن
كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب يحتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج
إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات
فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمر وهو الغالب فينبغي أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان
منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن
الله فليفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن في أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب
الحلال أو الاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له أولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الأمرين أمر الولد

لأن

لأن النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعي في
الولد وذلك ربح والدين رأس المال وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال فلا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين
وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجام التقوى في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له
أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر
عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يخصه
وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك
إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب
إلى العفو أقرب وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها
ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح فإن قلت فمن أمن
الآفات فالأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث
الحاجة إلى الكسب فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضا أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير
استراحة غير ممكن فإن فرض كونه مستغرق الأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فإن كان الرجل
ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو بالحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في
تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وإن كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب
يشوش عليه ذلك فترك النكاح أفضل فإن قلت فلم ترك عيسى عليه السلم النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله تعالى فلم استكثر
رسول الله صلى الله عليه من النكاح فاعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله شاغل عن الله تعالى ورسول
الله صلى الله عليه أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح فلقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه
غير مانع كما لا يمنع قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبير الدنيا عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمهم
غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله صلى الله عليه لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش
امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره وأما عيسى صلوات الله عليه أخذ بالحزم لا بالقوة
واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر معها طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي
للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب المكاسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت الأحوال
منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء عليهم السلم على الأفضل في كل حال والله أعلم

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد

في أحوال المرأة وشروط العقد أما العقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة **الأول** إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان
الثاني رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغة أو كانت بكرا بالغة ولكن يزوجها غير الأب والجد **الثالث** حضور شاهدين ظاهري العدالة
فإن كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة **الرابع** إيجاب وقبول متصل بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان
من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المرأة بل بعد انقضائها
إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج
الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما
خفيفا والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب ومن آدابه أن يلقي أمر الزوج إلى سمع المرأة وإن كانت بكرا فذلك أولى وأليق ولذلك يستحب النظر إليها
قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين الركنين للصحة ومن آدابه أن ينوي بالنكاح
إقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات
فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا
معا ومن آدابه أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه في شوال وبنى بي في شوال أما المكو[illegible]

النوع الاول

تسعة عشر نوعا احدها الحل والثاني لطيب العيش وحصول المقاصد وما يعتبر فيها الحل وهو ان يكون خاليا عن موانع والموانع تسعة عشر الاول ان يكون منكوحة للغير الثاني ان تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطي شبهة او كان في استبراء من وطي عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح ذلك فليست من نسب من بني اسرائيل فاذا اعدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة او غير خائف من العنت الثامن ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين التاسع ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني باصول الامهات والجدات وبفصول الاولاد والاحفاد وبفصول اول الاصول الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها قبل او وطيهن بالشبهة في عقد او وطي اختها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فبمجرد العقد على المرأة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطي الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فلا تحل له ما لم يطأها زوج آخر في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة

واما الخصال المطيبة للعيش

التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فهي ثمانية الدين والخلق والحسن والولادة وخفة المهر والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله [illegible] ما في [illegible] كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية [illegible] وان انكر وخاصم تنغص عيشه ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين [illegible] المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها [illegible] لدينها رزقه الله مالها وجمالها [illegible] على الدين لان مثل هذه المرأة [illegible] الدين [illegible] عن الدين وتشوش عليه الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كان ضررها اكثر من نفعها والصبر على لسان المرأة مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضة او المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج آخر او الى ولدها من زوج آخر وهذا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام ولا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة

الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهو الذي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خيار خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح الثالثة حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن ولا يكتفى بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المرأة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في قلب احدكم من امرأة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال صلى الله عليه وسلم ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المرأة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف وينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول [illegible] يترك احدكم ان يتزوج يتيمة [illegible] ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المؤونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء الجنة بهذه الاوصاف في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء كبيرة العين وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر اليها اذا كانت محبة للزوج الرابعة ان تكون خفيفة المهر قال صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب

ابنته من ابن ابي وداعة على درهمين ثم حملها اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم
للخروج من خلاف العلماء فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اى الولادة ويسر مهرها وقال ايضا ابركهن اقلهن
مهرا وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج
وقال اى شي للمراة فاعلم انه لص واذا اهدى اليهم شيئا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة
نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلم تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اى تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله وما اوتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذه طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال
الربوية وكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المراة ولودا فان عرفت
بالعقم فليمتنع من تزويجها قال عليه السلم عليكم بالولود الودود فان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها
تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين السادسة ان تكون بكرا قال صلى الله عليه لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
وفي البكارة ثلث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر في معنى الود وقد قال عليه السلم عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول
مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الفايدة الثانية ان ذلك
اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة
انها لا تحن الى الزوج الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا السابعة ان تكون نسيبة اعني به ان تكون من اهل بيت الدين
والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مودبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال صلى الله عليه اياكم وخضراء الدمن فقيل
وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في منبت السوء وقال صلى الله عليه تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع الثامنة ان لا تكون
من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اى نحيفا وذلك لتاثيره
في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام
النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على الولي ايضا ان
يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها
قال صلى الله عليه النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر
على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته من ظالم او فاسق او مبتدع او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم
وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال
صلى الله عليه من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في آداب المعاشرة

وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا
في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب في النشوز وفي
الوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق **الاول** الوليمة وهي مستحبة قال انس راى رسول الله صلى الله عليه على
عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم
رسول الله صلى الله عليه على صفية بسويق وتمر وقال عليه السلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع
سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير
روى ابو هريرة انه عليه السلم امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال صلى الله
عليه اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه فدخل
على غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي
عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها **الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله
تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المراة

ولآخر

ولآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه ثلث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم
ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم يعني اسراء في ايديكم اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال
صلى الله عليه من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله
مثل ثواب اسية امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء
برسول الله صلى الله عليه فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه عمر
في الكلام فقال لو تراجعيني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم جاء
الى حفصة فقال لا تغتري يا بنت ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وخوفها من المراجعة وروي انه دفعت احداهن في صدر رسول
الله فزبرتها امها فقال عليه السلم دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عايشة كلام حتى ادخل النبي صلى الله عليه ابا بكر حكما بينهما
واستشهده فقال لها رسول الله تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال
يا عدية نفسها او تقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه لم ندعك لهذا او لم
نرد منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول اني لاعرف
غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال
اول حب وقع في الاسلام حب النبي عليه السلم عايشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع وكان يقول للنساء لا توذوني في
عايشة فانها والله ما نزل على الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه ارحم الناس بالنساء والصبيان
الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه
يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها رسول الله في
بعض الايام فقال عليه السلم هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم
وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت بلى فارسل اليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه بين البابين
فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا انظر وجعل رسول الله صلى الله عليه يقول حسبك واقول اسكت
مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه اكمل المومنين ايمانا احسنهم
خلقا والطفهم باهله وقال صلى الله عليه خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي
للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمن رحمه الله عليه ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا
كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه
وهو احد ما قيل في معنى قوله عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ على اهله وقال صلى الله عليه لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سايل عما فقد **الرابع** ان لا يتبسط
في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا
يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض
قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا اكبه الله في النار وقال عمر خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل
شاوروهن وخالفوهن وقال صلى الله عليه تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس
فان الله ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل
ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين وسمى الزوج سيدا فقال والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا
فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك
ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي ثلثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة
والخادم والنبطي اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار
الازواج كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه

فان سكت فكسري العظام لسيفه فان صبرت فاجعل الاكاف على ظهرها وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض فكل
ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم
وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال صلى الله عليه مثل المراة
الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب والاعصم الابيض البطن وفي وصية لقمن لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل
الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال صلى الله عليه استعيذوا من الفواقر الثلث وعد منهن
امراة سوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقد قال صلى الله عليه في خيرات النساء
انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن ابا بكر عن التقدم في الصلوة ميل منكن عن الحق الى الهوى وقال تعالى
حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اى مالت وقال ذلك في خيرات ازواجه وقال صلى الله عليه لا يفلح قوم
تملكهم امراة فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق
هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها

الخامس

الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا
اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به
على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال صلى الله عليه غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة لان ذلك من سوء الظن الذي نهينا
عنه فان بعض الظن اثم وقال علي عليه السلم لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال
صلى الله عليه ان الله يغار والمومن يغار وغيرة الله ان ياتي المومن ما حرم عليه وقال عليه السلم اتعجبون من غيرة سعد انا والله اغير منه والله اغير
مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب
اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال صلى الله عليه رايت ليلة اسري بي في الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر
فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر رضي الله عنه وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول تدعون نساءكم يزاحمون
العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال صلى الله عليه من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ومن الخيلاء ما يحب الله وما يبغض الله
فاما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل نفسه عند
القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال صلى الله عليه اني لغيور وما من امرى لا يغار الا منكوس
القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه لابنته فاطمة اي شي خير
للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال وراى معاذ امراته تطلع في الكوة وراى امراته دفعت الى غلام له
تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال
ايضا عودوا نساءكم لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه اذن للنساء في حضور المساجد والصواب الان المنع الا العجايز وقد استصوب
ذلك في زمان الصحابة رضي الله عنهم حتى قالت عايشة لو علم النبي صلى الله عليه ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال
ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال
رسول الله لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر
وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان ايضا مباح للمراة
العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى
الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد
في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذلم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات
ولو كان وجه الرجل عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة

السادس

الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان

يقتر

وقال ورد عمر رضي الله عنه امراة راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست

يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الاية
وقد قال صلى الله عليه خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين
ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة
ايام لحما بدرهم وقال الحسن كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب تقاويت وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل
جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما
يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا يطعمهم
منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان على ذلك فلياكله في خفية بحيث لا يعرف اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم
طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال كلهم على مايدته قال سفين بلغنا ان الله تعالى وملائكته يصلون على اهل بيت
ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة
لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح

السابع

ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز
الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم الاية فعليه
ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها بدعة ان استمعت اليها ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض
والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوة التي تقضى وانها مهما
انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح مقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشا وهذا اقل ما يراعيه
النساء فان كان الرجل قايما بتعليمها فليس لها الخروج لسوال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السوال واخبرها بجواب المفتي فليس لها
الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسوال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرايض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر
ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم

الثامن

اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله
صلى الله عليه فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال صلى الله
عليه من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت
اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اى لا تعدلون في شهوة
القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وقد كان رسول الله صلى الله عليه يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا
جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عايشة رضي الله عنها احب نسايه اليه وساير نسايه يعرفن ذلك فكان يطاف
به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عايشة فقلن
يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عايشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى
بيت عايشة ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان صلى الله عليه يقسم بين نسايه فقصد ان يطلق
سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعايشة وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسايه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم
لعايشة ليلتين ولساير ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسايه في غير نوبتها فجامعها طاف
في يومه او ليلته على ساير نسايه فمن ذلك ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه طاف على نسايه في ليلة واحدة وعن انس عليه السلم طاف
على تسع نسوة في ضحوة نهاره

التاسع

في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا
تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فعاد واحسن النية وتلطف في الامر فاصلح ما بينهما اما اذا كان من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يوديها
ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد
عنها بالفراش وهجرها في المبيت من ليلة الى ثلث ليال فان لم ينفع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب

وجهها فذلك منهى عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه ما حق المرأة على الزوج فقال ان يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب
الا ضربا غير مبرح ولا يهجر الا في المبيت ولان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه اذ ارسل
بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه انتن اهون
على الله من ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **العاشر** في آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله احد اولا ويكبر
ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال صلى الله عليه لو ان احدكم اذا اتى اهله
قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك
شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار يرفع به صوته ثم لينحرف عن القبلة فلا يستقبل
القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان صلى الله عليه يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع
احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه لا يقعن احدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما
رسول قيل وما الرسول قال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه ثلث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني
ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها
منه ويكره له الجماع في ثلث ليال من الشهر الليلة الاولى والآخرة والنصف منه يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها
وروي كراهة ذلك عن علي ومعوية وابي هريرة ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد التأويلين من قوله عليه السلم رحم الله من غسل واغتسل ثم
اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي وطرها ايضا فان انزالها ربما يتاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في طبع الانزال
يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان ياتيها
في كل اربع ليالي مرة فهو اعدل اذ عدد النسا اربع فجاز التاخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها
واجب عليه وان كان لا تثبت المطالبة بالوطي فذلك لعسر المطالبة والوفا به ولا ياتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب
وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا ياتيها في غير المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتى
دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض وقوله تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم اي في اي وقت شئتم وله ان يستمني بيديها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى
الوقاع وينبغي ان تتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحائض ويخالطها في المضاجعة
وغيرها وليس عليه اجتنابها وان اراد ان يجامع ثانيا بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول
الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضأ اولا وضوءه للصلوة فهو سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه اينام احدنا
وهو جنب قال نعم اذا توضأ ولكن فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه
فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج دما او يبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه
سائر اجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها **ومن الآداب** ان لا يعزل بل لا يسرح الماء الا الى محل الحرث وهو الرحم
فما من نسمة قدر الله تعالى كونها الا وهي كائنة هكذا قال رسول الله صلى الله عليه فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربع مذاهب
فمن مبيح بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة
دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه
ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلوة وللحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة
ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد
ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي
اليه من السبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس
على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل
ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم
الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالاول وليس
هذا

كالاستجهاض والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول
الحيوة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش
ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل
وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض قال بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم
منها كاللبن من الرائب وان النطفة من الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري
الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول
كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة او دمها فهذا هو القياس
فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي
فاقول النيات الباعثة على العزل خمس الاولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه
ليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف
من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحرج معين على الدين
نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن
النظر للعواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت
عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطي فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة
في سنة رسول الله صلى الله عليه وتنزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهة الى عين ترك
النكاح الخامسة ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن
في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستاذنت واحدة منهن على عائشة
لما قدمت البصرة فلم تاذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة فان قلت فقد قال عليه السلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلثا قلنا فالعزل
كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه في العزل ذاك الوأد الخفي وقرأ
واذا الموؤدة سئلت وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما
فان قلت فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الاصغر فان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف
ولذلك انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمع وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع اي بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشاناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله في الآية الاخرى واذا الموؤدة
سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف
ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه انه قال كنا نعزل على عهد النبي صلى الله عليه والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله فلم
ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلم
اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد اخبرتك انه سياتيها ما قدر لها وهذا كله
في الصحيح **الحادي عشر في آداب الولادة** وهي خمسة الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري
ان الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه من كان له ابنة فادبها
فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال صلى الله عليه من كان له ابنتان
او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى
شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه من حمل طرفة من السوق
الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله ومن بكى من
خشية الله حرم الله بدنه على النار وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه قال من كانت له ثلث بنات او اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن

أو أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قال رجل والثنتان يا رسول الله قال والثنتان فقال رجل أو واحدة فقال أو واحدة **الأدب الثاني** أن يؤذن في أذن المولود روى رافع عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه أنه قال من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان ويستحب أن يلقن الصبي أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد فيه الخبر **الأدب الثالث** أن يسميه باسم حسن فذلك من حق الولد وقد قال صلى الله عليه إذا سميتم فعبدوا وقال عليه السلم أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال عليه السلم سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره إذ كان ينادي يا أبا القسم وأما الآن فلا بأس وسمى رجل ابنه أبا عيسى فقال عليه السلم إن عيسى لا أب له فكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معوية بلغني أن السقط يوم القيمة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف ولا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه إنكم تدعون يوم القيمة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه لزينب وكان اسمها برة تزكي نفسها فسماها زينب وقد ورد النهي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة لأنه يقال أثم هو فيقال لا **الأدب الرابع** العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة أن يكون ذكرا أو أنثى روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه أمر في الغلام بشاتين مكافئتين وعن الجارية بشاة وروي أنه عليه السلم عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة فقد ورد فيه خبر روي أنه عليه السلم أمر فاطمة يوم سابع حسين عليه السلم أن تحلق شعره وتصدق بزنة شعره فضة وقالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم **الأدب الخامس** أن يحنكه بتمرة أو حلاوة روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام ففرحوا به فرحا شديدا لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم

الباب الثاني عشر في الطلاق وليعلم أنه مباح ولكنه أبغض المباحات إلى الله وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانب الموذي قال الله تعالى فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي لا تطلبوا حيلة الفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنه كان تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنه ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة مهما بذت على زوجها وآذته فهو فاحشة وهذا أريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي ببذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال الله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال رسول الله صلى الله عليه أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال عليه السلم المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق **الثاني** أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه أعني زوجة المحلل بعد أن زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست أقول الجمع حرام ولكنه مكروه لهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه **الثالث** أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح كان الحسن بن علي عليهما السلم مطلاقا ومنكاحا فوجه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداهما فنكست رأسها وسكتت وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن عليه السلم وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن عليه السلم

ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني وأنت مطلاق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك لأنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج فقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته إن حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن أحب ترك فسر ذلك عليا عليه السلم فقال لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن رأيه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته **الرابع** أن لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج

القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج إلى سفره وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في السفل فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه تستأذن في النزول إلى أبيها فقال صلى الله عليه أطيعي زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه فقالت يا نبي الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت فلا أتزوج إذا قال بلى تزوجي فإنه خير وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها على نفسها وهي على ظهر بعير أن لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه أن لا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها أو تتوب وقال صلى الله عليه لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر عشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله تقول امرأته أو ابنته إياك وكسب الحلال فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت إسمعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فأردت أن أنفقه على إخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله تعالى فقال حتى أستأذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فإنها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد

الا كل صلاة من غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها امرأة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك
وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة. **ومن الواجبات عليها** ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال
رسول الله صلى الله عليه لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير
اذنه كان له الاجر وعليها الوزر. ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بن خارجة الفزاري قال
لابنته عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا
وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك
الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا. وقال رجل لزوجته: خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب. واني رأيت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب. والقول الجامع في
آداب المرأة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول
تحفظ بعلها في غيبته وحضوره وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب
المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن
انه يعرفها او تعرفه همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده
في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال
للتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج قال صلى الله عليه انا وامرأة سفعاء الخدين
كهاتين في الجنة امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا او ماتوا. وقال صلى الله عليه حرم الله على كل آدمي دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا
امرأة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي
بلغ فشكر الله لها ذلك. ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من
احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه
وبين خالقه فجعلني ثوابه او لعلي اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني. وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة
عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت: ولله مني جانب لا اضيعه وللهو مني والبطالة جانب

فمن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها
ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال. روي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين
لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا. ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة
اشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب
فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت النبي صلى الله عليه يقول
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا. ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها
الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة. ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها. وروي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها قالت
تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي
الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما اعتقني. ولقيت رسول الله
صلى الله عليه يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسي فقال صلى الله عليه اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير
وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد علي من ركوبك
معه. آخر كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه

كتاب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد محق
في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ما سوى الله باطل ولا يحاشي وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له ولا فراشا. ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار
معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا. ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا
وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم كثيرا. **اما بعد** فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الآخرة دار الثواب
والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد
ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين
والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن
ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشرع وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات
وسننها ونشرحها في خمسة ابواب ان شاء الله تعالى

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

الباب الثاني في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

الباب الرابع في بيان الاحسان فيها

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار
معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله. **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال التاجر الصدوق
يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره
لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر. وكان صلى الله عليه جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو
كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله
وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال
صلى الله عليه ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف
وقال صلى الله عليه احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح وقال صلى الله عليه عليكم
بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق. وروي ان عيسى صلوات الله عليه رأى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال
اخوك اعبد منك. وقال نبينا صلى الله عليه اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة
ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
امر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله تعالى فان الله تعالى لا ينال
ما عنده بمعصيته. وقال صلى الله عليه الاسواق موائد الله تعالى فمن اتاها اصاب منها وقال صلى الله عليه لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره
خير من ان يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه او منعه وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر

واما الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في
دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به. وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق
ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكون اصون
لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة: فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال. وقال ابن مسعود اني
لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته. وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه
في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده. وخالفه الحسن البصري في هذا. وقال عمر رضي الله عنه ما من
موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري. وقال الهيثم ربما بلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون
ذلك علي. وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس. وجاءت ريح عاصف في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم ما ترى هذه الشدة فقال

هذه لا تسده الا الشهوة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول
فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه ان الله تعالى جعل رزقي
تحت ظل رمحي وقوله صلى الله عليه حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي
ان الاوزاعي لقي ابراهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحاق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني ان من وقف
موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدا برغيفك فاحرزهما ثم تعبد وقال
معاذ بن جبل ينادي مناد يوم القيامة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث
فلا ينجيه عن ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد
ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا
لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل
شيء ولكن التجارة اما ان يطلب منها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لتكثير المال وادخاره لا للتصرف الى الخيرات
والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا
خائنا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه ولاولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان
لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل
من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم مشتغل بتربية العلم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وتكفل امورهم كالسلطان
والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال
بالكسب ولهذا اوحي اليه صلى الله عليه فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات
لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر رضي الله عنه وارضاه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته
من مال المصالح ورأى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء اولى ولهؤلاء الاربعة حالتان اخريان احداهما ان يكون كفايتهم
عند ترك الكسب من ايدي الناس مما يتصدق به عليهم من زكاة او صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس
على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه
يدل ظاهرها على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه
بان يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص يكثر
فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه بادنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور
فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال فقد كان في السلف من له ثلاثمائة وستون صديقا
ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم وكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا
لهم الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن
اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد
الذي به الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدئ بذكر اسباب الصحة في الباب
الثاني ان شاء الله

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم

والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع اعلم ان تحصيل علم هذا الباب
واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب محتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب
وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب
الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له

وبم

وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل المفسدات للعقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن
المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا
الا من تفقه والا اكل الربا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض
فلنشرح شروطها العقد الاول البيع وقد احله الله وله ثلاثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ الركن الاول العاقد ينبغي للتاجر
ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن فيه الولي عندنا فعلى
وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة اليهما فضاع في ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى
البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون في الشراء لسيده والبيع
له فيعول عليه لاستفاضته او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده ان تلف في يده
لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة به اذا عتق فاما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري
له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر
فيجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه واما
الجند من الاتراك والتركمان والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئا لاجل
انه حرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام **الركن الثاني** في المعقود عليه وهو المال
المقصود نقله من احد العاقدين الى الاخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب ولا خنزير
ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع العاج ولا الاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع
الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح او طلي السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة
فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان
اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حال الحياة الثاني ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات
والفار والحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك لا التفات الى انتفاع ارباب الحلق باخراجها في السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد
والاسد وما يصلح لصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهو الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل
فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهي رسول الله صلى الله عليه ولا يجوز بيع العود والصنج
والمزامير والملاهي فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور
الاشجار يتسامح بها واما الثياب والاطباق التي عليها صور الحيوان فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال صلى الله عليه لعائشة اتخذي منه نمارق ولا يجوز
استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من
جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج
ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف لرضي به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يكثر
في الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه الرابع ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح
بيعه كالابق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط
غير المبيع بالمبيع والعاجز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه ايضا وكذلك بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذلك
بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما
العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس
وخذه من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذه من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين
الا ان يبيع شائعا مثل ان يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك جائز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو قال بعتك
هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه السنجة فهو باطل اذا لم تكن السنجة معلومة ولو قال بعتك
هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار

واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا تحتمل التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان
هذا اشبه المذهبين فلا يجوز بيع التوزي في المسوح اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز في قشره التي يدخر فيها وكذى بيع اللوز
والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلي الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن
يجعل اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما يستتر
خلقة. السادس ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن بيع
ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول وكل ما اشتراه وباعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية
وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض

الركن الثالث لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو
قال اعطيتك هذا بكذا بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوب او دابة والنية تدفع الاحتمال
والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما نختاره ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد
شيئا اخر وان يحمل المبيع الى داره او اشترى حطبا بشرط النقل الى بيته فكل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره على النقل باجرة معلومة عن الشراء
المنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون النطق باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي اصلا وانعقد عند ابي حنيفة ان كانت في المحقرات
ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز ياخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة
دنانير مثلا ويحمله الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويسلمه الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه ومشتري
الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب ولا قبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فمن يزيد فيقول
هذا على تسعين ويقول الاخر على خمسة وتسعين ويقول الاخر على مائة فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من غير ايجاب وقبول وقد استمرت
بهذا العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلثة اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل
الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولا يطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسلم فبماذا يحكم
بانتقال الملك في الجانبين ولا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت
وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال الثاني ان نسد الباب كما قال الشافعي وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه
ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل
ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتقارب والثاني ان الناس الان قد انهمكوا فيه فلا يشتري
الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد يملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك الاحتمال الثالث
ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن
سريج المخرج قولا للشافعي على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لمس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن
بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه
بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شرى البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة
وطالب الايجاب والقبول فيها يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف في الحقارة
والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها
وهي محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني
وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل بالتسليم والتسلم سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة
مستمرة في العادات وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق
بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب
الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات فهذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب
والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فيه ولا ينبغي ان يمتنع بان البايع قد ملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بايجاب

وقبول

وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البايع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ به فانه يستفيد به قطع الخصومة
في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة
وهو يعلم ان اصحابها يقتصرون على المعاطاة في البيع والشرا او سمع منهم ذلك او راه ايجب عليه الامتناع من الاكل فاقول يجب عليه الامتناع من الشرا اذا كان
ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك
فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البايع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة
الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه
يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه حل الاكل ولزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف
له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا
على مطالبته فانما لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما هاهنا قد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم
فلا يبعد ان يجعل الفعل دالا على الرضا بان يستوفي في ذمته مما سلم اليه فياخذه بحقه لكن على الاحوال كلها جانب البايع اغمض لان ما اخذه فقد يريد الملك فيه
ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا اتلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملكه بمجرد الرضا المستفاد من الفعل
دون القول واما جانب المشتري للطعام فهو لا يريد الا الاكل فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزمه من سياق هذا
ان الضيف يضمن ما اتلفه وانما يسقط الضمان عنه اذا ملك البايع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في كافة المعاطاة
على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي
مواضع الشبهة

العقد الثاني عقد الربوا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين
وعلى المتعاطين على الاطعمة اذ لا ربوا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من
جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشرا
الدنانير المضروبة حرام من حيث النسا ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه التفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه في ثلثة امور في بيع المكسر
بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع
الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حجر في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب
والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا
الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة
لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا تقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة
بل ينبغي ان يشترى بمتاع اخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز
بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها ذهب بذهب الا ان يبيع ذلك بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة
ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض
في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشتري او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم
اليه الغنم ويشتري بها اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري بها الخبز منه نسيئة او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار بان
يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون او غيره لياخذ منه الادهان فهو حرام وكذى اللبان يعطى اللبن لياخذ منه الجبن والسمن والزبد وساير اجزاء
اللبن فهو ايضا حرام فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا ولا متفاضلا فلا يباع
الحنطة بدقيق ولا سويق ولا خبز ولا العنب والتمر بدبس ولا خل ولا عصير ولا اللبن بسمن ولا زبد ولا مخيض ولا مصل ولا جبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن
الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب ولا العنب بالعنب متماثلا ولا متفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر
التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يفطن لمواضعه واقتحم الربوا والحرام وهو لا يدري

العقد الثالث السلم وليراع التاجر فيه عشر شروط الاول ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر
تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمته الثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن

توزيعاً أو صافة كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين وأشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع أن يستقصي وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتاً لا يتغابن بمثله إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع الخامس أن يجعل الأجل معلوماً إن كان مؤجلاً فلا يؤجل إلى الحصاد وإلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر السادس أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالباً فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى أجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء السابع أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يثير ذلك نزاعاً الثامن أن لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يبطل كونه ديناً نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالباً العاشر أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاماً سواء كان من جنسه أو لم يكن من جنسه ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقداً وقد ذكرنا هذا في الربا

العقد الرابع

الإجارة وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالثمن فينبغي أن يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه في المبيع إن كان عيناً وإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وهو كراء الدار بعمارتها فذلك باطل إذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العمارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ واستئجار حمال الجيف بجلد الجيف واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة ومنها أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة

الركن الثاني

المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده أن كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وإنما نشير إلى ما يعم به البلوى فليراع في العمل المستأجر عليه أمور خمسة الأول أن يكون متقوماً بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاماً ليزين به الدكان أو أشجاراً ليجفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه ولهذا لو استأجر بياعاً على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضاً عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلعة فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم إذا تعبوا إما بكثرة التردد وإما بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل فأما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذاً بالحق الثاني أن لا يتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاقه ولا إجارة المواشي للبنها ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعاً لأن إفراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لأنهما لا يقصدان على حيالهما الثالث أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساً وشرعاً فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم وغيره وما حرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه أو استئجار الحائض على كنس المسجد أو المعلم على تعليم السحر والفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على صور الحيوانات أو استئجار الصائغ على صنعة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع أن لا يكون العمل واجباً على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح الخامس أن يكون العمل والمنفعة معلوماً فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إهماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام

العقد الخامس

القراض وليراع فيه ثلاثة أركان الركن الأول رأس المال وشرطه أن يكون نقداً معلوماً مسلماً إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيها ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لأنه تضييق طريق التجارة

الركن

الركن الثاني الربح وليكن معلوماً بالجزئية بأن يشترط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع الركن الثالث العمل الذي على العامل وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليأخذ نسلها فيتقاسمان النسل أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضروراتهما فقط وهذه حرف أعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أو لا يتجر إلا في الخز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة المال كله نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ ولم يلتزم شيئاً وإن قال العامل أبيعه وأبى المالك فالمتبوع رأي المالك إلا إذا وجد العامل زبوناً يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحاً فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكوة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكوة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه يضمن الأعيان والأثمان لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض وإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما

العقد السادس

الشركة وهي أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة الأول شركة المفاوضة وهو أن يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لاهما متميزان الثانية شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل الثالثة شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وإنما الصحيح الشركة الرابع المسمى شركة العنان وهو أن يختلطا مالاً بحيث يتعذر التمييز إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها من ثلاثة أوجه من إهمال شروط البيع أو إهمال شروط السلم أو الاقتصار على المعاطاة إذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما يرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل الأكل ولكن يجب الضمان بالأكل ويلزم قيمته يوم الإتلاف فيجتمع في الذمة ملك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار فينبغي أن يلتمس منهم الإبراء المطلق حتى تبرئ ذمته إن تطرق إليه تفاوت في التقويم فهذا ما يجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول والقبض في ثمن كل قدر يسير من ذلك فيه عسر وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم

في المعاملة اعلم أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم نعني به ما استضر به الغير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص المعامل

القسم الأول

فيما يعم ضرره وهو أنواع النوع الأول الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال صلى الله عليه من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه أنه قال من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكأنما قتل نفساً وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه وعنه عليه السلام أنه أحرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما أعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أن الاحتكار من الظلم وداخل تحته وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال فتصدق به على فقراء البصرة وليتني أنجو من الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي واعلم أن النهي مطلق

وتعلق النظر في الوقت والجنس، اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات، فاما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما، واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر، فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه، واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات، وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف في البصرة سعة في السعر، ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما، فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار، واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه، ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام، واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار، وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه، وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار، فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم. وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح، والاقوات اصول خلقت قواما، والربح من المزايا، فينبغي ان يطلب الربح فيما خلق [من جملة] المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها، ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال: لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين: بيع الطعام وبيع الاكفان، فانه يتمنى الغلاء وموت الناس، والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب، او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة.

النوع الثاني: ترويج الزائف من الدراهم في اثناء النقد، فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف، وان عرف فسيروجه على غيره، وكذا الثالث والرابع، ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب. قال رسول الله صلى الله عليه: من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء. وقال بعضهم: انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم، لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت، وانفاق الزائف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة او مائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم، ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه، فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسال عنها الى آخر انقراضها. قال الله تعالى: ونكتب ما قدموا وآثارهم، اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه. وفي مثله قوله تعالى: ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر، وانما اخر آثاره من سنة سيئة عمل بها غيره. وليعلم في الزائف خمسة امور: الاول انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد، واياه ان يروجه في بيع آخر، وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز. الثاني انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن كي لا يسلم الى مسلم زائفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم، فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله، ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم. الثالث انه ان سلم وعرف المعامل انه زائف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره، ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا، فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط. الرابع انه ان ياخذ الزائف ليعمل بقوله صلى الله عليه: رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء، فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر، وان كان عازما على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء. الخامس ان الزائف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه، او ما لا ذهب فيه من الدنانير، اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه، وقد رايت الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد، سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم، وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة، فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس، فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد، فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر، وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه. وسلوك طريق الحق بمثل هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها، ولذلك قال بعضهم: التاجر الصدوق افضل من المتعبد. وقد كان السلف يحتاطون في مثل هذا حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال: حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت، ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي، ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي، وكنت لا اعتاد ذلك منه، فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق فرسي، فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم، فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي: بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا، لا يكون هذا ابدا. قال: فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم. فهذا مثال ما يعم ضرره، وليقس عليه امثاله.

القسم الثاني

ما يخص ضرره المعامل، فكل ما استضر به المعامل فهو ظلم، وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم، والضابط الكلي فيه ان لا يحب لاخيه الا ما يحب لنفسه، فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به، بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره. قال بعضهم: من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه الا بخمسة دوانيق فانه قد ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه، هذه جملته، فاما تفصيله ففي اربعة امور: ان لا يثني على السلعة

بما

بما ليس فيها، وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا، وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا، وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع منه.

اما الاول فهو ترك الثناء، فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب، فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا، وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة، اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة، وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه، وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها، قال الله تعالى: ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، الا ان يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره، كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب، فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب، وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه ويقضي بسببه حاجته. ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة، فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع، وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لايمانه، وقد اساء فيه، اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة. وفي الخبر: ويل للتاجر من بلى والله ولا والله، وويل للصانع من غد وبعد غد. وفي الخبر: اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب. وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال: ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة: عتل مستكبر، ومنان بعطيته، ومنفق سلعته بيمينه. وان كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين. وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرى فاخرج غلامه سفط الخز فنشره ونظر اليه وقال: اللهم ارزقنا الجنة، فقال لغلامه: رده الى موضعه ولم يبعه، وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة، فمثل هولاء اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم، بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا.

الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا، فذلك واجب، فان اخفاه كان ظالما غاشا، والغش حرام، وكان تاركا للنصح في المعاملة، والنصح واجب، ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا، وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله. ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه، فادخل يده فراى بللا فقال: ما هذا؟ فقال: اصابته السماء، فقال: فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا. ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم، فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال: ان شئت فخذ وان شئت فاترك، فقيل له: انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه على النصح لكل مسلم. وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم، فغفل واثلة فذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه وجعل يصيح به ويقول: يا هذا اشتريتها للحم او للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال: ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم، وقال لواثلة: رحمك الله افسدت علي بيعي، فقال: انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه على النصح لكل مسلم، وقال: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه. فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه، ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات، بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم، وهذا امر يشق على اكثر الخلق، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس، لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة لا يقوم بها الا الصديقون، ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين: احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته، وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة، فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه، فجاء سيل فغرق البقرة، فقال بعض اولاده: ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة. كيف وقد قال صلى الله عليه: البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما، واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما. وفي الحديث: يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فاذا تخاونا رفع يده عنهما. فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة، ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث، ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض احواله، فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه. والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا، وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها، فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير، والخير كله في سلامة الدين. قال صلى الله عليه: لا تزال لا اله الا الله ترفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم. وفي لفظ آخر: ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم، فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله: كذبتم لستم بها صادقين. وفي حديث آخر: من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة، قيل: وما اخلاصها؟ قال: ان يحجزه عما حرم الله. وقال ايضا: ما آمن بالقرآن من استحل محارمه. ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة. وعن بعض التابعين قال: لو دخلت الجامع وقيل لي من خير هولاء وهو غاص باهله لقلت من انصحهم لهم، فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم، ولو قالوا من شرهم قلت

من اعتقهم العبر فاذا قيل هذا ملت موثر بهم والغش حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك يتخلص وسأل رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث ان لا يكتم في المقدار شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا خلاص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظلمة لا تمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب تكحيله فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين حجة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبايع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان صلى الله عليه لابنه كما تدخل الحية بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين صلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت ثم عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ بالآخر اشارة الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود ولا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف من غيره لنفسه ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا قدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين فنسأل الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولا ذلك لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا او غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باع مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل الرابع ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن تلقي الركبان ونهى عن النجش اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه لا تلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق واما النجش فهو ان يتقدم الى البايع بين يدي المشتري الراغب ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وانما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يجر مواطأة مع البايع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البايع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته في

هذه

هذه السنة آفة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل مسلم من المسلمين فلما اصبح غدا الى بايع السكر فدفع اليه الثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم غفلة صاحب المتاع ويخفي من البايع غلاء السعر او من المشتري تراجع الاسعار فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى باجل وجب ذكره ولو اشترى بمسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء لانه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة رأس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادات فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها اربعمائة وضرب قيمتها مائتان فمر الى الصلوة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي خمسمائة وانا ارتضيتها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله وقال اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وقال زبير بن عدي ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين حرام وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء سعر الوقت فانما الاحسان المحض ما نقل عن السري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكانه رأى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لا ابيعه الا بثلاثة وستين فقال وانا عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لنفسنا فاختر احدى ثلث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الاعرابي يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصف درهم او درهما على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان عمر رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلث ما رددت ربحا قط ولا

طلب مني حيوان واخرته سعد ولا بعث منه شيئا فقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح منها الف درهم وربح من نفقته عليها ليومه الف
درهم فلك ايضا الرابع في احتمال الغبن والمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله
رحم الله سهل البيع سهل الشرا فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر
ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معوية قاضي البصرة وكان من عقلا التابعين كان يقول
لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين ولكن يخدع الحسن ويخدع ابي يعني معوية بن قرة والكمال في ان لا تخدع ولا تخدع كما وصف بعضهم عمر رضي الله
عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشرا ثم يهبون مع ذلك الجزيل
من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم
انما اغبن عقلي وبصري فلا امكن المغابن منه واذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر منه شيئا الثالث في استيفاء الثمن وساير الديون والاحسان فيه
مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال صلى الله عليه رحم
الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فليغتنم دعا رسول الله صلى الله عليه وقال صلى الله عليه اسمح يسمح لك وقال عليه السلم من انظر معسرا
او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ اخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه رجلا كان مسرفا على نفسه
حوسب فلم توجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس اقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ اخر وتجاوزوا
عن المعسر فقال الله نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له وقال صلى الله عليه من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل
الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر يكون كالصدقة
بعشرة امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاقتراض الا محتاج ونظر رسول الله
صلى الله عليه الى رجل يلازم رجلا بدين فاوما الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال
ولم يرهق الى الطلب فهو في معنى المقرض وروي ان الحسن البصري باع بغلة له باربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد فقال قد اسقطت
عنك مائة فقال له فاحسن يا ابا سعيد فقال قد اسقطت عنك مائة اخرى فقبض من حقه مائتين فقيل له يا ابا سعيد هذا نصف الثمن
فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا الرابع في توفية الدين
ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه خيركم احسنكم قضاء ومهما
قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاه مهما قدر قال صلى الله عليه من ادان دينا
وهو ينوي قضاه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق
الحق بكلام خشن فليحتمل وليقابله باللطف اقتدا برسول الله صلى الله عليه اذ جاه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاوه فجعل
الرجل يشدد الكلام على رسول الله فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان
ان يكون الميل الاكثر من المتوسطين الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغي ان يكون الاعانة للمشتري
اكثر فان البايع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته
في منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل نصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له الخامس
ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه قال صلى الله عليه من اقال
نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيمة او كما قال السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقرا بالنسيئة وهو في الحال عازم على
ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسما من لا يعرفه من الضعفا والفقرا
وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه
عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل اعد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان يسر
لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقايم بها محيي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال
وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه وانظر الى الدرهم وانظر غيه او ورعه ولذلك قيل
اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد شاهد عند عمر رضي الله عنه فقال ايتني بمن يعرفك

حتى يكون كالتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه رايت على باب الجنة

فاتاه

فاتاه رجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق
فقال لا فقال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا فقال اظنك رايته قايما في المسجد يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه
قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتني بمن يعرفك

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته

لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده
فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الاخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة بل العاقل
ينبغي ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف اولى الاشيا احوجه اليه في العاجل
واحوج شي اليه في العاجل احمده عاقبة في الاجل وقال معاذ بن جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة
احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا
نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية والعقيدة
في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال
ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا في طريق الاخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر
في الدنيا ربح في الاخرة الثاني ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت
المعايش وهلك الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل ويكفل كل فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا
حمل بعض الناس اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم
والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان
بالجص وجميع ما يزخرف به الدنيا فكل ذلك قد كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي والالات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل
ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القبا من الابريسم للرجال وصياغة الصايغ مراكب الذهب او خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي
والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة فيها وان كنا لا نوجب الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهياة للنسا
لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم
بغلا الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين
الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغنا الدلال عن الكذب والافراط في الثنا على السلعة لترويجها ولعل العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد
يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شرى الحيوان لان المشتري يكره
قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وحلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقايق الربوا عسير
ولانه طلب لدقايق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معاملة بدقايق النقد فقل ما يسلم الصيرفي
وان احتاط وكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح الا عند شك في جودته او عند ضرورة قال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وعن
اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب
ما من تجارة احب الي من البز ما لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث اخر لو اتجر اهل الجنة لتجروا في البز ولو
اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة
وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما
صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواضعة واستبق الحواشي وظهور
الاجزا واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم
مع النسا والصبيان ومخالطة ضعفا العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلا تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى
عليه السلم بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقرا وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاها
وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار

على ذلك وكذا تعلم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر بها للآخرة فأخذ الأجرة عليها استبدال للدنيا عن الآخرة فلا يستحب ذلك الثالث
أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة
وقال في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد وكان عمر
رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يبع الهريسة
والرؤس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر أن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفي أول النهار وفي آخره ذكر
وخير كفر الله تعالى عنه ما بينهما من سيء الأعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم
يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله سبحانه أشهدكم أني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يعرج على شغل وينزعج
عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الإمام في أول الوقت لا توازيه الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء
وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة فكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة
لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج
الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلوة الرابع أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل
فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال صلى الله عليه ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين وكالحي بين الأموات وفي لفظ آخر كالشجرة
الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفي ألف حسنة وكان ابن عمر ومحمد بن واسع وسالم بن عبد الله وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا
الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيمة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها
وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق يقول اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة
خاسرة وقال أبو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق
الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه إني لأعرف
رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلثون ألف تسبيحة قال فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم
في الدنيا فإن من طلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه
اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبها تكون حياتهم وعيشهم إذ فيها يرون تجارتهم وربحهم
وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لا شيء الخامس أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة
وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب
البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج فإن بها باض الشيطان وفرخ وروى
عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر رضي الله عنه أن إبليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر
والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته
فإذا حصل كفايته وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحوا السلف فقد كان منهم من إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال إبراهيم بن
بشار قلت لإبراهيم بن أدهم أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا يفوته وتطلب ما لا يفوتك أما رأيت حريصا
محروما وضعيفا مرزوقا فقلت إن لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد
العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون بذلك السادس أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع الشبهة
ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل
الشبهة وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه لبن فقال من أين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب
منه ثم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا وقال إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين
آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل رسول الله صلى الله عليه عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب
الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه عليه السلم كان لا يسأل عن كل ما حمل إليه وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب
الى

إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربوا فلا يعامله وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه يكون معينا بذلك
على الظلم وحكي عن رجل أنه تولى عمل سور لعمارة ثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من
فرائض الإسلام لكن كان الأمير الذي تولى عن جهته من الظلمة قال فسألت سفين فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا
سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله وقد
جاء في الخبر من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله وفي الحديث إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من أكرم فاسقا
فقد أعان على هدم الإسلام وقد دخل سفين الثوري على المهدي وبيده درج أبيض قال يا سفين أعطني الدواة حتى أكتب فقال
أخبرني بأي شيء تكتب فإن كان حقا أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب
فقال ناولني الكتاب أولا حتى أنظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الإعانة فينبغي أن
يجتنبه ذووا الدين مهما وجدوا إلى ذلك سبيلا وبالجملة فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل وليكن
من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون
لي أن أعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال
لا تعامل أحدا إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا وكأنه قد كان الذي كان يحاذر أن يكون إنا لله وإنا إليه راجعون
السابع ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فإنه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم
الحساب والعقاب في كل فعله وقوله أنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فإنه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيمة مع كل رجل كان
باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك
فقال نشر علي خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من كنت عاملته في الدنيا لكل إنسان
صحيفة فيما بيني وبينه من أول المعاملة إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والإحسان والشفقة على الدين فإن اقتصر
على العدل كان من الصالحين وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين فإن راعى مع ذلك الوظائف التي ذكرناها في الباب
الخامس كان من الصادقين والله أعلم

تم كتاب الكسب والمعاش بحمد الله ومنه والصلوة على سيدنا محمد وآله الطاهرين

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

الحمد لله الذي خلق الانسان من طين لازب وصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سايغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية عن السطوة والصيال وقهرها بما افترض عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال فلقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يبعد رقه الى اعماق العروق الا الشهوات المايلة الى الغلبة والاسترسال فبقي لما زمت بزمام الحلال خايبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل

اما بعد

فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين ساير الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد خبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلثة مقترنة كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب

الباب الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها في الحلال والحرام

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

الباب السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم

الباب السابع في مسايل متفرقة

الباب الاول في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال

ومذمة الحرام قال الله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل آكل الربوا في اول الامر موذنا بمحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد طلب الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروي ان سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف

النافلة

النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شيء وقال عليه السلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال عليه السلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال روي هذا مرفوعا وموقوفا على انس ايضا وقال صلى الله عليه وسلم من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله راض عنه وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال عليه السلم من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله عز وجل قال واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من ربا اشد عند الله من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الآية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة كسب الحلال

واما الآثار

فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء قال حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقالت عايشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابراهيم بن ادهم ما ادرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم لم لا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانها لقم الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله صلوة امرء في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف بآيات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بماية الف وماية الف حتى بلغ ستماية الف وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم ولا يعود الى حاله ابدا وقال من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر وروي في آثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهاتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكل فسأله عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة التي رايتني شربتها من الليل احب الي من ثلثين ختمة في ثلثماية ركعة من اعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسأل احدا شيئا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال

الله من اى ابواب النار ادخله وعن على رضى الله عنه انه لم ياكل بعد قتل عثمان رضى الله عنه ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة
واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينه وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكه فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الى الا انى لا
آكله لاختلاط رطب مكه ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت فى مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال
ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافى فغشى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق
قال لله على ان لا آكل خبزا ابدا حتى القاه فكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسالها فقالت هو من شاة بنى فلان فسال عن ثمنها وانه من اين
لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقى انها من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشربه لانها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان
الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لى وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافى من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون
ولكن ليس من ياكل وهو يبكى كمن ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات

اصناف الحلال ومداخله

اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى المريد عن تطويله
بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا ياكل من غيرها فاما من يتوسع فى الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما
فصلناه فى كتب الفقه ونحن الآن نشير الى مجامعه فى سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى فى عينه او لخلل فى جهة اكتسابه

القسم الاول

الحرام لصفة فى عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا
تعدو ثلثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهى اجزاء الارض
وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث يضر بالآكل وفى بعضها ما يجرى مجرى السم فالخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذى يعتاد اكله لا
يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحرم مع انها لا تؤكل انه لو وقع شىء منها فى مرقة او طعام لم يصر به محرما واما النبات
فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة الادوية
فى غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذى لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهى الشدة المطربة
واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم واما الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله فى كتاب
الاطعمة والنظر يطول فى تفصيله لاسيما فى الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعى فيه شروط
الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور فى كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفى
معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والخل والجبن فان الاحتراز عنه غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب
وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب فى تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره فان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه
التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب فى الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرأت نملة او ذبابة فى قدر لم يجب
اراقتها اذ المستقذر جرمها اذا بقى له جرم ولم يتنجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت
فى قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الآدمى لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما لا استقذارا واما الحيوانات الماكولة اذا
ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس فى الاعيان
شىء نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه فى
مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة او جزء من نجاسة جامدة فى مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل
فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلى السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة فى ذاته

القسم الثانى

ما يحرم
لخلل فى جهة اثبات اليد عليه وفيه متسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره كالارث والذى باختياره اما ان يكون
من غير مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذى يوخذ من مالك فاما ان يوخذ قهرا او يوخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم
او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير
عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام الاول ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب
والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذى حرمة من الآدميين فاذا انفك عن الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل

ذلك

ذلك فى كتاب احياء الموات الثانى الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفى والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط فى كتاب
السير وكتاب الفى والغنيمة وكتاب الجزية الثالث ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك
حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذى به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من
قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك فى كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر فى صفة
المستحقين للزكوة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان الماخوذ حلالا الرابع ما يوخذ
تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعى شرط العوضين وشرط اللفظين اعنى الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب
الشروط المفسدة وبيان ذلك فى كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح
والخلع والكتابة وسائر المعاوضات الخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعى شرط المعقود عليه وشرط
العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور فى كتاب الهبات والوصايا والصدقات السادس
ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسبه من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء
الدين وتنفيذ الوصايا وبعد القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور فى كتاب
الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال او ما نال الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغنى
عن علم هذه الامور فكل ما ياكله من جهة من هذه الجهات ينبغى ان يستفتى فيها اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم
خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم لا تعلمت بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

درجات الحلال والحرام

اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب
واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار فى الدرجة الاولى كالسكر وبعضها فى الثانية كالفانيذ
وبعضها فى الثالثة كالدبس وبعضها فى الرابعة كالعسل فكذلك الحرام بعضه خبيث فى الدرجة الاولى وبعضه فى الثانية والثالثة
او الرابعة وكذلك الحلال تتفاوت درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب فى الاصطلاح على اربع درجات تقريبا
وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من
سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط
العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين
وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتى يرخص فى التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج
عن ذلك ورع الصالحين وهو فى الدرجة الثانية الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم
وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا باس به مخافة مما به
باس الرابع ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدى الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله او
يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة
والشواهد واما الحرام الذى ذكرناه فى الدرجة الاولى وهو الذى يشترط التورع عنه فى العدالة واطراح سمة الفسق فهو ايضا
على درجات فى الخبث فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس فى درجة المغصوب على سبيل
القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع فى الاكتساب وايذاء الغير وليس فى المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق التعبد فقط
ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من ترك بالربا وسفه العقلاء فمهما تبدل بتغيير التشريع ووعيد وتاكيد فى بعض المناهى على ما
سياتى فى كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من
غنى او قوى او فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق فى تفاصيل الخبائث لا ينبغى ان يذهل عنها
فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصره فى ثلث درجات او اربع
فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهى وهو طلب حصر فيما لا حصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام فى الخبث ما سياتى فى

الصداق و صح

زيد

الحين

تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل الميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض

أمثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها

اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام بفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد وأما الدرجة الثانية فأمثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فيلتحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل فقال وان اكل وذلك لان حالة ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله حكي عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة آلاف درهم لانه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على انه لا باس به وامثلة هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة واما الدرجة الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدرداء ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزيد حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا واردت ان آخذ من تراب الحائط لاتربه واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت من التراب حاجتي فلما نمت اذا انا بشخص يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط منزلته فان للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه انه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فسكت عنها ثم اعاد القول فاعادت الجواب فقال لا احببت ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال هل ينتفع الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شيء منه فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ويشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شيء فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من ان يتعدى الى غيره ومن ذلك ما سئل احمد بن حنبل عن رجل يكون في المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا بالرائحة وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد ويبخل به فلا يدري انه يتسامح به ام لا وسئل احمد عمن سقطت منه ورقة فيها احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن التزين لانه يخاف منها ان

تدعو

تدعو الى غيرها وان كانت مباحة في نفسها وقد سئل احمد بن حنبل عن النعال السندية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة ما به باس اي مخافة من ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر يدعو الى النظر والنظر يدعو الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة مع الاحتراز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبته عن خطر وكذا كل ما اخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحائط فزينة لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شيء مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما شهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو حلال طيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداؤه الى معصية البتة واما الدرجة الرابعة وهي ورع الصديقين فالحلال الطيب عندهم كل ما لا تتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته واستبقاء الحياة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المفردين لله تعالى بالقصد ولا شك ان من يتورع عما يوصل اليه معصية او يستعان عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية وكراهية فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدواء فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكانه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الاقدام عليها وعن سري السقطي انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من ذلك الحشيش وشربت الماء وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جائعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة التي اوصلت الطعام الي لم يكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رضي الله عنه كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها الامراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجراء وقد اعطوا اجرتهم من الحرام ولذلك امتنع من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته من ماء يجري من النهر الذي حفرته الظلمة وهذا ابعد من الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفع به وامتناع ذي النون من الطعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال الكسب خاط خيط في المسجد فان احمد كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر فقال القبور انما هي من امر الآخرة وأطفأ بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكون مالهم وامتنع من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعلة سلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيامة واسرع جوازا على متن الصراط وابعد عن ان ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات

لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة ولا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما تطرق اليه تحريم او كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك واحد ويكون هو واقفا عند اخذه وجمعه من الهواء في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المطلق ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربوا ونظايره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلت منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من يد الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى نلحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذ لم يدل على موته سبب قاطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشا من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشا عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى ثلثا او اربعا اخذنا بالثلث اذ الاصل عدمه ولو سئل الانسان ان صلوة الظهر التي قبل هذا بعشر سنين كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا انها اربع واذا لم يقطع جوز ان يكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونه ثلثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا ملتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه قد مات وانتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثار الشبهة خمسة

المثار الاول

الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالامثلة والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة

القسم الاول

ان لا يكون الحل معلوما من قبل ولم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه لعدي بن حاتم لا تاكله فلعل قتله غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم ايهما هو وروي انه ارق ليلة فقال له بعض نسايه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فاكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال رسول الله امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا

القسم الثاني

ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طاير فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الاخر ان لم يكن غرابا فامراتي طالق والتبس امر الغراب فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى تحل لساير الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للاخر انت حسود فقال الاخر احسدنا زوجته طالق ثلثا فقال الاخر نعم واشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحض فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك

ومنافي معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذاك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضا به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان هنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطاير ان يتحقق نجاسة احد الانائين وتشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على احد الزوجين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب الشافعي في الانائين على ثلثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة ونحرمهما عليه لانه لو وطيهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطي احدهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد يتحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه فان قيل فلو كان الاناآن لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا كل واحد باناءيه لانه تيقن طهارته وقد شك الان فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا يستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوءه بمائه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطي لزوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع به قوة يقين النجاسة المقابل ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقايقه وقد استقصينا ما في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الان الا التنبيه على قواعدها

القسم الثالث

ان يكون الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره انه يحل وان اجتنابه من الورع مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب اخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا غيره فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك فان قيل فقد قال ابن عباس كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عايشة ان رجلا اتى النبي عليه السلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت ام انميت قال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله بشيء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهي عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعة ثم شك فيما يطرا عليه والجواب ان نهي ابن عباس ونهي رسول الله محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا اخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن واذا لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القايل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت وطريان المغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاة فينبغي ان لا يجب القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجاة ولا قايل بذلك مع ان القصاص مبناه على السقوط بالشبهة وكذلك جنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه اولم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب اخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الاخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله عليه السلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالالة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل

دل ابتداء ابتياعه على انه نازل منزلة آلته وانه سعى في وكالته ونيابته ودل اكله آخرا على انه امسكه لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فتعارض
الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال الشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية ومات قبل ان يتبين انه اشتراها لنفسه او للموكل لم يحل
للوكيل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه وللموكل جميعا ولا دليل يرجح والاصل التحريم فهذا ملحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث **القسم
الرابع** ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان
الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن
فيوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامراتي طالق فجرحه وغاب ووجد ميتا حرمت
زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ماء متغيرا واحتمل ان يكون لطول المكث او بالنجاسة فليستعمله ولو رأى
ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث لم يجز استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه
وهذا في غلبة الظن استدلال علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزال
به اذ اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلوة في المقابر المنبوشة والصلوة مع طين الشوارع اعني المقدار الزائد على ما يعتاد
الاحتراز عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل
شربه فاذا مأخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في احدهما يوجب التردد في الآخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول
لم توجب رفع الاصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه او ظن
وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله
فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم
واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثاني** للشبهة شك منشاه الاختلاط
وذلك بان يختلط الحلال بالحرام ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور
فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور
والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم سبعة اقسام
القسم الاول ان يستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بمذكية او بعشر مذكيات او تختلط رضيعة بعشر نسوة
او يتزوج احدى الاختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلط بعدد محصور صار الجملة
كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسألة
الطائر او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق احدى الزوجتين
لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع
فلذلك يرجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب اولى **القسم الثاني** حرام محصور بحلال
غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان
يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له
رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك
الشراء والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع
احد من شراء المجن والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الكل عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط
ايضا في بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ولا احد من الصحابة ولا يتصور
الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا
ان تمكن منه فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر
عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما

وقع

وقع الشك فيه يستفتي فيه القلب فان الاثم حواز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك
وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى
المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر
القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى
غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم ههنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه
احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق آكله ومن العلامات
ان يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربوا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت
الذي نهى عليه السلم عن الربوا اذ قال اول ربوا اضعه ربوا العباس ما ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روي ان بعض اصحاب
النبي عليه السلم باع الخمر فقال عمر لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر وقد فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر
في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشراء في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال
مشارا اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه تفطن
في الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في مثل هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم
ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القرآن والربوا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى
بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون
بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قلنا احمل ذلك على الورع والتنزه اذ نقول للضب شكل غريب وربما يدل على انه من
المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربوا والسرقة والنهب وغلول
الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة
الربوا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا
الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل اكثر الاموال الحرام في زماننا غلط محض ومنشأه الغفلة عن الفرق بين الكثير
والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلثة قليل
وهو النادر وكثير واكثر ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال السفر والمرض من الاعذار العامة والاستحاضة
من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس نادرا وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام اراد به انه
ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح المقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام اكثر
باطل لان مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية او كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام
الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس بالاكثر فانهم الجند اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة
وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة
واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم
بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل
منهم على عدد قليل واما المستند الثاني وهو كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع
فعدد هؤلاء اكثر والذي يعامل بالربوا وغيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا ان يطلب الانسان بوهمه
في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر
لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو ايضا من معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او يزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وانما غلب هذا على
النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادهم اياه واستعظامهم له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع

الحرام فتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كانوا كثيرين واما المستند الثالث وهو اخيلها ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات
والحيوانات والنبات والحيوان حاصل من التوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا ان تطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا
بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلا الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله حلالا وكذا الى اول زمان
النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا يخرج الا من دار الضرب وهي
في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان
بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربوا بعيد نادر او محال فلا يبقى
اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحارى والموات والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل
الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تخيلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط
بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي
عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه تجوز الصلوة في الشوارع اذا لم ير
نجاسة فان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز والصلوة في المقابر المنبوشة جائز فلنثبت هذا اولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على
ذلك توضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول
نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة
وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انه يداس بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث
وقلما تخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة
قد يزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كانوا يحترزون منها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين
من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون عنه ومتى تسلم الشوارع من النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب
وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك
معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم
الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير اذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها
المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب منها والتحق حكم الحل
بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات ويحترزون في شبهات الحرام غاية الاحتراز فكيف يقاس
عليه قلنا ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة فالصلوة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب
اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه
الظن مطروح واما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها
وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وقد حكي عن واحد انه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض
فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من
ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون
بعض وكما ان الذي يغصب اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ويسرق فهكذا الحال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول
بالفساد في كل زمان الاقل بالاضافة الى غيره اقل وليس يدرى ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد
غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة الاكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة
اكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم تزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام وليفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه
مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات فاما المعادن فانها مخلاة في بلاد الترك وغيرها يأخذها
من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم او يأخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه فاما ما يأخذه الآخذ

منه فيأخذه السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليها فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل
في ملك المستقي له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب الا من حيث انه تقدر ظلم بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب
تحريم عين الذهب بل يكون ظالما بابقاء الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم
به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك والنقد الردي ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا
يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز فان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالاضافة الى مال التجارة اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء
دار الضرب بان يأخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه عوضا عن حشمته وذلك من باب الظلم
وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منها من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون
هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لترويجها جماعة ممن رق دينهم حتى يقبحوا الورع ويسدوا بابه ويستقبحوا تمييز من يميز بين مال
ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدروا غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة
خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل ازيد واقول لو
طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنا اقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده
فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم الثاني
ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت الثالث ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصبا وتراضيا
من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع ان يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة الخامس ان يقتصروا مع شروط
الشرع على قدر الحاجة اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم
الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة واحكام الخلافة والقضاء والسياسات
بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين واما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية
بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم
ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط وان كان هو محتاجا فانا ايضا
محتاجون وان كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو على حاجة يومه واذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعي وكيف يضبط وهذا يؤدي
الى ابطال سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يقال كل ذي يد على ما في يده وهو اولى به لا يجوز ان
يؤخذ منه سرقة ولا غصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا منهاج في الشرع تتعلق به المصالح فان لم يعتبر
اصل التراضي تعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدي وهو الذي نراه لائقا
بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة ولا لادخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في
ايدي الناس وكذلك ايدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج فلا يبقى الا ان يجب على السلطان
ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما او سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع
اموال اما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة
من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في البحر او يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وتنعمهم فكيف
على قدر حاجاتهم ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكوة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا اصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجاتهم
وهو في غاية القبح بل اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان ضربا للمثل لوجب عليه ان يستأنف الامر ويمهد تفصيل اسباب الاملاك
بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق
في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة البتة فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان الله يقدر سببا
يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر
الامر جاريا على ما الف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا وما لي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث نبينا صلى الله
عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلم قد مضى عليه قريب ستمائة سنة والناس منقسمون الى المكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان

والى المصدقين له وقد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة والاموال كانت في ايدي المكذبين له والمصدقين اما المكذبون فكانوا
يتعاملون بغير شرع عيسى واما المصدقون فتساهلوا مع اهل التصديق كما تساهل الآن المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او كثير
منها حراما وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال فمهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول
ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذي في يده الحرام فانا لا ناخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه انه ثمن خمر او مال ربوا وقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموالنا
الآن وامر العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباحات
على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح
وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب
ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة بطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك ايضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون
على الدنيا سخروا ليسلم طريق الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بامور الدنيا وذلك
قسمة سبقت بها المشية الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم
التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من انه الاقل بالاضافة الى الكل
جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه وليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين يقاس عليه حتى يكون
الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فنقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
مع وجود الربوا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه ثلثة امور الاول التقسيم الذي حصرناه
وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراما كان اجرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القايل
هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما يتخيل في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة
وليس بمظنون ولا شك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة او الحاجة او الى الحشيش والصيد مخرب للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك
فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان يعلل بقياس محرر مردود الى اصل
يتفق الفقهاء الآن على الاقيسة الجزوية عليه وان كانت الجزويات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى ما ذكرناه من الاصل الكلي الذي هو من ضرورة النبي
لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر الجزوي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور
التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصراني واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت
العلامات المعينة احترازا عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل
بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها كالخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا
للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول
الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه
به اذ من ادعي عليه دين في ذمته فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام
الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم تدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو ان كل ما دل على جنس لا نحصره لم يدل على
عين لم نعتبره وان كان قطعا فبان لا نعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان ما علم انه ملك لزيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في
العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة
اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فالذي نشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي نتحقق ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف
فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضايع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن
المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة
تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص التصرف فيه بالسلطان فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك
غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وبين صرفه الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما
نشك فيه ولا نعلم تحريمه ان نحكم بدلالة اليد ونترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الخراب الذي ذكرناه وجها

المصلحة

المصلحة يختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك
الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لم يواخذ
السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى
فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المايعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسياتي بيانه في باب تفصيل الخروج من المظالم
المثار الثالث للشبهة ان تتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب
فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب بالقدوم
المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن
المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا
اشتباه هنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه
الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسميته هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان تسمى هذه كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى
فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع
عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد
منه في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه
البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو استحق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس
ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة او اقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب
بالقدوم المغصوب ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق
بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة
درهم او صلوة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد
النداء وينجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة
نهي على الخصوص ربما سبق الى الافهام خصوص فيه فيكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد ينجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب
المظالم وساير معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا فسمع انه اشتري يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتري في وقت النداء وهذا
غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي او المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وساير الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن
ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغة فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند الغير
ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فيئسوا عن القيام فاطرحوه
فكما ان الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق الى اوهامهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا
التمييز وهو عين الضلال **واما مثال اللواحق** فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار
وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ منه والاقيس
ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية
ولا يتعلق ذلك بعين العقد فالماخوذ منه مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن
خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم فهذا
ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم
يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر ولا الفدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان لا
يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد
خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما اقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم

في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا تجاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنى وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات **واما المقدمات** فللتطرق المعصية اليها ثلث درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعيت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثا بها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رعيتما في الحمى فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص لما قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ رأى ان كل ذلك لا يستحقه العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا والرتبة الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عن ماء ساق في نهر احتفرته الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصي الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على طبق ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر الرتبة الثالثة وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنى والقذف وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنى والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع من الشرب من كوز لان الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا ابعد من يد السجان لان الطعام تسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما يتداعى اليه من الاحوال واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه تختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرف ذلك اذ قال الاثم حواز القلوب فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال بفتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب الموسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة ونية الصلوة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء عضو الطهارة ثلث مرات لغلبة الوسوسة عليه يجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزأهم فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في درك معانيه واما المعصية في العوض فلها ايضا درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البائع الطعام اليه قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابرأه البائع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابرأه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه لم يبرئه مما اخذ ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للابراء فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي يقتضيه الفتوى هو ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بما قبضه من النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم يجر شيء منهما

ولكن

ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل الطعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل فهذا كله اذا قبضه قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البائع او من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البائع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبرئه او يوفي من حلال او يرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهية فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحلال او من الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من البعض والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن تهيأ المعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان العوض علا حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن ابيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهيته اذ نهى صلى الله عليه وسلم عنه مرات بان يعلف الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فهو فاسد اذ يجب اطراده في الدباغ والكناس ولا قايل به وان قيل به فلا يمكن اطراده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر من الحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب ان الحجامة والفصد جراحة هي تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حيوته والاصل فيه التحريم وانما تحل لضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله ولكن حكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد او صبي او معتوه الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان نذكر في القرائن المقرونة بالسبب فانه اقرب اليها الرتبة السفلى وهي درجة الوسواس وذلك ان يحلف انسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي عليه السلام لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن المبيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التحديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلوة ما دام عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فلنحمل عليها ثم كم من ملك توعد عليه بمنع قبول الصلوة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره

المثار الرابع الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض المشابه

القسم الاول ان تتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه فاتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقرائن وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلث مراتب المرتبة الاولى ما يتاكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه

ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام
فهو اقيس قولي الشافعي ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة كان الورع مهما وان افتى المفتي بالقول الآخر ومن
ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي لان الآية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيها فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من
سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل وقد نقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن
لما صح قوله عليه السلام المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا بالناسي
وترك الظواهر ولا تأول وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع
الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى الثانية وهو متاخم درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف
في جوف بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف
الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيح فالظن بابي حنيفة انه لم يبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته
لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد الرتبة الثالثة
ان لا يشتهر في المسألة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة
وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى اسماعهم خلاف ما
يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرقت تهمة بسبب خاص
ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع
وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد اب ويقول في كتاب الله لا ذكر الا للبنين والحاق
ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من
المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذا لا طرف من اطراف
الشبهات الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حواز القلوب
وما حاك في الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة
في مظان الوسواس ولا يخلو عن حزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد صلى الله عليه وسلم كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة
لما كان قد عرف من حاله

القسم الثاني

ان تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله
من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك
يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي
تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال

القسم الثالث

تعارض الاشباه في الصفات التي تناط بها الاحكام مثاله ان يوصي بمال
للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب
الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيها اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة
بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني
وتتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك
بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع اثاث
البيت اذا كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كآلات الشتاء وما لا يحتاج
اليه الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله عليه السلام اذ دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه
الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات
وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الآخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات
هو الله وليس للبشر وقوف على حدها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة ارطال زائد على قدر الكفاية وما بينهما لا
يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا ضبطها ت

اللغات

[هامش: للجد اب صح]

اللغات بحدود محدودة تقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب والمقدرات فليست
الالفاظ اللغوية كذلك ولا لفظ في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام الا ويتطرق الشك في مقتضاها يدور بين اطراف متقابلة ويعظم الحاجة الى هذا الفن
في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك سائر الالفاظ ويستحيل مقتضى
لفظ المخصوص حتى يعلم طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها فهذه شبهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين متقابلين وكل
ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر
الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ
طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي
ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما
التبس فليجتنب فان الاثم حواز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب
فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال
فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة ليعرض عليه واقعته
وجاء في الزبور ان الله اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلوتكم ولا الى صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي
اؤيده بنصري واباهي به ملائكتي ٥

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه شيئا او تستوهب فليس لك ان تفتش عنه وتسأل وتقول
هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه
مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر يتعلق بالمال او بصاحب المال

المثار الاول

احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة الحالة الاولى
ان يكون مجهولا وهو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغير ذلك من
المعاملات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا علامة تنسبه الى اهل الصلاح او اهل الفساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة
بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت خبازا او قصابا او غيرهما ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول لا تدري حاله ولا
نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدرون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه
وقد عرفت مما سبق ان الورع ترك ما لا تدري قال يوسف بن اسباط منذ ثلثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال
فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول
حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان
كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق
باسلامه عليك ان لا تسيء به الظن فان اسأت الظن به في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال
لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من
الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان عليه السلام لا يسأل عن كل ما حمل اليه بل سأل في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه
اصدقة ام هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما يحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدل على انه
ليس بصدقة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل اصدقة هو ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط الذي
رواه انس رضي الله عنه وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم اجابه بعد فذهب هو
وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسأل ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره شيء وسأل عمر رضي الله عنه
الذي سقاه من ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل ليلة وهذه اسباب الريبة فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته
من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون
ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به وازيد على هذا فاقول ليس له ان يسأله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين

[هامش: الصوفية على صح]

فهو حسن وليتلطف في الترك وان كان لا بد من اكله فليأكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك فان قلت لعله لا يتأذى
فاقول لعله يتأذى وانت تسأل حذرا من لعله فان قنعت فلعله ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل شبهة او حرام والغالب
على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسأل من غيره من حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سأل من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه
تجسس وفيه تشبيب بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض
الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتأذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري اذا لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم
ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو
ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ احدهم مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انه صدقة
فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسأل عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع. الحالة الثانية ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت
ريبة فلنذكر صورة الريبة ثم حكمها اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فبأن يكون على خلقة الاتراك
واهل البوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء
والقلنسوة وزي اهل الفساد والظلم من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل في
المال ايضا ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشتري من مثل هذا شيئا او يأخذ منه هدية او يجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم
يظهر له منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه العلامات ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة
ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورث ذلك ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولان النبي عليه السلام سأل أصدقة هو ام هدية وسأل
ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد بتحليل
هذا فان دلالة الاسلام واليد عارضتها هذه الدلالات فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة
كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل ان يكون بطول المكث فان رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه
الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد تدل على الظلم بالمال اما القول والفعل المخالفان للشرع ان تعلق بظلم المال فهو
ايضا دليل كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم او يعقد عقد الربا فاما اذا رآه وقد شتم غيره في غضبه او اتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من
انسان يتحرج في طلب المال ولا يكسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد
فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه واقول ان هذا اذا رآه من مجهول فله حكم وان رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلوة وقراءة القرآن فله حكم آخر اذ
تعارضت الدلالتان بالاضافة الى المال فتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره
وكم من محسن للصلوة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في مثل هذه المواضع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله فلا يبعد ان يناط بسبب
خفي لا يطلع عليه الا رب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة اخرى وهي ان هذه الدلالة ينبغي ان تكون بحيث تدل على ان اكثر ماله حرام بان
يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة او مغنية فان دل على ان في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع. الحالة الثالثة ان يكون
الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز ان يكون
الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان
لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فاما اذا
علم بالخبرة انه جندي او مغني او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى

المثار الثاني ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال
من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم
حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم البلد والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش
اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا من الشراء في الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وانما السؤال

ينقل

في الاصل حد احدهم

[illegible]

بالصين فليكن كخلط الطين بطين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط الغير محصور اذا كان الاكثر هو الحرام ... فان يستدل على هذا العموم بقوله صلى الله عليه
وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه علامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فان
ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرم فالجواب ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وانما تؤثر اذا سلمت عن معارض قوي فاذا تحققنا
الاختلاط وتحققنا ان الحرام المخالط موجود في الحال والحلال غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين تقرب ماله من الحصر
ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم يحمل قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك على هذا لم يحمل اذ لا يمكن ان يحمل على اختلاط قليل بحلال
غير محصور اذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى اي موضع حمل هذا كان [illegible] معناه وحمله على الشك [illegible] بغير قياس
فلمن يحرم هذا بغير قياس على العلامات والاستصحابات وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة لا يجتهد
في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال يأخذ احدى الآنية بلا اجتهاد
[illegible] على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب ايضا [illegible] ههنا مجرد علامة اليد [illegible] في بول الظبية [illegible] اذ لا استصحاب فيه ولا
يطرد ايضا في [illegible] اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب في الميتة لان اليد لا تدل على انها غير ميتة وتدل في الطعام المباح على انه ملكه فههنا اربع
[illegible] استصحاب وقلة في المخلوط او كثرة وانحصار [illegible] في المخلوط به وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق الاجتهاد [illegible] عن مجموع [illegible]
فيثبت [illegible] بما ذكرناه من المخالط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثر او اقل وكل واحد اما يعلم يقينا او بظن عن علامة او توهم
والسؤال يجب في موضعين [illegible] وان كان الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف
ويكاد [illegible] السؤال [illegible] الاقسام الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب **مسئلة** [illegible] انسان علم

طعام م

انه [illegible] او وجه آخر [illegible] ولا يلزمه التفتيش [illegible] الورع ولو علم انه قد
[illegible] **مسئلة** [illegible] المتولي [illegible]
[illegible] او الوصايا [illegible] الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة [illegible] ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف [illegible] فان
كانت [illegible] الظن بالمتولي انه لا يصرف اليه الا من المال الذي يستحقه وان
كانت [illegible] السؤال [illegible] الاستصحاب [illegible] لزمه السؤال [illegible]
انه صلى الله عليه وسلم [illegible] الصدقة والهدية [illegible] لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه الا السؤال فان السؤال
حيث [illegible] المجهول [illegible] واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له
[illegible] اذا كان اكثر البلد مسلمين فيجوز ان يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم
وان [illegible] فلا ينبغي ان يلتبس المواضع التي [illegible] اليد [illegible] **مسئلة** [illegible] البلد دارا وان علم

مسئلة م

[illegible] السؤال [illegible] اكثرها مغصوب [illegible]
[illegible] المذاهب [illegible] احد من حملة تلك المذاهب [illegible]
[illegible] الرباطات والمدارس في البلد لا [illegible]
[illegible] **مسئلة** [illegible] من الورع [illegible] ان يسأل صاحب الطعام والمال الظالم [illegible] ولا [illegible] وانما
[illegible] السؤال [illegible] لا [illegible] ان مثل هذا لا [illegible] من السؤال
ثم ان كان [illegible] او [illegible] ان يسأل
[illegible] سأل ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه من سقاه من ابل الصدقة [illegible]
وكان [illegible] وقد [illegible] السؤال و [illegible] قال علي رضي الله عنه [illegible] احب الي
[illegible] **مسئلة** قال الحرث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق او اخ [illegible]
[illegible] البغضاء [illegible] لان السؤال
[illegible]
[illegible] السؤال [illegible]

مع

مع ما اشتهر به من الزهد لعلها مسامحة فيما اذا خالطه المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة
تدل عليه ولا يوجب اليقين فلا يخرج عن الدقائق في السؤال **مسئلة** ربما يقول قايل اي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام وممن
يستحل المال وربما يكذب فان وثق بامانته فليثق بديانته في الحلال وقوله مهما علمت مخالطة الحرام لمال انسان وكان له غرض في حضورك
ضيافته او قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي ان تسأل من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا
تحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة في السؤال منه وانما تسأل من غيره وانما تسأل من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما تسأل المتولي عن المال الذي يسلمه
اليه من اي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذي ولا تتهم القايل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري
طريق الكسب الحلال فلا تتهم في قوله اذا اخبر عن طريق صحيح ولذلك تسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فاذا كان صاحب
المال متهما فليسأل من غيره فان اخبره عدل واحد قبله وان اخبر فاسق يعلم من قرينة حاله انه يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بين
الله والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة
ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف
انه قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبر به صبي مميز عرفته بالتثبت فقد يحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه واما اذا اخبر به
مجهول لا تدري من حاله شيئا اصلا فهذا مما جوزنا الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال الاسلام دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر
ولا يخلو قوله عن اثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة نفيد ذلك ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر الى حد تأثيره في القلب فان المفتي
هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روي عن عقبة بن
الحرث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني تزوجت امرأة فجاءت امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال انها
سوداء تصغر من شأنها فقال عليه السلام وكيف وقد زعمت انها ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب
المجهول ولم يظهر امارة غرض له فيه وكان له وقع في القلب لا محالة فلذلك يتأكد الامر بالاحتراز فان اطمأن اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا **مسئلة**
حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذلك قول فاسقين ويجوز ان يترجح في قلبه قول احد العدلين او احد الفاسقين ويجوز ان يرجح احد
الجانبين بالكثرة او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع
متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص معروفا بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان
كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما
كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضها علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع من شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه
نظر فان العلامة متعارضة وهذه ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه
تركه والا حل له شراؤه واكثر هذه الوقائع ملتبس لا نعرفها فهي من المشتبهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن
اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قائل قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من شاة
فسأل عن الشاة من اين هي فذكر فسكت عن السؤال فهل السؤال عن اصل المال الى الاولين واجب فهل عن اصل واحد او عن اثنين او ثلثة وما الضبط فيه فاقول
لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية وذلك يختلف باختلاف
الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فاذا قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال من شاة ووقع الشك
في الشاة واذا قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب ويتوالد في ايديهم المغصوب فلا ينقطع بقوله من شاة ولا بقوله
ان الشاة ولدتها شاتي فان اسندها الى الوراثة من ابيه وحاله مجهول انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع ماله حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم
ان الاكثر حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث لا يغير حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسئلة** سئل عن جماعة من سكان
خانقاه للصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم اليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء
فاكل طعامه حرام او حلال او شبهة فقلت هذا يلتفت على سبعة اصول الاصل الاول ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة
والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس في هذا الا شبهة الخلاف الاصل الثاني ان نظر الى الخادم يشتريه بعين المال
الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالاغلب انه يشتري في الذمة فيكون ذلك ملحقا بالاغلب فلا يخلو من [illegible]

يحرم بل شبهة احتمال بعيد ... الأصل الثالث أنه من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله الحرام لم يجز وإن كان أقل ماله الحرام
ففيه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن كان الحلال أم ممن لا يدري المشتري حاله فيكون كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول
لكن ذلك هو الأغلب فلا يشك من هذا تحريم بل شبهة احتمال الأصل الرابع أنه يشتريه لنفسه أو للقوم فإن المتولي والخادم كالنائب ولا أن يشتري
لنفسه ويكون ذلك بالشبهة أو بصريح اللفظ وإذا كان يجري المعاطاة ولا يجري اللفظ والأغلب أنه لا يشتري عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن
يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحصرون فيصح حمله عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ينبغي أن يأكلوا من ملك الخادم
الأصل الخامس أن الخادم يقدم إليهم ولا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاملة وضه
ولكن ليس بيع ولا قرض لأنه لو نهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبه أصل ينزل عليه هو الهبة بشرط الثواب أعني
هدية لا لفظ فيها بشخص يقتضي قرينة حاله أنه يطمع في ذلك عوضا هو الثواب لا رد وههنا ما طمع الخادم في أن يأخذ ثوابا عما قدم إلا ما هو من الوقف
ليقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال وغيرهم فهذا ليس فيه شبهة إذ لا يشترط اللفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب
ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب الأصل السادس أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى
به الواهب حتى له أن لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض رد عليه وههنا الخادم قد رضي بما يأخذه من حق السكان على الوقف فإن كان
له من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصا ورضي به الخادم صح أيضا وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف لأجل الذي يأخذ بقوته هو لأنه
السكان فكأنه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لا يدخل في أيدي السكان فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه
متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدي بسبب الهدية إلى حرام الأصل السابع
أنه يقضي من القصاب والخباز والبقال من ارتفاع الوقف فإن وفى بالخبز حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر وإن قصر عنه ورضي القصاب والخباز بأي
ثمن كان حراما أو حلالا فهو خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضا فلينظر على ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام وهذا إذا علم أنه قضاه من حرام فإن
لم يحتمل الأمر واحتمل غيره فالشبهة أبعد فلا يخرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد
احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقرب في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من
الفتاوى وإنما أوردناها لتعرف كيفية تخريج الوقائع الملتبسة على كثرتها إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين ه

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبسا مختلطا
فلا يخلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدواب فإن كان في المتماثلات
أو كان شائعا في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها أو من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه أو فعل ذلك في الحبوب أو
الدراهم والدنانير فلا يخلو إما أن يكون معلوم القدر أو مجهول القدر فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف
وإن أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ خذ
باليقين لأن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها أما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن
ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبقي إلا القدر
الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضه فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس
يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه فإن غلب على ظنه التحريم
أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الإمساك والورع إخراجه وهذا الورع آكد لأنه صار مشكوكا فيه وكان الإمساك اعتمادا
على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم فلا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد
الجانبين بأولى من الآخر وليس من [illegible] ترجح [illegible] المشكلات [illegible] الحرام [illegible]
ما بقي في يده فكيف [illegible] إذا اختلطت [illegible] واحدة [illegible] الباقي ويستحلها
[illegible] المال [illegible] إخراج

البدل

البدل لتطرق المعاوضة إليه فأما الميتة فلا يتطرق المعاوضة إليها فلنكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض في درهم معين لشخص
بدرهم آخر فيه درهمان أحدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل أحمد بن حنبل عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما
أخذ الدين حمل المرتهن آنيتين وقال لا أدري أيتهما آنيتك فترك كلاهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أختبرك فمضى ولم يأخذه
الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب فلنفرض في درهم لمالك معين حاضر فنقول إذا أخذ الدرهم عليه ورضي به مع العلم بحقيقة
الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غيره فقد حصل لكل واحد
درهم في يد صاحبه فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات
له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فما أخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فإن المضمون له يملك الضمان
بمجرد القبض من غير لفظ ولا إشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه فنقول لأنه أيضا إن كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له أيضا
درهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول إليه فهو كالفائت فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما
يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في عين مسألتنا لو ألقى كل واحد ما في يده في البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه
عهدة الآخر بطريق التقاص فكذلك إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من أخذ درهما حراما ويطرحه في ألف درهم لرجل
آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي إليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة ة
بيع ومن لا يجعله بيعا فحيث يتطرق إليه احتمال إذ الفعل ضعيف الدلالة بخلاف اللفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير
ممكن لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون فيما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذلك الدبس والرطب
وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات
في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعد صاحب المال فإن لم يساعده وأصر وقال لا آخذ درهما أصلا إلا عين
ملكي فإن استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق
والشرع لا يرد به فإن عجز عن القاضي ولم يجده فيحكم رجلا متدينا للقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك
له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وألزم فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأي حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف
في الباقي قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ كذا ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل فإن فعل لم يجز ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم
يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للآخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطي فإن أعطى عصى هو دون الآخذ وأحد
لم يجوز أخذ الكل لأن المالك لو ظهر فله أن يطلب حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى الغير عين حقي فهذا المال ترجح بهذا الاحتمال على غيره
وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز لهذا أن يقول
ذلك لجاز لصاحب الدرهم أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول علي قضاء حقك من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس هلاك أحدهما
بأن يقدر رفيا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأول فيقدر أنه فات أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا حق غيره وكلاهما بعيدان جدا
وهذا أوضح في ذوات الأمثال فإنها يقع عوضا في الإتلافات من غير عقد وأما إذا اشتبهت دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلا المصالحة
والتراضي فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد أن يحوق عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور
ويوزع الثمن عليها بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأدنى وتوقف في
قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة
وما عداها من الاحتمالات ضعيفة فلا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الاختلاط بالمثلي وفي النقود دونه وفي العروض أغمض إذ لا يقع البعض
بدلا عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع ولنرسم مسائل بها يتم بيان هذا الأصل **مسألة** إذا ورث مع جماعة وكان السلطان
قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حقه سائر الورثة فإن النصف الذي
له لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده وحصر الغصب في نصيب الآخرين **مسألة**
إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي أن يحسب أجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك
كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه ونقد أجرة العبد والثياب

ولو وافق من بيده ذلك على الاجتهاد لجاز ايضا مما يعسر ولا يدرك الا بالاجتهاد والتخمين وهكذا اكل الفقهاء ما يقع الاجتهاد وطريق الورع الاخذ
بالاقصى وملونه على الملك المغصوب في عقود عقدت على الذمة وقضى الثمن منه فهو حلال له ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان
كان اشتراه بعين المال فالعقود كانت كما سبق وقد قيل ينفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى والقياس ان تلك العقود تفسخ
ويسترد الثمن ويرد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق
به ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده **مسألة** من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين
اكتسبه امن حلال او من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري فان لم يعلم ذلك
وعلم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذه ولم يبق في يده شي منه لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع
عنها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه والاثم على المورث واستدل بما
روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الان طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد
كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يوخذ هذا نعم اذا لم يتيقن
يجوز ان يقال غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا **النظر الثاني في المصرف** فاذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان
يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غايبا فينتظر حضوره او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوايده الى وقت حضوره
واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدرى انه هل مات عن وارث ام لا وهذا لا يمكن الرد فيه للمالك كغلول الغنيمة فانها بعد
تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من مال الفي والاموال
المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر
بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطير فينبغي ان يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا
متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما لما
متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح
فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب
جماعة الى ان ذلك غير جايز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب
ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصديق الا ترى ما يقول صاحبكم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قمرهم فيه فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المومنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فما روي ان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن
وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسيل الحسن عن توبة الغال وما يوخذ منه بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه
فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسه الى معوية
وتصدق بما بقي فبلغ معوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان
هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القايه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه
على انفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فايدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعايه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك
بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القايل لا نتصدق
الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وترددنا بين التضييع وبين التصدق وقول القايل لا نرضى لغيرنا ما
لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل
فقد رضينا له الحلال ونقول له ان يتصدق به على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي بكونهم من عياله واهله بل هم اولى
من تصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا له اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل ايضا

مسايل

مسايل **مسألة** اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان
يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم
يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان في ذلك اعانة للظالم وتكثيرا لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة
السلطان انه لا يرده الى المالك فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرد على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين
ويكون حقا للمسلمين فرده على السلطان تضييع وان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير
للمالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فهو شبيه باللقطة التي ايس عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق
عن المالك وله ان يتملكها ان كان غنيا من حيث انه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فهو ممنوع منه
من التملك ولا يوثر في المنع من التصدق **مسألة** الذي حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر
حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم ياخذ كفايته لنفسه ولعياله وان قدر على شرا ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا سنة
انما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وحسن الظن بلطف الله في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري
ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فني عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما
انفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عليه ثم ياكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا
عليه فيه نظر ولا شك في الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب
عليه ايضا اذا اخذه لفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه **مسألة** اذا كان
في يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فان كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اكد في نفسه منه في عبده وعياله
واولاده الصغار والكبار من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذره من
غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذرون اذ لم يعلموا اذ لم يتولوا الامر بانفسهم فليبدأ في الحلال بنفسه ثم بمن يعول
واذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المون كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل
وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو اولى ان يكون طيبا واذا دار
بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه يمتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به واما الكسوة ففائدتها
ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى
عليه لما روي انه لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت
لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيا الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فان قيل
فاذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما روي ان
رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل
ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو او دابته واذا انفتح سبيل الفرق قيس عليه التفصيل الذي ذكرناه
مسألة الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله
فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الامر على ثلث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه
الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام
وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة
اثر في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا بانه حلال للفقير
احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسألة** اذا كان الحرام او الشبهة في يد
ابويه فليمتنع عن مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وان كان شبهة وكان
امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر على الامتناع فليوافق وليقلل الاكل بان
يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا موكد وكذا اذا البسته امه ثوبا من شبهة

وكانت تحضر بورده فليقبل وللملبس من يلبسها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلوة المضطر ويتعارض اسباب الورع فينبغي
ان يتفقد هذه الدقائق وقد حكي عن بشر انه سألته امه رطبة وقالت حقي عليك ان تاكلها وكان يكره ذلك فاكلها ثم صعد غرفة فصعدت امه وراءه فراته يتقيا
وانما فعل ذلك لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل
محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فماذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهم مسئلة
من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا يجب عليه الزكوة اذ معنى الزكوة اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا
على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط
الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث غلب تحريمه فالزكوة اولى
بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قيل يقوم عليه الجمع وقيل يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم
وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه
فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة
الكفارة مسئلة من في يده مال حرام امسك قدر الحاجة فاراد ان يتطوع بالحج ان كان ماشيا فلا باس لانه سياكل هذا المال في غير
عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة للركوب فلا يجوز له ان ياخذ مثل هذا للحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب
في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به ويستغني عن تلك الحاجة فالاقامة في انتظاره اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام
مسئلة من خرج للحج بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد
يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا
بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه
بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته مسئلة سئل احمد فقال القائل مات ابوه وكان يعامل من يكره
معاملته فقال يدع منه مقدار الربح فقال له عليه دين فقال يقضي ويقتضي فقال افترى ذلك فقال تدعه محتسبا فما ذكره صحيح
وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج مقدار الربح وانه راى ان اعيان اموال المكسب لا يتعلق بها لقضاء الدين وصارت الاعيان مختلطة
بطريق التقاص والتقابل بما اكثر التنعم فيه من الرد وقول في قضاء دينه على انه يعني بلا ترك بسبب الشبهة

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما

يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من السلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل المال الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي
المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق

الفصل الاول في جهات الدخل للسلطان

وكل ما يحل
للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من الكفار وهي الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال
والجزية واموال المصالحة وهي التي توخذ بالشرط والمعاقدة والقسم الثاني الماخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة
التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس يوجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات
وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له على الجزية او على المواريث او
على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها
للمصالح وخمسها لجهات معينة فما كتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان
لا يكون الجزية مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد
وبشرط ان يكون الذمي الذي يؤخذ منه الجزية مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما
فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف اليه ومقدار ما يصرف ويجب النظر في جميع ذلك الثاني المواريث والاموال الضائعة
فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله حراما او الاكثر او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما فالنظر في صفة من يصرف اليه بان يكون الصرف
اليه مصلحة ثم في القدر المصروف اليه الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في المواريث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى يكون الماخوذ موافقا
له في جميع شرائطه الرابع ما احياه السلطان فهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في ان الغالب

انه

انما جاءه بالكراء الاجرة او باداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القنى والانهار وبناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان
بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يتملكه السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضي اجرهم من الحرام فهذا يورث شبهة
وقد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يصرف
فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال القسمة
والمصادرة وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رضي الله عنه
على مصالح المسلمين السابع ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كان معاملته مع غير
السلاطين فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام الثامن ما يكتب على
الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال
حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال
السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا اتيقن انه حرام فلي ان اخذه وقال
آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال ولا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم
وان كان حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق وقد احتج من جوز اخذ مال السلاطين اذا كان فيه حرام وحلال اذا لم يتحقق ان
عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة فانهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن
ثابت وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج
واخذ كثير من التابعين كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء
اموالا جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك العطاء منهم تورعا
مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا
قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة انه اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق لا يزال
العطاء باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ويقول
لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا
هدية المختار والاسناد في ردها اثبت وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض من
اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معوية قال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا قبلك من العرب ولا اجيز بها احدا بعدك من العرب قال
فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت قال لقد رايت جوائز المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن
الزبير بن عدي انه قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربوا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك
وعليه الوزر واذا ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معوية وقال حكيم بن جبير مررنا
على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء بن زهير
الازدي اتى ابراهيم ابي وهو عامل حلوان فاجازه فقبل وقال ابراهيم لا باس بجائزة العمال ان للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب
فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة ان ما نقل
من امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيره من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال
الذي يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب
انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلوة لاني
لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من
جوز اخذ مال السلطان الظالم والجواب ان ما نقل من اخذ هؤلاء قليل محصور بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق
الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلث احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان الورع في حق السلاطين
اربع درجات الدرجة الاولى ان لا ياخذ من مالهم شيئا اصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان

كان ع

مما ع

ابا بكر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له فاخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية
الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم
وكسح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال له من اعطاكه قال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في
اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان
لا يستحق هو ذلك القدر وكان يستبري لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه
ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشديدات في اموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وسلم حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله
يا ابا الوليد لا تجي يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثواج فقال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا
من رحم الله قال فوالذي بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اخاف عليكم يعني اخاف عليكم ان تنافسوا انما اخاف
التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كالوالي مال اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسان ابيه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع
طاوس ضيعة له فبعث بها الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع الدرجة الثانية ان ياخذ
مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار
او الاكثر منها او ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم
انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها فقالوا له انا
لنرجو لك خيرا حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ما ذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب
وزكت النفقة وسترد فترى وفي حديث آخر انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال
له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا
قوله فيما صرف الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انه كان له
سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل افعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني
غير طيب فهذا هو المالوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شيء الا خرج منه فطلب منه نافع بثلثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب
اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فهذا يستحيل انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه ياخذ ما لا يدري
انه حلال او حرام الدرجة الثالثة ان ياخذ ليتصدق به على الفقراء او يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان
ان لم يوخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسياتي وجهه وعلى هذا
ينزل ما اخذه الشيخ ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى
استقرض في مجلسه بعد تفرقته فيه ستين الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل وتصدق به وقال رايت ان آخذ منهم واتصدق احب
الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي رضي الله عنه بما قبل من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة الدرجة الرابعة
ان لا يحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقي ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين
ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال فان ما ياخذونه من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر
ونحن توقفنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يودي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا
على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراه وانه يفارقه من وجهين
قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا كلها حرام او اكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في
ايدي السلاطين ولم يبق الا الجزية وانها توخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها فانهم يجاوزون حدود الشرع في الماخوذ والماخوذ منه والوفاء له بالشرط
ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشى وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره الوجه الثاني
ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين
على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سوال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم ويفرقون

ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون
المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن
طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم في اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية
والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسوال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة
له على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا
وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذا لا يجوز ان يوخذ منهم في هذا
الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام بلا شك من استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين
فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد
الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذا قد تبين مما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ
الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى
مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا

النظر الثاني

في قدر الماخوذ وصفة
الآخذ ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فيء او خمس
غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه
الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح
وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع
هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب
لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير
والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والموذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين
يرتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العرامة واهل البغي واعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب
والحساب والو ... وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق
بالدين او بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان لا يستغني احدهما عن الآخر والطبيب وان كان لا
يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او
مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى
فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني
وله ان يقتصر على الكفاية على ما تقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن من معوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي الجماعة اثني
عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت لعائشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع
عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص كل واحد منهم بمال كثير فلا باس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك
في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة
الخلع والصلات وضروب التخصيصات فكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم
عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعمم بماله جميع
المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان ياخذوا افيجوز له الاخذ بقدر حصته ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطاه اما الاول فالذي نراه
انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب
تركه ووجبت طاعته كما تجب طاعة الامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر والذي نراه ان الخلافة
منعقدة للمتكفل بها من بني العباس وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري المستنبط من كتاب ... الى
وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت

للمصالح وانما فكيف تفوت كل اموال المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو
مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام
الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلا نطول الآن به واما الاشكال الآخر وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ
منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون فيه شركاء ولا يدري هل حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال
قوم له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق
في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين
الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق
غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع
حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جائز
في العطاء سوى ابو بكر فراجعه عمر رضي الله عنهما فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عائشة اثني عشر الفا وزينب عشرة
آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية واقطع عمر لعلي خاصة واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك
جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لا نص فيها عينها ولا على مسألة تقرب منها فيكون في معناها
بقياس جلي كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وآية ان كل واحد من ابي بكر وعمر مصيب باتفاق الصحابة
ان المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة
واعتقدوا كل واحد من الرأيين حقا فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس
جلي لغفلة او سوء رأي وكان في القوة بحيث ينقض حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل
من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين والدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية
لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه والله اعلم

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم

غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية
وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهو الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع
وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى
في ظاهر العلم اما الاخبار فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في
دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال عليه السلام سيكون بعدي امراء
يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ابغض
القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسل
على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الآثار فقال حذيفة
اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا
تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون
للملوك وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال
انه عند الامير وكنت اسمع انه كان يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت
نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القارئ الناسك للامراء
نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان
ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل انه كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل
انما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شؤما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد
من

من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون
الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهري
السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك
اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه عليه السلام وليس كذلك اخذ الله الميثاق على
العلماء قال الله عز وجل لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم و
سهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون
بك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما
افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله عز وجل فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الآية وانك
تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في
السماء والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه
المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا
ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول عليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا يغرنك
قول القائل ان ذلك مما يتسامح الناس به كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب فاما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص
الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد به اذ لو علم المالك
به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فالحكم بالتحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد
انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب
القصاص على الجميع مع ان كل واحدة من الضربات لو انفردت لم توجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت
خيمة او مظلة من ماله الحرام فالدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول
ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب الولاية التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من
تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد
والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر رضي الله عنهما
لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما
السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس
على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل واما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش
الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب
وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب وآكلين للطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب
عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن
عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا
اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز
عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك رأسه او باستبشار
في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه
هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته او ما يجري هذا المجرى فاما الدعاء
بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال
صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق

له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب
والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية
هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق
الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته
فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه
لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص شر وخير وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسياتي في كتاب الاخوة و
المتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعم ويزدري نعم الله
عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء
غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب الى
البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي عليه السلام نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب
واخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح ولا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم
امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى
لا تضطرب الولاية الثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان
لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول **الحالة الثانية** ان يدخل عليك السلطان الظالم
الزائر فجواب السلام لا بد منه اما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام الدين والعلم مستحق للحمد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام
بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن
اعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية
وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف
ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب فاما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه
من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية
ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه
عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم لكل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر روي عن محمد بن صالح قال
كنت عند حماد بن سلمة فاذا ليس في البيت الا حصير هو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا انا عنده اذ دق داق
الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا فقال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد
بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها قال ارددها على
من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا مما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من
لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فياثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب
اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف
على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم
واحد فاما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال
ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من احاط علمه
بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية
ينبغي ان تكره فانها اما ان تغفل عنها او ترضى بها او تكرهها ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل احد على حق الله
كجنايته على حقك فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فلا تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند
محبوبه ومخالف له فانما لا يكره معصية الله تعالى من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما

كرهه

كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا فان قلت فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم
الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين
قد تفانوا قال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم
يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن
ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم
تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني
اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امراته بشهوة او ولده برحمة واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت
ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك
جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم
قيام فقال هشام عظني فقال سمعت من امير المؤمنين علي ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته
ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملات الارض ظلما
وجورا قال فطاطا راسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم
يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه كم
انفقت فقال بضعة عشر درهما وارى ههنا اموالا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا وكانوا يغررون بارواحهم
في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومرارتها
ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل
عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطا عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في بعض الكتب
من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف
وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان
عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف
اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس فقال ما اكثرهم فقال ع[illegible] يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي
ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال
لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين
اما المؤمن المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله فقال
ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب
من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع
اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها
قال فاي المؤمنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني
قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى
منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت فقال ابو حازم ان الله تبارك
وتعالى اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه
فقال سليمان ومن يقدر عليه قال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره
لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني فقال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك

قدم

حيث نهاك

أو يفعل حتى أمرك وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن تكون فيك تلك الساعة
فخذ به الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل أعرابي على سليمن بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي
فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال الأعرابي إنا سنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن
غشه فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز و
ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يبالوا في الأمانة تضييعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت
مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمن أما إنك
يا أعرابي قد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك وحكي أن أبا بكرة دخل على معوية فقال اتق الله
يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي لا تزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب
لك علم لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك أن يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن صائرون إليه باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر فهكذا
كان دخول أهل العلم على السلاطين أعني علماء الآخرة وأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون
بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه
والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم
بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره
ممن هو من أقرانه في العلماء ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه أن يعالج مريضا
ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه فإن كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور والثاني أن يزعم أني أقصد
الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا أيضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره فإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في
مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل **مسئلة** إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له
مالك معين لم يحل أخذه وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي بأخذه
ولكن من العلماء من امتنع منه فعند هذا تصدى نظر في الأولى فنقول الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلث غوائل الغائلة الأولى أن يظن السلطان
بسبب أخذك أنه طيب ولولاه لكنت لا تمد إليه اليد ولا تدخله في ضمانك فإن كان كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك
التفرقة بما يحصل له من الجرأة على كسب الحرام الغائلة الثانية أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على
جوازه ثم لا يفرقون فهذا أعظم من الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة فالمقتدى
والمتشبه به ينبغي أن يحترز من هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتي به إلى ملك بمشهد من
الناس ليكرهه على لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل وقال إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بلحم الخنزير فإذا خرجت
سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخي الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة فقال لغلامه
هلم ذلك الطيلسان فألقه على أبي عبد الرحمن أي طاوس وكان قد جلس على كرسي فألقاه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن
يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا أن يقول من بعدي أخذه طاوس ثم لا يصنع ما أصنع
به إذا لفعلت الغائلة الثالثة أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السم القاتل
والداء الدفين أعني ما يحبب الظلمة إليك فإن من أحببته لا بد وأن تحرص عليه وتداهن فيه قالت عائشة جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وقال عليه
السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروي أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف
فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق فقال سل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال أنشدك الله أقلبك أشد له الآن
أم قبل أن أرسل إليك فقال لا بل الآن فقال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته
وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود من رضي بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا بأس بالأخذ وقد حكي عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ الأموال ويفرقها فقيل له
ألا تخاف أن تحبهم فقال لو أخذ رجل بيدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله شكرا له

على

يا م
جل
حبا م

على تسخيره إياه وعلى هذا يتبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل
مسئلة إن قال قائل إذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو يخفي وديعته وينكر ويفرق على الناس فنقول
ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه وليس هذا كما إذا بعثه إليك فإن العاقل لا يظن به أن يتصدق بما يعلم
مالكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون
ملكه وصل إليه بشراء في ذمته فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة فظهر أن صاحبها جندي واحتمل أن يكون له شراء في
الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن أودع عنده ولا يجوز إنكار ودائعهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى
السارق أنه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى **مسئلة** المعاملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ
عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلمه إليهم فإن علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه
فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من
الأموال وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة قريبة وهي محظورة فأما بيع
الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه وما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون
على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهية جارية في الإسداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجرة حتى في تعليمهم و
تعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله
ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق من غير جعل وأجرة فهو مكروه من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به المعصية
كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل
بحكم الحال ودلالته عليه حصلت الكراهة **مسئلة** الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز
سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا آخر
فالأولى الشراء منه فإن ذلك إعانة لسكانهم وتكثير لكراء حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم
عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يتحرزوا معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي عليها خراج لأنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج
فيحصل به الإعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فإن الخراج قد عم الأراضي ولا غنى للناس عن ارتفاع الأرض فلا معنى للمنع منه
ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعايش **مسئلة**
معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون
الخلق بزيهم فإنهم على زي العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهم سبب
انقياد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى يضعف
الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأني أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت
الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم تمالئ قراؤها أمراءها وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان
علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفين لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال
صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فإن النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر
عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذا رواه جابر
وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة
في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب فيه فكل من حولهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمن بن
زائدة أنه سأله واحد من الأجناد وقال أين الطريق فسكت وأظهر أنه أصم وخاف أن يكون متوجها إلى الظلم فيكون هو بإرشاده إلى
الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب
الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الذمة وإنما هذا في الظلمة خاصة الآكلين أموال اليتامى والمساكين

شكناهم
ن
الليقه

المواظبين على ايذاء المسلمين الذين يعاونون على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة والى متعدية والفسق لازم لا يتعدى
وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فانما تغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم
وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال للشرطي دع سوطك
وادخل النار وقال من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء
وطول الشوارب وساير الهيآت المشهورة فمن رأى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك اساءة ظن لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم
ومساواة الزي تدل على مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه باهل الصلاح فاما
الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين
كانوا يكثرون جمع المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
فقال ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وهذا يبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب وروى ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معاشهم **مسئلة** المواضع التي بناها
الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر اما القناطر فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن
فان وجد عنها معدلا تأكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان يرصد للخيرات وهذا
خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال
الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني من ارض مغصوبة او خشب مغصوب من مسجد آخر او ملك معين
فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة تسقط الفرض
وتنعقد في حق الاقتداء وان عصى صاحبها بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد
غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لا يكون له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد
الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع قيل لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة ونحن بالعسكر
فقال حجتي الحسن وابرهيم التيمي خافا ان يفتنهما الحجاج وانا اخاف ان افتن ايضا واما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع
بها وانما هي زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة
عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانه محل الشبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرناه فليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول
فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلوة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة او الآجر منقولا
من موضع معين يمكن الرد اليه فلا رخصة في الدخول فيها وان التبس المالك فقد ارصدت لجهة من الخير فالورع اجتنابها ولكن لا يلزم الفسق بدخولها
وهذه الابنية ان صدرت من خدم السلطان فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ
مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئلة** الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى عليها البتة
وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا
يحتاج فيه الى السقف كما يقعد في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او اذى المطر او غيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا لذلك
وهكذا الحكم من دخل مسجدا او ارضا مباحة سقفه او حوطه غصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فائدة في الحيطان
والسقف لحر او برد او تستر عن بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع والارض
يراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما والله اعلم

الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل

عنها في الفتاوى **مسئلة** سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فما
من الذي يحل له ان يأكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوا برضا
الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى
بسبب عياله لانه متكفل بهم وما يأخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولا يتسلط الخادم
على

على الشاربة والتصرف فيه لان ذلك مصير الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال
الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سواله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم لم
يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة لا توجب تسليط آحاد على التصرف
فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى يوم القيمة فانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نائبا عن الجهة
فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية بوفاء بشرط التصوف والمروة فان منعه عنهم منعوه ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع
رفقه كما ينقطع عمن مات عياله **مسئلة** سئل عن مال اوصى به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه
فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه
الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو في غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان
لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاهات ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض
فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى
للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغاير والحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير
الذي يخدم باجرة كل هولاء لا يستحقون ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منها مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها
لا في حانوت ولا في جنة الكتاب وحرفه مذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرف من غير
مباشرة فلا يمنع وامر الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الصفات من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال
صوفي مقرئ وصوفي واعظ وصوفي عالم او مدرس ويتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط
ينسب به الرجل الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه وكذلك اذا كان له مال قاصر عن
وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم ومساكنتهم فلها اثر ولكن لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد
على زيهم وهو متخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبره ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجد بقية الصفات فلا يستحق الا
اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان
كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم واما لبس المرقع من يد شيخ
من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود الشرائط المذكورة واما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج
من جملتهم **مسئلة** ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف
الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي ان يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد به في
الغنائم المشتركة وللقوال ان يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى
قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من احضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم
فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم
على الدوام ويأكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها
لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو
الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم
يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية كان الزي عوضه المساكنة برضا
اهل الزي وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا تخفى اطرافها في النفي والاثبات ويتشابه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه
فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في باب الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما
يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب
واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل
بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة الاول ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه

محتاجا او عالما او نسيبا بحسب دينه او صالحا في نفسه متدينا فما علم آخذه انه يعطى لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه
فلا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له ان يأخذه الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم
حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان يأخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما
اعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتقون عن وكلوا
في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر
فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن

القسم الثاني

ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته
فهذه هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل
معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك
العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر
عليه او شهادة متعينة فيحرم ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستئجار
عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض وهي جارية مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى
تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا وافتقر في تنجز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل
بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه مفيدة كقوله
للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصته بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما
يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض
مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض عن كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع
البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره
وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف او المرآة بدقة واحدة
لحسن معرفته بموقع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان
مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى
اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب اليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم
تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الاغلب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه
غرض معين يبعثه في الحال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا للمحبة ولا للانس به من حيث انه انس فقط
بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب
فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة
او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدي اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية
اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبغي المحبة انه لو ولي
في الحال غيره لسلم المال الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين
الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابه القياسية وعضدت الاخبار والآثار احدهما تعين الميل اليه وقد
دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال عليه السلام ياتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به
العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدى له الهدية ولعل المراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها
لا على قصد اجرة فلا يجوز ان يأخذ بعد ذلك شيئا في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدى له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في
قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي
اخذ ولداه من بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما مني اذ علم انهما اعطيا لاجل جاه الولاية واهدت امرأة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون
ملكة الروم خلوقا فكافأتها بجوهر فاخذه عمر رضي الله عنه فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك

الخامس

غلول

غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة اي كان يتقرب اليه لنبوته
لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما
جاء الى رسول الله امسك بعض ما معه وقال هذا ما لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى ياتيك هديتك ان كنت
صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا
اتى الله يحمله فلا ياتين احدكم يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم قد بلغت واذا ثبتت
هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان يأخذه في ولايته
وما يعلم انه يعطى لولايته حرم اخذه وما اشكل عليه في اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه والله اعلم بالصواب

آخر كتاب الحلال والحرام والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيدنا محمد وآله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الصحبة والاخوة

والمعاشرة مع اصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين الحمد لله الذي
غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص تطولا وامتنانا والف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا
اصدقاء واخدانا وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا
اما بعد فان التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات
ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام
بحقوقها يتقرب الى الله تعالى زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة ابواب

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وشروطها ودرجاتها وفوائدها
الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها
الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الالفة والاخوة

اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق
يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى
في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قال وانك لعلى خلق عظيم وقال النبي عليه السلام اكثر ما يدخل
الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلت يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال حسن الخلق وقال
عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال عليه السلام
اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
عليك بحسن الخلق فقال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق
الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد الثناء على نفس الالفة سيما اذا كانت الرابطة هو الدين
والتقوى وحب الله من الآيات والاخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة
الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم التفرقة
وزجر عنها فقال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني
مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم في الثناء على الاخوة في الدين من اراد
الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما
الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال صلى الله عليه وسلم في الترغيب في الاخوة من آخى اخا في الله
رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخافون

خلق حسن كما

الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله رواه أبو هريرة وقال
فيه إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله
حلهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان في الله إلا كان
أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الله الآخر معه إلى مقامه وإنه
يلحق به كما يلحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة وقد قال تعالى ألحقنا بهم ذريتهم
وما ألتناهم من عملهم من شيء وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين
يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل
يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل
إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك
وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها
حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه وقال صلى الله عليه وسلم ما زار رجل رجلا في الله شوقا ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك
الجنة وقال صلى الله عليه وسلم إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد فقال أريد أن أزور أخي فلانا فقال لحاجة لك عنده
قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال أحبه في الله قال فإن الله تعالى أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه
وقد أوجب لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله فبهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون
له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلي
فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا أو واليت في وليا وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة ويروى
أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا
وقال عيسى عليه السلام تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس
قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في الأخبار السالفة أن الله تعالى أوحى
إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يؤازرك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى
إلى داود عليه السلام فقال يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانا قال إلهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل
خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لي أن يحبني الناس
كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة
بأخلاق الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الإخوان وقال صلى الله عليه وسلم إن لله ملكا نصفه من الثلج ونصفه من النار يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب
عبادك الصالحين وقال أيضا ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله
على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة
انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله ٥

الآثار

قال علي رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي علقا علقا في سبيل الله أموت يوم أموت
وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا وقال ابن السماك عند موته اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك
فإني كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن
تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال
أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي

بعيد

بعيد قربته في الله ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي صليت لك وصمت لك وتصدقت
لك فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فأي عمل عملت لي فقال موسى عليه السلام دلني على عمل هو لك
قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله وقال
ابن مسعود لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب وقال الحسن رضي الله عنه
مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل لمحمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه
وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك
فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فتزار أمن الزهاد أنت لا والله أمن
العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ على نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله
للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد
المتحابون إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما تتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل إلى
وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها عن الأخوة في الدنيا

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصحبة
بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي
نريد بيانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصحبة عبارة عن
المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته
والذي يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون
مقصورا على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام

القسم الأول

وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له فإن
كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين
الطباع ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الخلقة وإما أن يكون هو الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الأخلاق
ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل
مستحسن فيستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن
في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة فإن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع والأشباه الباطنة خفية ولها أسباب
دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ تلتقي فتشام في
الهواء وكنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها بعضا وأطافها حول العرش فأي روحين من فلقتين تعارفا
هناك والتقيا تواصلا في الدنيا وقال عليه السلام إن أرواح المؤمنين لتلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط وروي أن
امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت
فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأرواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا أن
المشاهدة والتجربة تشهد بالائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق ظاهرا أو باطنا أمر مفهوم وأما الأسباب
التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم أن يقول إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه
فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضي التناسب والتواد وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة وهذا لو صدق
بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للخوض
فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله
عليه وسلم لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن

ومنافر واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشئ ينجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا
وفي احدهما وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة
فتعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله
كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من الدهر ولم يتشاكلا في الحال فلا بد وان يفترقا وهذا معنى خفي تفطن له بعض الشعراء حتى قال

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال والاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب
لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مال بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال
اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى
عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس وتتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما
كحب الصور الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما
مباح لا يحمد ولا يذم

القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب
محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ
لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه
او مال او علم كما يحب رجل سلطانا للانتفاع بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة
على الدنيا لم يكن من جملة الحب في الله وان لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا خارج عن
الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم ليتقرب الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه
الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شئ من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله اصلا ثم ينقسم هذا الى
مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء او غيره كان
الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانها تابعة له غير
قائمة بنفسها

القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى
حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده
من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم و
يترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى عليه السلم من علم وعمل وعلم يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم
التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة له في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة
العظمة في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى
الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذلك لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد
احبه في الله بل نزيد على هذا فنقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده
من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه
ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان
جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله بل نزيد على هذا ونقول من نكح
امراة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له فاحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد
الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الاخبار بوفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها في في امراته بل نقول
كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الاخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته
لما هو محبوب عنده وهو رضا الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمعت في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان
جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين
ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاذا احبه لصلاحه للامرين فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الاخرة

وهو وسيلة اليهما فهو محب لله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء فيه جمع بين الدنيا
والاخرة فمن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقال عيسى عليه السلم في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا
تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل لا تجعل الدنيا اصلا من
همي بل قال لا تجعلها اكبر همي وقال نبينا عليه السلم في دعائه اللهم اني اسالك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة وقال
اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الاخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية
والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والاخرة عبارة عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب
الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تكون مطلوبة ايضا
الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الاخرة ويمنع منها وهو الذي احترز عنه الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها
والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منه كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الاخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه
اعني يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان
الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه
كراهة للضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل
والاخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله لنقص حبه بسببه فالقدر
الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط
لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي
اكثر مما يوصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده اذ كل
حب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم تكن تلك الزيادة
فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن
الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعاملوا في الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرهبة والرغبة

القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا
ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب
محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما
قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته
وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر

امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك
من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب
افراط المحبة وقوتها فكذلك حب الله تعالى اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود
سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه وسلم
اذا حمل اليه باكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده
وما يتوقع في الاخرة من نعمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها و
سياتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيف ما اتفق محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا من التعلق
حتى تتعدى الى ما هو في نفسه مولم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر
ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم
الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية
الله وقال سمنون

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني

وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود

أن حب الله إذا قوي أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة هي مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلاً إلى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله ولله من غير حظ فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضي عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره فلا يظهر به ثواب وأجر فإذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله تعالى ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب في الحال أو المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الأنبياء المنقرضين عليهم السلام وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكاً أو شخصاً جميلاً أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا ما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال: أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد وقول من قال: وما لجرح إذا أرضاكم ألم وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشره فمقادير الأموال موازين المحبة إذ لا يعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئاً مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلاً ولا مالاً فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه من الله السلام وقال له يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فأقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط قال فالتفت النبي عليه السلام إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر وقال أعلى ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض فحصل من هذا أن كل من أحب عالماً أو عابداً أو أحب شخصاً راغباً في علم أو عبادة أو خير فإنما أحبه في الله ولله وله من الأجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ولكن نزيده بياناً

بيان البغض في الله

اعلم أن من أحب في الله لا بد وأن يبغض في الله فإنك إن أحببت إنساناً لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلا بد وأن تبغضه لأنه عاص لله وممقوت عند الله ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فإذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال تعالى هل واليت لي ولياً وهل عاديت في عدواً كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعته إذ تقدر على أن تحبه أو لم يظهر إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فإنك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فإنك تبغضه من وجه وتحبه من وجه ~~وتبغضه من وجه وتكون معه على حا~~ فإن من له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والثالث بليد بار أو ذكي عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه. فإن قلت: فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والاستيحاش منه فلا تبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى. فإن قلت فبماذا

يمكن

يمكن إظهار البغض فأقول: أما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إعانته مرة وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه فأما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها فالأولى فيه الإغماض والستر وأما ما يصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر وسيأتي فيه خلاف بين العلماء وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضاً رتبتان إحداهما قطع المعونة والرفق والنصرة له وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية وأما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطاً فيها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فإذا قدرت على إعانته ليتم له مقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الإعانة فلو تركتها إظهاراً للغضب فيه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ذلك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم إذ تكلم مسطح بن أثاثة في واقعة الإفك فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه وكان يواسيه بالمال فنزلت الآية وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر في أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله إني لا أسأل أحداً شيئاً ولو حمل السلطان إلي شيئاً لأخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال إنك تورد أولاً شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر أبا ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدر لهم أورث هذا تساهلاً في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد يلتبس بالمداهنة فأكثر البواعث على الإغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من استيحاشها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له. فإن قلت فأقل الدرجات في إظهار البغض الهجر والإعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين منهم إلى من يغلظ القول ويظهر البغض وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فيكون في رتبة الفضائل ولا ينتهي إلى التحريم والإيجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدي إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلاً

بيان مراتب

الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم. فإن قلت: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجباً فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكاً واحداً أم لا فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه وتعالى لا يخلو إما أن يكون مخالفاً في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت إما لعجزه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلثة

الأول الكفر والكافر إن كان محارباً فهو يستحق القتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة وأما الذمي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام وإذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى الكف عن مخالطته

ومعاملته ومواكلته فاما الاحتياط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة تكاد تنتهي لما يقوى منها الى حد
التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن
والمشرك لا تتراءى ناراهما وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية **الثاني** المبتدع الذي يدعو الى
بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كانت مما لا يكفر بها فامره بينه وبين الله
اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله
اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب
في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وان علم ان
الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى
غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا
لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه والاعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا
وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد **الثالث**
المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان
قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر
فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله
وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها
او كان مما يقتصر عليه ولا يؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب
الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب او يزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او صغيرة وكل واحدة
فاما ان يكون مصرا عليها او غير مصر فهذه التقسيمات تتحصل منها ثلاثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اهون من بعض فلا نسلك بالكل مسلكا واحدا
القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض
عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من يظلم
في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض فالاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم او لغيرهم
كان الامر فيه آكد واشد **الثاني** صاحب الماخور والذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في
دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكنه
من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر
له او لغيره **الثالث** الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان
صودف يجب منعه بما يمتنع به ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق
ان النصح يمنعه من العود وجب نصحه وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر باللطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما
الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه يصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان
ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال ان الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي
العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه
وتعنيفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف
من تأثير استيحاشه ونفرته في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك تردد على اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الآخرة فكل
راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده
وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في
كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات

بين

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا
للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات

المشروطة فيمن تختار صحبته اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من
يخالل فلا بد ان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته ويشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط
ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال
بالمال والجاه او مجرد الانس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فتجتمع فيها اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من
العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن
تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها
انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب
التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال
اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا
لا تحصل الا بها ولنحن نفصلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا
اما العقل فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه

فلا تصحب اخا الجهل وإياك وإياه ... فكم من جاهل اردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه ... وللشيء على الشيء مقاييس واشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري قال الشاعر

اني لآمن من عدو عاقل ... واخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه ... ادري فارصد والجنون فنون

ولذلك قيل مقاطعة الاحمق
قربة الى الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم
واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده
لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته واما الفاسق المصر على فسقه فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا
يخاف الله لا تؤمن غوائله ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال فلا
يصدنك عنها من لا يؤمن بها وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن
الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد
قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم
زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا
امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله واما حسن الخلق فقد
جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك
وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها
اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا
امرك وان تنازعتما آثرك فكأنه جمع في هذا جميع حقوق الصحبة واشترط ان يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المأمون واين هذا
فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك
ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك في الرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك
وقال علي رضي الله عنه

ان اخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء الناس اربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة
فخذ من هذا قبل ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب
فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك

فيغرك والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها فقيل وما
أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق وقال
بعض العلماء لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيئا من أمر دينك فيقبل منك والثالث فاهرب
منه وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجل ترتفق به في دنياك أو رجل تزيد معه
وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين
والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيطة بجميع أغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة
المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للآخرة والأخوة كما قاله بشر الإخوان ثلاثة أخ لآخرتك
وأخ لدنياك وأخ لتأنس به وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المأمون الإخوان
ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط
ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي
ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنه ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنه ما له ثمر
وظل جميعا ومنه ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى
يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به وقال أبو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس
الصالح خير من الوحدة وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال تعالى واتبع سبيل من أناب إلي ولأن مشاهدة الفسق والفساق
تهون أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا إلى الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم فتحبط
أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها
فلنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء
بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا ولذلك تكره صحبة طلاب
الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال علي رضي الله عنه أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال أحمد بن حنبل أوقعني
في بلية الصحبة من لا أحتشمه وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب تحيا بالحكمة كما تحيي الأرض الميتة وابل القطر

الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوة رابطة
بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح
فكذا عقد الأخوة فلأخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك
التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمان خصال

الحق الأول في المال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان
إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل
والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم
بحاجته من فضل مالك فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى
السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح
بمشاطرته في المال قال الحسن كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه الثالثة وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم
حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا كما روي أنه سعي بجماعة من
الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وكان فيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له في ذلك

فقال

فقال أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب
مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن
مهران من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوي الدين روي أن عتبة الغلام
جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت
أن تدعي الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة فينبغي أن لا تعامله في الدنيا قال أبو حازم إذا كان لك أخ في الله
فلا تعامله في أمر دنياك وإنما أراد به من في هذه الرتبة وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله وأمرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال رحلي لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح
الموصلي إلى منزل أخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخرج حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال إن صدقت فأنت
حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجاء رجل إلى أبي هريرة وقال إني أريد أن أؤاخيك في الله فقال أتدري ما حق الإخاء قال عرفني قال
لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني فقال لم أبلغ هذه المنزلة بعد فقال اذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل
أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فلستم بإخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا
يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغني أن أحدهم يمنع أخاه
الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون
أملك بشيئك منك قال لا قال أعجبني صدقك وكان إبراهيم بن أدهم إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه وصحبه
رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم بن أدهم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراكه فجعلها في القصعة وردها
إلى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك فقال ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال اسمح يسمح لك
وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخي فلان أحوج مني إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع
إلى الأول بعد أن تداوله سبعة وروي أن مسروقا أدان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم
وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس
فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به وذلك مواساة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المواساة وقال أبو سليمان الداراني
لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له وقال أيضا إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي ولما كان
الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقة على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق
بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلي من أن أعتق رقبة واقتداء الكل
في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى
صاحبه فقال له يا رسول الله كنت أحق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله
أو أضاعه فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك
حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله الثوب وقام يستر حذيفة من الناس
فأبى حذيفة وقال بأبي وأمي أنت يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل وقال عليه السلام ما اصطحب اثنان
قط إلا وكان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن
واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على
الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار
بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى أو صديقكم وقال أو ما ملكتم مفاتحه إذ كان
الأخ يدفع مفتاح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد وكان أخوه يتحرج من الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله هذه الآية وأذن لهم في
الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء

الحق الثاني في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل

السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار
واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ
هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض اخوانه فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله
اذا سألت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى وقال جعفر بن محمد اني لاتسارع الى
قضاء حوائج اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين
سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروه من ابيهم في حيوته وكان الواحد
منهم يتردد الى باب اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا
لم تثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم ينتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله
عليه وسلم الا ان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها
على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن
احوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك
بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيارة والايثار والتقديم
على الاقارب والولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة وقال
الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله شوقا الى لقائه
الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلث فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا مشاغيل
فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وروى ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله فسأله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا احببت
احدا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل
يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل
الى مجلسي ثلثا من غير حاجة له الي فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا
جلس اوسعت له وقد قال تعالى رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص
لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث** على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه
في حضوره وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا راه في طريق
او في حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومورده ومصدره فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه
فلا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح
في احبابه واهله وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك قال انس كان عليه السلم لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتأذي يحصل اولا من المبلغ
ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به يحصل اولا من المبلغ للمدح ثم من القائل فاخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن
كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك
احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه
امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في
تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك
في حق الله فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر الثاني ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب
اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية
والمنتهى فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي
والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان
ولذلك قال صلى الله عليه استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله

بحال

بحال فيه ويمكن تقبيحها ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلم انت بالامس تثني عليه واليوم
تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال
عليه السلم ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث آخر ان الله
يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ما احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته
اغلب من معاصيه فهو عدل فاذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه
يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان تحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمل
على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى
تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشاؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان
فيحملك سوء الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردأ من غير علامة تخصصه بها وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال عليه السلم
ان الله عز وجل قد حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو
الى التجسس والتحسس وقد قال عليه السلم لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار
والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل
ان الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر على القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه وانه ستار للعيوب وغفار للذنوب
ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلم كيف تصنعون
اذا رأيتم اخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع
الكلمة في اخيه فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحبه لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما
يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه
فما ابعده اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما يسمح به في نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير
في ستر العورة والسعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود والحسود يملي باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه
ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا فاذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد
فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه
ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التورية
فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا كتاب مصدق للتورية فقال اليهودي
صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته في التورية انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة
على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل
ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالابدان
من حقيقة الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته نفسه من غير فرق وقال
صلى الله عليه وسلم من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والآخرة وفي خبر آخر فكانما احيا موؤدة من قبرها وقال عليه السلم اذا حدث
الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس
يستحل فيه مال من غير حله وقال يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر
قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء
ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقيل لآخر كيف تحفظ السر فقال
اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز ومستودعي سرا تبوأت كتمه فاودعته صدري فصار له قبرا
وقال آخر واراد الزيادة عليه وما السر في قلبي كميت بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشاء لم يعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس اليه من يسأله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما ستره الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحبك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل

وترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل افضل لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت عن الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمنافسة فانهما عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله حسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال عليه السلم انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر من المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسأل قال ابو سليمن الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت آتيه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل وبالشفقة قال ابو عثمن الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال

الحق الرابع

على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما تراد الاخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقد في احواله التي يحب ان يتفقده فيها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال عليه السلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة واذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من المتحابين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال عليه السلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في استجلاب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله

وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميت فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء ومثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة فقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا بما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذا لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ينبغي ان يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمع لو حضر وقال آخر ما ذكر اخ لي الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك ان تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال عليه السلم المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة قال الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملا فلا وقد صدق فان النصح في الملا افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت اذا كان في النصح ذكر العيوب وفيه ايحاش للقلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة

فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب
العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من نبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن نبهك على
حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة حيات وعقارب وهي في الآخرة
مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك
كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرءا اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما
تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة
فقال عمر رضي الله عنه اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك
بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين
وانتبه من رقدة الموتى واعلم ان من قرا القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله الكاذبين
ببغضهم للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه
من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الى
حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى هذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك
في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم
ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة و
الاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق
منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى البيت
وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك من قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية
فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على
ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست انا الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس
يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير

الحق الخامس

العفو عن الزلات والهفوات وهفوة
الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها
فعليك التلطف في نصحه بما يقوم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الورع والصلاح حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة
في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث
احببته وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء
اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك
ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها
وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سال عن اخ كان قد اخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض
من قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذلك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت
الخروج فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب الآية ثم عاتبه بعد ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان
اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت
لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم عقد اخوه بينه وبين الله ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين
يوما في كلها يساله عن هواه وكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين
يوما فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كان تلف هزلا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة
فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف له في المعاتبة وادعو

سيل

له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغيا عند اللحام
فرمقها وعشقها فواقعها ثم اقام عندها اياما واستحيا ان يرجع الى اخيه من جنايته فافتقده اخوه واهتم بشانه فنزل الى المدينة فلم يزل
يسال عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي
فقد علمت شانك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز عندي من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك لم يسقطه من عينه قام وانصرف معه
فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر وطريقته احسن واسلم فان قلت ولم قلت هذه الطف وافقه ومقارف
هذه المعصية لا يجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين
ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتلطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار
الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا
انعقدت تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة
والمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي المت به فالاخوة
عدة للنوائب وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي
من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت من العمل نظرت الى محمد بن واسع
واقباله على الطاعة فيرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب
لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق
القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين آكد
من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم انما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول
كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة
شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المواخاة
مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس
بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه بالاضافة الى تركها ابتداء ونسبته نسبة الطلاق الى
ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في ستر زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا
اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان
احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزبره وقال لا تكونوا
عونا للشيطان على اخيكم فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا
محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء
بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه
حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فقل
لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت
ولكن ذلك لا يمكن فقد قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا
شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل قال الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه ثلاث
ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال آخر ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها او لئيم فلا اجعل عرضي
له غرضا ثم تمثل فقال واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما وقد قيل
خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير ومهما اعتذر اليك اخوك كاذبا كان او صادقا
فاقبل عذره وقال عليه السلام من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل فعليه مثل اثم صاحب المكس وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن

نفسه م

سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتألم بل تنتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل كما ان التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم باسباب الغضب طبع للقلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

وقال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحوارى اذا آخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا تبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك

الحق السادس

الدعاء للاخ في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك فلا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدأ وفي الحديث يستجاب للرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه بالغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت اليه يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يتشبه بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسالون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم له واستغفر له كتب الله له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية

الحق السابع

الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير في حال الحيوة ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الايمان فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى من يتعلق به حتى الكلب الذي بباب داره ينبغي ان يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف عليه السلم من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يونسه وذلك لان مجالسة الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال الغرض ومن ثمرات المودة في الله ان لا يكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه يرجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي رضي الله عنه آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب الشافعي اليه بهذه الابيات

اذهب فودك من فؤادي طالق ابدا وليس طلاق ذات البين

فان

فان ارعوت فانها تطليقة ويدوم ودك لي على ثنتين
وان امتنعت شفعتها بمثالها فيكون تطليقين في حيضين
فاذا الثلاث اتتك مني بتة لم تغن عنك ولاية السيبين

واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي وقال

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه
واتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه

وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل للشافعي في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها النصح قال الاحنف الاخاء جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابها كما قال الشاعر

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه لم تدم مودته اصلا قال رجل لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا تعطني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك

الحق الثامن

التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه منه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعل دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكلف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عايشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وابن الكريني وطبقته فما تواخى اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب فقال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مونة التحفظ وكان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وانما قال ذلك لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مونة نفسك ويكفيك مونة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلفه هذه الشروط حتى يكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مونتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مونته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق والسيء الخلق

فهذا الثالث ينبغي ان يجتنب فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى
موسى عليه السلم ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني
وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن كانت هذه شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية
يصحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم
وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن
خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين وقال عليه السلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف
وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ
فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع اهله في بيت اخيه ويجامعها لان البيت تتخذ لاخفاء هذه الامور الخمسة والا فالمسجد اروح لقلوب
المتعبدين واذا فعل هذه الخمسة فقد تم الاتحاد وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه
مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تأنس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك
كله اي لا يشتد علينا ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء بنفسه فاذا رآهم خيرا من نفسه
فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى لي الفضل على نفسه ومن فضلني على
نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهو
النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفين اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان يكون
معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان

تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله ... وجانب صداقة من لا يزال على الاصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر

كم صديق عرفته بصديق صار احظى من الصديق العتيق ... ورفيق رأيته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل
لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال عليه السلم بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان
يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل مشورتهم عليه فقد قال تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن
يعقوب ابن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحرث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك
بذلك وقد ارسلني اليك يسألك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك
وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا لو اخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته
على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه
فشاركه في العلم وقاسمه البدن والنحر افضل ما ندب واجمش اليه وخصه بذلك للمواخاة وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت
اخاه في الله لرسالتك ولمسألته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وامره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها وامره ان لا يخفي عني شيئا من
شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان
تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم
نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روي انه عليه السلم كان يعطي
كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسئلته وتوجهه للجالس
اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان عليه السلم اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما يحدثونه به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلم واما السمع فان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار ولا يقطع حديثهم عليهم
بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه
فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى
باليد واما الرجلان فان يمشي بهما خلفهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه
ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خفت حملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها

من

من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه
الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة
يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة
لعباده فانها اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة

خاتمة لهذا الباب

نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع اصناف
مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكما ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر من غير كبر
وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوساطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات
واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب
عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلوة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك
بغير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك براءيك ولا بجاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وساير
ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم
ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن لهم
من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة
بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتك واذا سكن غيظك فتكلم وان قربك السلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل
اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك
مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك
اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي
بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد
الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق فلا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن
عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج
وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة وان لا تتجشأ بحضرته
ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شئ الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه
ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري في سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او
غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين
فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد من الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه
تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر
الله عند قيامه قال النبي عليه السلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك

وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة
من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط في مخالطته ادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة
والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب او الدرس واما الصداقة والاخوة
ولكل واحدة من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار
ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه
بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه

شقيق

والمكث

والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها
إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب والمحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تخلل سر القلب
وكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن
حالة هي أتم من الأخوة وتعرفه من قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله إذ الخليل هو الذي تخلل الحب جميع أجزاء
قلبه ظاهرا وباطنا واستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال علي مني
بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل بأبي بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضي الله عنه في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها
لو كان في الخلة مجال فإنه نبه عليه بقوله لاتخذت أبا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روي أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال
إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله فإذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات
بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والأخوة
حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثره طلحة ببدنه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز
صلوات الله عليه فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعني ملك اليمين فإن ملك النكاح قد ذكرنا
حقوقه في كتاب آداب النكاح

حقوق المسلم

هو أن تسلم عليه إذا لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتعوده إذا مرض
وتشهد جنازته إذا مات وتبر قسمه إذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره
لنفسك ورد جميع ذلك في آثار وأخبار وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر
لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس في معنى قوله رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم إذا
نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح إلى
الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى وروى أبو موسى عنه عليه السلام
أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها أن لا يؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال عليه السلام المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة
تصدق بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم
فقالوا الله ورسوله أعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم
قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الإسلام فقال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك
ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال
هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال أبو برزة يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين وقال عليه السلام من
زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب له حسنة أوجب الله له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل
للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل للمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يكره أذى المؤمن وقال الربيع بن
خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال
فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله
تعالى لنبيه عليه السلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف
ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض
قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم إليك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك
ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم
أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته
أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف عليه السلام بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عائشة

رضي

رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل
عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا وما من أحد تواضع
لله إلا رفعه الله ومنها أن يحسن إلى كل من قدر منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف إلى أهله وإلى غير أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله وبإسناده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل
بوجهه عليه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثا فإن لم يؤذن له انصرف
قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة
يأذنون أو يردون ومنها أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والعيي
بالبيان آذى وتأذى ومنها أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر
كبيرنا ولم يرحم صغيرنا واللطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم
ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم
فقال عليه السلام مه فأين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه له
فلا يوفق لتوقير الشيوخ إلا من قضي له بطول العمر وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام
فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وكان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف
عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم حملني
رسول الله بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة والتسمية فيأخذه
فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور
أهله فيه وأن لا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعدهم ومنها أن يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه
رفيقا قال صلى الله عليه وسلم على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال أبو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال
إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال
عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها
وبطونها من ظهورها فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن
جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح قال أنس عرضت للنبي عليه السلام امرأة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال
اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل
صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على
خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن
كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس
إلا والشياطين حوله كالذئاب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين ومنها أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم
العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقال ثلاث من كن فيه
فهو منافق وإن صام وصلى وذكر ذلك ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه
وسلم لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم
من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه

وقال عليه السلم يا ابا الدردآء احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال الحسن اوحى
الله تعالى الى آدم اربع وقال فهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لك وواحدة لى وواحدة بينى وبينك وبين الخلق فاما التى لى تعبدنى ولا تشرك
بى شيئا واما التى لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التى بينى وبينك فعليك الدعآء وعلى الاجابة واما التى بينك وبين الناس فتصحبهم بالذى
تحب ان يصحبوك به وسأل موسى عليه السلم ربه فقال يا رب اى عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان يزيد فى توقير
من دلت هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روى ان عايشة رضى الله عنها كانت فى سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل
فقالت عايشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الغنى فقالت ان
الله قد انزل الناس منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا وروى
انه عليه السلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحق وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله
ردآءه فالقاه اليه فقال اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه فرمى به الى النبى عليه السلم وقال ما كنت لاجلس
على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر عليه السلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه وروى
ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها ردآءه ثم قال لها مرحبا بامى ثم اجلسها على الردآء ثم قال لها اشفعى
تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال اما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب
لها الحسن سهمانه بحنين فبيع من عثمان بن عفان بماية الف درهم وربما اتاه من ياتيه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها
تحت الذى يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين من المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذات البين هى الحالقة وقال صلى الله عليه
وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله
بابى انت وامى ما الذى اضحكك قال رجلان من امتى جثيا بين يدى رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من هذا فقال الله عز وجل
رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شئ فقال يا رب
فليحمل عنى من اوزارى ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم
من اوزارهم قال فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك فانظر فى الجنان فقال يا رب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب مكللة
باللؤلؤ لاى نبى هذا او لاى صديق او لاى شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا لمن اعطى الثمن فيقول يا رب ومن يملك ذلك فيقول انت تملكه قال بماذا
يا رب فيقول بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال عليه السلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله تعالى يصلح بين المومنين يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح
لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه وقال عليه السلم كل كذب مكتوب الا ان يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب
خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامرأته ليرضيها ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر
على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال عليه السلم لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك
فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره وقال ابو بكر رضى الله عنه لو اخذت شاربا لاحببت ان يستره
الله ولو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروى ان عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما اصبح
قال للناس ارأيتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال على رضى الله عنه
ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد ان الله لم يامن على هذا الامر اقل من اربعة شهدآء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل
مقالتهم الاولى وقال على مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضى الله عنه كان مترددا فى ان الوالى هل له ان يقضى بعلمه فى حدود الله فلذلك
راجعهم فى معرض التقدير لا فى معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال راى على الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة
على طلب الشرع لستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه فى ذلك منها كالمرود فى المكحلة وهذا قط لا
يتفق وان علمه القاضى تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة فى حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذى هو اعظم العقوبات ثم انظر الى

كشف

كشف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق فى كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففى الحديث ان الله اذا ستر على عبد عورته
فى الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها فى الآخرة وان كشفها فى الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينا
نحن نمشى اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدى وقال اتدرى بيت من هذا قلت لا
قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر
وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعوية انك ان تتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقد قال
عليه السلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع
الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته وقال ابو بكر رضى الله عنه لو رأيت احدا على حد من حدود الله ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون
معى غيرى وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل فاجر فقال هذا نشوان فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال
اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او قرطق فلما فرغ قال للذى جاء به ما انت منه قال عمه فقال عبد الله ما ادبت فاحسنت
الادب ولا سترت الخربة انه ينبغى للامام اذا انتهى اليه حد ان يقيمه وان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال انى لاذكر اول رجل
قطعه النبى صلى الله عليه وسلم اتى بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه فقال وما يمنعنى لا تكونوا اعوانا للشيطان
على اخيكم انه ينبغى للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفى رواية كانما
سفى فى وجه رسول الله رماد لشدة تغيره وروى ان عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر
فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصية فقال وانت يا امير المومنين فلا تعجل على ان اكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله فى
ثلث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت على وقال الله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المومنين لئن عفوت عنى لا اعود لمثلها ابدا فعفا عنه
وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله
ليدنى منه المومن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى فى نفسه
انه قد هلك قال له يا عبدى انى لم استرها عليك فى الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون
فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقال عليه السلم كل امتى معافى الا المجاهرين وان المجاهرة ان يعمل الرجل سوءا
ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه الآنك يوم القيمة ومنها ان يتقى مواضع التهم
صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه فقال
نعم يسب ابوى غيره فيسبون ابويه وقد روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يا فلان هذه
زوجتى صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فانى لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وزاد فى رواية انى خشيت
ان يقذف فى قلوبكما شيئا وكانا رجلين على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته فى العشر الاواخر من رمضان وقال عمر رضى الله عنه
من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المومنين انها امرأتى فقال
فهلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى اوتى واسال وتطلب الى الحاجة وانتم عندى فاشفعوا لتوجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما احب وقال معوية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشفعوا الى توجروا انى اريد الامر فاوخره كى تشفعوا الى فتوجروا وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة
اللسان قيل وكيف ذاك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وروى عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة
كان عبدا يقال له مغيث كانى انظر اليه خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته فقال النبى صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة
وشدة بغض بريرة مغيثا فقال لها النبى عليه السلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله اتامرنى فافعل فقال لا انما انا شافع ومنها
ان يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام
وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال عليه السلم ارجع فقل السلام عليكم ءادخل وروى جابر

قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي
عليه السلم ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير
بيتك وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال عليه السلم والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال ايضا اذا سلم
المسلم على المسلم ورد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال عليه السلام الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم
عليه وقال عليه السلم يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزا عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فاعطى الله
عز وجل هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم ويقول لا يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة
والمصافحة ايضا سنة مع السلام جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال عليه السلم عشر حسنات فجاء آخر
وقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم واشار
عبد الحميد بيده للحكاية وقال صلى الله عليه وسلم لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدأوهم بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه
قالت عائشة رضي الله عنها ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي عليكم قالت عائشة فقلت بل عليكم
السام واللعنة فقال عليه السلم يا عائشة ان الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة قلت الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلم يسلم
الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلم لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة
بالاصابع وتسليم النصارى بالاكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه السلم اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا
قام فليسلم فليست الاولى احق من الآخرة وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون
لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة
رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم
بينكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بتقبيل يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا روى عن ابن عمر قال قبلنا يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن
لي فاقبل راسك ويدك فاذن له ففعل لقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله
وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه ورد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله
ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي عليه السلم اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان
لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم واطيب او قال وافضل والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال
ايقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم والالتزام والتقبيل فقد ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقال ابو ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم
الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر
فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر رضي الله عنه بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام
لا على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروي انه عليه السلم قال مرة اذا
رايتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم وقال عليه السلم من سره ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلم لا يقم الرجل
الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون من ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا
رجل اخاه واوسع له فلياته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه وروي انه سلم رجل على رسول الله وهو يبول
فلم يجبه فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام قال رجل لرسول الله فقال عليه السلم ان عليك السلام تحية الميت قالها ثلثا
ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان عليه السلم
جالسا في المسجد اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الآخر فادبر ذاهبا فلما

فرغ

عبد الحكم

فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه
واما الثالث فاعرض فاعرض الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يفترقا وسلمت
ام هاني على رسول الله فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال مرحبا بام هاني ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره
مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله فرد عنه رجل فقال النبي عليه السلم من رد عن عرض
اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ادركه الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر
عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى بها في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عن عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له
ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرء ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه
ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرء خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته
ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه
العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين
فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله
عن ذلك فقال انه حمد الله وانك سكت وقال عليه السلم يشمت المؤمن اذا عطس ثلثا فان زاد فهو زكام وروي انه شمت عاطسا فعطس
اخرى فقال انك مزكوم وروى ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده وروي خمر وجهه
وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي عليه السلم في الصلوة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا
وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رايت
اثني عشر ملكا كلهم يتبادرونها ايهم يكتبها وقال ابو موسى الاشعري كانت اليهود يتعاطسون عند رسول الله رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول
يهديكم الله وقال عليه السلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال عليه السلم العطاس من الله والتثاوب من
الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابرهيم النخعي اذا عطس على قضاء
الحاجة فلا باس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلم يا رب اقريب انت فاناجيك
ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال
ومنها انه اذا ابتلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق
الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي
هي احسن السيئة وقال ابن عباس في معنى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله قال عليه السلم
ائذنوا له بئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول
فقال يا عائشة ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر
خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد ابن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله
له مخرجا ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني
مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلم في ملكه اذا دخل المسجد فراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا
وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلم احب اليه من ان يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار كل ما في القرآن من يا ايها الذين آمنوا فهو
في التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال
الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضا المساكين عنك وقال عليه السلم اياكم ومجالسة الموتى قيل
ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء وقال موسى اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك
لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقد قال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة

وقال عليه السلم انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين واشار باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها
يده حسنة وقال عليه السلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها النصيحة لكل مسلم
والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال عليه السلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما
يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا راى فيه شيئا فليمطه عنه وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما
خدم الله عمره وقال عليه السلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله
عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال عليه السلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة و
قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصره ظالما فقال تمنعه من الظلم وقال عليه السلم ان من احب
الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن وان تفرج عنه غما او تقضي عنه دينا او تطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا
من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يوم القيمة يحمي لحمه من نار جهنم وقال عليه السلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله
وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال عليه السلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي
من قال كل يوم اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم ثلث مرات كتبه الله من الابدال وبكى على الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك
فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف بين يدي الله عز وجل وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في
اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبه عند الاستيذان
ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام لكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم
يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل
الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال عليه السلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوات
منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله
واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان
اكفر عنه سيآته وقال عليه السلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمن رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل
صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا
الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ويستحب للعليل ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم
بطنه فليسال امراته شيئا من صداقها ويشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجمع له الهنئ والمرئ والشفاء والمبارك وقال عليه السلم يا ابا هريرة
الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت
سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان
انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اولئك الذين سبقت لهم منك
الحسنى ويروى انه عليه السلم قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة
سنة فما ازددت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وقال عليه السلم اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة
الشكوى والضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة
فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن
في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة
يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلمه ما دمت
حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون
انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت فقد راى ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة فقد امن وقال صلى الله عليه
وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومنها ان يزور قبورهم والمقصود
الدعاء

الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا
قبر آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمن
رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر
وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما تكلم ابن آدم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت
ما اعددت لك فما ذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في
ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم
يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط اهل
المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفين من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة
ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان ربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة نزل فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم
قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما
نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام
من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة
الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة
بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة في ذلك ان لا تستصغر منهم احدا حيا
كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله الآن ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم
لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل
لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة
فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة
لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك
وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة الا واحدا وربما لم تجده ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا
لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا
لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان
لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولكن وعظك
عرضا وارسالا من غير تنصيص على شخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا
بلغك منهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل قلبك بالمكافاة فيزيد
الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض
الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة
ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان
ولا يعفون يغرون الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق
لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم
من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم واستيحاشهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه
مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان
رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا وابنا ان كان صغيرا واخا ان كان مثلا لك فهذه جملة آداب العشرة مع اصناف
الخلق **اما حقوق الجوار** فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم كل ما يستحقه

كل مسلم وزاد وقال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق
الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك
فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه السلم ما زال
جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال عليه السلم
لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وقال عليه السلم اول خصمين يوم القيمة جاران وقال عليه السلم اذا انت رميت كلب جارك
فقد آذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله
فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال عليه السلم هي في النار وجاء رجل الى النبي
عليه السلم يشكو جاره فقال له عليه السلم اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون
ما لك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي
عليه السلم يشكو جاره فامر النبي عليه السلم ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا
واربعون هكذا واومى الى اربع جهات وقال عليه السلم اليمن والشوم في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها
وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس
ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق
ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول يا رب سل هذا لم منعني
معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما
فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى
دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السوال ويعوده
في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر المشاركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح الى عوراته
ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره
ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يستمع عليه كلامه ويغض بصره
عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين وقد
قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات
اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة
فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كنت عند عبد الله
ابن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله
لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك
وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت
عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والآخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم
حقا فقال المقبل عليك ببابه وراى الصديق رضي الله عنه ولده عبد الرحمن وهو يناظ جارا له فقال لا تناظ جارك فان هذا يبقى والناس
يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله بن المبارك فقلت الرجل المجاور ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا
والغلام ينكر فاكره ان اضربه فلعله بري واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع فقال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب منه
الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في
الجمع بين الحقين وقالت عائشة رضي الله عنها خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده
يقسمها الله تعالى لمن احب صدق الحديث وصدق الباس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة

والذمم

والتذمم للجار والذمم للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات
لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني
وقال عبد الله بن عمر قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات فقال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت
واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات وقال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حائط او شريك فلا يبعه حتى يعرضه
وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم وقد
ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال عليه السلم من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه

حقوق الاقارب والرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما
فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا في اثره ويوسع عليه في رزقه فليتق الله وليصل رحمه
وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال
اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان
ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه السلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت
رحمه وصلها وقال عليه السلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمي اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا
ارحامهم وقالت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية
افاعطيها قال نعم صليها وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض
والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه السلم ان الله منع مني بني مدلج بصلتهم الرحم وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين
صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو
في سبيل الله والفقراء والمساكين فقال عليه السلم وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي
الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى
عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث ذلك الوحشة وقطيعة
الرحم

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى انه اذا تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف
تاكد الحق فيها وقال صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال عليه السلم بر الوالدين افضل
من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال عليه السلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان
الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل ذلك
وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمس مائة عام ولا يجد ريحها
عاق ولا قاطع رحم وقال بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى انه من بر
والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلم لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم
ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على احد ان تصدق بصدقة ان جعلها لوالديه اذا
كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر والدي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما
والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل
الرجل اهل ود ابيه وقال عليه السلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال عليه السلم دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك
قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وساله رجل فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك
كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على
العقوق بسوء عمله وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين اولادكم في العطية وقيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو

عدو كل او شريك كله قال انس قال صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ
تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشرة ضرب على الصلوة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك و
انكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال عليه السلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلم
كل غلام رهين او رهينة بعقيقته تذبح يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت بها اوداجها
ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت
عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن حابس النبي عليه السلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت
واحدا منهم فقال عليه السلم ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عايشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه اسامة
فجعلت اغسله وانا انفه فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسن وهو على المنبر فنزل فحمله وقرا قوله
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسن فركب عنقه وهو ساجد
فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلوته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني كان قد ارتحلني فكرهت ان
اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه السلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا
بحر ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم
وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف
لقد دخلت علي وانا مملو غيظا وغضبا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بماتي الف درهم وماتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف
بماية الف درهم وماية ثوب قاسمه اياها على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تاكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه في حق الاخوة فان
هذه الرابطة آكد من حق الاخوة بل يزيد ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا
ينتغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما
والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلوة والصوم
ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري
هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلم هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال عليه السلم
فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر الى النبي عليه السلم يستشيره
في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جيتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع
اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال عليه السلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلم اذا استصعبت على احدكم دابته
او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليوذن في اذنه

حق المملوك

اعلم ان ملك النكاح قد سبقت حقوقه في اداب النكاح
فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا
خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل
ما لا يطيق وقال عليه السلم لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خاين ولا سيي الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي
كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله
احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني
سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك فقال اذهبي فانت حرة لوجه الله وقال الزهري
متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ
اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق
فقال لها انت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما

فقال

فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها
على راس سيدها ميمون فقال الجارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومودب الناس ارجع الى ما قال الله عز وجل قال وما قال قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت
قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب
رسول الله ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله
امسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله
فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما
اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال عليه السلم عرض علي اول ثلثة يدخلون الجنة واول ثلثة يدخلون
النار فاما اول ثلثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة الله ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلثة يدخلون
النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي سمعت صوتا من
خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله فالقيت السوط فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وقال صلى الله عليه وسلم
اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شي يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره
وعلاجه ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ اكلة فليروغها واشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان
رجل وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده
جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسوول عن رعيته فجملة
حق المملوك ان يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه
بهفوته او بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلثة لا يسال عنهم رجل فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا فلا يسال عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها
مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسال عنها وثلثة لا يسال عنهم رجل نازع الله في ردايه وردآوه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط
من رحمة

تم كتاب الصحبة والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبينا محمد
وآله اجمعين وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف همهم الى موانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلايه وعظمته وروح اسرارهم
بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة سبحات
وجهه تعالى في خلوته واستوحش به عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلوة على محمد سيد انبيايه وخيرته وعلى آله واصحابه سادة الخلق
وايمته **اما بعد** فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع ان كل واحد منهما لا ينفك عن غوايل
تنفر عنها وفوايد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والمؤالفة
يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين

الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيها
الباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوايد والغوايل

الباب الاول

في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيه اما المذاهب فقد اختلف
الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي
والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب

المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتألف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبيين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول قد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني فقال صم الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رضي الله عنه كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وكان قد لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذر ان يفوت
قضى وطر الصبى وافاد علما فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك واحدا واحدا حتى ترك كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع وقام فدخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان للجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقلل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل على حاتم الاصم بعض الامراء فقال الك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل بن عياض ان عليا ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة

ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وبقوله تعالى الف بين قلوبهم امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله عليه السلام من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله عليه السلام من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر والمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلث فمات دخل النار وقال عليه السلام لا يحل لامرئ ان يهجر اخاه فوق ثلث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر اخاه سنة فهو كسافك دمه وقالوا العزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجرة فوق ثلث جائزة في موضعين احدهما ان يرى فيها استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيها والنهي وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروي عن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعا وعشرين فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

لا

لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا تؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رضي الله عنه حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله تعالى فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة واحتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة انه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله فقال عليه السلام لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلوته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فان من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا بما روى معاذ بن جبل انه عليه السلام قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي ان ذلك منهي عنه الا لضرورة

ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي الآية ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند اليأس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر مخمر احب اليك او من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال اسقوني فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب انظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي المسلمين فشرب منه فاذا كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقول موسى عليه السلام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند اليأس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مومنون وانما اعتزلوا الكفار والنظر في العزلة من المومنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك وروي انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال مومن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال عليه السلام ان الله يحب التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على ما عرفه عليه السلام بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص يكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد يكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال عليه السلام الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه عليه السلام قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله قال فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف

الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا أن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته وإلى التخلص من محذورات تعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بثقله وتشوه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد

الفائدة الأولى

الفراغ للعبادة والفكر والأنس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة إليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر رضي الله عنه خليله فأخبر عليه السلام عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جليس الله عز وجل إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفضى بهم الزهد والخلوة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بديني من شاهق إلى شاهق فمن يراني يقول موسوس أو حمال أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل رحمك الله فقال إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلي تنحى إلى أصل شجرة واستتر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك فقال يا هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله عز وجل أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري

الله

ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفيه قيل

وإني لأستغشي وما بي نعسة ... لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقيل الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله وبدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا أما الغيبة فإذا عرفت في كتاب آفات اللسان من المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله وإن سكت كنت شريكا والمستمع أحد المغتابين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق فقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فقال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه وحده فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلا نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا وإن جاملتهما كنت من شرار الناس قال صلى الله عليه وسلم إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه وليس يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال فقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض قال سري السقطي لو دخل علي أخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله لخشيت أن أكتب في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال ما جاء بك قال المؤانسة يا أبا علي فقال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك وقال بعض العلماء ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال كيف أنت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بإمرة المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بإثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللفاف كيف أنت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى كيف أصبحت قال أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير أفقر مني وكان الربيع بن خثيم إذا قيل كيف أصبحت قال أصبحنا

لا يضركم

ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفين الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك فقال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمس مائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله واخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمس مائة اقض بها دينك وخمس مائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سواله من غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا منافقا فقد كان سوالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذا سلمت والله القلوب فاما الآن كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله كيف اصبحت عافاك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاؤوا غضبوا علينا وان شاؤوا لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمن الطاعون الذي كان طاعون عمواس او الطاعون كان وقع في الاسلام بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالطهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة تعرف سر قوله عليه السلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدا الرحمة فعل الخير ومبدا فعل الخير الرغبة ومبدا الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نظمه وهو ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدا البعد من الله هو المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدا سقوط الثقل وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح تعبق بالثوب ولا تشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل

صاحب

صاحب المسك ان لا يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احداهما انها غيبة والثانية وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامها والاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثله لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا انفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليها بقتال علي ومعوية رضي الله عنهما ويخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطا يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهي من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب مثلا صلى الله عليه وسلم وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي افرز لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الائمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج صلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلوة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة وان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المومن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من جليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة واياك وان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل

الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وضعفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه عليه السلم قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزوج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا فكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى توروه ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفين الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت ان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمومن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها فتاهوا واناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق

شعاف

فسعد وجماعة كانوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضى الله عنه انه لما بلغه ان الحسين رضى الله عنه توجه الى العراق
فلحقه على مسيرة ثلثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فابى
فقال انى محدثك حديثا ان جبرئيل اتى النبى عليه السلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله والله لا يليها احد
منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذى هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك من قتيل وكان فى الصحابة عشرة آلاف فما
خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس فى بيته فقيل له فى ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل
له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية
الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة
فاذا الحذر من الخصومات ومشاورات الفرا احدى فوايد العزلة
بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا تبلغ
عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة الشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض العلماء لغيره
اعلمك بيتين من عشرة آلاف درهم فقال ما هو فقال
اخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون او بجمال
ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم فى اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم
انه يستعد لمعاداته ولنصب المكيدة عليه ولدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد
حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبى
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته واصبح فى ليل من الشك مظلم
وقيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالابرار وانواع الشر التى يلقاه الانسان من معارفه ومن يخالطه كثيرة لسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه
اشارة الى مجامعها وفى العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار الاكثر من اختار العزلة فقال ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر
من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستانسا يوحشه الاقرب والابعد وقال عمر رضى الله عنه
فى العزلة راحة من خليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتى المدينة قال ما بقى فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك
كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول
هى نديم فيه ثلث خصال ان سمع منى لم ينم على وان تفلت فى وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدنى فى الندماء
وكان بعضهم يلزم الدفاتر والمقابر فقيل له فى ذلك فقال لم ار اسلم من وحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر وقال الحسن اردت
الحج فسمع ثابت البنانى وهو ايضا من اولياء الله فقال بلغنى انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال الحسن ويحك دعنا نتعايش بستر الله عز
وجل انى اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت وهذه اشارة الى فائدة اخرى فى العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق
والفقر وساير العورات وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر
ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل
ولا يخلو الانسان فى دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى بى فى الدين
والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها قال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا
حكم زمانه وهو فى آخر القرن الاول فلا ينبغى ان يشك فى ان الاخير شر وقال سفين بن عيينة قال لى سفين الثورى فى اليقظة فى حيوته وفى
المنام بعد موته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب رايت ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جيت الى مالك بن دينار
وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت لاطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يوذى وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم
ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب دينى ولا اشعر وهذه اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدرداء
اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مومن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف
فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بها وقال بعضهم انكر من
تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف **الفائدة الخامسة** ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عنهم فاما انقطاع طمع الناس
عنك ففيه فوائد فان رضى الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المرضى
وحضور الولائم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها العوائق ويستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار
كل

كل الاعذار فيقولون لك قمت بحق فلان وقصرت فى حقى ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا فى وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله
اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول
الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله فى دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومى
عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
وقال الشافعى اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا
وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة فى اكثر الاطماع فيتاذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم
يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن
من ثوبى ودابة افره من دابتى فجالست الفقراء فاسترحت وحكى ان المزنى خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم فى موكبه فبهره
ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا فالذى هو فى بيته
لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من يشاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او
ينبعث رغبته فيحتال فى طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما فى الدنيا فبالطمع الذى يخيب فى اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له واما
فى الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابى
اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر
اشار الى ان الطمع يوجب فى الحال ذلا
الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان روية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عينك فقال من النظر
الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له فى الخبر ان من سلبه الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذى عوضك فقال فى معرض المطايبة
عوضنى عنهما انه كفانى روية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشى على وقال جالينوس
لكل شى حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعى رضى الله عنه ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كانه اثقل
على من الجانب الآخر وهذه الفوائد ما سوى الاولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذى برؤية
ثقيل لم يامن ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غيرها لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر
الى فساد الدين وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم
آفات العزلة اعلم ان المقاصد الدينية والدنيوية ما
يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة
والدواعى اليها ما هى وهى التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتادب والتاديب والاستيناس والايناس ونيل الثواب وانالته فى القيام بالحقوق
واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهى سبعة
الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم وهما اعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصور ذلك الا
بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضرورى فى الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض
وكان لا يتاتى منه الخوض فى العلوم وراى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه
قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعى وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر فى هوس وغايته
ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها ولا ينفك فى اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدرى
ولا ينفك فى اعتقاده فى الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو
يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال اعنى من لا يحسن العبادة فى الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه
فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف
لا محالة مرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه
والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك فى الدين وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم وحكم العالم فى هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة
دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستمال به العوام فى معرض الوعظ او لجدال معقد يتوصل به الى

اغتنام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة وأقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإن الفقهاء يتعلمون العلم لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها أو راغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل فأما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متماديا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذه الكتب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا يجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما لا يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال صلى الله عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو كتب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك كان عليك رقيبا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وحمارا في حاجاتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فإنك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدي تحفة إليه فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف إليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد إلى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت الحرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن ساوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مقادير الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه في العقبى والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالأباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن صنيعك فإنما أنت بما تفعل مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فيلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسد الملوك إلا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذي لا دواء له

الفائدة الثانية النفع والانتفاع أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقتنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال

في

في التحقيق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من أقبل بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن وهم وخيالات فاسدة وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة

الفائدة الثالثة التأديب والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد أخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمتهم إلى الله كان هذا هو المبدأ في الأعصار الخالية والآن فقد خالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثر بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير منه ولو إلى القبر وإن كانت النية رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا تطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا تقطع بها المراحل وتطوى على ظهرها الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي أن يقنع بهذا كالراهب قيل له يا راهب فقال ما أنا براهب أنا كلب حبست نفسي حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة آخرا وأما التأديب فإنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ المتصوفة معهم فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الرياسة من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ويقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي وإثبات

الفائدة الرابعة الاستيناس والإيناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك لأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهو أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يمل حتى تملوا وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير ومن شاد هذا الدين يغلبه فإن الدين متين والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغني المعتزل عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لا ينقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس أولا ثم ليجالس

الفائدة الخامسة في نيل الثواب وإنالته أما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين أما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة أيضا في سائر الصلوات لا رخصة في تركها إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم وأما إنالته فهو أن يفتح الباب ليعوده الناس أو يعزوه في المصائب ويهنوه على النعم فإنهم ينالون به ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا

ثواب الزيارة وكان هو بالعكس سببا فيه فينبغي ان يوزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة
فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة
وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل

الفائدة السادسة

من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات
ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض
نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله الى نبيه قل له انك لم تبلغ
رضاي فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله اليه الآن قد بلغت رضاي
فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس
وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد
الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب
العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على باب احدهم وطرقه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض
اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم
اذ قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس
لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة لهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص
من منصب من هو متكبر بعلم او دين اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله
وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب على رأسه
طرقوا للامير كم وكان سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه يشتري الشيء فيحمله الى بيته فيقول صاحبه اعطني فيقول صاحب الشيء احق
بحمله وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان يجلس على الطريق وياكل معهم
ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور
لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط
الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول
لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك قيل
من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر
عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد الوصفين عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى
في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره وينفعه وعبد سقطت نفسه من قلبه فلا يبالي باي حال يرونه قال الشافعي رضي الله
عنه ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم
الا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ولم احدث
نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة
الناس فقال هذا شيء لم اصطنعه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله تعالى الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك
عندي من المتواضعين فاذا من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس واقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا
يعلمون فاذا لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا او عبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت
عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صور منجيات

الفائدة السابعة

التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها
التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة
التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب

نفسه

نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح
منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون
بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته
ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لتفجر منه الصديد
وفار فوران الشيء المختنق اذا حبس عن الاسترسال وكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة انما تتفجر
منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل
قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب بذلك نفسه فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل
من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت
موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت ان
جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير والمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج
الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع مخالطة دائمة وسياتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات
فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة و لا
يراد الا للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني
عموم نفعه اذ تتعدى فائدته والعمل لا تتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود
الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية
المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل
هو كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الموضع فلنرجع الى المقصود فنقول
اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى
الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك
يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة
لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات
يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على
غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف
اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد
ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب آخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله
وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكميك الحائط وقل
ربي الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال ولا يعارض فان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي
لا يسال ولا يدخر وقال آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن وقال ابرهيم الخواص هو ترك
الشكوى واظهار البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه
خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي
انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم
ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رايت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل
فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر انه نصف قدم واخذ يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن آخر
انه خمسة اقدام واخذ يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق

في قوله واخطأ في تخطئته صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالاحوال الذي
يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد يخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر
هذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول
النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا يطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا
ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن
في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن
السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر
من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد
مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى
الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح
فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وان يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان
السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واما بالتأمل في دقائق الاعمال
ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في
دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالح او جليس صالح لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات
ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح
على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر
للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد
الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله
ورحمته عليه كما قال تعالى في الشهداء اذ قال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به
رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال للصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
والله اعلم بالصواب تم كتاب العزلة والحمد لله رب العالمين والصلوة
على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين

كتاب آداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب
صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار
بما يسنح من مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة على محمد سيد
البشر وعلى آله واصحابه المقتفين لآثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا **اما بعد** فان السفر وسيلة الى الخلاص عن
مهروب عنه او الوصول الى مطلوب والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن
اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد
على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والارض
ظلمة السجن وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب
خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل
القليل اندراس مسالكه فانقطعت فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه دعا سبحانه بقوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار

بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق
فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل يزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة
وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ
الله قلوبهم وما ربك بظلام للعبيد ولكن ظلموا انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان
ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية
للاستعانة على الدين كان من سالكي طريق الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشياطين وان واظب
عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من
هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب
عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه
او خاص كمن يقصد باذية في بلده فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن
التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب
الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل
التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وتطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والجهاد
والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء
والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه
اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام

القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك
بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينه او باخلاقه في نفسه او بآيات في ارضه وقد قال صلى الله عليه
وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى
الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة
تدله على هدى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع غيره من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغه عن عبد الله
بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وقل مذكور في اهل العلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا الا وحصل
العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار
باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض
وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف عنده بعض الشهود هل صحبته في
السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر
مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات
المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن
الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما آيات الله في ارضه
ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء منها الا وهو
شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد فاما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع
السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا

من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولا اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن
ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك فيه الانسان سائر الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء
نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورأي الحجر الذي ورائي
وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله بالوحدانية وهو توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقدس وهي تسبيحها
ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل
عاجز على مثل هذا السير لكان سليمن عليه السلم مخصصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى مخصصا بسمع كلام الله الذي يجب تقدسه عن مشابهة
الحروف والاصوات ومن سافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخط الالهي على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن
بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له والتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات
فالشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وهي الى ابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب
ان يدأب في الطواف بآحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام
المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف
على باب الوطن لم يفض به المسير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن او القصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب
ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين صدق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول
القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ
التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائرين بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك
المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد
ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب
واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمى الجبان
الجبن والقصور باسم الحذر والحزم يرى الجبناء ان العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر
الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما الجهاد او الحج وقد ذكرنا فضل
ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء
وكل من يتبرك بمشاهدته في حيوته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد
الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه ~~الاجسام~~ المساجد والا فلا فرق
من زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة
زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والفائدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة
وفيه ايضا تحريك الرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد
زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التورية ان الله تعالى قال سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها
سوى المساجد الثلثة وسوى الثغور للرباط فيها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلثة وقد ذكرنا فضائل
الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كثير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد
الى المدينة وقد سأل سليمن ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان
يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله ذلك

القسم الثالث

ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا
حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين
لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات
الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجى المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار
والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت

علايقه فلا تتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمئن
به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز
وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب
شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل قوي
ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدرج
فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند اليأس
عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري
هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رأيت
سفين الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقلت
وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك عن قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول
للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين
ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسيأتي اسرار الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل

القسم الرابع

السفر
هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او المال كالغلاء الاسعار او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في
بعض المواضع بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى عنه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة
ابن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب مرة ويأتي اخرى
فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء
امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم
عليه المحتسب كالمجاهد في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله
لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك الصلوة
عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس
موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم بالله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون
منهي عنه وكذا القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح
والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على
كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث
والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نيته الآخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فمهما
كان قصده طلب المال مثلا للتعفف عن السؤال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح
بهذه النية من اعمال الآخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الآخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل
بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه وفرق عليه
همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت
له الملائكة واستغفرت واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فيضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه
في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة يفرق الهم ويشتت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو
الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر
لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالتعلم في الانتهاء واما السياحة في الارض على الدوام فمن
المشوشات للقلب الا في حق الاقوياء فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله

وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف فتارة يضعف فيغلبه سبب الفقر وتارة يقوى باستحكام
أسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الأحوال فلا ينبغي أن يسافر المريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته ويستفيد
الرغبة في الخير من مشاهدته فإن استقل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت
بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة
واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم
المتشمرين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص
الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع ولم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا لهم تأديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا
من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي
لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أن كل سوداء تمرة ويتوهمون أن المشاركة في الظواهر توجب المساهمة
في الحقائق وهيهات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فإن الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة
إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور
الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تندرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في
سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فإنه عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع إلى
عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إتعاب النفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن
الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين
أيضا بهذه الحظوظ خسيسة ولا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو المتأذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات
التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس
شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة
عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخرى وراء الصلاح ومن أقل أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة
والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر
في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله حرم عليهم الأخذ وكان ن
ما أكلوه سحتا وأعني به إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم وأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم أنه علوي وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علم
أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه عليه حرام فكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن
عورات لو انكشفت للراغبين في مواساته لفترت رغبتهم عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا آكلين
بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه
ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رأيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والمغرور الجاهل بنفسه أحرى أن يكون جاهلا بأمور دينه
وإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من
الغائلة ولا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال وسالك طريق الآخرة إلى أخذ مال
غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت أني
شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بترك الدين وعدم استحلاله لما يأخذه ولكن ههنا
مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت
والازدراء فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو المدح والإطراء فكم من ذام لنفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس
في الخلوة مع النفس هو المحمود فأما الذم في الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك
مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال والصادق يعرف حده ومن الله يعلم أن مخادعته لله أو مخادعته لنفسه محال فلا يعسر عليه الاحتراز عن

امثال

أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته

الفصل الثاني في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه

وهي إحدى عشر أدبا **الأول** أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع إن كانت
عنده ولا يأخذ لزاده إلا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر
من طيب الكلام وإطعام الطعام ومن إظهار مكارم الأخلاق فإن السفر يخرج خبايا الباطن ومن يصلح لصحبة السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح في
الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن
أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم
والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بإعانة بمركوب أو زاد أو توقف
لأجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** أن
يختار رفيقا ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل
إلا برفيقه وقد نهى عليه السلام عن أن يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقال إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمروا أحدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو
أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الانقياد وطلب الموافقة وإنما يحتاج إلى الأمير
لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا من الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد
ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو
عن أمير عام كأمير البلد وعن أمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجمع شتات الآراء ثم على الأمير
أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أم أنا
فقال بل أنت فقام عبد الله طول الليل على رأسه وفي يده كساء يمنع عنه المطر وكلما قال له لا تفعل قال ألم تقل إن الإمارة مسلمة إليك
فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني مت ولم أحوجه إلى تأميره فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم
خير الأصحاب أربعة وتخصيص الأربعة من سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج إلى حفظه وعن
حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق القلب لفقد أنس الرفيق
ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن الخطر ولا عن ضيق القلب فإذا ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة
لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة ولا ينعقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف
الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند
كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث** أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع
بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن
أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت
فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودع الله الذي لا تضيع ودائعه وعن أنس أن رجلا أتى النبي عليه السلام قال إني أريد سفرا فأوصني
فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت شك فيه الراوي وينبغي إذا استودع الله ما
خلفه أن يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا
أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعني على
هذه الحال فقلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار
فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت إنها كانت صوامة قوامة فأخذت المعول حتى أتينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام
يدب فقيل لي إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب

الرابع أن يصلي قبل السفر صلوة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلثة أدفعها إلى ابني أم أخي أم أبي فقال النبي عليه السلام ما استخلف عبد في أهله خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله **الخامس** إذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور **السادس** أن يرحل من المنزل بكرة روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر فقال اللهم بارك لأمتي في بكورها ويستحب أن يبتدي بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت وكان عليه السلام إذا بعث سرية بعثها أول النهار وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لأمتي في بكورها ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيها **السابع** أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون أكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فإذا جن عليه الليل فليقل يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الأرض في وقت السير ينبغي أن يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الثامن** أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه والغرض من ذلك أن لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة أفضل مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر فهو السنة ومهما قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله أنه لا إله إلا هو إلى آخر الآية والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين **التاسع** أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب أو حملها ما لا تطيق طولب به في القيامة إذ في كل كبد حرى أجر قال أبو الدرداء لبعيره عند الموت أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان أحدهما ترويح

الدابة والأخرى إدخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجل والحذر من خدر الأعصاب بطول الركوب وينبغي أن يعتقد مع المكاري ما يحمله شيئا فشيئا أو يعرضه عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثير بينهما نزاعا يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئا وإن خف فإن القليل يجر إلى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستأذن الجمال فإني لم أشارطه على هذه الرقعة فلينظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع **العاشر** ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي أنه كان يكتحل ثلثا ثلثا وفي رواية أنه كان يكتحل لليمنى ثلثا ولليسرى ثنتين وقد زادت الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال فيفرشون الثياب المغسولة عليها وهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المذمومة ما يصادم السنن الثابتة أما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض وكان يقول ليست هذه من الدنيا **الحادي عشر** في آداب الرجوع من السفر كان صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي أن يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت وإذا دخل قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة وقد روي أنه إن لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكأن هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جمل من آداب الظاهر

فأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة في دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا إلى النقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد أدبا أو كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ويظهر أنه لقي الشيوخ ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة إقامته إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلثة أيام فهو حد الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقته وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره وكلما يدخل البلد لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم بأدب ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي أن يسافر متبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم أن سفره معلول فليرجع إذ لو كان بحق لظهر أثره قال رجل لأبي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذل وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى من ليس له في السفر زيادة دين وإلا فعز الدين لا يستفاد إلا بذل الغربة فليكن سفر

المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا مثلا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة صبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر يأتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان ذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ونزح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى يصب الماء فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر وجودا اولى ان لا يقدح فيه وسيأتي حقيقة التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين اما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلوته وعباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين

القسم الاول

العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه سبع رخص

الرخصة الاولى المسح على الخفين

قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفيه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا او يوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شرائط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رضي الله عنه حتى ينزع خفه اليمنى ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث ينكشف محل الفرض لم يجز له المسح وللشافعي قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا يبدو بشرة القدم من تقوبه وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشراج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا استتر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز له المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استيناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل الفرض لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلث اصابع خرج من شبهة الخلاف والاكمل ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤس اصابع اليمنى من يده على رؤس اصابع اليمنى من رجله ويمسح بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من اليد اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمدها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف ولو لبس الخف في الحضر ولم يمسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر بعد الزوال مثلا مسح ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجل فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر وخرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلثة ايام لان العادة قد يقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

الرخصة الثانية

التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه ولذا ان نزل

على

على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه للعطش لاجل رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او غير ثمن ولو كان يحتاج اليه للمرقة حتى يطبخ به مرقة او احتاج اليه ليجمع به الكعك او طبخ به اللحم لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حول المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه يجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر فقيل له اتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلوة لم تبطل صلوته ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه قد ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما يشاء بذلك التيمم وان اراد الجمع بين فريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة الثانية فلا يصلي فريضتين الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلوة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما

الرخصة الثالثة

في الصلوة المفروضة القصر وله ان يقصر في كل واحد من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلثة الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من حيث البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خرابها وبساتينها التي تخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست محوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شي نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه كما لو جاوز العمران فان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه واما نهاية السفر فبلحد امور ثلثة الاول الوصول الى عمران البلدة التي عزم على الاقامة بها الثاني العزم على الاقامة ثلثة ايام فصاعدا اما في بلد او صحراء الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم ان يتنجز ولكنه كان يتعوق عليه ويتاخر فله ان يترخص وان طالت المدة على اظهر القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان يطول المدة او تقصر ولا بين ان يتاخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلثة ايام او لغيره اذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلثة اميال وكل ميل اربعة آلاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا يكون المراة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا لغرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر نهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص

الرخصة الرابعة

الجمع بين الظهر والعصر في وقتهما وبين المغرب والعشاء في وقتهما فذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم عند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجزه وان

نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فيكفي النية فيها فاما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلاتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربعة المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتين اللتين هما بعد الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على الراحلة كيلا يتعوق عن الرفقة بسببها وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقتها اما لنوم او لشغل فله ان يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعله قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتضح ان لا تشترط الموالاة والترتيب بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او تاخيره وعذر المطر مجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات ولو نوى المسافر الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر

الرخصة الخامسة

في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته اينما توجهت به دابته واوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض للخطر بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته اما مستقبلا الى القبلة واما متوجها في صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرف ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء

الرخصة السادسة

التنفل للماشي جائز في السفر ويومئ للركوع والسجود ولا يقعد للتشهد فان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لان الانحراف في لحظة لا عسر فيها بخلاف الراكب فان في تحريف الدابة وان كان العنان بيده نوع عسر وربما يكثر الصلاة فيطول عليه ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا يخلو عنها الطريق غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا او ماشيا كما ذكرناه في التنفل

الرخصة السابعة

الفطر وهو في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صائما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية نهاره وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار افضل فهذه ثماني رخص تعلق ثلث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلثة ايام وتعلق اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند اداء الصلاة بالتيمم واما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلاة الفرض راكبا وماشيا فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاقول ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شاطئ نهر يوثق ببقاء مائه او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة واما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع

الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحيوة واستمرارها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب يجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذا للمسافر ان ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز برخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت انه ان لم يعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة عليه فكيف يكون علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد والتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلاة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا من الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما يخفف على المسافر في سفره

القسم الثاني

ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر ما يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومن مؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم القبلة والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية فاما النهارية فالشمس فلا بد وان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس مع وقت العصر فانما في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب فانما تدرك بموضع الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق ايضا تعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف في الشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة به فعليه ان يراعي موقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من قفاه او منكبه الايسر لا يظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها يقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطأ من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء فقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معناه على قوم اذ قالوا ان قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة فلا خلاف في انه لا تصح صلاته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو اخرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته

والخط الخارج من موقف المصلي قدرا نه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين واما مقابلة الجهة فيجوز فيها طرفا الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان تتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها او شمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين يلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين يتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته

فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذى يصح عندنا فى الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة
يمكن رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفى استقبال الجهة فاما طلب العين
عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره اى نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بين المشرق والمغرب وانما تفى بجهتها وروى هذا اللفظ عن عمر وابن عمر رضى الله عنهما ايضا واما فعل
الصحابة فما روى ان اهل مسجد قبا كانوا فى صلوة الصبح بالمدينة مستقبلين بيت المقدس مستدبرين للكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حولت
القبلة الى الكعبة فاستداروا فى اثناء الصلوة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمى مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف
الا بادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوه على البديهة فى اثناء الصلوة وفى ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالى مكة
وفى سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق نظر الهندسة واما القياس فهو ان الحاجة
تمس الى الاستقبال وبناء المساجد فى جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق فى علمها
فكيف ينبنى امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التى صورناها وهو تفسير جهات العالم باربع قوله عليه السلم فى قضاء
الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق عن يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن
جهتين ورخص فى جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر بالاذهان جهات العالم يمكن ان يفرض ستا او سبعا او عشرا فكيف ما كان فما حكم الباقى بل
الجهات تثبت فى الاعتقادات بناء على خلقة الانسان وليس له الا قدام وخلف ويمين وشمال وهى اربعة فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان فى ظاهر
النظر اربعا والشرع لا يبنى الا على امثال هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين
فانما تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن اول عمارة فى المشرق ثم يعرف ذلك ايضا فى موقف المصلى
ثم يقابل احدهما بالآخر ويحتاج فيه الى آلات واسباب طويلة والشرع غير مبنى عليها قطعا فاذا القدر الذى لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق
والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصى فاقول
ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه فى الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصى فان لم يكن
شئ من ذلك عصى لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة واستبهم عليه الامر بغيم مظلم
او ترك التعلم ولم يجد فى الطريق من يقلده فعليه ان يصلى فى الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد
من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا فى القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يشير عليه فى حضر او سفر وليس للاعمى ولا
للجاهل ان يسافر فاذا ليس يخفيهما من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس للعامى ان يقيم ببلد ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع
بل يلزمه الهجرة الى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن فى البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول
الفتوى كما فى الرواية فان كان معروفا بالفقه مستور الحال فى العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من هو عدل ظاهر لان المسافر فى البلاد لا يقدر
على ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا الحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا فرسا عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول فتواه وليطلب
غيره وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذى ياخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق
يقدح فى العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة واما معرفة اوقات الصلوات الخمس فلا بد منها ووقت الظهر يدخل بالزوال
وكل شخص يتحد فى ابتداء النهار ظل مستطيل فى جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ فى الزيادة فى جهة المشرق ولا يزال يزيد الى
الغروب فليقم المسافر فى موضع ولينصب خشبة مستقيمة وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه فى النقصان فلم يدخل بعد وقت
الصلوة وطريقه ان ينظر فى البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فاذا كان مثلا ثلثة اقدام تقدم فيما اختار ذلك فى السفر واخذ فى الزيادة
صلى فاذا زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد فى كل يوم ان كان
سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء ينقص كل يوم ولحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف
الظل به فى كل وقت وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان فى السفر فى موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر امكنه ان

يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك فى البلد واما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغى ان
ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد فى الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة
فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرف بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون عند غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو فى الاول
مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الى ان يمضى زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم
ليس الصبح هكذا وجمع كفيه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب
لا تحقيق فيه بل الاعتماد على انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس باربعة منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب
والذى ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل يطلع معترضا منحرفا فيقصر زمان طلوعه وبعضها منتصبا
فيطول زمان طلوعه ويختلف ذلك فى البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح
فلا يمكن ضبطه بمنزلين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربعة منازل الى طلوع قرص الشمس بمقدار منزل يتحقق انه الصبح الكاذب واذا بقى قريب من
منزلين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثى منزل بالتقريب يشك فيه انه من وقت الصبح الصادق او الكاذب وهو مبدا
ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغى ان يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلى صلوة الصبح حتى
ينقضى وقت الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم عقيبه يصلى الصبح متصلا به فليس معرفة
ذلك فى قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك والاعتماد الا على العيان ولا اعتماد فى العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا فى الارض
حتى تبدو مبادى الصفرة وقد غلط فى هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذى فى جامعه باسناده عن
طلق بن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر
وهذا تصريح برعاية الحمرة وقال وفى الباب عن عدى بن حاتم وابى ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم
وقال ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اى مستطيلا فاذا لا ينبغى ان يعول الا على ظهور
وكانها مبادى الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلوة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان
وطن نفسه على تاخير الصلوة الى ان يتحقق فليسمح بفوات فضيلة اول الوقت وليتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى اليقين استغنى عن تعلم
علم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات والله اعلم بالصواب تم كتاب السفر بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والصلوة على خير
خلقه محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين
وحسبنا الله وحده ونعم المعين

كتاب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم
بالشوق الى لقائه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت
قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا فى الكونين شيئا سواه ولم يذكروا فى الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم
صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم فان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق
او مطرب او محزن او مهيج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم
الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفلت عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك
الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته والصلوة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه
ائمة الحق وقادته وسلم كثيرا **اما بعد** فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت
فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر واخفيت كما اخفى الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا
بقداح السماع ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها

فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بواردها مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين

الباب الأول في اباحة السماع

الباب الثاني في آدابه وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الأول

في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه

اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فيسمى الاضطراب واما موزونة فيسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الاول وننقل الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه وقد قال الشافعي في آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروءة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان وكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد والسري السقطي وذو النون يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشياء فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها السماع وحكى غير واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم بن [بنت] منيع وابو بكر بن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كان يكره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم بن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك اي شيء تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد المقصور حرم عليه فقال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين وقال وكان ابو الخير العسقلاني الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي عن بعض الشيوخ انه قال رأيت ابا العباس الخضر عليه السلم فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه الا اقدام العلماء وحكي عن ممشاد الدينوري انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر

منه

منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكي عن طاهر بن بلال الهمذاني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وابو بكر يقول فالتفت الي النبي عليه السلم وقال هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له يؤتى به يوم القيمة في جملة حسناتك او سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم ان قول القائل السماع حرام معناه ان الله يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحة السماع اما القياس فهو ان الغناء اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في معرض المدح لداود انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب منه في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزمه ان يحرم صوت العندليب لانه ليس يقرأ القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيرها واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان واما غيره فصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صور الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل اهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله باختراعها

منه تعلم الصناع وبقصد والإقدام آخر شرح ذلك يطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم سماع صوت
العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام
باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع
بالمنع منها لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى
انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لأنها
مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر وما من حرام إلا وله حريم يطيف به
وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه
فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل إحداها أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية
أنها في قريب العهد بشرب الخمور تذكر مجالس الأنس بالشرب فهو سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام
ولهذه العلة نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم والنقير وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها فمعنى هذا أن مشاهدة صورها تذكرها وهذه العلة
تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار اللذة في المذكر إذ لا لذة في رؤية القنينة وأواني الشراب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر
الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من
عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم
وبهذه العلة حرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج و
الغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشراب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم
يسقيهم ويأخذون من الساقي فيشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وإن كان المشروب مباحا في
نفسه لأن فيه تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك حلق الشعر على الرأس قزعا في بلاد صار القباء من لبس أهل الفساد فيها ولا ينهى
عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح فيهم ذلك فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها
وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون
سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها
فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا وبهذا
يتبين أنه ليست العلة في تحريمه مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم
زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي
في العوارض المحرمة الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد
إلا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر
محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بألحان أو لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي إذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح
ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح إلى
مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال عليه السلام إن من الشعر لحكمة وأنشدت عائشة رضي الله عنها

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى
يقول

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة وكان صلى الله عليه وسلم
ينقل اللبن مع القوم في بنيان المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر وقال أيضا مرة أخرى

اللهم

اللهم إن الأجر أجر الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجرة

وهذا في الصحيحين وكان النبي عليه السلام يضع لحسان منبرا في
المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس
ما نافح أو فاخر عن رسول الله ولما أنشده النابغة شعره قال له رسول الله لا يفضض الله فاك وقالت عائشة رضي الله
عنها كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال أنشدت
النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في
شعره ليسلم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان
يحدو بالرجال فقال رسول الله يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة وما هي إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة
إنكاره بل ربما كانوا يلتمسونه تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى
بأصوات طيبة وألحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول
لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها
ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن
ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج
وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما
يبكيه إلى الإصغاء إليه والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه
المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء تحت الأحمال
والمحامل إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي إلى الحادي رافعة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها
وربما تتلف أنفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي
قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباء فرأيت في الخباء عبدا أسود
مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت ورأيت جملا قد نحل وهو ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام أنت
ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني قال فلما أحضروا
الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا الغلام قد أفقرني وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل
فقال إن له صوتا طيبا وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام
في ليلة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأحببت
أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت
أنا على وجهي فلم أظن أني قد سمعت صوتا أطيب منه فإذا تأثير السماع في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص
مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على سائر البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات
الموزونة ولذلك كانت الطير تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب
لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم
ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد
في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع الأول غناء الحجيج فإنهم يدورون أولا في
البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر
المشاعر ووصف البادية وغيرها وتأثيرها تهييج الشوق إلى حج بيت الله الحرام واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل
أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق
محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف

التراب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا اضيف اليه صوت
طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه
المزامير والاوتار التي هي شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن
له ابواه في الخروج فهذا يحرم تشويقه الى الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق الى الخروج فان التشويق الى الحرام حرام وكذا اذا كانت الطريق غير
آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك
ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحج لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب
فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه بالاشعار المشجعة مثل قول المتنبي
والا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسي الذل غير مكرم وقوله يرى الجبناء ان الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم
وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت
يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى الغزو الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض
التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيه التمدح بالشجاعة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان
اوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال
محظور لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله عنهما وعن غيرهما من الصحابة
ولذلك نقول يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق
الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب فالالحان المرققة المحزنة تباين الالحان
المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير
عن القتال المحظور فهو به مطيع الرابع اصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن
قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم الآية والحزن على
الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما
ولذلك ورد النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي
والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكى آدم عليه السلم وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمير للتدارك
ولذلك كانت نياحة داود عليه السلم محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان يحزن
ويحزن ويبكي ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود
محمود وعن هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى
ليتوصل به الى تبكية غيره واثارة حزنه الخامس السماع في اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح اذا كان ذلك
السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وذلك عند ولادة الولد وعند
ختانه وعند حفظه للقرآن فكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل
ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النساء على السطوح بالدف والالحان عند قدوم رسول
الله صلى الله عليه وسلم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع فهذا اظهار السرور
لقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا
في سرور اصابهم كما سيأتي في احكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب
السرور ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة انها قالت رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى
الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسامه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول
مدة وقوفها وروى مسلم والبخاري في صحيحيهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر دخل
عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر

فكشف

فكشف النبي عليه السلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسترني وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث
عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفي حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترني
بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف وروي عن عائشة قالت كنت العب بالبنات عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ياتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عليه السلم
يسربهن الي فيلعبن معي وفي رواية ان النبي عليه السلم قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي ارى في وسطهن
قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت او ما سمعت انه كان لسليمان بن
داود خيل لها اجنحة فضحك النبي حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور من الخرق
والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقع وقالت عائشة
دخل علي رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني
وقال مزمارة الشيطان عند النبي عليه السلم فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل
غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال
تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك
قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرفت
فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص الاول
اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله عليه السلم دونكم يا بني
ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابي بكر وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله
بانه يوم عيد اي هو وقت السرور وهذا من اسباب السرور والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة
عائشة وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف
في الامتناع والمنع منه والسادس قوله عليه السلم ابتداء لعائشة اتشتهين ان تنظري فلم يكن ذلك عن اضطرار الى مسا عدة
الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على
محذور فاما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه
شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك والثامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار
سمعه ويدل هذا على ان صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص
تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور
كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر
اسباب الفرح وهو كل ما يجوز له الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام
فهو ايضا مظنة السماع **الموضع السادس** سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس
فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان
الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق
والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الاطناب في
وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها
لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب

نستزاد في اسباب اللذة فهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وهذا منه وكذلك اذا غضبت
عليه جاريته او غابت وحيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها
او طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء واما من يتمثل في نفسه صورة صبي
او امراة لا يحل النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا
يباح الوصول اليه واكثر الفساق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك فذلك
ممنوع في حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى
دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع

السابع سماع من احب الله سبحانه وتعالى وعشقه واشتاق الى لقائه
فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه
ومور زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها
من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اي يصادف من نفسه
احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن
الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي
غاية مطالب المحبين لله ونهاية ثمرات القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول
هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها بها
شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد
الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من
من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل
من لذة العلماء بمعرفة الله ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك
يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوى ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد
الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع او لذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول
الصوت الى السمع يدركه بحاسة باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله
تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد معرفته
والحب اذا تاكد سمي عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما راوه يتخلى للعبادة
في جبل حراء واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة
وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات
لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار ايضا لها
فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته انما يعنى انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل
بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتاكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب ارباب
المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة حتى يبذلون اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو
والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته اجميل هو ام قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته
المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا ترى الخير الا منه بل لا خير ولا جمال ولا محبوب في
العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار
والاسماع وسائر الحواس من مبتدا العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار
حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتاكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق
اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الابصار

باشراق

باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب
خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتناثرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت
تحت مبادي انوار تجليه دكا دكا فانى تطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسياتي تحقيق هذه الاشارة في كتاب المحبة ويتضح ان
محبة غير الله قصور وجهل بل المحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها
افعال فلم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره فمن عرف الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق
وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوزت محبته الى غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله
وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله فراى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت
معرفته ومحبته مقصورة على الله غير متجاوزة الى سواه ومن حد العشق ان لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة
اذ كل محبوب سواه يتصور له نظير اما في الوجود او في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق
على غيره مجازا محضا لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن
تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والانس بل يجنب هذه
الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في
حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في امثال هذه الالفاظ بل
لا يبعد ان ينشا من مجرد سماع صفات الله وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل كان على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله
عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق الغيم قالت الله عز وجل فقال اني لاسمع لله تعالى شانا ثم رمى
بنفسه من الجبل وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله وتمام قدرته فطرب له ووجد فرمى بنفسه في الوجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا
بذكر الله رايت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم بذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره
من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع فان قلت فهل له
حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة السماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس
المستمع او في مواظبته لان اركان السماع هو المسمع والمستمع وآلة السماع العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل
النظر اليها وتخشى الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء
بل لو كانت المراة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز محادثتها وسماع صوتها بالقرآن ايضا وكذا الصبي اذا كان
يخاف فتنته فان قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف
الفتنة فاقول هذه مسالة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام
سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني ان
النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المراة داير بين
هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في اول
هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة من غير الغناء ليس
بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد اثر في
تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار
الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس عندي ويتايد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم
كان يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا
ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك والقبلة تدعو
الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص العارض الثاني

فالاولى بان يكون من شعار الشرب او المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف
وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وساير الالات العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر
فان كان فيه شيء من الخنى والفحش والهجو او ما هو كذب على الله او على رسوله او على الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك
حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك القايل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال فاما
هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جايز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجي الكفار
وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك واما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة
وساير اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة
معينة فان نزله فلينزله على من تحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه
فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله
على المعاني بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان
وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوايق الدنيا وافاتها
المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ
كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسيل عن ذلك فقال اذا كان الخيار الناس
عشرة بحبة فما قيمة الاشرار وكان واجد يجتاز في السوق فسمع انسانا يقول يا سعتر بري فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك
فقال سمعته كانه يقول اسع تر بري حتى ان الاعجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن
حروف العجمية فيفهم منها معان اخر فانشد واحد وما زارني في الليل الا خياله فتواجد عليه عجمي فسيل عنه فقال انه يقول ما زاريم و
كما يقول فان لفظ زار يدل في العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عنده خطر هلاك الاخرة
والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن
استشعر خطر هلاك الاخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله ويضطرب عليه اعضاؤه فاذا ليس في تغيير اعيان الالفاظ كبير فايدة بل الذي غلب
عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز من السماع باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله فلا يضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة
المتعلقة بمجاري همته الشريفة العارض الرابع في المستمع وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه
الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع وصف الصدغ
والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد
بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله والقتال في القلب دايم بين جنود
الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب
قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج الى ان يستانف اسباب القتال لازعاجه فكيف يجوز تكثير اسلحته وتشحيذ سيوفه واسنته
والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن جمع السماع فانه يستضر به العارض الخامس ان يكون
الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه ابيح في حقه
محذورا ولكنه ابيح في حقه كساير انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي
ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو
كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروه كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما
يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب
والتجارة او في الدين كالصلوة والقراة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعبت الخيلان
الوجه فما اقبحه فيعود ذلك الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره وما كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه

حرام

حرام فهذا المباح كساير المباحات فان قلت فقد ادى مساق الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول
اولا بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او نعم خلف او خطا فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل نشا
من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سيلنا عن العسل اهو
حلال ام حرام قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سيلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان
يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما ابيح لعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم
لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة وجملة من
العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهم وانما تحريمه لعارض خارج عن
حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا يبالي بمن خالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغناء
من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه
الباطل ومن صنعه كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء
ولا يوتى لذلك ولا ياتي لاجله وانما يعرف بانه يطرب في الحال فيترنم فيها لم يسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل
بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان عند عايشة رضي الله عنها وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي عن
اباحة اهل المدينة للسماع فقال الشافعي لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف فاما الحداء
وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح
ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا
يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ الله به ان عني به انه فعل لا فايدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع يده على
راسه في اليوم ماية مرة فهذا عبث لا فايدة فيه ولا يحرم قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم
فاذا كان ذكر اسم الله على الشيء والمخالفة فيه مع انه لا فايدة فيه لا يواخذ به فكيف يواخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه
الباطل فهذا لا يدل على اعتقاده تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وانما يدل على خلوه عن الفايدة
فالباطل ما لا فايدة له فقول الرجل لزوجته بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب
والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها
او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي
الدين والمروة وهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق
وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليست صناعة ذوي المروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرف الخسيسة وتعليله يدل على انه
اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن ايضا بغيره من كبار الايمة فان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم

بيان حجة القايلين بتحريم السماع

والجواب عنها احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث هو الغناء وروت عايشة رضي الله عنها ان الله تعالى
حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجالس الشرب وقد
ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالقينة الا ما هو محظور فاما غناء الجارية
لمالكها فلا يفهم من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عايشة
واما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا
عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الاية ولو قرا القاري ليضل عن سبيل الله كان حراما حكي عن
عن احد من المنافقين انه كان يوم الناس ولا يقرا الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهم عمر رضي الله عنه بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم واحتجوا بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير اي السمد فيقول ينبغي ان يحرم

الضحك وعدم البكاء ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهو ايضا مخصوص
باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال والشعراء يتبعهم الغاوون واراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك
على تحريم نظم الشعر في نفسه احتجوا بما روى عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول
من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء قلنا لاجرم كما استثنى عنه نياحة داود عليه السلم ونياحة المذنبين على خطاياهم
فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين
يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهم عند قدومه عليه السلم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
احتجوا بما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع صوته بغناء الا بعث الله تعالى اليه شيطانين
على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي
يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله او السرور بالعيد او حدوث
الولد او قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح
فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم
فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصد احتجوا بما روى عقبة بن
عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته
امراته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد نسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة
خارج عن هذه الثلثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله عليه السلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلث فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبته امراته لا فائدة لها الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين وسماع
اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم شيء منها وان جاز وصفه بانه باطل احتجوا بقول
عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله فنقول فليكن التمني
ومس الذكر باليمين حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء ومن اين ثبت ان عثمان كان لا يترك الا الحرام احتجوا بقول
ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع
انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع
ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض
الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة
ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا فنقول
قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته
عليه ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول
المهملجة وساير انواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع تنبت الرياء والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريم ذلك كلها
وليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله
عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات واما قول ابن
عمر الا لا اسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم
لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام
وحكايات الاحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال واما وضعه الاصبع في اذنيه فيعارضه انه لم يامر نافعا بوضع الاصبع ولا انكر عليه
سماعه وانما وضع اصبعيه لانه راى ان ينزه في الحال سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك لهوا ويمنعه عن فكر كان فيه
وهو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم بل يدل على ان الاولى

تركه

تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا فالاولى تركها اذا علم ان ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلوة ثوب ابي جهم اذ كان عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم
الاعلام على الثوب فلعله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما كان العلم يشغله
عن الصلوة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود للحق وان
كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع
من الله هو الدائم فالانبياء على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة واما قول الفضيل هو رقية
الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما
لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغاية ما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق
او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية
البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود الولد وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن
رسول الله وعن الصحابة كما سياتي تفصيله في كتاب آفات اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم
وقد ثبت بالنص اجازته على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها
اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الايام والمواظب
على الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلوة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل
واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء فاللهو دواء القلب عن داء الاعياء والملال
فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من
لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل
به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فان الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن
حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها للسياقة الى الحق علم قطعا ان ترويحها
بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر
الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلث

المقام الاول

في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ
له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة فيه وكذا سائر البهائم
بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحيوة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن
ينزله على صورة مخلوق اما معين واما غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوة فيكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم
ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها الحالة الثالثة ان ينزل ما يسمعه
على احوال نفسه في معاملته مع الله تعالى وتقلب احواله في التمكن منه مرة وتعذره اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين
فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله
في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملته فاذا سمع ذكر خطاب او عتاب او قبول
او رد او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او
استيناس او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف من فراق او فرح بوصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف
الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد وان يوافق بعضها حال المريد في طلبه
فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناده فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال
مخالفة للعادة ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه

ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه المنزلات والفهم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع للابيات فيها ذكر
الصنم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف
عن ذلك فقد حكي عن بعضهم انه سمع قول القارى يقول شعرا   قال الرسول غدا تزور فقلت تدري ما تقول   فاستفزه القول
واللحن وتواجد وجعل يكرر ويجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور
فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة
وقد حكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على دجلة بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة عليه
رجل بين يديه جارية تغني   كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل   واذا شاب بين يديه ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية
بالله وبحيوة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادته فكان الشاب يقول والله هذا تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة فمات
قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله قال ثم خرج اهل البصرة فصلوا عليه
فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم
رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر
والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله وبعجزه عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على تقلب
قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله كانه خاطبه ويقول له كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل
ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته والا خطر له في
السماع في حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على حاله من حيث لا يتعلق
بوصف الله ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو مخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله فيكفر
وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل يشوبه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه
بل تقلب سائر احوال العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته
ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن يكثر منه افعال مختلفة في اوقات متقاربة
فقد يقال له انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه
وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده
وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية
وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال
مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي
لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار
لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
وان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نودي من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب
فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولعمري تادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون واما تادب السر عن
اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد
الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلم لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا
الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش
الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا ممن عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولهذا قال بعضهم ليتنا نجونا من
هذا السماع راسا براس فهذا الفن من السماع خطره يزيد على خطر السماع على محلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية
الخطا ههنا كفر   واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين ببيت واحد واحدهما

مصيب

مصيب في الفهم والاخر مخطي او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي
عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول   سبحان جبار السما ان المحب لفي عنا   فقال صدقت وسمعه رجل اخر فقال
كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر
والتكذيب كلام مستانس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال
ولا مستشعر لخطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي
عن ابي القسم بن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها انسان يقول
واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى   فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا
الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فما ذا عندك فيه فقال ان يكون في
وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذا اشارة الى اثبات حقيقة ورا الاحوال والكرامات والاحوال سوابقها
والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش
اليها ان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف
بين الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت   ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب   وهذا البيت
يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهره ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها بل في كل ما سوى الله فان الدنيا
مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلات منها دار حبرة الا امتلات عبرة كما ورد
في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا   تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تاملت راجح   لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح   وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح
والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته ريا اذ لا يتقي الله
حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا
البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك انت كما
اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات بعد
بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى
الله غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال   المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها
فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله فيستمع البيت في حق الله شكاية من القضا والقدر وهذا كفر
كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفا قلبه   الحالة الرابعة سماع
من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان
كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن
وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن
كل شي الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب اذا التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن
عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه الى رؤيته والى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران
لا خبر له من سكره والملتذ لا خبر له من التذاذه ايضا انما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشي فانه مغاير للعلم بالعلم
بذلك الشي فالعالم بالشي مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشي كان معرضا عن الشي ومثل هذه الحالة قد يطرا في حق المخلوقين ويطرا
ايضا في حق الخالق ولكنه في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما
يضطرب تحت اعبائه اضطرابا هلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت
ما زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله   فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطعت

وبقيت اصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى تورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك اياما
ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور
وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى اليد والسكين فيسمع
بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقايق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض
الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده
بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عرفها
من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما حضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله
المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ومثالها الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر
في نفسها فليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعرب عن هذه الحقيقة في سر
القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر
رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح ... وكانما قدح ولا خمر
وهذه مغاصة من مغاصات علوم المكاشفة منها نشا خيال من ادعى
الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها
فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها
فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات

المقام الثاني

بعد الفهم والتنزيل الوجد
اعلم ان للناس كلاما طويلا في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء والناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل
من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق
يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق وكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده
عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجد في السماع الوجد عبارة عما
يوجد عند السماع وقال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفا فادركت به
منازل الرضاء واخرجني الى رياض النزهة والفضاء وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة
حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه
وصف يدق عن سائر الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي
لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال
ابو سعيد الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو
فناؤك من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في
قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان
النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في
محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان خاليا منه فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما
كان معدوما عنده وقال الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة
الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ما مضى او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة
الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك
لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر
علم الوجد واقوال الصوفية فيه من هذا الجنس كثيرة واما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر على
قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة
الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام

ولا آراء

ولا آراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطي وياتي ولا يبطي وقال آخر
كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف
بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه
بالحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها روحانية واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي
ليعبر عنه وعن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الداثر وقال آخر من حزن فليستمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد
نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس
والاقاويل المتفرقة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار منها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول
انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان
ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق
والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع او يقويها فان ضعف
بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة
على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر يسمى وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بسبب
قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه وقد يقوى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة
صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد الاعرابي حيث قال
في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان
الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح
امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر في تصفية القلوب والصفاء سبب الكشف ومنها
انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه
قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير الحمل فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل
القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة
وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي
انه قال خرجت ليلة في ايام جهالتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت
بطرزناباذ كرم ما مررت به ... الا تعجبت ممن يشرب الما
وفي جهنم ما ما تجرعه خلق ... فابقى له في الجوف امعا
قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف
اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني
انه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال
فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قائل يقول رافعا صوته
وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيها غير نافع
قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم
فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام
فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورها واما على مثال
يحاكي صورتها بعض المحاكاة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته واخبر عنه بانه
كان قد سد الافق وهو المراد بقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه الآيات وفي مثل
هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضماير القلوب ويعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول
ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية
فساله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي في وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الآن

عرفت انك مومن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد مع جماعة من الفقراء في الجامع فاقبل شاب طيب
الرائحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ
في فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني واكب علي يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا يخطي
فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع الشيخ
وتفرس في علمت انه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة
فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم
المخلصين وبقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل
ما روي ان ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيا فاذن له في ذلك
فانشا يقول صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا وانت جمعت في قلبي هوى قد كان مشتركا
فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من
ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد
رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم انه ينقسم كل واحد منهما الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه
والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد في
احوالك القريبة لها شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسالتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا
في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه
التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله حقيقة عند الله ولا يمكنه الاخبار عنه لا
لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تنالة العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال
فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شي فيوثر في نفسه اثرا فينسى
ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور
فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة
مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها
صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمنزحف ولا يمكنه عبارة عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له
وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن غناء مفهوم فاما الاوتار
وساير النغمات التي ليست مفهومة فتوثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الآثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق
لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطربت نفسه بسماع الاوتار والشاهين وما يشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق
ويجد في نفسه حالة كانه تتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله وهذا له سر
وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول
اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة
المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعل نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا
عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري
صورة الوقاع ولا صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس
العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امراة قط ولا
صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه
وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون

كا

كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام
الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف
فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال
الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره
البكاء في قراءة القرآن ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير
التكلف في الآخرة طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه تكلفا ويقراه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا
للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلوة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد انتهايه الى آخر السورة ويعلم انه
قراها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد شديد في الابتدا ثم تمرن عليه يده فيصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستوفي النفس
بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو
المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها
بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر في
نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم
يتخلص فكذلك حب الله والشوق الى لقايه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف
اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس بالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله
في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس
شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دعايه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد
الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال
هولاء لا يظهر وجدهم على القرآن وهو كلام الله ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله ولم يكن باطلا من
غرور الشيطان لكان القرآن اولى به من الغناء فنقول الوجد الحق هو ما ينشا من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى لقايه وذلك
يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب وقوله
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس
فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا والوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل
المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال
لابي موسى الاشعري لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود واما الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد
عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد
وروي ان ابن مسعود قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء
شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه قرا هذه الآية او قري عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
وعذابا اليما فصعق وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرا ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل
الى بيته فلم يزل مريضا في البيت شهرا وانه صلى الله عليه وسلم قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان عليه السلام اذا مر باية
رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى على اصحاب الوجد بالقرآن فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز
المرجل واما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات
من غشيته وكان زرارة بن اوفى من التابعين يوم بالناس بالرقة فقرا فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه وابو جرير

من البائس قرأ على صالح المري فاتقوا الله يا اولي الالباب فشهق ومات وسمع الشافعي قاريا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا
يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وسمع علي بن الفضيل قاريا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل
شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفيه فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي
خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر وجهه
وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين
يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرأوا عليه تلك الآية فقرأوا فافاق
فقال من اين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق
فاستحسن ذلك ويشير الى ما قاله الجنيد قول الشاعر وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها وسمع رجل
من اهل التصوف قاريا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها
ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قاريا يقرأ وانذرهم يوم الآزفة فاضطرب
ثم صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان ابرهيم بن ادهم اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت
اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ وامتازوا اليوم
ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر
جلده فاحبه سلمان وفقده فسال عنه فقيل انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا عبد الله ارايت تلك القشعريرة
التي كانت بي فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله قد غفر لي بها كل ذنب وقال بعض الصوفيه كنت اقرأ ليلة
هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا هاتف يهتف بي كم ترددها هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا
رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني في
الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على هذا فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف
منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهي شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وبالجملة
لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل
رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل
المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة
وخرج فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون المقرين فكان
ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا في حلق المغنين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاري لا قوال
فان كلام الله افضل من الغناء لا محالة فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة اوجه الاول
ان جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن
اين تناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع
الآيات التي هي بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما يضعها
الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها الى تكلف نعم من يستولي عليه حال غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا
لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يحصل وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصيه وان كل انسان لا بد ان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك
احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر الله في قوله يوصيكم الله فيدهش بمجرد الاسم عما
قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسم ميراثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم ومماتهم فيقول اذ نظر
لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء فيورثه ذلك استبشارا وسرورا او يخطر له من قوله للذكر مثل

حظ

حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله
فهو من الاناث لا من الرجال حقيقة فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الآخرة كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه
وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه بالامور القريبة للمعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل
ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها روي انه كان ابو الحسين النوري مع جماعة في دعوة
فجرى بينهم مسئلة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم

رب ورقاء هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن ... فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
ولقد اشكو فما افهمها ولقد تشكو فلا تفهمني ... غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني

قال فما بقي في القوم احد الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا الوجه الثاني
ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد
يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر الوجد على بيت واحد على الدوام في دفعات متقاربة من الزمان في يوم او اسبوع
لم يمكنه ذلك وان ابدل بيت آخر تجدد له اثر وان كان معربا عن ذلك المعنى ولكن كون اللفظ والنظم غريبا بالاضافة الى الاول يحرك
النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القاري ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة لان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ
ومتكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست
قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى من قلوب اجلاف الاعراب وانه كان اخلى عن حب الله وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار
على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به اذ محال في العادة ان يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها
ويبكي ولا يفارق الاول الآخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مألوف انس يناقض الصدمة ولهذا
هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى
بيت الله اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذا المغني يقدر
على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس
فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني
البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن سنن تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم
المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا مؤثر ولذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف تأثيره
في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات
والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل
والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان
وهو سبب مستقل بالتأثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين وساير الاصوات التي لا تفهم الوجه الخامس ان الالحان
الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف
لا يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد حظ في التأثير وواجب ان يصان القرآن عن مثل هذه القرائن
لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة
وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق
بل في مسجد ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير الطهارة ولا يقدر على الوفاء بحرمة القرآن في كل حال فيعدل الى الغناء الذي لا يستحق
هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب
الدف في العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه ويجوز ذلك مع الشعر دون القرآن ولذلك لما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جارية تغني فلما رأت النبي عليه السلم قالت وفينا نبي يعلم ما في غد
في معرض الغناء فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولينه وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها

الى الغناء الذي هو لهو لان هذا وجد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا تعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب
في احترام العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء الوجه السادس ان المغني قد يغني
بيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ
فربما يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف وآية العذاب شفاء المغرور
الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذا لا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهية كلام الله من حيث لا يجد سبيلا
الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم وحتم واجب ولا يجد الخلاص منه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله الا على ما اراده
الله واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التأويل الخطأ الموافقة للحال فيجب توقير كلامه تعالى وصيانته
عن ذلك هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن القرآن وههنا وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن
ذلك وهو ان القرآن كلام الله وصفته وهو حق لا تطيقه القوة البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب
ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر
نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من اللطائف والاشارات شاكل بعضها بعضا وكانت اقرب الى
الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات
الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ واليه
يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن ابي الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد
للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت اسأل عنه فكل من سألته قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت
على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في
المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين اقبلت قلت من بغداد
فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان في بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري
لك دارا وجارية كان ذلك يقعدك عن المجيء الي فقلت ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي احسن ان تقول
شيئا قلت نعم فقال هات فانشأت اقول رأيتك تبني دائبا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كأني بكم والليت افضل قولكم ألا ليتنا كنا اذا الليت لا تغني قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى
رحمته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون يوسف زنديق من صلاة الغداة هو ذا اقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة
وقد قامت علي القيامة بهذين البيتين فاذا القلوب وان كانت محترقة في حب الله فان البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن
وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام
ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل
فرآه وهو ينكت في الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن ان تترنم بشيء فقال لا قال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب
وعرف طباعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيرهما فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره
فقد ذكرنا حكم المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب فلنذكر الآن اثر الوجد
الذي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول

المقام الثالث

من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم فاما الآداب فهي خمس جمل الاول
مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء والا فلا تسمع الزمان والمكان
والاخوان والمعنى ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب فلا
فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب
يشغل القلب فيجتنب ذلك والاخوان سببه اذا حضر غير الجنس من منكر للسماع متزهد الظاهر مفلس عن لطائف القلوب
كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد

من

من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه
الشروط نظر للمستمع الثاني وهو نظر للحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم
فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذي يستضر بالسماع ثلاثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة
ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع
فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه والثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن بقي فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات
والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال
الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم
ولم يعرف اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره
من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل
هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله
ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رأيت ابليس
في المنام فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رأيته انا
لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت الادب الثالث ان يكون مصغيا الى ما يقوله القائل
حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة
قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف متحرزا
عن التنحنح والتثاؤب يجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع
والتكلف والمراءاة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه
الاختيار فليعد الى هدوئه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة وحكي ان شابا كان يصحب
الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر
من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة وانشق قلبه وتلفت نفسه وروي ان موسى
عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه او قميصه فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال
ابو القاسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع
وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت فالافضل الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر
في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في
الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع
مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده ومن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين
الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت
قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا
طارئا علينا حتى نتأثر بها فاذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الآخر اما لشدة قوته واما لضعف
ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب
ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة
وقال ابو الحسن محمد بن احمد صحبت سهل بن عبد الله وكان بالبصرة ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر او القرآن
فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سألته عن ذلك
فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه فقال

قد ضعفت فقيل له فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يتلقاه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وإن كانت
قوية وسبب القوة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل أنه قال حالي قبل الصلوة وبعدها
واحد لأنه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده إذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا
بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روي أن ممشاد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي
الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد
فإن قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان
وإدخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف
وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم
وبواطنهم كما يجلسون في غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من ينقل عنه ترك السماع يظن أنه كرهه كان سبب
تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا
بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الإخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من الأدب الرابع أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء
وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراآة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك
السرور والنشاط فكل سرور مباح يجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة أنهم حجلوا لما أصابهم سرور أوجب ذلك وذلك
في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني
وأنا منك فحجل علي وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر
ثم قال عليه السلم هي لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات أنه قال لعائشة أتحبين أن تنظري إلى زفن الحبشة والزفن
والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وإن كان مباحا فهو
مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة
اللعب في أعين الناس ينبغي أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في أعين الخلق فيترك الاقتداء به وأما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه إلا عند
خروج الأمر عن الاختيار ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه أو يدري ولكنه يكون كالمضطر الذي
لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره إذ يكون له في الحركة أو التمزيق متنفس فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين
ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالإرادة
ولو كلف الإنسان نفسه أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون
كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري
فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص
فإن قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعا صغيرة
ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم أن ذلك مباح إذا مزق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فإن الكرباس
يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار وذلك
مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود فهو مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن
ينبغي أن يكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا
به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار الأدب الخامس موافقة القوم في القيام إذا قام واحد في وجد صادق من غير رياء
وتكلف أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك إن جرت عادة طائفة
بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا خلع ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الأمور من حسن
الصحبة والعشرة إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالطة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما إذا كانت أخلاقا

فيها

فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن
الصحابة وإنما المحذور بدعة تراغم سنة مأمورا بها ولم ينقل النهي عن شيء من ذلك والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب
بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال كما رواه أنس ولكن إذ لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأسا في
البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام فإن القصد منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به وكذلك سائر أنواع المساعدة
إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل
ومن الآداب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح
والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا أرباب القلوب
محك للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الواجدين له إذا كانوا أشكالا لا غير
أضداد فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو مخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين
إلا وينكره فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره لما أن
كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب واللهو
واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق
بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا
أو رطلا من الخبز كان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار في جملة مساويه ويعير به عقبه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن
يقال فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطى خبزا لفقير حسن ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك
الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات
إلى المناصب فأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم بالصواب فقد خرج من جملة التفصيل السابق
أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن
غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صور
المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المندوب
فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين

تم كتاب السماع والصلوة على سيدنا محمد وآله الطاهرين

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ولا تستمنح النعم إلا
بواسطة كرمه ومجده والصلوة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين
من بعده **أما بعد** فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي
ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة
وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وإن لم يشعروا بالهلاك
إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية
حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى
والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا يأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة
وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها
كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها

وها نحن نشرح علمه في اربعة ابواب الباب الأول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته
الباب الثاني في اركانه وشروطه الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات
المألوفة في العادات الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الأول في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة في اهماله

يدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارة العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار

اما الآيات

فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر وظاهر الامر الوجوب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال اولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فاذا مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فقد نعت المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئسما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئسما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي فذلك هو النهي عن المنكر

واما الاخبار

فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها مثل الذي انتم عليه

اجر

أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسأل العبد ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد منها انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فان ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دار الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم ولولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة ويتفق جريانها بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم

اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام آخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم
اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد
نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم
لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس
قيل لرسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال
جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على
اهلها قال فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت
عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال
لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى عليه السلام يا رب اي
عبادك احب اليك قال الذي يسرع الى هواي كما يسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب
اذا اوتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف
وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض
افضل من الشهداء احياء مرزوقون يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله فقال
ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان
العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل
منهم ليتزوج بثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف
ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت
يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان
القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل شهداء امتي
رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا
ينهون عن المنكر

واما الآثار

فقد قال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله
عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون
فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار
كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما غمز بعض النساء فقال
مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان اخبر
فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس
زمان لان تكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم واوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من
خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم
وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار
لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا
امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر يأتي العمال ثم قعد
عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان آثم
وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف
ولم

ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او نهى عنه وتعلق به عند
فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام
بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تنهى وتأمر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم
لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر
بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه
وشروط وجوبه

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه
والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط

الركن الاول

المحتسب وله شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين
ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف
فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل
حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه
من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه
التكليف ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل
المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر واما الشرط الثاني
وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له واما الشرط
الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله
مثل قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا
كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير
فرع للاستقامة والاصلاح زكوة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج
وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون
متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان اشترط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة
فضلا عمن دونهم والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء
ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر احد بشيء فاعجب
ذلك مالكا من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنى وشرب الخمر
فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين
لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع
من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق فان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل
مقدم على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنى والقتل
لم لا يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل لم لا يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه عن الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي
فمن اين يلزم من العصيان في احدهما ان اعصي الله بالثاني اذا كان النهي واجبا علي فمن اين يسقط وجوبه باقدامي اذ يستحيل
ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر ما لم تشرب فاذا شربته سقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب

على الوضوء والصلاة فاما التوضأ وان لم اصل او اتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعا ولكن يقال احدهما مرتب على الآخر
فكذا الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول والجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان
التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب
احدهما على الآخر تحكم واما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء وكان عقابه اقل ممن
ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له
دون الصلاة واما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى الرجل
بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنى ويقول انت مكرهة في الزنى
ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وها انا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم
فالجواب ان الحق قد يكون شنيعا والباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات
فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية
والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذا له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول
كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنى ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر واما نفرة الطباع عنه
واستنكارها فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطبع ينفر عن ترك المهم الى ما لا يعني وينفر ايضا عن ترك
الاهم والاشتغال بالمهم كما ينفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربوا وكما ينفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد
بالزور لان الشهادة بالزور افحش واشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان
ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم يزد بذلك عقوبته فكذلك الضرورة في الآخرة من معصيته اكثر من ضرره
من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسا ولجاما
فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه
لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق يستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان
حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ
اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط
فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل
والحجة جميعا فان كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل
مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تنفر
الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ
فاذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد
نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق
في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهو غاية الانصاف والكشف في المسألة واما الآيات التي استدلوا بها فهو
انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله
تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا
غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد
سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي
مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم
اذا رآه يزني لان قوله لا تزن حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم
بفعله فهو تسلط عليه فيمنع منه من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه

من

من حيث انه نهي عن الزنى ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن
لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث
انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ان رأينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق
بغرضنا الآن الشرط الرابع كونه مأذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعايا
الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه
وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز
الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا
الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر
وطلبكم لحقوقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل
في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي
ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام
والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة
والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله
لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين فكذلك النهي وشرح القول في هذا ان
الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي بيانه اولها التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف والثالثة السب والتعنيف
ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى الرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة
ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف ثوب الحرير من رأسه واستلاب المنديل المغصوب منه ورده على صاحبه والخامسة
التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عنه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل
على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى وجه
استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا كما سيأتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام
واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما جرى مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحب بل افضل الدرجات
كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي
ومنع شرب الخمر ومعاطاة ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى
فتنة عامة وفيه نظر كما سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض
بل كل من امر بالمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى
اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد
فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان ترك ذلك يا ابا فلان فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى
ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم
مكة لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع
من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من
مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها في العامة فجعله في
اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيروه الى بيت
واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاوذن به المهدي فقال له من اخرجك فقال الذي
حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله راسه اليه يضحك وهو يقول لو كنت تملك

حيوه ادموتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر
مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها ورُوي عن حبان بن عبد الله قال تنزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم
وهو سليمن بن ابي جعفر فقال هرون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها
فقال لها ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق
يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احفظ هذا
فانه طلبة امير المومنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المومنين فقال له اسمع ما
اقول لك فدخل على هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه
وضرب به الارض فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمن بن جعفر ما هذا الغضب يا امير المومنين ابعث
الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة قال لا ولكن نبعث اليه نناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المومنين قال نعم
قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندما اي شي ترون نرفع
ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر اصلح
فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا
وادخل على امير المومنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هرون
لاي شي تريد منه فقال في كمه نوى فقلت له اخرجه وادخل على امير المومنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم
وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شي صنعت وجعل هرون يستحيي ان يقول كسرت عودنا فلما
اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة ثم قال
اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المومنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من
القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة فقال
قل لامير المومنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على النواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

ارى الدنيا لمن هي في يديه ... عذابا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شي فدعه ... وخذ ما انت محتاج اليه

وعن سفين الثوري قال حج المهدي في سنة ست وستين
ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت وقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن وائل
عن قدامة بن عبد الله قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد
ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفين الثوري فقال
يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن
الوجه ولم يقل لك يا امير المومنين فقال اطلبوه فطلب فاختفى ويروى عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك
رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير امر منا وكان المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب او قصة فاغفله فوقع
منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال له المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده
فقال ماذا تقول حتى اعاد ذلك ثلثا فلم يفهم فقال اما رفعت واما اذنت لي ان ارفع فقال قد اذنت فنظر المامون
تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد فقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن
الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير انا اعوانك واولياؤك فيه ولا ينكر
ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله فان الله تعالى قال والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون

بالمعروف

بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت
في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك الى جزء منهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد للازم
منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا فقل الآن ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به
وقال مثلك يجوز له ان يامر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن اذننا فاستمر الرجل عليه ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل
على الاستغناء عن الاذن فان قيل افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ
والرعية على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية
او بينهما فرق قلنا الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد على الوالد فنقول قد رتبنا
للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف
والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا
فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال
الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه من ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه متعينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه
والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب
ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاه حبه للباطل وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد
ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا
كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور او زجاج على صورة
حيوان وفي كسرها خسران مال فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل
ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من
غير تخصيص واما النهي عن التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بالمنكرات فنقول قد ورد في حق الاب
على الخصوص ما يوجب الاستثناء على العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه حدا في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه
بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته وقد وردت في ذلك اخبار وثبت بعضها
بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هو منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى
وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين
آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها فهذا يدل على تاكد الحق ايضا واما الرعية
مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس له معه الا التعريف والنصح واما المرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ
الاموال من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير واراقة الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته
وذلك محظور وورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكل الى اجتهاد منشاه النظر
في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر بينهما اخف
لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه ويروى انه
سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه الشرط الخامس كونه قادرا
ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا
الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز
الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت
الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان
يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان
لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة

الا اذا كان يدعو الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من
يقدر على الهرب من الاكراه الحالة الثانية ان ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يترك بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار
وهذه هي القدرة المطلقة الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب
لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الحالة الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله
كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه
هذا المنكر ولكنه يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة
حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما
فاردت ان انكره عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملاء من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص
في الفعل فان قيل فما معنى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان للمسلم الواحد ان يهجم على صف الكفار
ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في
طاعة الله تعالى من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب
علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة
ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز
له الاقدام اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم
للشهادة في سبيل الله فتنكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكر
او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب
القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب ان يؤثر في الدين اثرا او يفديه بنفسه
فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك
بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر
الا بان يفضي ذلك الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر اخر يتعاطاه
غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب
حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك
ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر واما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب
الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي
يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره حتى ياكلها وعلم انه لو منعه منها لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم
لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه وحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في
ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنى وترك الصلوة فاما ما يعلم كونه
معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد
ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته فيؤدي الى وجوه من
الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك فان قيل وحيث اطلقتم القول بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل
العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ ترجح العلم
اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع اخر وهو انه تسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان
غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه
متوقعة وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما
بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس عنه فلا فائدة فاما اذا لم يكن فينبغي ان لا يسقط الوجوب

فان

فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب
بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في
كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد
التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب
بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب
عليه اذا علم انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة
والجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما
جبل عليه من حسن الامل حتى لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج
فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما
نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل
في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك
دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته
في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة
الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ
المبتدي في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل
للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات
ولذلك قد نقول على راي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك
الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان
المحتسب عليه بالغيبة وما من شخص يامر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى سلطان او ان يقدح فيه
في مجلس من يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة
ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور اما في
النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة و
الثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة
وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبه الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين
به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده
فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه
كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا
ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من
تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته
المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل
ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من
من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية
امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما تمس اليه الحاجة
ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة
الطبيب ويعلم ان في تاخره شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء

الخلق صح

والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما في الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى يطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم او جور وما الله بظلام للعبيد

واما القسم الثاني

وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له ابد الآباد واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره وما وسط بينهما يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ من الناس او يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص في السكوت لان المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب الم يزيد على الم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير حاجة ولو ترك الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه وتعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبة عنه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب زيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له واما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه دونه لان تأذيه بامر نفسه اشد من تأذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذا ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه

فليتركها

فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا يمنعه عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس معصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فلو علمنا انه لو خلي بنفسه وقطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حالة مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة احوال احدها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية ان تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجبة بكل ما يمكن ما لم تؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة ان يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فيجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة

الركن الثاني

للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا من لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان رأى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد بعد ان انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه الشرط الثالث ان يكون ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلثة اوجه فقال ما هي قال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد دخلت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر رضي الله عنه الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من كتاب

آداب الصحبة فلا نعيدها فإن قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسرها وكذلك إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فإذا إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يقصد بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فإذا رأى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره ولا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان خلا لما أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما يكثر وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من أبدى لنا صفحته وللإبداء درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فإذا إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات المعرفة فالأمارات المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا

الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا على الشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب من المحصلين أحد إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذي أدى اجتهاده في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فإذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو أن يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي إذ يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن لم يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم أو لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر في المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجه أبوه منه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عالم بلغته فهو في الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعه منها مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوج ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع أعني باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وأن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف فيها إن رأى أنه لا يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لا حسبة إلا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لأجل ظن غيره إذ ربما ظن غيره أن الاستدبار هو الصواب ورأي من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به فإن قلت إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لأنه يرى أنه

حتى

حتى ينبغي أن لا يعترض على المعتزلي في قوله إن الله لا يرى وقوله إن الخير من الله وليس الشر من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله إن الله جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا ينبغي أن يعترض على الفلسفي في قوله إن الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق فإن قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله يرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح بلا ولي ومسألة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحدا كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا فلا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض وجه فإذا البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وينكر على المبتدعين بدعتهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد فإن قلت فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول ينظر إلى البلدة التي فيها ظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليهم بغير إذن السلطان وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدع وأهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فإن ما يكون بإذن السلطان فلا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع أهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيه ولا ينجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى وأنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان

الركن الثالث

المحتسب عليه وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولعله يكفي في ذلك أن يكون إنسانا ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتهيأ لتوجه أصل الإنكار عليه لا إلى ما بها يتهيأ للتفاصيل فإن قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعا لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه له إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يطعم كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة فإنا لا نمنع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث إنه إنسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه

فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخر الغير طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه عن الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلم كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى في ترك السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب وضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع وهو نائم او باعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه بالتنبيه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فترجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقرب من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او تترك كما لو كانت في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كانت في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب يستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين ويتنزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع به واذا كانت دار القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كانت في الطرف الاخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذا الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل

الركن الرابع

نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود اما الدرجة الاولى وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما جرى في داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او في داره خمر اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عمن ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم لجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع

والسجود

والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذه ليست بصلاة ولو رضي بان لا يكون مصليا لترك الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فنقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة وايضاحها وانما شرط الصلاة الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على خطا في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التمييز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخرى من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قيل انه يقوى قال اخاف عليه السيف قيل انه يقوى قال اخاف عليه الداء الدفين العجب الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ وذلك بان يعدل اليه بعد العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه من الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوداوي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه

بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب في وجهه ويظهر الانكار به الدرجة الخامسة التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من راسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي القلب واللسان فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان ياخذه ويجره واذا قدر ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاطه بنفسه ذلك كفي الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حالة تحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لم تزد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قارورة ضيقة الراس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسر لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الغصب ليكون ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون عن الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى احاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا احاد الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها بل جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنه فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن رقبتك او لامرن بك وذلك ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك واضربن ولدك واسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو عزمه في الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتاد فهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين

وتاليفه بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او على مزمار ومعه سيف وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرمي وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبه ذلك ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالادميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للاحاد الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل احاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال اخرون لا يحتاج الى اذن الامام وهو الاقيس لانه اذا جاز للاحاد الامر بالمعروف فاوائل درجاته تدعو الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى ودفع معاصيه ونحن نجوز للاحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسالة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر ادابها

بيان اداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الاداب في احاد الدرجات ونذكر الان جملها ومصادرها فنقول جميع اداب المحتسب مصدرها ثلث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها فيقتصر على حد الشرع فيه واما الورع فليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل به بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزا به اذا احتسب ويورث ذلك جراة واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفيان فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الاداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من اخذ الناس به وقد قيل

لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله
من ذم شيئا واتى مثله فانما يزري على عقله

ولابي العتاهية

تدل على التقوى وانت مقصر اياما من يداوي الناس وهو سقيم
وان امراء لم يجعل البر كنزه ولو كانت الدنيا له لعديم

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهور فسقه للناس وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله الا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثورانه

بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم
ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الحسبة
توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمن عليه السلم يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة
فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيا من الغدد لسنوره فراى على القصاب
منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيتك بعد هذا شيا لسنورك
فقال ما احتسبت الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة
ومن طمع في ان يكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم عليه بالثناء مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم
الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر سآءت
منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المامون اذ وعظه
واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله عز وجل من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتدآء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم فقد روى ابو امامة ان
غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح به الناس فقال عليه السلم اقروه ادن
فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلم اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه
لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة
وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني
ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن
شي ابغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما اخذ منهم
الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة
ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك
حاجة قال وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع من ازارك قال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال
لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب
يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة
فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيا الغلام وجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي
فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه
ينصرف حتى تاتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امران تاتيه فادخله عليه فقال
له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفعه وقال
عاهدت الله عهدا يسالني عنه يوم القيمة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشي مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل راسه
وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف
ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض
لها وبيده سكين لا يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمراة تصيح في يده اذ مر بشر بن الحرث
فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المراة لحالها فسالوه
ما حالك فقال ما ادري ولكن حكني شيخ وقال لي ان الله عز وجل ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدماي وهبته
هيبة شديدة ولا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحرث فقال واسوآتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل
من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها آثارا واخبارا في باب البغض في الله

والحب

والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه

الباب الثالث في المنكرات المالوفة في العادات

نشير الى جمل منها يستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك

منكرات المساجد

اعلم ان المنكر ينقسم الى مكروه
والى محظور فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه
فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور
ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اسآءة الصلوة بترك الطمانينة في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة
بنص الحديث فيجب النهي عنها الا الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيا في صلوته فسكت عليه فهو
شريكه هكذا ورد به الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلوة من نجاسة
على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قرآءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين
الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا افضل من
ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان يمنعه عن الوراقة والكسب مثلا
الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب
لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم
فهو عاص به فان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقراه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر
على التسوية فلا باس به ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه منه سرا ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته
وكان له انس بالقرآءة وحرص عليها فلست ارى به باسا ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب
القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب
الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك
اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلوة على الناس الا اذا عرف انه
يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلوة وترك سحور او كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات
ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة فانه لا فايدة
فيه اذ لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف
ومنها ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد
السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا في
العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين
يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور
مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه ان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله
تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرية الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون
بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح
خوفهم على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه
لو نادى مناد يوم القيمة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا
لخفت ان اكون ذلك الرجل الواحد ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات
وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ
الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب
بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من

حضور المساجد للصلوة ومجالس الذكر اذا خيف الفتنة بهن اذ منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه
ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدثن بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة
فلا تمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز
حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات
وكقيام السؤال وقراءتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل
الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في
المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج
المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش
عليهم صلوتهم فان لم يكن شي من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان
اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون
صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان يجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم
بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها
دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا باس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت
على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روي في
الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة حتى نظرت الى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد
في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندور والقلة منكرا حتى نظرت اليه بل امرهم به رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا باس
بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم له او شتمهم او نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره فاما
المجنون الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني
القي او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح
فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن اكل الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك
على الكراهة والامر في الخمر اشد فان قال قائل ينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي ان يلزم القعود في المساجد
ويدعى اليه ويومر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة
شاهدين فاما لمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن
اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا
مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان
يعول عليه

منكرات الاسواق

من المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة
واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذا بعشرة وقد ربحت فيه درهم وهو كاذب فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري
بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشتري
عليه والا كان راضيا بضياع مال اخيه المسلم وهو حرام وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه
تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد
فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في
الربويات كلها وهي غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد
فذلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب
والحرير اعني التي لا تصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب

المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس قصارتها وابتذالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه
واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يودي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المودية الى التلبيسات وذلك
يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره

منكرات الشوارع

فمن المعتاد
فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن
والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة فكل ذلك منكر ان كان يودي الى تضييق الطرق واستضرار
المارة وان لم يود الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي
ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق
الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة
وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون سائر الحاجات
ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا
يمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس اليه نعم لا تترك ملقاة على الشوارع
الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك القصاب اذا كان
يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فانه يمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا
للطريق واضرارا بسبب ترشيش النجاسة واضرارا بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق
وتبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب
المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق الطريق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه
ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي
يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان
من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب
عقور على باب داره يوذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يوذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه
وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع

منكرات الحمامات

منها الصور التي على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل
من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر
فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوه وجهها بحيث يبطل به صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى
صور الحيوان ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها
ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الاعجاز
والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من
الفواحش فان المراة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذميات في الحمام فكيف يجوز كشف العورة للرجال ومنها غمس اليد
والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فانه
لا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع شافعي ومالكي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك
الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول له انا محتاج الى ان اغسل اليد اولا ثم اغمسها في الماء واما انت فمستغن عن
ايذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل
بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي
اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تودي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض
الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج فتعثر به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز

خدمة الفصاد [illegible] من الذي يركبون الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على اذكه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم
الثاني اذا كان عادته تنظيف كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات وفي الحمام امور آخر مكروهة ذكرناها في كتاب
الطهارة فلتنظر هناك

منكرات الضيافة

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير
البخور في مجمرة فضة او ذهب او الشرب او استعمال ماء الورد في اواني الفضة او ما رؤوسها من فضة ومنها اسدال الستور وعليها الصور
ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شاب يخاف
الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات
واما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون بعض
رؤوس المجامر على شكل طاير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد حكي ان احمد بن
حنبل خرج من الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهي من اشد المنكرات
فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق
في حالة مباشرة الفسق وانما النظر في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض وكذلك
ان كان فيهم من لبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهو في محل
النظر والصحيح ان ذلك منكر يجب اخراجه منه ان كان مميزا لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي
من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون
ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ فاما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى
التحريم فيه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف
ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فان هذا جرح مولم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد
والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو
حرام والمنع منه واجب والاستيجار عليه غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى
الآن فيه رخصة ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان
لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض
في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وان
كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد
منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس
يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسياتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان
من ربع المهلكات ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة
تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة
والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة
والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال
فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا ومعه عياله واولاده ولا معيشة لهم سواها فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه
منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا
لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل
صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او هو عاجز عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله
الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل

الماجد

المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذلك الدور
وكذا القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه
المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات
الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل
الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها

المنكرات العامة

اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على
المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد
والتركمانية وساير اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية
وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن الاعراب
والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها تكون
مغصوبة فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما
الجاهل فلتقصيره في طلب العلم وكل عامي عرف شروط الصلوة فعليه ان يعلم غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان
لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء
اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه
في صلاح الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء ورثة الانبياء وليس للانسان
ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلوة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك
كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت
بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو يحترز عن مشاهدتها ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان
لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على
كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ
منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والاعراب وغيرهم وهكذا
الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى
على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر
دينه يشغله عن تجزية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على
هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه

الباب الرابع

في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه
الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان
الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون
ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك
فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض
للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال قرن من حديد لا تاخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة
حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك

ومحتملين لأنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر
الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم فمنها ما روي من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر
قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا
نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا
ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا
بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه السلام
ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال
فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه
ليقول انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد
اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك
إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم
ودينهم قال فيقول رسول الله نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه قال فقام أبو بكر الصديق
دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط
وفي رواية أخرى قال عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي أن معاوية حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له
يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال
إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما
تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم إنه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم
وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى
عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب إليه عمر أن أشخصه إلي قال فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب
فخرج إلي فقال من أنت فقلت أنا ضبة بن محصن فقال لي لا مرحبا ولا أهلا ... قال ما الذي شجر بينك
وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه
فقمت إليه فقلت له أين أنت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت
والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة
من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه قلت نعم قال أما الليلة فإن رسول الله لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين
خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله ما هذا يا أبا بكر ما أعرف
هذا من أفعالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن
عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل
يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا
فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاعي فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منهن شيء إلى رسول الله يؤذيه وجعلت دموع أبي بكر
تتحدر على خديه من ألم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته الطمأنينة لأبي بكر

فهذه

فهذه ليلته وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحا
فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه رسول الله لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله
رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يلومه وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو
جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه على السرير وقعد
بين يديه وقال له يا أبا محمد حاجتك فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد
المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك
المسؤول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أفعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك وقال
يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف
هذا وأبيك الشرف وروي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فخرج الحاجب
فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمرك بذلك فدخل عطاء
على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك
أمرتك أن تدخل علي رجلا يحدثني ويسامرني فأدخلت علي رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال
لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر في
حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت
أمير المؤمنين فقبض عطاء على ذراع عمر فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن
انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال
له عبد الملك تكلم قال بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم وبال عليه إلا ما كان لله فبكى عبد الملك فقال
يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن للناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها
ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني
ما دمت حيا ويروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري آخر
من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد إلي إلي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا
ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على إبهامه
فقال يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتا قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل
ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على
الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن
عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من
الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينها وبينه وأقول إنه كانت لعلي هنات فالله حسيبه والله ما أجد فيه قولا أعدل من
هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن
فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت
شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكت فسلمت فقال
عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها فقال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبعث الحجاج إلى
الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا
قال ما أخذ الله على العلماء من المواثيق لتبيننه للناس ولا تكتمونه فقال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن
يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك وحكي أن حطيطا الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال

[هامش: قال ص]

... على ... المقام ... ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن
... انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك
ابن مروان قال ... انما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج صبوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب
الى ان شقق له القصب ثم جعل على لحمه ثم شد بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج
انه في اخر رمق فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة
ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة وروى ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل الشام وقرائها فجعل يسالهم
وكلم عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شيء الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة
يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن فامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن ثم اقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني
امين امير المومنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة
لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ
امير المومنين اني قد قبضته على نحو ذلك فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي
في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ ويصيب قال
فسر بقولي واعجب به ورايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد
سمعت قول الامير يقول انه امين امير المومنين على العراق وعامله عليه ورجل على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم
والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحفظهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني انما قبضت من عطائهم
ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد
امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق ان تطيع ولا طاعة لمخلوق في معصية الله فاعرض كتاب
امير المومنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله
فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك
وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر فانه لا طاعة
في معصية الله واني احذرك باسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر
امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ما ولاه من امر هذه الامة لعلمه به وما
يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من وراء سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك
ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه
قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال
فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادى اليه وكنا اهلا ان يفعل ذلك
بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال
لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه ودخل
محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول في القدر فقال جيرانك اهل القبور ففكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر
وعن الشافعي قال اخبرنا محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذئب قال وكان والي المدينة
الحسن بن زيد قال فاتى الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن
ابي ذئب قال فساله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذئب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثيرو الاذى لهم
فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ابي ذئب ما تقول في الحسن بن زيد
قال اشهد انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذئب وهو الشيخ الصالح فقال

[هامش: اربع على ظلعك ... ذكر]

يا

يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول في يا ابن ابي ذئب قال اعفني يا امير المومنين قال اسالك بالله الا اخبرتني قال تسالني
بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد
ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذئب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا اني
جالس ها هنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك فقال ابن ابي ذئب يا امير المومنين قد ولي
ابو بكر وعمر فاخذا بالحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا انافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال
والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا
ان ابن ابي ذئب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحارث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار
ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن
ابن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المومنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني
ثم قال لي ما الذي ابطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس
منكم فقلت انظر يا امير المومنين الا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك
له قال قلت ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة
لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه
ليزداد بها اثما ويزداد الله عليه بها سخطا يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي
لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم عليه السلام وقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات
يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تقوم بالقسط فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم
الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء يا امير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة
نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك
اذا انبعث منهم فئام وراء فئام ليس منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول
عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام
فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك
دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن
مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل فقال يا
محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك
بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان
من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا
وما فيها يا امير المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين ما تدري ما جاء في تاويل
هذه الاية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك
فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ
الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الاية
عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا
داود اذا قعد الخصمان بين يديك وكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك عن نبوتي
ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا

[هامش: منك]

الكريم ويتلوا الطويل على العلا والملا يا امير المؤمنين لقد بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن
منه يا امير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من
الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اوما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل
الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس
الا اتي به يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه
ثم تعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا فقال له عمر
ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عمر من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب
حتى ابكاني ثم قلت يا امير المؤمنين قد سال جدك العباس النبي امارة مكة او الطائف او اليمن فقال النبي عليه السلم يا عباس
نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيئا اذ اوحى الله اليه وانذر عشيرتك
الاقربين فقال يا عباس يا صفية عمي النبي يا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيئا الا ان لي عملي ولكم عملكم وقد قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقوم بامر الناس الا حصيف العقل اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه على جرم ولا تاخذه
في الله لومة لائم وقال الامرا اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة
وامير ضعيف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة
الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد
بلغني يا امير المؤمنين ان جبريل اتى النبي عليهما السلم وقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيمة
فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام
حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضي لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب
اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة
التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض
من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي عليه السلم وبكى جبريل لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف
ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى
نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر
ملائكة السماء وقد بلغني يا امير المؤمنين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان
بين يدي على من مال الحق من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله
التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله به واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك
ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله قال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك
وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي
بمثل هذا فانك مقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله
فقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر
قال قدم امير المؤمنين المنصور مكة فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا
طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينا هو يطوف
اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع
فاسرع المنصور حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المؤمنين

فصلى

فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد
في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني فقال يا امير المؤمنين ان امنتني
على نفسي انبأتك بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل فقال له انت امن على نفسك فقال ان الذي دخله الطمع
حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض لانت فقال له ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو
والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت
امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة بايديهم السلاح ثم سجنت نفسك
فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك
وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال
المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما راى هولاء النفر الذين
استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر
لنا فائتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف امرهم الا اقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره
فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم فكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك
ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم شركاءك
في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت
للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم منه حرمة واجابة
لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد واخرج وظهرت
صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت
العرب لا تنتهي اليهم المظالم الا رفعت ظلامته اليهم فينتصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي
يا اهل الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها
ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة
التي نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع صوته ثم قال اما اذا كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس
ان لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت
رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مومن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع
الاموال الا لواحد من ثلثة ان قلت اجمعها للولد فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا
ودونه يد شحيحة تحويه فما زال الله تعالى يلطف لذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء وان قلت
اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال
والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي
اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من
رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه
بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا
انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى
المنصور بكاء شديدا حتى انتحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت
ولا ارى من الناس الا خائنا قال يا امير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد
فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم
من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن لك عن من هرب منك ان ياتيك فيعاونك على

صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة
فخرج وصلى ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج
الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله
قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال ولا
يقتلك قال فكيف قال تحسن تقرا قال لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب فيه شيا قال خذه واجعله في جيبك
فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا
الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدم ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي
امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت
بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك
وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا
ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك
آمنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي وابغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك
فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته وصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المؤمنين
فدخلت وسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امري
مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا
قال ذلك الخضر عليه السلم وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه وفيه
ففتح بيوت الاموال واقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا
لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار
اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد الى اخيه سفيان اما
بعد يا اخي قد علمت ان الله تعالى واخى بين المومنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك
واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما
بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت بها
نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في
فضل المومن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان
وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة
فاذا دخلتها فاسال عن قبيلة ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول واحص عليه دقيق امره
وجليله فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان فقيل هو في المسجد قال عباد فاقبلت
الى المسجد فلما رآني قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد
فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما راني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه
قعود قد نكسوا رؤوسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان وهم خائفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد الي راسه وردوا السلام علي
براوس الاصابع فبقيت واقفا فما منهم من احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان
فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءه
واخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقرؤه فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال
عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خائف من فم حية ثم فضه وقراه فاقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا
الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي قال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه

من

من حلال فسوف تجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف تصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال
اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هرون الذي سلب حلاوة الايمان
لما تعقلان اني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك
في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على
نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على بيت مال
المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المولفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك
حملة القرآن واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعد للمسالة جوابا وللبلاء تجفافا
واعلم انك سوف تقف بين يدي الحكم العدل وتفكر في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت
لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين
ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمر ويضربون من شربها ويزنون ويحدون الزاني
ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي
من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا
عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار وكاني بك يا هرون وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى
حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ وصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها
واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم
واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه
ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته واياك واياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك والسلم
قال عباد فالقي الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت
يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن
جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك فنزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المومنين واقبلت اقود
البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المومنين هرون حافيا راجلا فهزا بي من كان على باب الخليفة ثم استوذن لي
فلما دخلت عليه ورآني على تلك الحال قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول
وخاب المرسل ما لي وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون يقراه ودموعه تنحدر ويقرا
ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير المؤمنين لقد اجترا عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت
تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه وان سفيان امة واحدة وحده
فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقراه عند كل صلوة حتى توفي في رحمة الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله
فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد
فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يوذونه ويولعون به
اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المومنين يا امير المومنين فكشف هرون السجاف
بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المومنين خير لك من
تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المومنين
رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الابرار قال احسنت يا بهلول مع الجائزة
قال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه قال يا امير المومنين
هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول اجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال

يا أمير المؤمنين صح

فرفع بصره الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا واحد من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هارون السجاف ومضى. وعن ابي العباس الهاشمي عن ابي صالح بن المامون قال دخلت على الحارث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال اكاتم حالي اني لاقرا آية من كتاب الله تعالى فاضن بها ان تسمعها نفسي ولولا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا فاي شيء عملك قال قلت له كتمان المصايب واستجلاب الفوايد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ازالة العقل فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل واعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على امير المؤمنين المامون فسلم عليه ثم قال يا ظالم انا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت قال انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوف في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلياخذه قال الحارث فاختبيت عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا على الفتى فغلبتني عيناي فاذا هو من وصايف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا الكاتمون احوالهم حرك هذا الكلام منه فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للامر والنهي وان الله تعالى انزله معنا غضب لعبده.

وعن احمد بن ابرهيم المولاني [margin: المقري] قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ راى زورقا فيه ثلثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم قال احب ان تعطيني ذلك المدري فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المدري حتى انظر ما يصنع فلما صار المدري في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ مونس الخادم فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه الي وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخليصه علة اخبر بها امير المؤمنين [margin: منين] ان اذن فقال هات خبرني فقلت يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فخرجت نفسي كبرا على اني قد اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغير من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المؤمنين التغيير لاني كنت اغير عن الله وانا الان اغير شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قلت تامر باخراجي سالما فامر له بذلك فخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة يسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد. فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى ان

يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السنة العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال.

آخر كتاب الامر بالمعروف والحمد لله رب العالمين
والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

كتاب أخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه. **اما بعد** فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسراير القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها وانوار السراير هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة عنه بالاسانيد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جمع الآداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي تشهد آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن اذن الجاحد لنبوته صمام الصمم والله ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين. ولنذكر فيه اولا **بيان** تاديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم **بيان** جوامع من محاسن اخلاقه ثم **بيان** جملة من آدابه واخلاقه ثم **بيان** كلامه وضحكه ثم **بيان** اخلاقه وآدابه في الطعام ثم **بيان** اخلاقه وآدابه في اللباس ثم **بيان** عفوه مع القدرة ثم **بيان** اغضائه عما كان يكرهه ثم **بيان** سخاوته وجوده ثم **بيان** شجاعته وباسه ثم **بيان** تواضعه ثم **بيان** صورته وخلقته ثم **بيان** جوامع معجزاته وآياته.

بيان تاديب الله حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل الله عليه القرآن وادبه به فكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام دخلت على عايشة فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرا القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتي هي احسن

فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك
وامثال هذه التاديبات في القرآن لا تحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن
وادب الخلق به ولذلك قال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه في كتاب
رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم
شانه واتم امتنانه ثم انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق
عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه يا عجبا
لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع في مكارم الاخلاق
فانها مما يدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طيء
وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي
الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله
يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل
الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي عليه السلام ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن
المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم كان او فاجرا
وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو
والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف
كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام
وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم
قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او قال شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من
ذلك كله هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ
اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما
او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث
لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب

بيان جملة من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار فقال كان صلى الله عليه

وسلم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط يد امراة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم
منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجاه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرا منه الى من يحتاج
اليه لا ياخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسال شيئا الا اعطاه ثم يعود
على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم ياته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع
اللحم معهن وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة من لبن او فخذ ارنب ويكافئ
عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر
عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال
انا لا نستنصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان

باصحابه

باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتعقبون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة ياكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال
ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز
اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي
الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس
تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة
برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده
او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة
يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف
اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح
ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له
لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يترفع عليهم في ماكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى
او فيما لا بد منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا
الى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يقرا ولا يكتب نشا في بلاد الجهل
والصحارى في فقره وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار
الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله
لطاعته في امره والتاسي به في فعله آمين رب العالمين

بيان جملة اخرى من اخلاقه وآدابه مما رواه ابو البختري

قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين
بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امراة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله
فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل
عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان
تنتهك حرمة الله وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما
كان ياتيه احد حر او عبد او امة الا قام معه في حاجته وقال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه
لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله في التوراة قبل ان يبعثه في السطر الاول
فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام ياتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضا على اطرافه
وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدا من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بداه بالمصافحة ثم اخذ يده فشابكه ثم شد قبضته
وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه وقال الك حاجة
فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن
يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس وما رئي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى
ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فان
ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة

قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وكان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة
لقلوبهم ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى ويكني
الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان اراف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس
ولم تكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل عليه السلام

بيان كلامه وضحكه عليه السلام

كان عليه السلام افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما وكان يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله
عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عائشة كان لا يسرد الكلام كسردكم
هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبرئيل وكان مع الايجاز يجمع كل
ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان
جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب
الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث
ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه
وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه
اعرابي يوما وهو عليه السلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه
بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى بابي
انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزالا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به
قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضا
وان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ
من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان
يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من
الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

بيان اخلاقه وآدابه في الطعام

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال
بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة
تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل الحار ويقول انه
غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول
ان الاكل باثنتين هو اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل
السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما
ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الطعام طيب وكان يأكل الشعير غير منخول خبزا وكان يأكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب
الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل
يوما رطبا في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى
فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب خرطا يرى رواله على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه وكان اكثر طعامه الماء والتمر
وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا
والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس
قالت عائشة رضي الله عنها كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان

ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان اذا اكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه
ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينهشه انتهاشا وكان يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء
ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب
من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من
البول وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ويكره ذلك وكان لا يأكل
الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره
وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه
من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي اصابعه البركة
واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه
وكان اذا اكل اللحم والخبز خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها
ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان
لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي
على يمينه السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان
في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب
التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما يأكل بنفسه او يشرب

بيان آدابه واخلاقه في اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان يعجبه الثياب
الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب
وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار
فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة
بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما
انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره
يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون
ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض
نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود قال
كسوته فقالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده قال انس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة
عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول
الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة
بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها
لعلي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه
ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه اخرج من مياسره وكان
له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم
يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم
حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين وقد
كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم

واسم سيفه الذى شهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من ادم فيها ثلث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصواء وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة وكانت له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة **بيان عفوه مع القدرة** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم فى العفو مع القدرة حتى اتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يا نبى الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر رضى الله عنه فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله بالسيف فقال من يمنعك منى فقال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله السيف وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فقال قل اشهد ان لا اله الا الله قال لا غير انى لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء اصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجئ بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبريل بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره عليه قط وقال على رضى الله عنه بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب فقلنا لتخرجن او لنقتلن [margin: اولنفتشن] فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى اناس من المشركين يخبرهم امرا من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتنى ذلك فيهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم افعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن دينى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبى عليه السلام فاحمر وجهه وقال رحم الله اخى موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج اليهم وانا سليم الصدر **بيان اغضائه عما كان يكرهه** كان صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل عليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعنى الصفرة وبال اعرابى فى المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه اى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من القذر والبول والخلاء وفى رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابى يوما يطلب منه شيئا فاعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له احسنت اليك قال الاعرابى لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه

ماشار

فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابى فزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابى نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى نفس اصحابى شئ من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشى جاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال فزدناه فزعم انه رضى اكذلك قال الاعرابى نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل هذا الاعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى فانى ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو ترككم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان سخائه وجوده** كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان على رضى الله عنه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم قال على رضى الله عنه لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان صلى الله عليه وسلم قليل الحديث قليل الكلام فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس بأسا وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب قالوا وكان قوى البطش ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رئى يومئذ احد كان اشد منه **بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا فى علو منصبه قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع اهله فى حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهيته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتى صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فيأتى الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضى الله عنها كل جعلنى الله فداك متكئا فانه اهون عليك قالت فاصغى برأسه حتى كاد ان يصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا فى طعام او شراب تحدث معهم وان تكلموا فى الدنيا تحدث

معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشيآء من امر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب عليه السلم الى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة واما لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بانه مشرب حمرة فقالوا انما كان المشرب بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا مشطه بالمشط يأتي كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا تخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر حين يقول

امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوى الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ من شاربيه وكان من احسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر منه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمراية في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سودا تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن واما مشيه عليه السلم فكان يمشي كانما يتقلع من صخر وينحدر في صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطى وكان عليه السلم يقول انا اشبه الناس بآدم وكان ابي ابرهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر احشر العباد على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري والقثم الكامل الجامع

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه

اعلم ان من شاهد احواله واصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى عن عجائب اجوبته في مضايق الاسولة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن

ادراك

ادراك اوايل دقائقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ولتنبه لصدقه صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله تعالى اذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين لقوة البشر الاستقلال بذلك ولو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله تعالى العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة اطعم ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه عليه السلم فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط عليه السلم يده فيه واهراق عليه السلم وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بير الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بير الحديبية الف وخمسماية ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر عليه السلم عمر بن الخطاب ان يزود اربعماية راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت اعينهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب اليه لما عمل له عليه السلم المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه مذكورة في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها واخبر عليه السلم بالغيوب وانذر بان عثمن يصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفية الباغية وان الحسن يصلح الله تعالى به بين فيتين من المسلمين عظيمتين واخبر عليه السلم عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشيآء الهية لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا كتف ولا خط ولا زجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سوارى كسرى فكان كذلك واخبر بمقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على ماية من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه فاجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا عليه السلم النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبر عليه السلم انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب فاتكان عازمين على قتله عليه السلم فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه السلم انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت

منيته وأطعم عليه السلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر وكان كذلك وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها فكان ذلك كما أخبر منها وكان كذلك وبلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر أندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر عليه السلام سواء بسواء وأخبر فاطمة ابنته بأنها أول أهله لحاقاً به وكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يداً بالصدقة وأولهن لحوقاً به ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده وكانت أصح عينيه وأحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن العاص مشيته عليه السلام فقال عليه السلام كن كذلك فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه السلام امرأة فقال أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على المستفيض فمن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل المتواتر هو القرآن فقط فهو كمن يستريب في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم إذ تحدى بها رسول الله بلغاء العرب وفصحاء الخلق وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها مباهاتهم وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله إن شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقرض إلى اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك العالم له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده إنه سميع مجيب

تم كتاب أخلاق النبوة وتم بتمامه ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين

كتاب عجائب القلب

وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي إشراق أنواره الأحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والمؤازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين

أما بعد فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله تعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله تعالى وهو الساعي إلى الله تعالى وهو المتقرب إليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله تعالى إذا سلم من غير الله تعالى وهو المحجوب عن الله تعالى إذا صار مستغرقاً بغير الله تعالى وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح إذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء يترشح بما فيه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه عرف ربه وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين وإذ قد فرغنا في الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن نقدم عليه كتابين كتاباً في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في سبيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي

اعلم أن هذه الأسامي الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا

اللفظ الأول لفظ القلب

وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته ولا يتعلق به الأغراض الدينية وإنما يتعلق بذلك غرض الأطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب

في هذا الكتاب لم نرد ذلك فإنه من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين. والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه. والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها.

اللفظ الثاني الروح

وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه. والأطباء إذا أطلقوا اسم الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا. المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

اللفظ الثالث النفس

وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك. المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات.

اللفظ الرابع العقل

وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملته معنيان أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فإن

العلم

عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر الحديث. فإذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسامي موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامي. وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه.

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فاليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فإنهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل إلى لقائه فلأجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فإن المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة عن البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منه في كتاب الشكر فلنقنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة وإما إلى دفع

الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تبصر بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضا فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولو لم يخلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة

المثال الاول

ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في رأيه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله

المثال الثاني

ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر

ونفسه

ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله عليه السلام رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث

مثل العقل مثل الفارس المتصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله تعالى بها على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراكها الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا تشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على جميع العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة الانبياء الذين تنكشف لهم كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وهذه السعادة تقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده

جملة صح

ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي كما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية
ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف حال ما انفتح على أولياء الله وأنبيائه من مزايا لطفه
ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مضنون بها
على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال عليه السلام إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا
لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود
الإشارة بقوله عليه السلام ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له وبقوله حكاية عن ربه
تعالى لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم لأشد شوقا وبقوله من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا كل
ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة
وشغل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى لا يدخلها
المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ومن
هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الإنسان
وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الإنسان
وخاصيته التي لأجلها خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون
الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصية فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار فكذلك الإنسان يشارك الفرس والحمار في أمور
ويفارقها في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والإنسان على رتبة بين البهائم
والملائكة فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة
بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا ربانيا كما قال الله تعالى إن هذا إلا ملك
كريم ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى حضيض أفق البهائم فيصير إما غمرا كثور وإما شرها
كخنزير وإما ضريا ككلب أو سنور أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو
من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي طرف منه في كتاب الشكر
فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة
مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والأعضاء خدمه فيستقر هو أعني المدرك من الإنسان في القلب الذي هو وسط مملكته
كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجري
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه
ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم
الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية
التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج إليه
في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك
كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر
الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا
شقيا كافرا لنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله ناصرا لأعدائه تعالى مخذلا لحزب الله تعالى مستحقا للمقت والإبعاد في
المنقلب والمعاد نعوذ بالله تعالى منه وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار رضه حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها
فقلت الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فإذا طاب الملك طاب
جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه في مثل القلوب إن لله تعالى

في

في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين
وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
قال أبي بن كعب معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم
في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته

اعلم أن الإنسان قد اصطحب في تركيبه
وخلقته أربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية
والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس
بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في
نفسه أمر رباني كما قال تعالى قل الروح من أمر ربي فإنه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص
والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي
لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا قرن بالجهل والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء
بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفي الإنسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها
في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض
بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول
الأربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في إهاب الإنسان خنزير وكلب
وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه
والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار اللون والصورة والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره إلى
الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري
أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن
يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب إذ بالغضب يكسر سورة
الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل
الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال
في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب أو خنزير وهذا حال أكثر الناس مهما
كان أكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه
وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير
ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في
خدمته وإحضار شهوته أو رآها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه وملتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول
إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه
يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى
إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول نهاره في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا
والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة
هؤلاء الثلاثة ما تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها وأما
طاعة الغضب فينتشر منه إلى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب

ولاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيره وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب
فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثاله ولو
عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة صفة الربانية لاستقر من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة
بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق
لكمال العلم وجلاله والاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال
صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف
والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة
وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم
مرآة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة
التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب اشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه
وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله
تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب
ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط
عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما
تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر
الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر
في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا
هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في
قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب
ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره
كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانه لا يخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب
اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه
فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه
مثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر
وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز
بلقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى
حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل
فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيه وكما ان المرآة غير وصور
الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول
نقش الحقائق في القلب وحضوره فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن

حقائق

العلم صح

حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين
السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة والقلب
موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجودا ولم
يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم لا
يحصل بعينه في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة
اولى لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما
وكما ان المرآة لا ينكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني
لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة كما اذا كانت الصورة وراء
المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي
به شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم
التي خلت عنها عن هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه والثاني
لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور
الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا اي
حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ غايته ان يتبعه حسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة
اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا
خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق
والاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلي القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون
معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس
يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة
ولا يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق
آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال و
تفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن
الكشف الحقيقي والرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك
لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع
من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب
بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في
قلوبهم فصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس
يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا
يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي
ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان
على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد
ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص من الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع
بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد
المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها

بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المرآة فاذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى به شطر المرآة فلا تظهر فيه القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاها كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول النبي عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب قال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملك والملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيها اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونفهمك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر الصفات وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه لكن القي اليهم كلمة الحق والرتبة الثانية

ان

ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا يمكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الرتبة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم

يقين

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدنيوية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية فالعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة فالمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجدها الانسان من نفسه منذ الصبى مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له ومن اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا الصنفين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه

وان العقل عقلان فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بابواب البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جار مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة يفقد بالعمى ويوجد في البصر وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والعلم الذي به سطر الله تعالى العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس هو تعالى من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لعمى احد الضررين الى الآخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان ولذلك سمي ادراكه

س

ضده

عمى فقال تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي أما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجا إليها كما أن العقل غير كاف في استدامة أسباب صحة البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدي إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضر بالغذاء مهما فاته الدواء وكذلك أمراض القلب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر به كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة ونعوذ بالله تعالى منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقصا في الدين وهيهات وإنما مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فكان يعثر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعني أن من صرف عنايته إلى أحدهما وتعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن أكثر أهل الجنة البله أي البله في أمور الدنيا وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله إذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رشحه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من قوة إلهية تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والأول يسمى إلهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب

المسدل

المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة وإليه الإشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيه وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطأوا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في حال فثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غليانها وقال قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيه فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى

الغرض وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه وزعم أن النبي عليه السلام لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والإلهام من غير تكرار وتعليق فأنا أيضا ربما انتهى بي الرياضة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين أحدهما أنا لو فرضنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يساق الماء إليه من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله فإن قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا عن خيال الإنسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبعه وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبعه وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فإنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها ولنرجع إلى المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس فإذن للقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد

ذكر

ذكر الله تعالى وقال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال في وصفهم أقبل عليهم بوجهي أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذن الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العلمين

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فإذا جانبهم يتلألأ فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين وعناية العلماء والحكماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد روي في الخبر أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فمشى وإذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويجر رجلا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح وهذا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وبعضهم نوره كنور الشمس وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيمة أخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الإيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله عليه السلام ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن إشارة إلى تفضيل قلب العارف الموقن وأنه خير من قلب ألف من عوام الناس وقد قال تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين تفضيل للمؤمن على المسلم والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس

قوله الذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين
السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب وقال
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفى رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد
يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم
من رحمة الله تعالى عظيم الغبن والخسران اذ المحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى
يملك عشرة دراهم الى الغنى الذى يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم
الغبن على من يحرم حظه منه وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا
بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع
والتجارب والحكايات **اما الشواهد** فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة
تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير التعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبى صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب
النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث
لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه يسأل
النور فقال اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى سمعى نورا حتى قال وفى شعرى وفى بشرى ولحمى ودمى
وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال
هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه
فى الدين وعلمه التأويل وقال على رضى الله عنه ما عندنا شئ اسره النبى صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتى
الله عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل فى تفسير قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء انه الفهم فى كتاب الله تعالى
وقال الله تعالى ففهمناها سليمن خص ما انكشف باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق
والله انه للحق يقذفه الله تعالى فى قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله والى ذلك يشير قوله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقوله
قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان علم ظاهر وعلم باطن
فعلم باطن فى القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى
يقذفه فى قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتى محدثين ومكلمين
وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم
هو الذى انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح
الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات
والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره
يقول ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فاذا نسى ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذى يأخذ علمه من ربه تعالى اى وقت شاء
من غير حفظ ولا درس وهذا هو العالم الربانى والى مثله الاشارة بقوله تعالى آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما مع
ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب
مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر **واما**

مشاهد

مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر واظهر ذلك على الصحابة والتابعين
الصالحين ومن بعدهم قال ابو بكر لعائشة رضى الله عنهما انما هما اختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا وكان
قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضى الله عنه فى اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف
عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال دخلت على عثمان
رضى الله عنه وكنت لقيت امرأة فى الطريق فنظرت اليها نظرا شزرا وتأملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل على
احدكم واثر الزنا ظاهر فى عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت أوحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم
فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابى سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا
عليه خرقتان فقلت فى سرى هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه
فاستغفرت الله تعالى فى سرى فناداني فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عنى فلم اره وقال
زكريا بن داود دخل ابو العباس بن مسروق على ابى الفضل الهاشمى وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت
قلت فى نفسى من اين يأكل هذا الرجل فصاح بى يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد
النقيب قال دخلت على الشبلى فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال لى كنت جالسا فجرى بخاطرى
انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد منى خاطرى وقال انك بخيل فقلت ما فتح الله على اليوم بشئ الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال
فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها فى مصالحك قال فاخذتها وقمت
فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير
فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال عقدنا لما جلس الفقير بين ايدينا ان لا نأخذ عليه
اجرا قال فرميت بها فى دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله وقال حمزة بن عبد الله العلوى دخلت على ابى الخير
التيناتى فاعتقدت فى نفسى ان اسلم عليه ولا آكل فى داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا عليه
طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقى
قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب ولم يقرأ فاتحة الكتاب مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلمت خرجت للطهارة
فقصدنى السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدنى فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفانى فتنحى
فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكى من
من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة الخضر والسؤال
منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه
ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذى لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه
ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل ايضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا فى ركود الحواس وعدم
اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثانى اخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الغيب وامور فى المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبى جاز لغيره اذ النبى عبارة عن شخص
كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون شخص يكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا
لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب
الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث فى الروع والوحى واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه
ان يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب
تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب فى انكشاف الامور فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك
تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر
على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها ولقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى

ان اطلع عليه شيئا من ذكر الحق عز شانه حتى من التوحيد وحال ما كتب الملك علاوه ونحن نجتنب فيه حتى عمل يتقرب به
الى الله تعالى بعلت في السما كتمان الفرايض مالا يلي ولت كيفيها ذلك وهذا اشاره الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون
على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهره وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسله من مجاهده
النفس فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره
فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسله عندي علم عتيد
فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه
فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب فيه التمسك بذكري
توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمن الداراني القلب بمنزله القبه المضروبه حولها ابواب
مغلقه فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهده
والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب الى امرا الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه
تنجلي لهم امور صادقه وقال بعض العلما يد الله تعالى على افواه الحكما لا ينطقون الا بما هياه الله لهم من الحق وقال
اخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب
كما ذكرناه مثل قبه لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب
او هو مثل مراه منصوبه تجتاز عليها اصناف الصور المختلفه فتترايا فيها صوره بعد صوره ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه
مياه مختلفه من انهار مفتوحه اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجدده في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن
فالخيال والشهوه والغضب والاخلاق المركبه في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا
هاجت الشهوه مثلا بسبب كثره الاكل او بقوه في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصله في النفس
تبقى وينتقل الخيال من شي الى شي وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما
من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصله في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات
وعلوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي
المحركات للارادات فان النيه والعزم والاراده انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محاله فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر
يحرك الرغبه والرغبه تحرك العزم والعزم يحرك النيه والنيه تحرك الاعضا والخواطر المحركه للرغبه تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر
في العاقبه والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الاخره فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى
الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثه وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلف
الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنه الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان
البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستناره وكذلك لانوار القلب وظلماته سببان
مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيا به القلب لقبول
الهام الملك يسمى توفيقا والذي يتهيا به لقبول وسواس الشيطان يسمى اغوا وخذلانا فان المعاني المختلفه تفتقر الى اسامي مختلفه
والملك عباره عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضه الخير وافاده العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان
عباره عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشا والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسه في مقابله الالهام
والشيطان في مقابله الملك والتوفيق في مقابله الخذلان واليه الاشاره بقوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين فان الموجودات
كلها متقابله مزدوجه الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمه من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمه من العدو ايعاد

بالشر

بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو
فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المتسلطين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه وتعالى عن ان يكون له اصبع مركب
من لحم وعظم ودم منقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعه التقليب والقدره على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك
لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك
والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخره لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل
الفطره صالح لقبول اثار الملائكه ولقبول اثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد
الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوه والغضب ظهر
تسلط الشيطان بواسطه الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد
الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكه صار قلبه مستقر الملائكه ومهبطهم ولما كان لا يخلو
قلب عن شهوه وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشريه المنشعبه عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان
يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت
يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطه
الشهوه فمن اعانه الله تعالى على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان
المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف
الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملائكه والشياطين في معركه
القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان
وتملكتها فامتلات بالوساوس الداعيه الى ايثار العاجله واطراح الاخره ومبدا استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد
ذلك الا بتخليه القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكه وقال
جابر بن عبيده العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسه فقال انما مثل ذلك مثل البيت
الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شي عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك
قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله تعالى ولذلك تسلط عليه
الشيطان وقد قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشاره الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله
تعالى وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال
له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا
يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسه الشيطان من القلب الا ذكر شي سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب
ذكر انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شي سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان وذكر الله
تعالى هو الذي يومن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشي الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله
تعالى بالاستعاذه والتبري عن الحول والقوه وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوه الا بالله وذلك لا
يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسه
قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في قوله
تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على
قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسه الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله
تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله تعالى وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع
خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره واذا بلغ الرجل اربعين سنه

ولم يتب مسح الشيطان يده على وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة
الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان
الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم
ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر فتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو
جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل
ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي
تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة
فكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه
ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة
والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس
بجسم وان كان جسما فكيف يداخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا
كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة
الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد
عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه
نعم ينبغي ان يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة حقيقة ذاته
وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم
ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما
يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك
غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق
الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب
بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة
العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان
يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال
يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار
فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن
انه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم
وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة
حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد
والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة
وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه

تلبيس

تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك
اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان
وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم
الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه
ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها
حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين
على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز
منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا
والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل
باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب
وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص عن الشيطان
احد ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة
ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحسد
والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة
قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن عنه نعم له
سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم
بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت
فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر
عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي
الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ و
المشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه
الكثيرة فالعبد فيه كالمسافر يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة
وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد
من كتاب الله وسنة رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله
فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله اي لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه
وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح
الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان
راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها
الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها وكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها
فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها
ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت
فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين

فيجد محيصا فهو أقوى قال الله عز وجل كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك
فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو
أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج
الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه
الإشارة بقوله عليه السلام من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب

اعلم أن القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي
عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه
من لا يعرف أبوابه وحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل
إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان
واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب
التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان **فمن أبوابه العظيمة** الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على
شيء أعماه حرصه وأصمه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي
يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصته فيحسن عند الحريص كل ما يوصله
إلى شهوته وإن كان منكرا أو فاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما أمر
رأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي
وأبدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فإنك رجيم فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث
ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة بك إلى الثلاث فمره يحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتان قال هما
اللتان لا تخلفاني هما اللتان أهلكتا الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص أبيح لآدم الجنة
كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص **ومن أبوابه العظيمة** الغضب والشهوة فإن الغضب غول
العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة
فقد روي أن إبليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا من خلق الله
أذنبت وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه تعالى فقال يا موسى
قد قضيت حاجتك فلقي موسى إبليس وقال قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم أسجد
له حيا أأسجد له ميتا ثم قال إبليس يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك
فيهن اذكرني حين تغضب فإن وحيي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف
فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست
بذات محرم لك فإني رسولها إليك ورسولك إليها فقد أشار في هذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف
حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لآدم ميتا هو الحسد وهو من أعظم مداخله وقال بعض الأنبياء لإبليس بأي شيء
تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى وقد ظهر إبليس لراهب فقال له أي أخلاق بني آدم أعون لك قال
الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا
رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه **ومن أبوابه** حب التزين في الأثاث والثياب
والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها
وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقعه فيها فقد استغنى
عن معاودته فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان
واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله **ومن أبوابه العظيمة** الشبع من الطعام

وإن

وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان روي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا
فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم
قال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي أن لا أملأ
بطني من طعام أبدا فقال إبليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا **ومن أبوابه العظيمة** الطمع في
الناس فإذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس
حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول
إلى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى
صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمكه فقال لا حاجة
بي إليه قال انظر فإن كان خيرا قبلت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله تعالى سؤال رغبة وانظر
كيف تكون إذا غضبت **ومن أبوابه** العجلة وترك التثبت في الأمور قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله وقال تعالى خلق الإنسان من عجل وقال وكان
الإنسان عجولا وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة
والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث
لا يدري وروي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال
هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا
الملائكة قد حفت حوله فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها
إلا هذا فأيسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة **ومن أبوابه
العظيمة** الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر
القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث
من قلبه عشر شهوات تحتاج كل واحدة منها إلى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا
فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار غنيا بها وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري بها دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري
أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها
عمق جهنم فلا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا
ما هو فانطلقوا ثم جاءوه وقالوا ما ندري قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد قال فجعل يرسل شياطينه
إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما رأينا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم
فيمحى ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروي أن عيسى صلوات الله
عليه توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا
وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فإن القائم مثلا للصلاة
مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده لا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك
رغبته في النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى
ومن أبوابه البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز
والعذاب الأليم هو الموعود للكانزين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني
عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث أن آمره بأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان
ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن
السوء ومن أبواب البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هي معشش الشيطان روى أبو أمامة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الأسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء **ومن أبوابه العظيمة** التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فإذا خيل الشيطان إليه أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد يتعصب لأبي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته أن يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى الواحد يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ وترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب إلى أبي بكر وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم والمتعدون لحدود الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله وعدو أوليائه وهو إبليس فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه الصحابة في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من أن يجروا على ألسنتهم ذكرهم مع قبيح أفعالهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر لم تحم النار حول ساحته ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما لك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله تعالى خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يكونوا يتمكنون من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال ابن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم **ومن أبوابه** حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء

قال

قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول من خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال **ومن أبوابه** سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك وروي عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما فقال إنها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فإن قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب مفرد على ما سيأتي شرحه نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص بذلك المتقين فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك لحم وهو جائع هجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الآيات والأخبار الواردة في الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين دهين كاس وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال أنا مع رجل إذا أكل سمى فأظل جائعا وإذا شرب سمى فأظل عطشان وإذا ادهن سمى فأظل شعثا وإذا لبس سمى فأظل عريانا قال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء قدير وتمثل

المساويا

لقي ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلّم
احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها من ارادها فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان
يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبرئيل عليه السلم فقال قل اعوذ
بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن
النهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت
ان جبرئيل عليه السلم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال
صلى الله عليه وسلم لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي
ولولا دعوة سليمان عليه السلم لاصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا
لان هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن
عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء
وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة
بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال كتب عليه انه
من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول ان الحديث
ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس
الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلوتك فراقب قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يجاذبه الشياطين الى الاسواق
وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا
في صلوتك فلا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك القلوب فبها يظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب
المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر
فان احببت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه
ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله تعالى ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي مطيع له وقال بعضهم
يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت
تدعوه ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا
ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال
عرفتم حق الله تعالى ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى
الموت ولم تستعدوا له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف
النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وفرشتم عيوب الناس
امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه
لا حاجة لك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى به ولا تسأل عن المبقلة
ولكن الذي يصح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق
الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه
في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة اولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر
والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصايب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى
الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله
يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب
وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر

السر

السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب
في اليوم الصايف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشأون معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم
عليه السلم لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا
وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة
مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له
ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذ صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الجن ثلثة اصناف صنف حيات
وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلثة اصناف
صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الآية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم و
ارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل
ليحيى بن زكريا وقال اني اريد ان انصحك قال كذبت لا احب ذلك ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف
علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن
نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الآخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم
كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان قلت فكيف
يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته فهو صورته الحقيقية او هو مثال له مثل به وان كان صورته الحقيقية فكيف
يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك
والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما رأى النبي جبرئيل عليهما السلم
في صورته الا مرتين وذلك انه عليه السلم سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع له جبرئيل فسد الافق الى المغرب
ورآه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي
وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة
فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو
الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي
عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى
داخله ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبيه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر
الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب
جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان
يظهر له حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على الوجه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما
متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر
منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل
من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر
لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الا
محاكيا للصفة وموافقا لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان
في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكيا لها بالصدق ولذلك

ايوب

يمثل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويمثل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع انواع التعبير وهذه امور له
اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف
لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية
للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنائم

بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها
فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وهذا اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب
وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة
ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها
له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله وقوله سبحانه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فدل
على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل
اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا
صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع
وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي
ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات
وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع
تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف
ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت
الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا
اربع احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ
به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام
عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل واما العزم
والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة
قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال
نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه
ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله تعالى لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون
اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم
بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يعمل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة
وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف

الطبع

الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع
فكتب له حسنة لانه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من
الله كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال
ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وحيث قال لم يعملها اراد به
تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه
وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة
مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن
ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم
بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان
الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا
نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم
تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا
وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن
هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة
فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال
القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر
بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فان اتبعه نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا
المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمان
اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا عليه بل
من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد
على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت امراته
كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل ينقطع عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق
فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت
فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر
فانه محجوب عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت
فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت
فرقة تنعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة
وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل
هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذ

نسيا وكان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب
قد يكون مجرى الشيئين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في
راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا
ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد
واخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول
للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم
حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من
احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول
ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى
يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه وتعبده
كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي عمل بها وعلمه كل ذلك
من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من
الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا
ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في
التحريك ولم يخنس عن اصل التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة
موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة
والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة
ويتصور ان يتساويا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القرآن وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد
جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث
فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه
الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة
عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر باله غير
حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه لكان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند
الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الآخر
واذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة
فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان
بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك
الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة
ونظرة اليكم وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة
والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يدعه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه
وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا
وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس
الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع
اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه
وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه

يهلكه

يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانه آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما
ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف
يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان
نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى التفت الملك اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان الى غيره وان
جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا
يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم
صنع الله في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء
وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة
فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت
غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله
في تقليبها من حيث لا تهتدي اليه المعرفة لا يعرفها الا المراقبون والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات
على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر
الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده
فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده
طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا
فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب
في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا
يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء
ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا
لا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر
والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك
وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله
يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المتدنس بالخبائث الملوث
بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عليه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه
خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي فيه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون
العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي الهوى النفس
وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان
الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرف
القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى
دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان
ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه
ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى
فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى

ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا وقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون وقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون
ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذى
يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذى
لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابها او كالذى لا يملك نفسه عند
الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه
تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفى منه انوار
البصيرة فينطفى نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب تبدو فيه خاطر
الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى
الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها
بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل
ويقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذى نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف
هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل
الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلانى ليس يحترز عن
فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع فتميل النفس الى الشيطان فتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل
هلك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر
عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب
النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في الصيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد
الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى
قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التى في
القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا
عن حزب الله واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله
تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه
امر الاجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اى بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعنى التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما
الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من
خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهى اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب
القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط
عليه اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون
الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة
ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق
وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فهو الهادى والمضل يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم
بالمعاصى وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ثم قال هولاء

يق

فاستعملهم بالطاعة

في النار ولا ابالى وهولاء في الجنة ولا ابالى فتعالى الله الملك الحق لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولنقتصر على هذا
القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار
علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزى بالقشور عن
اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله
تعالى تم كتاب عجائب القلب بحمد الله ومنه وحسن توفيقه
والصلوة على سيدنا محمد وآله الطيبين واصحابه الطاهرين

كتاب رياضة النفس

وتهذيب الخلق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن
في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض
تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده
تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه
وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح نور النبوة من اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره
وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله
ولا كثيره

اما بعد

فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق
شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات
الدامغة والمخازى الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها
في سلك الشيطان اللعين وهى الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة
هى الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس
الا انه مرض يفوت حيوة الابد واين منه المرض الذى لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء
بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب
وفيها فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن
اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمر في
معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب
من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب وكيفية معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص
الامراض فان ذلك ياتى في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلى في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن
نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة
حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق
الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذى به يعرف
الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب ترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات
حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى احد عشر فصلا
تجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك
لعلى خلق عظيم وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن قوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم وهو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو

مكارم

عن ظلمك وقال عليه السلام بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان
خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال
حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال
حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل
يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث
كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه
وسلم اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه
النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق
تؤذي جيرانها بلسانها فقال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق
والسخاء ولما خلق الله تعالى الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا
وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء
الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ
قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي
وعن عبد الله بن عمرو قال كان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن
شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال
صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله
او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم
اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال
انس بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد
وقال عليه السلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال عليه السلم
لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا
يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا
يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم
بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاء حسن خلقه
فادخله على الله تعالى وقال انس قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف
المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش
يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله يضحك فقال
عمر اضحك الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك

تبادرن

تبادرن الحجاب فقال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني
ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب
والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب
لا يغفر وخطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم

الآثار

قال لقمن لابنه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال قال فاذا
كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا
كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه
الخمس فهو تقي نقي ولله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال
انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو
عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق
كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني
عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل
له في ذلك فقال ارحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات
وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف
خلق من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم
بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها
كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال هو ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل فما الحسب
قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطاء
ما ارتفع من ارتفع الا بحسن الخلق ولم ينل احد كمالها الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله تعالى
السالكون اثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم
يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر
حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل
الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني
هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي
مرة هو ارضاء الحق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل عن الخلق
فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا تتهم
مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله وفيما بينك
وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال
وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك
همة غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف
الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان
حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك
لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما
قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله تعالى امره بالاضافة

الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح
منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال
بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة
خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان
من تصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا ان تصدر
منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم
فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها
تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء
ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رياء وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة
الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب
خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن
الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة
وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك
في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل
حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها
في ان يصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في
الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال تعالى فيها ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة
حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة
تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارته
العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا
وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل منه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق
بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة
وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت
الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا
والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل
له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها و[الوسط] هو
الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس
بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة
وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة
للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر
الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن
لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة
والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين

الحمق

الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى
الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه
الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق
محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر
منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر
منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها
الى الافراط او التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث
والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل
الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب
من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم
اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من
بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي
ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن
الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل
ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع
الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار
رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال ولا
في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت البطالة
عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك
لقصوره ونقصانه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين
احدهما ان الخلق صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه
ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن
يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة
وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي فالاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة
فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق
لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا
اخلاقكم وكيف ينكر هذا في الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من
الاكل الى التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء
عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للاختيار الآدمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل
اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله
والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة
ليست بتفاح ولا نخل الا انه خلق خلقة يمكن ان تصير نخلا اذا انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية

فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا به وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الغضب والشهوة والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمراً وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فإنها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب الأولى وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضاً باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمن والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال والرابعة أن يكون مع نشوئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر وهو أن الآدمي ما دام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قوياً ومع قوته منقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط إلى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعاً وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأمور أوساطها وهذا

له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضاً من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليماً منهما أي لا يكون ملتفتاً إلى المال ولا يكون حريصاً على إنفاقه ولا على إمساكه فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعاً وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفي الأمور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأساً ويذم إمساك المال رأساً ولا يرخص له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذراً في استبقاء بخله وغضبه وظن أنه القدر المرخص فيه فإذا قصد قلع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضاً وهذا الاعتدال يحصل على وجهين أحدهما بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالماً بغير تعليم ومؤدباً بغير تأديب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخياً جريئاً وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً وطبعاً فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً

من انكر الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به وملتذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان
العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب
عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب داره
وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرفه نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف
طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر
العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه
وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار
ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب
افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى
المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة
كما يجري بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين
والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزمت
المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب ذلك على بعض
الناس بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب
فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب
الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما حل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حيوته
وكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على
حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة
وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن
فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه
اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير
كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو يحاكي
الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة
في نفسه فيصدر منه بالآخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا
ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا و
كذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه
صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى
يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار
ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو
معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد يدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى
يأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا وتفوته فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة
بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تأثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج
مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان
يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير فما من طاعة الا
ولها اثر وان خفي فله لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا

على

على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه
بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى
الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة
وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان
ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان
النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله
فاذا عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب
الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت
في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق
له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به
هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

وقد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال
سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه
بمحو العلل عنه وجلب الصحة اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية
والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي
بالتعود والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك
النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان
صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان
كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة
صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال
البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك
الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض
الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان
المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت
ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان
على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار
النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي تعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدواء
ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف
درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت معه الى احوال البدن والى احوال الزمان وصناعة المريض وسنه
وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم
عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج
جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات
قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان

كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولا
بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة
جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذ
منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره
بان يخرج الى السوق للكدية والسوال فان عز الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال ويكلفه الموا ظبة
على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة
في البدن والثياب وراى قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس
المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون
ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها
طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله تعالى ومن راعى
في ثوبه شيا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان
النفس ان كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذمو م
الى مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب
الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ثم ينقله من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك بالترغيب في الرياسة
وطلب الجاه ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الاخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف
منه وكذلك ساير الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم كلفه
ان يهيي الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى يقوى به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك
اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيامره بالصوم وربما لا يسكن بذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة
على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى يتذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادي
الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق وبامره
بخدمة من ساء خلقه ويمرنه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة
الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملاء من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث
كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فاراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان
يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على قصبة
واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل لتسمح بالقيام
على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود
ورياء البذل فهذه امثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب
وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك
جميعه في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعز م
فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله تعالى ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود
نفسه ترك العزم الفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرنا في معاقبة
النفس في كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

بيان علامات مرض القلب وعلامات عودها الى الصحة كما ان كل عضو من
اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر مع
نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب ان يتعذر

عليه

عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار
ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهائم
فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار او غيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها
ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيا وعلامة
المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان
اباوكم وابناوكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا فمن عنده شي احب اليه من الله تعالى
فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض
وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه
فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان وجد
من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب
المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب
وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومرايات فهذه علامة اصل
المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه المهلك
المبعد من الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فيكون
كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين البرودة والحرارة فكذلك المطلوب
الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر
الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كانت اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق
الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك
خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك
بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك
بتيسر الافعال وتعسرها حتى ينقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء
فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج ولا ترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله
بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشي مما يتعلق
بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلايق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع
الى ربها رجوع النفس المطمينة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله تعالى من النبيين والصديقين والشهدا ء
والصالحين وحسن اوليك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد
من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما
ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب
الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال تعالى وان منكم الا
واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل
عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله تعالى اهدنا الصراط
المستقيم اذ وجبت قراءة الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال
قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك فقال لقوله فاستقم كما امرت فالاستقامة على سوا ء
السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل

من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل
عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه
فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب
انفسهم يرى احدهم القذى في عين غيره ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق
الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته
في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق
علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه
رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل
الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم
عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين
حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول
انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره
وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا
ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك
عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي اعتزل
عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان ينتبهوا لعيوبهم
بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف
الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به
واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب
ونخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح
بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة
القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا
ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان يستفيد عيوب
نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق
مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو
عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم الطريق الرابع ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما
بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مراة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان
الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه
فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن
المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا
عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن
وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر

وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض
القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت

بصيرتك

بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك
فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة
والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو
من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد
الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله
تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل
نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده
ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها
ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب
المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود
غائب لم يره وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد
من جاهد نفسه في الله وقال عليه السلام كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذا
تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت
شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين
ولا في طلب الآخرة تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة
الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة
والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام
فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات
ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت
من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد
التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتامن من بوائقها من بين سائر
الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية حقيقية فتجول
في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا
اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس
بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها
ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك
النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال
وهيب ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيا للذل ويروى
ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان
الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت
فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الي الساعة
فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير

كان النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواءها فاقبل على نفسه وقال اسمعي فقد اجبتك هذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه
من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الآخرة وقال
رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه
من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه
اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق الحكماء والعلماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهي النفس
عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما
قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل
والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه فاذا
مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة
الله تعالى وحبه والتفكر فيه وتقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة
ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله تعالى قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة
فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر على الشهوات مدة مديدة الثاني من استغرق
قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل
بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى
على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة
لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما تقول القائل ان التنعم بالمباح
فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة
من الدنيا ايضا وسياتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته
فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير
فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء فقلت
ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك
شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال
السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى
ما لم تمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن
الغيبة والفضول فحقه ان يلزم السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته
عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر
الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن
الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذه
اعظم منها وهي ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي
لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال
القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال
تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا
قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بطيئة التأثر بذكر الله تعالى واليوم الآخر وجربوها
في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب
الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب و[illegible]

عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيمة عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والآخرة
بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه
ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران
في جو الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما
سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر
عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الانس بذكر الله تعالى عوضا عن الانس بالدنيا
وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم من الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر
عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا
منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد الى الثدي لم
يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على
ذلك قهرا وتمنع عن الانسراح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعه فتقف فيه من غير
قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بان تمنع عن النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما
يزايله بالموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل
قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة
الى مدة حيوة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة وكل
العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى
وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل احد ما به فرحه من
اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس
والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم
به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمأن اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد
بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى
يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بانقطاع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر
الا الموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان جاهل بعيب
نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن
خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق
وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك
ليعلم به حسن الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون
وقال تعالى التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات
علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل
بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها
الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين

ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال
وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه
وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي
على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح
صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا
عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا
يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن علامات المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام
والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن
آيس من كل احد الا من الله تعالى والمنافق راج كل احد الا الله تعالى والمؤمن آمن من كل احد الا من الله تعالى
والمنافق خائف من كل احد الا من الله تعالى والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن
يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد
والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما
يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق
احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا
وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية
البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر
باعطائه ولما اكثرت قريش واليهود ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك
لعلى خلق عظيم وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد قال
نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب
راسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم
فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له بعد ذلك لم قلت انا عبد فقال انه لم يسألني انت عبد من
بل قال لي انت عبد قلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سألت الله له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سألت الله
له الجنة فقال علمت انني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمان الحيري
الى دعوة وكان الداعي قد اراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه
ثانيا فقال ارجع يا استاذ فرجع ابو عثمان فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة
حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان ان الذي
رايت مني هو خلق الكلب فان الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان اجتاز بسكة فطرحت
عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار
فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضا كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان
له بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي
الى بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه فدخل الحمام فراى علي بن موسى رضي الله عنه فظن
انه بعض خدم الحمام فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره فرجع الحمامي فراى
ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سال عن الحمامي فقيل انه
خاف وهرب فقال لا ينبغي له ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط كان

يقعد

يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله
ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضي ان عبد الله قام من الحانوت لبعض حاجته فاتى المجوسي
الى تلميذه واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه دراهم زيوفا فلما نظر اليها التلميذ ردها عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال
بئسما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه والقيها في البئر كيلا يغر بها مسلما وقال يوسف
بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات
والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه
للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك
المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن
عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على
ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني رضي الله عنه
اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني
من الصلوة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في قلبك شيء فقله كيلا
يسمع بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام
اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال
امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة
وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت
بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضى بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن
الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف
من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان
يبلغ درجة حسن الخلق فانها رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول نشوهم ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل
نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل
معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال
تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته بان
يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة والاسباب الرفاهية
فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه
الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت
طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدت فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك
ظهور اوائل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء
قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق
وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه
واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه وان يقول بسم الله عند
اخذه وان ياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل وان يمضغ
الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث

بين الاولاد حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه
الصبي المتادب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب
اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه
ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان
الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل
في ابتداء نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما
يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم
لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون
ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل
محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة
فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي
واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب
سرا ويعظم الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب
في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه
ولا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا
ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس
والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في
بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي
يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ويعود
التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمته ان كان من
اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة
وذلة وان ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع
فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفة السموم
على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاوب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره
ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان
يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين راسا صادقها وكاذبها حتى لا يتعوده
في الصغر ويمنع ان يبتدي بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر
سنا منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة
من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء
وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر ان ذلك داب الشجعان والرجال
وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من
تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه
وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر
سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز
فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم

كل

كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على
الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة اغذية
وان المقصود منها ان يتقوى الانسان بها على طاعة الله تعالى وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع
نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم
عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما
يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره
خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر
الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك
ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى
عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر
فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان
الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان
يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فحفظت القرآن وانا
ابن ست او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلاث عشرة
فسالت اهلي ان يبعثوني الى البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان
الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت معه مدة انتفع بكلامه واتادب
بادابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة
على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا
ثم سبعا ثم خمسا وعشرين وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين
اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت
معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له في الخرزة رغبة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث
الآخرة وطالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث القلب وحركة اللسان
بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري
من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا
المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم
الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها
فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه
عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف
الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل
مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه
غيره وانبعثت له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم

ولا بد من المعتصم يتمسك به وحصن لا بد له من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وله وظايف لا بد له من
ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد والحجاب الذي
بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد
والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت
اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول
والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان
يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرتفع كل معبود له سوى
الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان
يطلب كشف ذلك من المجاهدة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ
ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج
عن المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة
ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره
ولم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه فكذا لا
بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اسراره واغواره فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن
المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد
يحتاج الى شيخ واستاد يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان
كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير
خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت
مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر
بالقايد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان
نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب
على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر
وهذه تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص
دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته
سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات قال
عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا
الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر تشهد له
التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين اما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره
فيضاف الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر
ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب
المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص
اجتمع راي سبعين صديقا ان كثرة النوم من كثرة الشرب واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن
المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب او تدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام

يشغل

يشغل القلب وشره القلب للكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستروح اليه فالصمت يلقح العقل
ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففايدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب
في حكم حوض انصب اليه مياه كريهة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ القلب من تلك المياه ومن الطين
الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة
اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان
مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف راسه في الجيب او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد
جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه النداء وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها
المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك
الطريق فانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض
تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها
في اول الارادة وآثارها اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي
الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص
كفي قد كفي اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة
غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه
على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرايض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمر (ها)
اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علايقه قال الشبلي
للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تأتيني فيها غير الله فحرام عليك ان تأتيني وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق
الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ
زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوته بقدر يسير من القوت حلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه
ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال
يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر
عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه
لازمة للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان
فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق
بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة
وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه
الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا وتعتريه عند ذلك خواطر يفتح عليه باب
الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب
لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على
خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال الله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات
الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله
ويتأمل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملاز (مته)
حتى يقذف في قلبه من النور ما ينكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح

بما احتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها
وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق
الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار
فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر
في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله
بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان
العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم
وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر يقطع مواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما
ينكشف من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في
طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم عليه
ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة وقال بعض السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق
الى التحقيق وقال ... قلت دلني على عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر
الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا
تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم
هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع
الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله تعالى ابدا ولا يمكن ذلك الا بان
يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال حضرة الربوبية
وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف اصلا واذا انكشف للمريد
شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها
لذة فتدعوه اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ عنها وترتيب ذكرها وتزيينها
بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما يخيل
اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده
اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل
لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان
محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم عظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني
وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه
ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون
لهم ففي كثرتهم استراحة وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر
منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح لهم اوائل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب
على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في
الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته
في التدرج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان
بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب
الانسان شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه

حدث

حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب
عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن
والفرج وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها
وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في مواقع
الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب
الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى
الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما
ياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس والحمد
لله رب العالمين والصلوة على سيدنا محمد
وآله الاكرمين الاطهرين

كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد
والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل
بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه
وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه
وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه
من القناعة بقليل القوت ويغذيه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه
فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج به بواعثه
ودواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه
ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع
منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه **اما بعد** فاعظم المهلكات
لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما
حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة
الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في
المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد
منهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي
بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو
ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم
ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة
شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على
فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها وهي بيان
فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم
الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد
في ترك التزوج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في
سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخل ملكوت السماء من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر
به عورته وقال عليه السلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري
قال النبي عليه السلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن
قال صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العباده وقلة الطعام هي العباده وقال الحسن قال صلى الله عليه
وسلم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم عند الله كل نووم اكول شروب وفي الخبر
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملايكه
بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملايكتي
ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنه وقال عليه السلم لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب
فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الما وقال عليه السلم ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم
لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث
ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله يوم القيمه من طال جوعه وعطشه وحزنه في
الدنيا الاخفيا الاتقيا الذين اذا شهدوا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملايكة
السما نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل
النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض لفقدهم ويسخط الله تعالى على بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على
الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء
ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا
فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامه اذا رايتهم
في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحيمه والجبار عنهم راض اتخذهم
لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف
المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملايكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال
عيسى عليه السلم اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم
ايضا رواه طاوس وفي التورية مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل
وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان
ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص قال
صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد والمنافق ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المومن
او تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوه لان الشهوه هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ
المعا وليس المعنى زيادة عدد معا المنافق على معا المومن وروى الحسن عن عايشه قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ادمنوا قرع باب الجنه يفتح لكم قلت وكيف ندمن قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشا
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا
وكانت عايشه تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلى قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى من الجوع وامسح
بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشه اخواني
من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم

فاجد

فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان تقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا
في الآخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخلائي واخواني قالت عايشه فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه
الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسيره
قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسيره فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام
وقال ابو هريرة ما اشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهله ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملا وما ترك عبد
اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنه **اما الآثار** فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم
والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات وقال شقيق العباده حرفه وحانوتها الخلوه وآلتها المجاعة
وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العباده و
قال الفضيل بن عياض لنفسه اي شي تخافين تخافين ان تجوعي لا تخافي انت اهون على الله من ذلك انما يجوع
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني
ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي
عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غلة
تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت
عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ
جوع الراغبين منبهه وجوع التايبين تجربه وجوع المجتهدين كرامه وجوع الصابرين سياسه وجوع الزاهدين
حكمه وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمن لان اترك لقمة من عشايي احب الي من
قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزاينه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا
وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنه درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى يوم القيمة
عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع من
الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضع الحكمة والعلم في الجوع
وجعل الجهل والمعصيه في الشبع وقال ما عبد الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في
الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب
اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال
انما صار الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوه وقال راس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع
وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد
بالجوع والسقم والبلا الا من شاء الله تعالى وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه
وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الما حتى روي فسلم من المعصيه
وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم باي قيد اقيد النفس قال قيدها بالجوع والعطش وذللها
باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابنا الآخره واكسرها بترك زي القرا عن ظاهرها وانج
من آفاتها بدوام سو الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى
احدا الا بالجوع ولا مشوا على الما الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب
المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فكذلك
الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوه وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله عز وجل
رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلم مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا لم ياكل

فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ اظله فقال له عيسى يا ولي الله ادع الله تعالى فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا بما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة النفع كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد

الفائدة الاولى صفاء القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شيء زكوة وان زكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت يوما لله تعالى الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله تعالى الشبع والقربة الى الله تعالى حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح

الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون العبادة الي اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وتاد فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة به فهي فائدة ثانية

الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل لشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنه ومن لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا

شبعت

شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الآخر

الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله تعالى وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب التي اقتضت اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجائع

الفائدة الخامسة وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء الصلوة وانما آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات وياكل نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء

الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال والنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السري

كان يأكل مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين
تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي
ان يستوفى منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل
الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم
ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة وانما يستحقرها الغافلون
الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها يعرفون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد
اشار ابو سليمن الداراني الى ست آفات قال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة
وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون
حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفائدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض
فان سببها كثرة الاكل وحصول فضل الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من
الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو
الانسان فيها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة
اطباء هندي وعراقي ورومي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي
لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو الماء الحار وقال السوادي وكان
اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا فما عندك
قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض
الفلاسفة من الاطباء اهل الكتاب قول النبي عليه السلام ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما
في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن
ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة
الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل
الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا
تصحوا ففي الصوم والجوع وقلة الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة
التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما
له يأخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام او من الحلال فيذل ويتعب وربما
احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي
بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو
خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم يسأل اصحابه عن الشيء من المأكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول
مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من
نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل
الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادمنوا قرع باب
الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة
الله تعالى وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما
المحتاج فتلهيه لا محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على
اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر به فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى
فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن اذا

قرأ

اذا قرأ قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها على الارضين كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم
الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها
انه كان ظلوما جهولا بامر ربه عز وجل فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم
وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله
تعالى في عافية يقول احدهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكئ احدهم على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام
حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين
الارملة اين المسكين اين اليتيم الذي امرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء ليدخر به الاجر
فذلك خير من ان تأكله فيتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال
لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته الى آخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان
الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله تعالى
فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب عن كل واحدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة
ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي
رويناها وبالوقوف على تحصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل
الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه ومأكوله اربع وظائف **الاولى** ان لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام
كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظائف خاصة
بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول
الشهوات وتركها **الوظيفة الثانية** في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل
الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان
ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف
وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل
ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان
يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق
بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهو الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب
ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعدا ورأى ان صلوته قاعدا مع ضعف
الجوع افضل من صلوته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت
آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه مختلطا ثلثمائة وستين اكرة آخذ كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل له الساعة
كيف تأكل قال بلا حد ولا توقيت ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية
ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا
ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو
لما دون العشرة وكان ذلك من عادة عمر رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم او تسع لقم الدرجة الثالثة ان يرد الى مقدار
المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثر ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء
للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن

اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وها هنا
طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر
مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب
النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب ادما فليس ذلك بالجوع وقيل ان يبزق فلا يقع الذباب عليه
اي لا يبقى فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه
عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص
نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون
كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى فيه وقد كان ابوذر يقول طعامي
في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة
واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم ولم يكن ينخل وخبزتم
المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن
مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي
بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها
حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا اربع درجات

الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطوى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين واربعين
يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم دحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة
وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق
رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري
وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة وقال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما
من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطائفة مر على راهب فذاكره
حاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور وكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما
وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك
على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال اريدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه
وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل
بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي يومين
الى ثلث وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في
اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد
من السنة فقد روى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال
صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة
في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله
بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون
النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتهجد كقيامكم قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب

في

والصلاة فالاولى ان يقسم الطعام نصفين ان كان رغيفين فياكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر ليسكن
نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد
وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر
فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه

الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك

الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام
اللحم والحلاوة وادناها الملح والخل واوسطها المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع
عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه
وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون
الموت سجنا له واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا فاشتهت
نفسه الانفلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس
فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول
اللذات فلا نطول باعادتها فلذلك عظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات وعظم الخطر في تناولها حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او
مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعم فيانس بالدنيا ويالف اللذات ويسعى في طلبها
فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه
وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام
واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذكر عند اكلك انك ساكن القبر فليمنعك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف
من تناول لذايذ الاطعمة ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن
منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي
وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير
ولهذا امتنع عمر من شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات
كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم
توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال
للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها
بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها قال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتترك السمكة قال نعم
فاخذها ووضعها بين يديه فقال قد اعطيته درهما واخذتها منه قال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم
اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار واشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره
دون التنعم بخيرات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر
غداؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب ثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر
يده وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن
طريقهم وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر رضي الله عنه دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام كان
يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ
الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول
لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه

يوما رطب فلم يذوقوا وكلوه فقال لأصحابه كلوا فإني ما ذقته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان
الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وأقبل يبكي وقال عجلت إلي شهوتي بعد إطالة جهدي
وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت بالسوق
بالبصرة فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها أربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة
خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا
بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك طلقت الدنيا منذ خمسين سنة فوالله لا
أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول نفسي اشتهيت جزرا
فأطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت أن لا تأكليه أبدا فسلمت ودخلت فإذا هو وحده وكان أبو حازم يمر في السوق فيرى الفاكهة
فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة
فلما اشتراها وأتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث به إلى يتامى
من الفقراء وعن موسى الأشج أنه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن أحمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين
سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فما أرويتها وروي أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك
قال قد استحييت من نفسي أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقيت صبيا فقلت
ألست ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته إياه وأقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما ولم يذقه
بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح وأظلمت
الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك علي أن لا تذوقيه
وترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فأقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما أطول حسابك
يوم القيامة ثم لم يأكل إلا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال
تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فإن تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له
بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هو إذا ترك شيئا لم
يعاوده أبدا وقال جعفر بن نصر أمرني الجنيد أن أشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم
ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي أما تستحيي تركته من أجلي ثم تعود إليه وقال صالح المري
قلت لعطاء السليمي إني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت إليه مع ابني بشربة من سويق قد لتته
بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته وقلت سبحان
الله رددت علي كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا إني قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على
شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي ألا أراك في واد وأنا في آخر وقال السري إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أن
أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة
أشتهيها فيقول لها لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغيفا فجعل
أخوه يقلب بعض الرغفان ليختار أجودها فقال العابد مه أي شيء تصنع أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا
حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض والبهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه
لا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من
خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخر ذلك الخباز وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم أتيت قاسم الجوعي فسألته عن الزهد أي شيء هو فقال أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالا
فسكت فقلت وأنت أي شيء تقول فقال اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه

الدنيا

الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكول فقال تسألني فإذا
وصفت لك لم تقبل مني قال اشرح لي حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا
فقال له بشر تعلم شيئا أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم
قال أتعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال أتعرف شيئا أقل
من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن أنت أعلم
بالطب مني فلم تسألني فتعرف أن هؤلاء كيف امتنعوا من أكل الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم
للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنه كان لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات
ليست من الضروريات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية
فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه
ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه
ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت
نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فيقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط بالجماع
ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن يصلي أو يجلس فيذكر الله تعالى
فإنه أقرب إلى الشكر وفي الحديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك أن يصلي
أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب كل أكلة وكان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها
وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشتهى
شيئا من طيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكله بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة
ونظر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده حاجتك
ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطفه وكان
بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتم فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض أنواع الخبز شهوة
قال ابن عمر ما يأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال الشهوات
في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر
ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نفسي خبز أرز وسمكا فقويت مطالبتها
فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا أحسن أصف
لك ما لقاني به ربي عز وجل من النعيم والكرامة وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمك فقال كل شهوتك
اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية وكانوا أسلفوا ترك الشهوات
ولهذا قال أبو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أوردناه في فضائل
الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان
فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان
والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا
والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإن
أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام
النهار ثم لما علم النبي عليه السلام من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فإذا عرفت هذا فاعلم

ان الاصل الاعلى في الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا
فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود
ان ياكل اكلا لا يبقى للماكول فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان
الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب
الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على
الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو
الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان
احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه
احواله به البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله
عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكر
وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى
الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة
بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها ولهذا السر
يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ
عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح له
الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال
فانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط
المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسوط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب
نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى
الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه
الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو
مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من
شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج
صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت له عائشة قد اهدي لنا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك
حكي عن سهل انه قيل له كيف كنت في بدايتك فاخذ يخبر عن انواع من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه
اكل دقاق التبن مدة ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت
وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت اني اكل كثيرا بل اني لا اقدر بمقدار ما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل
فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فقال ان اخي بشرا قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي
اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه
زبدا وعسلا وخبز حوارى فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال
واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال
ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث والذي اخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم
ابن ادهم اسرافا ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة ويسمع عن السري السقطي انه منذ اربعين
سنة يشتهي ان يغمس جزرة في دبس فلم يفعل فيرى هذه متناقضات فيتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم

ان

ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن حاذق او غبي مغرور فيقول المحتاط ما انا
من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهولاء من الممتنعين من الشهوات
فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي على من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن اكلي فانا ايضا
ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بتطريفة قامت القيمة عليه
واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر
من مشكوة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة
الهوى والعادة بالكلية حتى يكون [illegible] عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم
من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء بارد
بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فيذهب حلاوتها ويبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان
يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه
الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا
من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص
ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ يامره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته
والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة
وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان
لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه
بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما
خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او قلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات افتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احدهما ان لا تقدر
النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة
وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باسا قال ياكل في الخلوة ما لا ياكل
في الجماعة وهذه افة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة
بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا
لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل لان الكافر كفر واظهر
وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا اخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحى الكفر عن ظاهره
فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى
ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو
فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد الزهد
في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين
وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من ياخذ
ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق
فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا للغير لانه لو قصد اصلاح غيره لكان
اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك
منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك الشهوات الافة الثانية ان

يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف بعفته بالعفة عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة
هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى
له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن
نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان
اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا
وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى
حية لان شهوة الريا اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت
على الانسان لفائدتين احداهما ان يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات
الاجساد كما ان النار وآلمها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة مدركة
فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفة
ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه
الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله الا
انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة
على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما
دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك قال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك
قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال
فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا
لا تخل بامرأة ولا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا
الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى
احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويله علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما
خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم
الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت
موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا
لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق
الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم
للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لعظم شهوة الطعام وما مثل ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية
وبهائم عادية فتفتر عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع
على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في غرائب الحديث انه صلى
الله عليه وسلم قال شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن
بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن ولو طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض
الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع
وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحيا منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تقضى الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين
اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة
وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة

له

له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق المال
والجاه والعقار والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة
بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من
يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها
ان يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر
والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح
فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة
وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلا ومطيعا للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت
فيكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان
الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء
امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة
ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا
عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا
وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما احوجك الى امرأة تستأنس بها فقال لا آنسني الله بها
اي ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال ايضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم وكيف يقاس
غير رسول الله به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك
الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه
لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق
اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل
هذه فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة
وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان
بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم
يحفظ فكره ويتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنى العين من كبار الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة
وهي زنى الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظر فانها
تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود من اجل النظرة وقال داود
لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدء الزنى قال النظر والتمني
وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم النظرة سهم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال
صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول
فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال صلى الله عليه وسلم
لكل ابن آدم حظ من الزنى فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما
المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استأذن ابن ام
مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس اعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا
تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة
بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل

مسموم صح

عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظه عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر
فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه
بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل
والقبيح لا محالة ولم يزل وجوه الصبيان مكشوفة قلت لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه
التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى
احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي
وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل
النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل والنبات الحسن والاثواب المنقشة
والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال
بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار عليه من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا
عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف
لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا النظر الى الاحداث عظيم فمهما عجز المريد عن غض بصره
وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي
شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال
تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي
وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب
عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت
معافى سنة ثم عاودني ذلك او اشد منه فرايت شخصا فيما بين صدري وجنبي يقول ويحك كم تسال الله تعالى
رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في
ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه فبحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا
جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم
من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها
لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته
بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح
الخلق تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت ذلك الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل
انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف
اصاب المراة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت
المراة اليه فزال عنهم الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها
حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له
لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو له اولى
اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي
كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة رحمها الله
فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي
الا ايام قلائل حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما
بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن
وصي

وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولني امثال
الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر
المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوة ثلاث الجوع وغض البصر
والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون
الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من شيء الا اتاه من قبل النساء وقال
سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن ابي
وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما اتيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا
فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او
ثلاثة قال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال
فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت
الى منزلي واسرجت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال
سعيد قال فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت
فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيك قال لا انت احق ان تؤتى
فقلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة
خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت
الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا
ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا او زوجك قلت نعم قالوا وهي
في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام فاقمت
ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت
عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره
العدو قال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت
بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك على
سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في زفافها تلك الليلة
يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة العين والفرج

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان
واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس
عن مقتضاها اما لعجز او خوف او حياء او محافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ
النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنى اندفع عنه اثمه
باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر
الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف
فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا
ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة
يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك وهو امام كل
من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها

فدخلت عليه امراة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت يوسف عليه السلم
في المنام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهمم اشار به الى
قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا
من المدينة مع رفيق له حتى نزلوا بالابوآء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا وقعد سليمان في
الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت
وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه واسفرت عن وجهها كانها فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها (اي اعطني)
تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي
ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورجعت راجعة حتى
الى خيمتها وجاء رفيقه وقد اشترى ما يرفقهم به فلما راه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي فقال
لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة
وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى اني لو كنت مكانك لما صبرت
عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له
شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال
ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروي عن عبد الله بن
عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال
رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى
ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى
برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج
عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت
احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا
على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها
فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما
نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم
غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات
اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ
بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت
الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء الشهوة فعف وتقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان
مبدأ الزنى خطوة نعم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشا منه والنظرة
الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة
وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته
عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما خايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان
هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح
لم يتلذذ به وتالم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين
بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة

ونهاية

ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم في قرية اخرى
فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله تعالى قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع
تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال ما لك قال العطش قال تعال
حتى ندعو حتى تظلنا سحابة الى ان ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو
فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي
دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله بمكان ليس احد
من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد
يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها
فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى
ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها فاطرق مليا وقال
لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن
معاذ الله ان يتشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند
الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله
في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من
منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستر فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل
لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا
فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن
اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع الممضة
ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى
الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت
بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان
الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد
عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك
من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد من
بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم
يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد آيستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله
تعالى وانا استحيي من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

آخر كتاب شهوة البطن والفرج والحمد لله رب العالمين
والصلوة على سيدنا محمد وآله الطيبين واصحابه الطاهرين

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه وجمله وعلمه البيان فقدمه وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله واطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه وخله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وبيان فصله ودين سبله صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله

اما بعد

فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شي الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله او اجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم الة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن تيسيره نفصل مجامع افات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوايلها وتعريف طرق الاحتراز منها واراد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افة الكلام فيما لا يعنيك ثم افة فضول الكلام ثم افة الخوض في الباطل ثم افة المراء والمجادلة ثم افة الخصومة ثم افة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم افة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم افة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم افة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم افة المزاح ثم افة السخرية والاستهزاء ثم افة افشاء السر ثم افة الوعد الكاذب ثم افة الكذب في القول واليمين ثم افة الغيبة ثم افة النميمة ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن دقايق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم افة السوال اعني سوال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف انها قديمة او حادثة وهي اخر الافات وتتمة العشرين

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفين عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر افات اللسان لما فرغنا من ذكر افة الشهوتين البطن والفرج

وقد

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم وانصت تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شيت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى عليه السلم دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلم ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قايل فاتقى الله امرو علم ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لسان المومن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلم العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به

الاثار

كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شي احوج الى طول سجن من لسان قال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه

وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار
يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون
لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والأحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا أبا بحر قال أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت قال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة
ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال آخر
إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه
كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل إن المنصور بن المعتمر
لم يتكلم بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع
قرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فإن قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم
أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة
والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي
سباقة إلى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر
على أن يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت
سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والسلامة من تبعات القول
في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت
أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه منفعة وضرر وقسم ليس فيه منفعة ولا
ضرر أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر
فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا
الربع فيه خطر إذ يمتزج به ما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه
ويكون الإنسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا أن ما ذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فقد أوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته
من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى
ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب
ب
فإن النظر فيها أطول وهي عشرون آفة

الآفة الأولى

الكلام فيما لا يعنيك اعلم أن أحسن أحوالك أن
تحفظ ألفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر فيه
عليك ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فإنك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك
ومستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت الكلام إلى الذكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر
ما يعظم جدواه إذ لو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ
كنزا من الكنوز فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل
بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره
إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفه إلى ما لا يعنيه ولم يدخر
ثواب الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو
أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه
وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره
وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا

كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب
لعل كعبا قال ما لا يعنيه ومنع ما لا يغنيه ومعناه أنه إنما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان
كلامه مباحا فلا تتهنأ الجنة مع المناقشة فإنه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني
وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله
قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحسن
من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب
متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك واذكر
أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه مما تحب أن يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان
مأخوذ بالإجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق
العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال
عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله
ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك أن تتكلم بما لو
سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مآل مثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال
وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور
لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر
بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك
وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك
أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فإنك تسأل غيرك
عن عبادته فتقول هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من
ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا إياك وتأذيت
به وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب
في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث
به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنتم وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكره
تأذى واستحيى وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لا
تسمح نفسه بأن يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالمتكلم بما لا يعني هذه الأجناس فإن هذا يتطرق إليه إثم
أو ضرر وإنما مثال ما لا يعني أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما رأى
فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب
فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال واستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد إليه سنة وهو
يريد أن يعلم ذلك ولم يسأل فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا
يعني وتركه من حسن الإسلام فهذا حده وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام
على سبيل التودد أو تزجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول
عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران
هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حجرا في فيه وأن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود

الآفة الثانية

فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثاني فضول اي فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ان تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املى صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف ابن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشار الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو في الصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول لا ابتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عليك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان بن داود بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال عليه السلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال صلى الله عليه وسلم ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام فهذا مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني واكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا بد من ان يغلب عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في باطل

الآفة الرابعة

المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقران فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال المراء يقسي القلب ويورث الضغائن وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلم من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخا لك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وكل ما ورد في ذم المراء والجدال كثير وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب لسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه لكذا وكذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى

في مسئلة علمية ثم اختص باسم الجدال وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد
والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح
في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان
يكون هو المظهر له خطاه ليتبين فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت
واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها
اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات
الربوبية واما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان
صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال والمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا
مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض
عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور
التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه
فهو ان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب الكبر وكتاب
الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس
ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي رحمة الله عليهما لم آثرت الانزواء قال لاجاهد
نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد
علي منها وهو كما قال لان من سمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال عليه السلم
من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء
طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل
القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انه حيلة منه في التلبيس وان ذلك
صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فيستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا
ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر
عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه
عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه
والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة الخصومة

وهي ايضا مذمومة وهو وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى
تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام
ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم
والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة
فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا
اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك
قال عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من
الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل
والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول

الذي

الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول
الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمل على الخصومة محض
العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي
عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو
مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد
عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال
متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى
يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه
المحظورات واقل ما فيه تشوش خاطره حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة
مبدأ كل شر وكذا الجدل والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب
عن تبعات الخصومة فيسلم عن الاثم ولا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون
تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدل طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب
اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما
تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال
صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا وقال
ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب
الكلام وروي ان عيسى عليه السلم مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال
اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار
ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين
وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه
ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب
ويضاده الخصومة والمراء واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر
للصدر

الآفة السادسة

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه
بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن
التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا واتقياء امتي برآء من التكلف وقال
صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب
ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلم الا هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال
عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له
سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم
كما تتخلل البقر الكلأ بالسنتها وكأنه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من
آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل

ذلك يبطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر
في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير
من غير افراط واغراب لان المقصود منهما تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما
المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث
عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة السابعة

الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال
لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن
بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال
صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل
فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة
فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه
وسلم البذاء والبيان شعبتان من النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة
في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى
اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا اجملت بادرت القلوب
الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان من بيانه فان
الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش
الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي
فقال عليه السلام ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال
ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش ياتي يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا
اخبركم بادوى الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمته فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن
الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة
فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها
ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة
كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه
العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة
وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراءة
فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة
الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجر او قيل من وراء الستر او قالت ام الاولاد كذا والتلطف
في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنه بصريح اللفظ كالبرص
والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات
اللسان قال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاتيناه نسأله لننظر ماذا يقول
فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق
واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله
وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا

بعد

بعد وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال صلى الله
عليه وسلم المستبان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال عليه السلام ملعون من
سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب الرجل
ويسب اباه فيسب الآخر اباه

الآفة الثامنة

اللعن اما لحيوان او جماد او انسان وذلك مذموم قال
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال عليه السلام لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال
حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره اذ امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها
واعروها فانها ملعونة قال وكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض
الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال
يا ابا بكر اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال
انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد على بعير فلعن بعيره فقال النبي عليه السلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال
ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر
والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد
الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله تعالى عليه والصفات المقتضية للعن ثلث
الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة
والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوسية وعلى القدرية والخوارج
والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلي الربوا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض فما
لم يرد فيه لفظ ماثور وينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالث
اللعن على الشخص هذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته
شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص
بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر اذ ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا
فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى
قولنا رحمه الله ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة
فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب
لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او
زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان ويخفى الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز
ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول في دعائه على الكفار اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ابي ربيعة وذكر
جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في
قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون
وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص
فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال
ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر

اذا ذكرتم الكفار فعمّوا فانكم اذا خصصتم غضب لابنا الاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعمان الخمر وحُدّ مرات في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا
للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله ونهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى
الجملة فى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد فانه قاتل
الحسين رضي الله عنه او آمر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة
لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليًا رضي الله عنه وقتل ابو لولوة عمر رضي الله عنه
فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه
بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا
فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفّره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطيا لا
كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد
قال مسروق دخلت على عايشة فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبّوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدّموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتوذوا الاحياء وقال ايضا ايها
الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبّوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقول
قاتل حسين لعنه الله او الامر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة
فان وحشي قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى
رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعن واطلاق اللسان
به والمومن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين
فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه
ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة
لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعنه الله وقال رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم
لعن المومن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال
من لعن مومنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه ويقرب من اللعن الدعا على الانسان بالشر
حتى الدعا على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على

الآفة التاسعة الغناء والشعر

الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضله يوم القيمة وقد ذكرنا في كتاب السماع
ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سيل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل
له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسيل بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان
ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مكروه قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة
نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيه وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع
في المدح فان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سايله
فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان
يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عايشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد
نورا قالت فبهتّ فنظر الي فقال ما لك بهتّ فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير

الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عايشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول
ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء معضل واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة
خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنايم ابو العباس بن مرداس باربع فلايص فابتعث يشكو في شعر له وفي آخره
وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في المجمع وما كنت دون امري منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر في فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على
لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع

الآفة العاشرة

الابل الحنين المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او
تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما
المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة
الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا
يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول
الا حقا فاما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال عليه السلم ان الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح
استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياءه ومن قل حياءه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم
قليلا وقال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك
قال فما رُئي ضاحكا حتى مات وقال ابو سفين اسباط امام الحسين ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطا
السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هولاء غفر لهم فما هذا فعل
الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخايفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار
وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا
يبكي الست تعجب من بكايه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم
منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف به السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي
عليه السلم ليسأله نفر به فجعل اصحاب النبي يضحكون منه ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي
قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر من مزح استخف
به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح
الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانها تورث
الضغينة وتجر القبيحة تحدّثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقال لكل شي بذر وبذر العداوة
المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فيقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا توذي
قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزح حرفته

ويواظب عليه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لم يدوم مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذن لعايشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغاير ما يصير كبيرة بالاصرار ومن
المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني وان
داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال
ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امراة من نسايه ثوبا واسعا
فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من افكه
الناس وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلم لا يدخل
الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يوميذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى
زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو
اهو الذي بعينه بياض فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة
وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال رسول الله صلى الله عليه نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع
به لا يحملني فقال عليه السلم وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت
عايشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال رسول الله تعالى اسابقك فشددت درعي
على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية
قد بعثني ابي بشي فقال اعطينيه فابيت وسعيت وسعى على اثري فلم يدركني وقالت عايشة رضي الله عنها سابقني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عايشة كان عندي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرا وجيت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن
وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت من الصحفة شيا فلطخت وجهها به ورسول الله لا الطخن وجهك صلى الله عليه وسلم جالس
بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله يضحك
وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له ان عندي امراتان احسن
من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احدهما فتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان ضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل
انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله من مسالة عايشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا
قد تزوج وبقل وجهه ما قبلته قط فقال عليه السلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقوله مع النساء والصبيان
وكان ذلك منه رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال عليه السلم لصهيب وبه رمد
وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه
وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله
ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت
المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت
قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى لقيني وهو على حمار وقد
جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل بعد قال قلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت
قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان
يشرب فيوتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من
الاصحاب لعنك الله فقال النبي عليه السلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة
الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي عليه السلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي
عليه السلم وقال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله او لم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي
ثمنه واحببت ان اكله فيضحك رسول الله ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة
عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الافة الحادية عشر السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة
والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم
ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عايشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال النبي عليه السلم ما احب اني حكيت انسانا
ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة
التبسم بالاستهزا بالمومن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرايم والذنوب وعن
عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم في الضرطة فقال علام يضحك احدكم مما
يفعل وقال عليه السلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق
دونه فما زال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال صلى الله عليه وسلم
من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا
له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى
به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم
استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم
او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من
العيوب والضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

الافة الثانية عشر افشاء السر

وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم
التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك وروى
ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المومنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه
الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت وان
هذا ليدخل بين الرجل وابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فحدثته
فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا وافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار
وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا نعيده

الافة الثالثة عشر الوعد الكاذب

فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال الواي دين والواي
الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلم فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فيقال انه واعد
انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال انه كان خطب
الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن
عبد الله بن ابي الخنسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد
فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا هاهنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد
الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شا الله تعالى وهو الاولى ثم اذا

فهو مع ذلك الحزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او على ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء وعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله تطلب منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال رسول الله هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فيقولون اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي عليه السلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه

الآفة الرابعة عشر

الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا ومر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما الاثم والكفارة وقال النبي عليه السلم الكذب ينقص الرزق وقال عليه السلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلم ثلثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال عليه السلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشنأهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال عليه السلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال عليه السلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي عليه السلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول الله فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بالله وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا

والثاني

ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زاني وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله ما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو افاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اؤتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرء مسلم بغير حق لقي الله تعالى يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي ان النبي عليه السلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال عليه السلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى عليه السلم يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال صلى الله عليه وسلم اني اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح

اصحابه

اما الآثار

قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما رخص فيه الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى بآخر واراده بالسيف

فدخل دارا فانتهى إليك فقال رأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن أبي كاهل قال وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو بمعنى الكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فإني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم أو دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أما ما له فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت أسماء سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضارها

بذلك

بذلك فهل علي فيه شيء فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لم يثبت فيه إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد وتخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كثير فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما إن في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله تعالى وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون عند المستمع النفي وعندك الإبهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم وما كان قد أتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال هل بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيبا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فإنه ربما لا يتفق له ذلك وكان إبراهيم إذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ها هنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في البيت وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الإصبع فيها وقولي ليس ها هنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يا بني اتق الكذب وإياك والكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وقوله للأخرى الذي في عين زوجك بياض وللأخرى نحملك على ولد البعير وما أشبهه وأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الأنصاري مع عثمان في قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه وأما قوله إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فإنه لا يراد به تفهيم المرات بعددها

اي رقيب

بل تعظم المبالغة فان لم يكن طلب الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلب مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما
درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيه لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه
وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها
وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة
فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي
صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء نشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك
كذبا قال ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وكان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن
سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب
وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه ارسل اللسان عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن
خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني لي فانكبت عليه وقالت كيف انت يا بني فجلس ربيع فقال
اوضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان
من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يرى عينه في المنام ما لم ترى ويقول علي ما لم اقل وقال
عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة وقال ولا
يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا
ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى
ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس
ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من
المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا
تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ويفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا
من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما
فائذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما تستحيان
ان تأتياك فائذن لهما فلتفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل
لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم
فرجع الى النبي عليه السلام فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه
بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس
او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال
ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما على الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس
وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم
عند الله في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربوا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحبهما فقال انهما لا يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما
الآخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه
وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال
رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش
جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك
عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله ويضج ويكلح
وروي مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه
شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا
صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم
الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن
والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة
ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة
يبصر احدهم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس
بعيب هو فيك وحتى تبدا بصلاح ذلك العيب فتصلحه في نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى
الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال
عيسى عليه السلام ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن حسين
رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر
الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما
يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في
ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف
به مما يكرهه واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق
فان تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في
افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق كذاب شارب خائن ظالم متهاون بالصلوة وبالزكوة لا يحسن الركوع والسجود ولا
يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض
لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه
حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب
وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره للمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امراة وكثرة صومها وصلوتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال عليه السلام هي في النار وذكر امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا وهذا
فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحوال واحكامها بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه
ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما
اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة
عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن

ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك والكل في كتاب الله تعالى فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم النخعي ولم يقل الاعور وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغتابن منكن احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال عليه السلم اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اشد في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت فقال ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون لجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعا وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو يظن لجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف نسال الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعا بل لو قصد الدعا لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في ذلك يظهر الدعا والله تعالى مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغا الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه فكانه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلايه فان كل ذلك تصديق للمغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا مع الخبز فقال عليه السلم قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القايل احدهما والآخر المستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق لا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير

بحاجبه

بحاجبه وجفنه فذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلايق وقال ابو الدردا قال النبي عليه السلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله تعالى ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشاؤه التكبر واستصغار المستهزا به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا آثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذلك تعجبه ولكنه ساقه الى شر من حيث لا يدري والترحم والغم ممكن دون ذكر اسمه فهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا من العوام فانهم يظنون ان التعجب والترحم والغضب اذا كان لله تعالى

كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص في الغيبة لحاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي روي عن
عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم
قال رجل منهم اني لابغض هذا لله تعالى فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم
فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم واخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وساله ان يدعوه
فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه قال انا جاره وانا به خابر والله
ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فساله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع
والسجود فساله فقال لا والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاساله يا رسول الله هل
رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا قال والله ما رايته يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق
من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها شيئا او ماكست
فيها طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي يمنع الانسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما
علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على
التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته
فانها تنقل في القيمة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئاته
وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته وربما تنقل
اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك
بعد المخاصمة والمطالبة والسوال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من
الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في
حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان
وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي
ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا
يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع فقال رجل لبعض الحكماء
يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم
العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل
بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان
يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب الباعث
له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات
الغضب وهو ان يقول اني ان امضيت غضبي عليه لعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه
واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن آدم
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت
سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله
تعالى وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم
عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه

ان

بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا ولا تدري
انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة او تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى
لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت
مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله تعالى لا يقتدى به كائنا
من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية
اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي
نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك افعل لكنت تضحك من جهلها
وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك
فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله تعالى وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم
فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق
اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة
الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الآخرة وكنت خاسرا في الدنيا فجعلت
نفسك خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسنتك
فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسنتك وتنقل اليك سيئته
ولا تنفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد
قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند
الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك
يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت
اولى ان تضحك منه فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك يوم القيمة على ملا من الناس
ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه
على الانتقام واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو
اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك
ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فانما حبب الشيطان اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك
وتصير متعرضا لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت
دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر
اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف
عن الغيبة لا محالة

علاج

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل
سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن
باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك
ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد
في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم
تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق
وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق
ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن

لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحدّ اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجّه وما شربه او حمل عليه قهراً فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهد او بيّنة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدّث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفوراً ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال عليه السلام ثلث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذوراً لانك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضاً من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء باخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة وتحاسد وتعنت فيتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله تعالى عندي وكان امره محجوباً وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته رددت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضاً منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة للغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة الاول التظلم فان من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضوان الله عليهم فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك عندهم غيبة وكذلك قيل لعمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الاية فتاب ولم ير عمر ذلك ممن قال غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحه هذا القصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود

كان

كان حراماً الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي افاخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقهاً يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكاً وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه اترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلث لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان معروفاً باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما جرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهوراً به نعم لو وجد عنه معدلاً وامكنه التعريف ولانه صار ذلك بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولاً عن اسم النقص السادس ان يكون مجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجاير وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غداً كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن رحمه الله يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان اخذت فبحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحلها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامراة قالت للاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائباً او ميتاً فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر

ان بالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده محسوبة له
يقابل بها سيئة الغيبة في القيمه وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني
وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت
فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن
المظلمه لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبه فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت
فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي
على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن يصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول
معناه اني لا اطلب مظلمه في القيامه ولا اخاصم والا فلا يصير الغيبه حلالا به ولا يسقط المظلمه به لانه عفو قبل الوجوب الا انه
وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس ساير الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من
اباح القذف لم يسقط حده من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن
اذا جثا الامم بين يدي الله يوم القيمه نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقال تعالى خذ
العفو وامر بالعرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن
ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه
طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر على ان
اكافيك على التمام **الآفة السادسة عشر النميمة** قال الله تعالى هماز مشاء
بنميم وقال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنى لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل
من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمه دل على انه ولد الزنى استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال
تعالى ويل لكل همزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب كانت نمامة حماله للحديث وقال تعالى
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر بانه مجنون وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنه نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون
ويولفون وان ابغضكم الى الله تعالى المشاؤون بالنميمه المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال عليه السلم
الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمه المفسدون بين الاحبه الباغون للبرآء العيب وقال ابو ذر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيمه وقال
ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاد على رجل كلمه وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا
كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمه في النار وقال ابو هريره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمه وعن ابن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل
جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنى ولا قتات وهو
النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم
يف به وروى كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا
استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمه فقال موسى عليه السلم من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى
انهاكم عن النميمه واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات
فلما قدم عليه قال اني جيتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر
وما اقسى منها وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل

منها

منها فقال البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص
والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره
اذل من اليتيم **بيان حد النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم النميمه انما
يطلق على الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس النميمه مخصوصة
به بل حده كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او
بالكتابه او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول
عنه او لم يكن بل حقيقة النميمه افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الانسان
فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فايدة لمسلم او دفع لمعصيه كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به
مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمه وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا او عيبا
في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبه والنميمه والباعث على النميمه اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له
او التفرج بالحديث والخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمه وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك
كذا او هو يدبر في فساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول
ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهاده قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن
المنكر الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله الرابع
ان لا تظن باخيك الغايب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس
والبحث لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان
قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه
دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الايه
ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الايه هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو
يا امير المومنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم
قد ابطات في الزياره واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينه
وروي ان الخليفه سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني
انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق
فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك
نم عليك وهذه اشاره الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب
والغيبه والغدر والخيانه والغل والحسد والنفاق بين الناس والخديعه وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله تعالى
به ان يوصل قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس
من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل
قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسال فان كنت
صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المومنين وقيل
لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المومن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل
لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال
لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك

الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه آثما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس ولد الحلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان من ورائه ما تحب ان قبلته قال قل قال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا الامة خسفا ولا الامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول

> وانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم
> فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فالميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن الحكيم لابنه يا بني اني موصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخدانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بالشتم وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المراة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين

ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق وقال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي لفظ آخر الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرات في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة

لاثنين

الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة فهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا امن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه اقبل عليه فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم الان له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال والتبسم والكشر فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فليسكت بلسانه ولينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشر المدح

وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي عليه السلام فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فالظالم والفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه فقال ما لي ولك

مالي وما لك اي ضربه

اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان اخالطك فلك منها شئ فاحببت ان اطأطئ منك الثانية هو انه اذا اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي من نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي عليه السلام اذا مدحت اخاك قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع وقال ابن المبارك قد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال عليه السلام وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك فهذه آفات المدح

بيان ما على الممدوح

اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي رضي الله عنه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك

الآفة التاسعة عشر

في الغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي عليه السلام لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله

ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد قال حذيفة ان الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ويكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة حمارا رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته وقال ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم وقال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبد والرب الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه في آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله عليه السلام من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف انها قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر ولا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني ولا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا او في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اجلس رحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا ثم ليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى

سألتنا قال هذا فراق بيني وبينك ففارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب إليه الملك كتابا يرسم له فيه أمورا فلا يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أو حديث فاستحق به العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أنها قديمة أو حادثة وكذا سائر صفات الله تعالى والله الموفق

تم كتاب آفات اللسان والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ولا يحذر عن غضبه وسطوته إلا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمرسلون وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديون والسادة المرضيون صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الأولون والآخرون

أما بعد فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب إن كان ويداويه ويعالجه إن رسخ في القلب ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم بيان القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلل لعلي أعقله فقال لا تغضب فعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي لا تغضب

وعن

وعن عبد الله بن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمن بن داود عليهما السلام يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء أشد قال غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب

الآثار

قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت فقال إني أنا المسيح فقال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال إذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان علما وحلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين

وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا تغلبه الغضب ولا
تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا تستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف
ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء
وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه
من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال
الشاب انا وفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال
وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل
بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه
اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا يزال
الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا تتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر
ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول
الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب
الخارجة التي يتعرض لها الانسان كالسيف والسنان وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور
من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله تعالى الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما قصد في
غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع
الى اعالي البدن كما يرتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة
لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف
القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر
ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند
ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها
ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط
فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه
من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة
بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال تعالى للنبي عليه السلام جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما
الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة
العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور
غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان
ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج
تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب
ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول واحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي
ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه فيترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب
ومهما اشتد نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا
وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ يطفى نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن

الفكر

الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى
الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يرى بعينه ويسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود
جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى وانمحى نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلم
ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك
يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الغضب فيفني الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى
النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبها من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذا
حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في تلاطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة
من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب
السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف
وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق ويحمر الاحداق وتنقلب المناخر
وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه
اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش
وقبائح الكلام التي يستحي منه ذو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ
واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الارض ويعدو
عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما
يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم
البهيمة والجمادات ويخاطبه ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة
ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن
بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة
الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والام واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس
والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا
اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بها لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل
امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد
قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل
من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى
الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية
وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي
وصفه رسول الله حيث قال خير الامور اوسطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس
في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور
واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي
بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض والخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاتها

بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه توجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من ظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم ثلثة اقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هو مسكنه او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على الصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديه هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديه ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا به فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيها لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك نقيض الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره

فيزهد في الدنيا ويمحو حبها ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره والغضب تبع الحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم [illegible] بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب التوحيد عليه حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من ذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله تعالى وهو ان يرى ان الكل من الله تعالى وان الله تعالى لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر وجنته حتى قال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة تقربه بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب منك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عايشة رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله تعالى فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله تعالى فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله تعالى عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وشتم رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر في قلوبهم ولكن لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فان اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الأسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسبابها وقد قال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما أي شيء أشد قال غضب الله تعالى قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى عليه السلم الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وإنما اختلفوا بالفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي رأسها وأصلها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفتها وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن تستهزأ وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على فضول العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآيته أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل العفو والحلم وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأتراك والأكراد والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل ٥

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

اعلم أن ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل أما العلم فهو ستة أمور الأول أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف فكان يتأمل الآية وكان وقافا عند كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيمة أحوج ما أكون إلى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق

وبعث

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لأوجعتك أي القصاص في القيمة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي فيه مسكة من عقل الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبك يا نفس تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيمة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين ومهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله تعالى وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيمة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يقرره على نفسه السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله تعالى ويوشك أن يكون غضب الله أعظم من غضبه وأما العمل فأن يقول بلسانه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله أن يقال عند الغضب وكان عليه السلم إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائما واضطجع إن كنت جالسا واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فإن كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فلينم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو ليغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان النبي عليه السلم إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالأرض وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي أن عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء واستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم أعظم خالقهما وروي أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله فقال يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيرت رجلا بأمه فقال بلى فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

فضيلة كظم الغيظ

قال تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال عليه السلام اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وقال عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملا الله جوفه ايمانا وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره في اي الحور شاء

الآثار

قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسالة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض رحمهم الله فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر بن عبد العزيز والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني فقال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غضبه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب علمكم جهلكم اشار بهذا الى ان التكبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم

وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي رضي الله عنه ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلماء وقال ابن ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه اللهم لا يدركني زمان ولا ادرك زمانا لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى النبي صلى الله عليه الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما قال بل خلقان جبلك الله تعالى عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين

الآثار

قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسات استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله ذو حظ عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وقال لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة

كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله تعالى وحمله على الندم والتوبه ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشي من الدنيا يسير وقال معويه لعرابه ابن اوس بم سدت قومك يا عرابه قال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سايلهم واسعى في حوايجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اسا فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المرا يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يامن من الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسو قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلما الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به وقال رجل لبعض الحكما والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عليهما السلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمن ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه ودخل على بعض الحكما صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سية الخلق فرفعت المايدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم فقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المايدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم شفا من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجرة تعثرت بها وذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت منه علي الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ... اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا ... تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر عن شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وفصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرو عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجا الشيطان فلم اكن لاجلس مجلسا فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به وهل يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل وقال ابن مسعود وهل انت الا ابن اميه ومثل قوله يا احمق وقال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيي الخلق صفيق الوجه ثلاب للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حيا ما تكلمت وما

احقرك

احقرك في عيني بما فعلت وجزاك الله واسقم فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السو فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنى والسب والفحش ما روت عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة رضي الله عنها فجات فقالت يا رسول الله ارسلتني ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي عليه السلم نايم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فقالت بنت ابي بكر بنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي عليه السلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي عليه السلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هولاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذايه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتدا ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفا سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطي الوقود بطي الخمود وبعضهم بطي الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات منهم بطي الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطي الفي الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم السريع الغضب البطي الفي ولما كان الغضب في الحال يهيج ويوثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته فقال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة اصابها وتسر بمصيبة نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلا الثالث ان تهجره وتصارمه وتقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشا سر وهتك ستر السادس ان تحاكيه استهزا به وسخرية منه السابع ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضا دين ورد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة او بترك الدعا والثنا عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله ينقص

درجتك في الدين وتحول حنك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق
على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان
مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضائل المقربين وللمحقود ثلثة احوال عند القدرة
احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة
وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور واختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين
والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو

اعلم ان العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويتنزل عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال الله
تعالى خذ العفو الآية وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث والذي
نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده
الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال عليه السلم التواضع لا يزيد العبد
الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا يزيد المال الا كثرة
فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك
من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال
عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا
اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلم يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء عن اعز
الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي عليه السلم يشكو مظلمة فامره النبي عليه السلم ان يجلس
واراد ان ياخذ له مظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع
الحديث وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلث اصوات يا
معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب وقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم
رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع
يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قلت نقول يا رسول الله خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد
وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال
العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا
خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احدهن يا رسول الله
قال او احدهن

الآثار

قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل
قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله

ان

ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى
الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله
يقول ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما
عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل
وقمن الا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله شيء
فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين
احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال
يعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها
وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل
فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر ثم قلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو
قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد
يقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته
من الحسن فقال خليا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح
والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال
لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد
وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة
تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له
هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله
ولا نتكلم انت كلاما فقال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل
له اقطعه فانه من اعدائنا قال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع
متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون
عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها
وان كان حمله جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان
جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا
ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا
منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا مع الحسن الا بمنزلة
الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا
اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كعبه وجعله
على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو
عن اصحابه فقال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى
صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب
عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى
قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا
اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك
بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم

وموسى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عايشه انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال عليه السلم يا عايشه ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه السلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال عليه السلم ايما وال ولي فلان ورفق رفق به يوم القيمه وقال عليه السلم تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال عليه السلم الرفق يمن والخرق شوم وقال عليه السلم التاني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عايشه رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله يا عايشه عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع من شي الا شانه

الاثار

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه وقال ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذا اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما سياتي في ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قال عمر بن عبد العزيز وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاويه اما بعد فان التفهم في الخير زياده ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطوك بالشدة شيا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد

في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وحقيقته واسبابه ومعالجته

وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد

اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوه وقد علق نعليه من يده الشمال فسلم فلما كان من الغد قال النبي عليه السلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي عليه السلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان توويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلوة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال عليه السلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولن تومنوا حتى تحابوا الا انبيكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال عليه السلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال عليه السلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال عليه السلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك وروي ان موسى لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلم قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضاي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال عليه السلم استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال عليه السلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال عليه السلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد

الاثار

قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس ادم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يوميذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشي فقال وما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم الاية واياك والحرص فانه اخرج ادم من الجنة امكنه الله تعالى من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله تعالى ثم قرا اهبطا

منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم الآية واذا ذكر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان
رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساءته فحسده رجل على ذلك
المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف
يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج
من عند الملك ودعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك وقال احسن الى المحسن
باحسانه والمسيء سيكفيكه مساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال
الملك ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا
اتاك صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به
فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل
في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه
وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب
قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت قال فلم وضعت يدك
على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساءته وقال ابن
سيرين ما حسدت احدا على شيء من الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة
وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال
ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد
ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها
ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن حسد وقال بعض الحكماء الحسد
جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك
نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان الذي اعطاه الله ان كان لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله
وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا
ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف
الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب
زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب
زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة
حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه
وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج
الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها
نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه
الكراهية تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر له فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة
مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا

لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقال اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم الآية فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك
واحبوا زواله عنه غيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون
فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس
امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا
اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث
النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك [illegible] وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا وكانوا
ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي
صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى
قال ارى معاداته ايام الحياة هذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليس بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او
مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل
ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألانه ان يؤمرهما على الصدقة لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا
له ما هذا منك الا منافسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة
فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا
الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه
صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في
اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة
الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا
فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب
زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله تعالى ورجل لم يؤته مالا فيقول لو ان لي مالا مثل مال
فلان كنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون
له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره
دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون
مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات
فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته
واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه
وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات
نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا
دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول
نقصانه اما بان ينال مثله او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا
زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان
كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يردعه التقوى عن ازالة
ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك في نفسه بعقله ودينه ولعله

النبي صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان
وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد
لا محالة ترجيحا عليه واحبها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى
فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى
ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه
حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان
في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى ذلك عنه ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة
له فهذه حقيقة الحسد واحكامه **واما مراتبه فاربعة** الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك
لا ينتقل اليه وهذه غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة عنه ورجوعها اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار
حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه
فقد النعمة لا تنعم غيره به الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر
التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها منه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان
في الدنيا والمندوب عليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض
وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم وقال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك
غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة
فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب
مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الان في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها في سبعة اسباب
العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها
وهذا الاخص الامثال بل الحسد الخسيس الملك يعني انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه
واما ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز
واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب
كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى
مزاحمته في اغراضه واما ان يكون لحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه
الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء
وهذا اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب
عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان
وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح وظنه مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه
لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يظهر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي
اذاه بل انعم عليه فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض
انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ
قال واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان
تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما
يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني
التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره
ولا يسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا
ولكن

ولكن لا يرضى بترفعه عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه
الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى
مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله
تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب الرابع التعجب كما
اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا لئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة
عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر
الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال الله تعالى او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود
واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة يكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات
في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة
والمال وكذلك تحاسد التلامذة لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وكذلك تحاسد
الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذا تزاحم العالمين المتزاحمين
على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض لهم السبب السادس
حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من
الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له
فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة
او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر
على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه
والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير
لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به
عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو يحب الادبار
لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح الذي
يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا
خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابها
عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته
فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى
قوة لا يقدر معه على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها
جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد

بيان السبب في كثرة الحسد

بين
الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين
قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد
يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو والى غير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر

من اقوام يجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه
نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في باطنه فعند ذلك يريد ان يحتقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي
توصله الى اغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين
نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مدرسة او مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض
ومنه تثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر
بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب
والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه
فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم
يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة
ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب
لان التزاحم بينهما على مقصود اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين
بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من
هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة
فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه
وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته
ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين
محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى
لان اجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس
بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد
الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة
واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلي قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل
في يد ما لم يرتحل عن يد آخر والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان
ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عوّد نفسه الفكر
في جلال الله تعالى وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون
في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في
مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته
معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة
ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم
يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم
وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة
ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها
في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى
مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر
وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون
على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى
السما

السماء ولكن السماء لسعة اقطارها وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما
لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض
ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها ففتر عنه رايك وضعف فيه
رغبتك فانت فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها
الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة تختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق
الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب
لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ٥

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض
الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع
به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه
ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي اقامه في
ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية
على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله تعالى وانبياءه في حبهم
الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات
القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب
به ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية
تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد
المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب
لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في
الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه
فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل
اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي
ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة
بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا كان عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي
وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله
عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال للغير فان ارادة الكفر كفر فمن
اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان تسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان
تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد
ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها
وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما
اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه اعني انك
تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال

النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولهذا لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعم الله عليه فيتقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات اعداؤك بل خلدوا ... حتى يروا منك الذي يكمد
لا زلت محسودا على نعمة ... فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي عليه السلام هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي عليه السلام انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب الله ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله له مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدخل بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائدة لم تفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفا من قلبه نار الحسد وعلم انه

مهلك

مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد منهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا يكسر سورة العداوة من الجانبين ويقل مرغوبها ويعود القلوب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى واحباب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال تعالى ودوا لو تكفرون وقال تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعم حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فيكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع وقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه وغمه بما تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية الزم قلبه فقد ادى ما كلفه وذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على

جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة في المومن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا
على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من
البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن
الافعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه
من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير
كراهية وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك
اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل عنك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت
الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك وجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا
الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ
جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ٥

والله اعلم بالصواب تم كتاب آفة الغضب والحقد والحسد
ويتلوه كتاب ذم الدنيا والحمد لله رب العالمين والصلوة على
سيدنا محمد وآله اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب ذم الدنيا وآفاتها

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل
الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد
منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها
ولها اسرار سوء قباح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يومن شرها ووبالها
ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة
بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره
وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته
لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات صحتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الى
الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا
من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمها ورشقتهم
بصوائب سهامها بينا اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم
طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس
تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء
منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من آله
واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله تعالى عدوة
لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله تعالى فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ
خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها
واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج

ما

ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون
ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقتها وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل
غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل
معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها
ان شاء الله تعالى ٥

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر
القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة
الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على
الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة وقال عليه السلم
الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال عليه السلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال
ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع
ابي بكر فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم
لا يقدرون على مسالته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا
مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه
وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على
مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى
ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم
ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا
في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى صلوات الله عليه لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا
اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال
ايضا يا معشر الحواريين اني قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها
وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة
حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهورها
فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم
واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا
حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فياخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمن
ابن داود عليهما السلم مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل
فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمن فقال لتسبيحة في صحيفة مومن خير مما
اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهيكم التكاثر
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال
صلى الله عليه الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد

من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شي والزم
الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال
ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي
واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص
كحرصكم وتامل امالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبوها
ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه
العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد
بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال ابن للخراب ولد للموت وقال داود بن هلال مكتوب
في صحف ابرهيم يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت
خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك الا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل
بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم
عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملايكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني
لادنى اوليايك نصيبا اليوم فيقول اسكتي لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم عليه السلم
انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا
عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شي تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى
فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح
لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال عليه السلم ليحشرن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله
مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه وقال صلى الله عليه
في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة
والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار وقال عيسى عليه السلم لا يستقيم حب
الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبريل قال لنوح عليهما السلام يا اطول
الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلم
لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال عليه السلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت
وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى
ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر
امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى
الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء
وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا
وروي ان عيسى عليه السلم اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجا اليه فوقعت له خيمة من بعيد فاتاها
فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شي ماوى ولم تجعل
لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف
عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى صلى الله
عليه وسلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف اراهم ما يكرهون

وفارقهم

وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه عند الله وقيل اوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلم يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا
لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث
ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه
فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة
قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط
عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما اخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال
زهرة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها
وقال عمار بن سعيد مر عيسى صلى الله عليه بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان
هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه تعالى فاوحى الله
تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله
فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا
اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال
فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملايكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني
كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال
المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس
كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من امر الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلم من ذا الذي
يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلم علمنا علما واحدا يحبنا الله تعالى عليه قال ابغضوا
الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون
على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل
فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهايم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا
تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين الله ما فرق بين اهوايكم الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم
لا تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون
بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك بامركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون
العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم
بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فائتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما
انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب
وتقيمون فيها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالهم اني لارى الله تعالى قد تبرا
منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم
على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان
حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال

عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بادني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه
قيل
اري رجالا بادني الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لياتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب
واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم ان يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى برجل
وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع
يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا

الآثار

قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال
لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف
الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله اقوام كانت الدنيا عندهم وديعة
فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في
نحره وقال لقمن يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فليكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى وحشوها
الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح
في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكله
وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر قال يخلق
الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل
ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها
وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر
واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق
لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفين اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال
ابو سليمن الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها
شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار
فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه
لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق
من حانوته شيئا فيجي في طلبه فياخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار
خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف
العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس
الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل
وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما ان ترد الودائع
وزار رابعة رضي الله عنها اصحابها فذكروا الدنيا
فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر ذكره وقيل لابراهيم
ابن ادهم كيف انت فقال
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع
وقيل
اري طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاتمه فلما استوى ما قد بناه تهدما
وقيل
هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم آذن بالزوال
وقال لقمن يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما
جميعا

جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم
ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمومن وجزء للمنافق
وجزء للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة
الكلاب وقيل
يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من الماتم
وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وقيل
يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
افني القرون التي كانت منعمة كر الجديدين اقبالا وادبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تامن النارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال
يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث اخذ المال
من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين
صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن
في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال اطول ام اقصر فقيل اقصر فقال حلالها حساب وحرامها
عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال
ابو سليمن اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة
والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب
فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي رضي الله عنه الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احديهما تسخط الاخرى
وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا
ام غربت اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل
منه ويحسن فيه اله ان يتعيش فيه يعني التنعم فقال لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره
وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم
الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل
فسلم وسائله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين
ان هذا سيبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله
لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة
الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت
الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب منك الى دار تباعد منها وقال سعيد بن مسعود
اذا رايت العبد يزداد دنياه وينقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن
العاص على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
من قال ذا من خلقها من هو اعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل
الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب
وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرامه عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله

نفرح بمصيبته في دينه ونجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل وقال فضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شي يسرك الا وقد الزق به شي يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمن لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله تعالى على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل بنا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يوتى به يوم القيمة فيقال هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فاما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شي اسكتي يا لا شي وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ اخا له في الله وخوفه بالله تعالى فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله تعالى وارض برزق الله تعالى لا تستسلف من دار بقايك في دار فنايك فان عيشك في زايل وجدار مايل اكثر من عملك واقصر من املك وقال ابرهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العاقل ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال

غلبه

ايضا

ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل وهل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تحدث على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل آدم عليه السلم اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر على الاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مذكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زالت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسروره مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل

ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت
النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر
اليها منذ خلقها وقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله تعالى جناح بعوضة
فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله تعالى امره او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا
وبسطها لاعدائه اغترارا افيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين
شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه تبارك وتعالى انه قال لموسى صلى الله عليه اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت
عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة ابن مريم عليه السلم
كان يقول اِدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلائي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي
وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث
الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلم الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق
ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان
ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي
ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها
كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين
لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى ينبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي
يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون
وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف
لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا المنتقم له يوم القيمة وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال فيها اعلموا انكم
ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء
محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا يدوم احوالها ولن يسلم من
شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها
مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور
وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد
منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية
وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة
فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل
الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى
واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات
هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى
وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينت الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور
واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار
فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين
لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض
والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك

وسرعة

وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت
ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها
الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما يأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله
رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه
طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته
واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول
والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر
ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم لهلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون
عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون
فراقها فاعملوا لما انتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي رضي الله عنه في خطبته
اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما
مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم وكانهم بلغوه وكم عسى المجري الى الغاية حتى ينتهي
الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى
الانقطاع ولا تفرحوا بنعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال
محمد بن الحسن لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها
عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا
منها ما يكفي وتركوا منها ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا
بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة
بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا
ونعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة

اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر
اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها
وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر
بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري انشد وقال

احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثله لا يخدع

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يتمثل ويقول

يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق

وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه
طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وهو يقول

الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل

ولذلك قيل

وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

مثال الاخر الدنيا من حيث الغرور بخيالاتها
ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه الدنيا حلم
واهلها عليها مجازون ومعاقبون قال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا برجل نام فرأى في منامه ما يكره
وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل
لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم مثال آخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان
طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم
فقد روي ان عيسى عليه السلم كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت

[margin, right page:] تعالى اي يوم لم
[margin, right page:] تعالى لا انفد العاهه عنه الورع
[margin, left page:] الهتما التي لا اسنان لها

لا احصيهم قال وكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلم بؤسا للازواج الباقين كيف لا يعتبرون
بازواجك الماضين كيف تهلكهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال آخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها
اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا
القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن
زياد رايت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت
ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت
انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش
رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت
علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال
الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها
وتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناجرتم عليها بها تقاطعتم   تفاخرتم
الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل
الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من
كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شي راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شي
راه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت
من انت قالت انا الدنيا مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك
الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا
فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الابد والازل حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال صلى الله عليه
مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فقال (من القيلولة) تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها
ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة
توفي رسول الله صلى الله عليه وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال ارى الامر
اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان
الحيوة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس
من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان
فلا بد من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال آخر للدنيا
في لين كاخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخايض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة
الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان
الفارسي مثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع
عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن احذر ما يكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه   اى اذهب عنه
عنه مكروه والسلم مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم
ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة وقال عليه السلم بحق
اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها

مع

مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر
الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك
القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او تقسيها النعيم فسوف تكون اوعية الحكمة وقال نبينا
صلى الله عليه انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا
خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال
رسول الله صلى الله عليه مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك
ذلك الخيط ان ينقطع مثال آخر لتادية علايق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلم
مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال آخر لمخالفة آخر
الدنيا اولها ولنضارة اوايلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة
في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة
اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا
فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا
مشاهدة فان من نهب داره واخذ اهله وولده وماله فيكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته
فيها وحبه لها وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد
ما في الدنيا فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح   اى جعل فيه التوابل
ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا
لما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم
فانظر ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن
آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد رايتهم يطيبونها بالافاويه
والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه
وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحيي قال فلا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر
الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ما ذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى
اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال آخر في نسبة الدنيا
الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع
اليه مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان
اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم
المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف
المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة
وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها
ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها
ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف
والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده الحجارة
ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متاسف
على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء
الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من

السباع وغيرها من السقطات والنكبات ولا يسلك عن شوك تتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت
هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا
بما معه ولم يجد موضعا في المركب فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغهم النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع
ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل
الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزوجه فقد استرقته وشغله الحزن بحفظه والخوف من فوته وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث
ان ذبلت تلك الازهار وكدرت الوان الاحجار فظهرت نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه موذيا بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة
الا ان القاها في البحر هاربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ
سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا
وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بالحظوظ العاجلة ونسيانهم موردهم هم
ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان يغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم
النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه
وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى ۝ مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الله تعالى
في تحذيره اياهم غوائل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ان ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين
ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا هذا قريب عهد
بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام انتم قالوا على ما ترى قال
ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال
الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده
وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا
وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بعضهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير و
قتيل ۝ مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل
رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور
ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه وياخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع
منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم
انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ولا يصرفون
اليها كل قلوبهم حتى يعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي
وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة
لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا
وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل
الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام ۝
القسم الاول ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم
بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة
لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده

من

قال زين الدين العراقي
رواه ابن ابي الدنيا
هكذا بطوله ولاحمد
والبزار والطبراني
من حديث ابن عباس
ان رسول الله صلعم اتاه
فيما يرى النائم ملكان
الحديث وفيه فقال اي
احدهما للاخر ان
مثل هذا ومثل امته
كمثل قوم سفر
انتهوا الى راس مفازة
فذكر نحوه اخصر منه
واسناده حسن انتهى

من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل نقول انه من الآخرة وكذلك
العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان اعظم العقوبات عليه قال بعضهم ما اخاف من الموت الا
من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت
الصلوة من حظوظه العاجلة فكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني
بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا
والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض
الا للدنيا المذمومة فنقول ليست هذه من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ
عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة
في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان
والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما
يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه
من عمر بن الخطاب امير المومنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله تعالى خرابها
فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك الى دمشق انت واهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه ۝
القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص
الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم
الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا
ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة
الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى
وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى
والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المسعدات
المنجيات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين
العبد وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام
الليل يدفع عنه واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة
تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل وان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن
له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي
بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن
له محبوب الا الدنيا وقد غصب وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ۝
فما حال من كان له واحد يوخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى
فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهو الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات
الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن
ويحتاج كل واحد الى اسباب والقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا
وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها
الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات
العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا

عذاب لمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب فقد قال
ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام ولو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب
من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا فانظر الى اقرانك وقد
سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بانها سعادات متصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات
لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت
من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر هذا
النعيم الذي تسئل عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان
الحظ ولذلك قال عمر اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها
وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان
حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رماها اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا
وحتى ان سليمن عليه السلم في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا
وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا عليه السلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر
على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة
حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان
كل ما ليس لله فهو الدنيا وما هو لله تعالى فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله تعالى فاقول الاشياء ثلثة اقسام
منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض
المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله تعالى وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن
الشهوات فان هذه الثلثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله تعالى واليوم الآخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا
وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ
المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله تعالى ومنها ما
صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان
القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال
صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة
لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة
اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور
وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل
منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى ليس من الدنيا وقدر ضرورة
القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله تعالى ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم
والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة
غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما وسايط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه
والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة
حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان ياتي عليهم السنة و
السنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه ان
يلتقط النوى فكلما اصاب حشفة خباها لافطاره فان لم يصب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما

بقوته

للتشرف

بقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل يلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق
بعضها الى بعض ويلبسها فكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم
ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله
صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال ايها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال الا اجلسوا
الا من كان من مراد فجلسوا فقال الا اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال نعم
فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسئل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه
ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة في
شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان
اطلب اويس القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت
الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي
فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم
خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان
كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني
ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا راني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي
روحك حين كلمت نفسي نفسك ان للارواح انفسا كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله تعالى
وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رايت
رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في
نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها
عنك فاني احبك في الله تعالى حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه
قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حوا
ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن يا ابن حيان ومات محمد صلى الله عليه
وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر رضي الله عنه اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت
رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كان قد كان ثم صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي الصالحين المؤمنين فقد
نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك
ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني
فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان
وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين
واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله
ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسال عني ولا تطلبني
واعلم انك مني على بال وان لم ارك وترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله تعالى انطلق انت ههنا

حتى انطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فأبى علي ففارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت
عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه شيئا رحمه الله وغفر له هكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما
سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك
وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله تعالى وذلك ليس من
الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل
وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد
البدن بما يقوى به على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب
كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت
الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة
الدنيا في حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت

همم الخلق حتى انساهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها
حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا
عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش
للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات
والحيوان اما النبات فيطلبها الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني
كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم
فيطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم كالغلمان او ليتمتع
بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه
ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي
واليواقيت والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها
مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا
ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب
الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو
اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا
انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف
حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن
فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده
مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش
ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته
والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر
الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين
ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من
بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى
هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا

وتتابعت

وتتابعت اشغال الدنيا واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن
نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا
كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال
التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء
والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله القوت والمسكن
والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ
والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس
والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي
الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس
والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهو ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله تعالى
من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل
ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق من غير صنع آدمي ونعني بالاقتناص
ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة
والبناء والاقتناص والآلات انما توخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما
او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال
الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيف ما كان وبالحداد كل من يعمل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما
وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات
الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته
الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب
المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت
ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد
بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلات ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام
الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة
فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوف لتأذوا بالحر والبرد واللصوص
فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع
الجيران عن اللصوصية ولكن المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر
والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا
تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام
به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المرأة
فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا
كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم
فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا
لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه
العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل
ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومات

ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدودها حتى لا يكثر النزاع وهو
معرفة حدود الله فى المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من
التمييز والعلم والهداية فاذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل
اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطل
البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضايعة التى لا مالك لها ان كانت او يصرف
اليهم الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع
فمست الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فيحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى
الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى
منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو
العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاه عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع
يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع اسلحتهم
وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقايد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين
هم اهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولاء ايضا
يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا
يكون الناس فى الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانى الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث
المترددون بين الطايفتين فى الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتداء الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس
والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب آخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا
نهاية لعمقها من وقع فى مهواه منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالى فهذه الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال
والآلات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التى ياوى الانسان اليها وهى الدور ثم
الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم آلات الآلات وقد يكون
فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصياد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الحرب ثم تحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما
يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان
الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للآخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا
طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى آلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار
بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد
بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليها ما يحمل الفلاحون فيشتريها منه صاحب الانبار ليترصد به ارباب الحاجات
فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار
ارباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم تحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس
يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ويتعيشون به لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد
فيها كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم
عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى ياكله لا محالة غيرهم اما
قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة
وخسة الهمة ولو عقل الناس لا نقطعت همهم ولزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا وهلك
الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك
الدابة فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم تحدث بسبب البياعات الحاجة
الى

الى النقدين فان من يريد ان يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى ان المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى اجناس
فى اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل
احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن
فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار
الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهى الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهى معايشهم
وشى من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبى فلا يشتغل به
او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب بعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان
اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعى غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهما
اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة
فيجتمعون ويكابرون ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند
انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجه الافكار المصروفة الى
الى استنباطها واما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطى فافتقروا
الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم
وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان
ان تلك محنة اصابته من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط
قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخو برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك
وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع
مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا فى النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب
الصحابة وفضايل اهل البيت او الذى يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق او تسليم
ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشايش التى يتخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة
والفال من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طايل علمى وكان غرضهم استمالة
قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه
هى اشغال الخلق واعمالهم التى اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا فى اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم
ومنقلبهم وماالهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت
مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطايفة غلبتهم الغفلة فلم يفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش
اياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا
وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب
نهارا وذلك كسير السوانى لا ينقطع الا بالموت وطايفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى
الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج فهولاء نسوا انفسهم
وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذايذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية
السعادات فشغلهم ذلك عن الله تعالى واليوم الآخر وطايفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة
الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار ويترددون فى الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون
ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان ينقص وهذه لذتهم وفى ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض
او يظفر به من ياكله فى الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك
ولا يعتبرون وطايفة ظنوا ان السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهولاء

سفح م

يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون
ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم
في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس والانقياد للخلق بالتواضع والتوقير
فصرفوا همتهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس
ويرون انه اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعد واسعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات
على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله تعالى وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم
ومعادهم ووراء هذا طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم
الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما يراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منه وانجرت بهم اوائل
اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم الى مهاوي لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال
وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه وان غاية مقصوده تعهد
بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة
وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتشعبت
الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله تعالى في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه
لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة
ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في
ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق
ويظنون ان ذلك خلاص لهم من سجن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان الخلاص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها
عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة
وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع
محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله تعالى وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه
عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان
ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات
المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصال يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا
السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا
مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهو ما كان
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيأخذ منها قدر
الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك
كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت
ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن
اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى
ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه صلى الله عليه وسلم لما قال الناجي منها واحدة
قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة وقيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا
على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون
الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور
الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع ٥ تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله اجمعين

كتاب ذم البخل وذم حب المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على
العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقليب الاحوال ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس
والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار
والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا
وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على
محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا ٥

اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها
واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجد فلا سلامة معها فان فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون
كفرا وان وجد حصل الطغيان الذي لا تكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها
من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين
من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في
في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة
البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها
كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقدها
صفة الفقر ومن وجودها وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص
واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن
الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان
تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه في عشرة فصول
وهو بيان ذم المال ومدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء وحكايات
الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال
ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى الهيكم التكاثر
وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان
النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها
من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به
في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم
سيأتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء ويلبسون لين الثياب والوانها ويركبون فره
الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها
آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من
عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على
هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر

وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله تعالى في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله تعالى في فما زال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا

الآثار

روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمتها في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يدها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله تعالى وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك ان يعيذك الله مني فابغض الدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل انى وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقى المسلم وقيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه وكذا الدرهم فانظر غيه او ورعه ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله تعالى فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية للوالدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم

باموال

باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك منه ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصود الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق ليحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه السلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابراهيم عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما معنى عبادته حبه والاغترار به والركون اليه قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عبد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله تعالى فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة به على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروءة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى محتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به

بكفافي نسخه اى اضطرب

المسلم

بالاضافة صح

يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف
ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام
من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم
ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجل من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به
عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على
مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت
اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة
نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك
فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران
النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطير والرباطات ودار المرضى
ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهو من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة
ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص
من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة
في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاث الاولى
انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا
عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليه انبعث داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور
فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثانية انه يجر الى
التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة
كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه
ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة
والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس
ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة
المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر
والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل
ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله
عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى ع في المال ثلث ان ياخذه من غير حله
فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى
وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب
الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة
اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة
يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر
اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه
وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة
عن جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب
في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه

سموم

سموم وآفات

بيان ذم الحرص والطمع و(مدح) القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا
منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر
الضرورة من المطعم والمشرب والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه
بما بعد شهر فان تشوف الى الكثرة او طول امله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع
الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله
على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته
ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا لاحب
ان يكون اليه الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان يكون لهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا
خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال
النبي عليه السلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب
منه اثنان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه للآدمي جبلة مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى
ورسوله على القناعة فقال عليه السلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا
فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال عليه السلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب وقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب
عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلم سال ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم
بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه ان روح القدس
نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مومنا
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي
الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال
الا تبايعون رسول الله قلنا او ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال
قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال على ان تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة
خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال فقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه

الآثار

قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييئس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء قال
قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل

العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد واسع يبل
الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفين خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير
ما ابتليتم بها ما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال
التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا

كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن
مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له او
ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه رفعت حوائجي الى مولاي
فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن
قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت
اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم
ندامة العالم المفرط وقد قيل
ارفه ببال فتى امسى على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق في دهره شيئا يؤرقه
وقيل
حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون بحالي
بمشرق الارض طورا ومغربها لا يخطر الموت من حرص على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال
وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي
وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري اكل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا
القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب
يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكل ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت اليه كانك يا اخي لم تر
حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل
اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت
وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي
من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما الواحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية
فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت
على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني
لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف قال هات الثالثة قالت انت قد
نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين
مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه
يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك قيد في رجلك فاخرج الرجاء
من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب
فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما
وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدني
اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس
وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره
النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك
حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى
ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال
بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد
استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل

قال

قال من يدبره اللطيف الخبير الذي خلق الرحى وهو يأتيها بالطحين واومى بيده الى رحى اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل
الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه
ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد
خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى
هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة
ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال
عليه السلام ما عال من اقتصد وقال عليه السلام ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك
في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي عليه السلام الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين
جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن
ذكر الله عز وجل احبه الله وقال عليه السلام اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فرجا ومخرجا والتؤدة
في الانفاق من اهم الامور الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال
ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان يأتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو
السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان
يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال
فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم تعب في ثاني
الحال ربما لا يكون وفي مثله قيل
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر
ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن
وما ترزق يأتك وقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد
من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير
ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب
قلبه لاجله قال صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان
اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي الله تعالى في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه
وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش
الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته
بقوة السموات والارض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي
من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث
ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة
لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم
لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما ينضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على
متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه

ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه
عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن
الى من شئت فانت اميره الرابع ان يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب
ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وساير الصحابة والتابعين ويسمع احاديثهم
ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك
الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين
في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء الخامس
ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن
والفراغ ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسماية عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة
الاغنياء واخرج عن جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف
نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من
دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله تعالى وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله تعالى والناس كلهم مشغولون بالتنعم
فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة
قال صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور
تقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان تعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلايل للتمتع دهورا طويلة فيكون
كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم
ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار
والسخاء واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة
وعنه عبر النبي عليه السلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده
ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلم قال الله تعالى
ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على السخاء وحسن
الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمرو قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما الله تعالى
فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء
حوايج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة
قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان
شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه السلم
يقول الله اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم
فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى
آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين
الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملايكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب
الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسال على الاسلام
شيا الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا

فان

فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم
بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد رجلا منهم فقال علي بن ابي طالب يا رسول الله الرب واحد
والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلم نزل علي جبريل وقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى
شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت
نعمة الله عنده عظمت مونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المونة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلم استكثروا
من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة
دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من
الناس بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى
الداء البخل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله فان اصبت
اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال عليه السلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا صيام
ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب
المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه
فهو له صدقة وما انفق الرجل نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال عليه السلم كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله
تعالى اوحى الى موسى عليه السلم لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا
عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركايب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه السلم ان
الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت

الاثار

قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا
تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وسال معوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه
وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف
قبل السوال والاطعام في المحل والرافة بالسايل مع بذل النايل ورفع رجل الى الحسن بن علي رقعة فقال حاجتك
مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله عز وجل عن
ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار
بمعروفه وسيل بعض الاعراب وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سايلنا واغضى عن جاهلنا وقال
علي بن الحسين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا ينازعه
نفسه الى حب الشكر اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال ان تجود بمالك في الله
تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق
لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني
لييم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب
فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال

لى فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك ومعناه قيل ان للمال الذي امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمى
واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيا وقال الاصمعي كتب الحسن
بن على الى الحسين بن على رضي الله عنهم يعتب عليه اعطا الشعرا فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفين بن عيينه
ما السخا فقال السخا البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال
قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلوتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل
الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكما من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم تكن قال من كثرت
ايادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي
عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ان الرجل منهم ليدخل
راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذوي القرابة او دع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا
وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا

حكايات الاسخيا

عن محمد بن المنكدر عن
ام درة وكانت تخدم عايشة رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين مائة وثمانين الف درهم فدعت
بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت
فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد
رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملاوا عليه الدار
فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبد الله بشرا فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها
حتى وضعت الموايد فاكلوا حتى صدروا فقال عبد الله لوكلايه او موجود لنا كل ما اردت قالوا نعم قال فليتغد عندنا هولاء
في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين لاخيه الحسن لا نلقاه ولا
نسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا
عليه بختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه
بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره
عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخا وحيا فاما السخا فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحيا
فهو الذي منعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم
اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضا الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للزبير بن عوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازا العرش يبعث الله تعالى الى كل عبد بقدر
نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة
وهي مائة الف وسال رجل الحسن على حاجة فقال له يا هذا حق سوالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك
يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفا بشكرك فان قبلت الميسور ورفعت
عني مونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على
المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر
خمسين الفا قال فما فعل الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال
هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداه لكرا الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني
ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قرا البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا ان لنا جارا صواما قواما

تمنى

تمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنية له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس
فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه
ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مومنا عن عبادة ربه وما
بنا من التكبر ما لا نخدم اوليا الله ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله
لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخص الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم
بها حلي نسايه وقيمتها خمسة الاف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من
لم تنله صلاته وكان ابو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلك بموضع كذا فقال قد
فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرما فمدحه بعض الشعرا
فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان
اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زايدة
عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير
البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الما الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس
الما فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع

قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فانشده فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت
بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل
تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه وخرج فلما كان في اليوم الثالث قراها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه
حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم
اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خبا لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة
فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيي لكم
ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من
قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة
فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن على جالس
على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك
يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي هو قال نعم ثم امر الحسن فاشترى لها من شا الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار
وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل
ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها
عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار
وخرج عبد الله بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف يمشي الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة
يا غلام قال صلاحك وفلاحك ورايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده
ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما
من العرب جاوا الى قبر بعض اسخيايهم للزيارة فنزلوا عند قبره وكانوا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم
صاحب القبر وهو يقول هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان خلف السخي الميت نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين
فقال في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من
نومه يثج الدم من نحر بعيره فقام الرجل من نومه فنحره وقسم لحمه فطبخه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم

الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعث
من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعث منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذه هذه نجيبه ثم قال هو ابي وقد
رايته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه   وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب
على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه
اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك
استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما ياكل الارض من كرمك فابكاني   واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة
ابن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم
قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا   وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسمائة
دينار فبلغ ذلك الليث بن سعيد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون قال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال
يا امير المؤمنين ان لي كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم   وحكي انه لم يجب عليه الزكوة
مع ان دخله كل يوم الف دينار   وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل انها سالت على
على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا   وقال
الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر
الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار
من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا   وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال
هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاما
فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه   ودخل
سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن ساله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر
اليه سليمن تمثل هذا البيت   اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان   ثم قال حاجتك قال ديني قال وكم هو
قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله   وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك
عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت
درجته بالعشي لكثرة من عاده   وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع
بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى
في المسجد بحلة ونعلين   وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي
المجاور بمكة قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء
فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت
جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام واخرج دينارا فكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله
لك بشيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع
ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى
هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها
بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود
وذكر له القصة فاخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على
الفقراء فقال ابو سعد فلا ادري اي هؤلاء اسخى   وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر
وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها
عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا   قال ابو سعد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت مصر طلبت منزل

ذلك

ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت
بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا   وقال الشافعي رضي الله عنه لا ازال احب حماد بن ابي سليمن لشيء بلغني عنه انه
كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط
اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه   وانشد الشافعي لنفسه

يا لهف نفسي على مال افرقه على المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عندي من احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمن قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني   وقال الربيع سمعت
الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل
على كل من دخل عليه يقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء   وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج
الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج
ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت
بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها   وانشد الشافعي

ارى نفسي تتوق الى امور ويقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق به فاخبر به المامون
فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى   وقام رجل
الى سعيد بن العاص فساله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف
اخرى   ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال
عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه

ان حراما قبول مدحتنا وترك ما يرتجى من الصفد
كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد

فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين فقال اعطه ثلثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه

اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تقل ونكون نحن كاننا لم نفعل

وروي انه كان لعثمن على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمن يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه
فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك   وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال
اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال
اربعمائة الف   وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه رحم ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني
بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان
ودفع اليه الثمن   وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله
قد اهانني   واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال لاربعمائة درهم دين فوزن اربعمائة واخرجها اليه وعاد
يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون   وقال تعالى
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة   وقال تعالى
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله   وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح
فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم   وقال عليه السلام لا
يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة   وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان   وقال عليه السلام ثلث

مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال عليه السلم ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان
والمعيل المختال وقال عليه السلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما
المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة
مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وهو يوسعها ولا تتسع وقال عليه السلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل
وسوء الخلق وقال عليه السلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال عليه السلم
اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان
قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر
ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال
النبي عليه السلم وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة
فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني
بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني
بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل
عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم
يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال ولم تعطيهم ما هو نار فقال يابون الا ان يسالوني ويابى الله
لي البخل وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في
صورة رجل وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن
تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة
الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم
السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار ولا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال عليه السلم واي داء ادوى من البخل ولكن
سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا على انا لنزنه بالبخل فقال
عليه السلم واي داء ادوى من البخل ليس ذلكم سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول
احب الى الله من العابد البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد
وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال
عليه السلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة
شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا
البيت الا غفرت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام
الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي
يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام الله تعالى قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل
لياتيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت
بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام حتى يجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار

ويحك

ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون

الآثار

قال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها ازيني فتزينت ثم قال
لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار
العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال
تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان
البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال
محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي رضي الله عنه
في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم
وقال عبد الله بن عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه
والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على
انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا
وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح
واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما
من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم اجعل لممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا
وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا رآه ملك الموت اذا اتاه وقال
ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لان يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون
مامون الامانة وقال علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال
الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال
النبي عليه السلم انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها
اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب
للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي
يحيى بن زكريا عليهما السلم ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن
البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال ولم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه
فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك وبالله التوفيق

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه
ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا
طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي
فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم قال اقرا والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال هو تحت كسائك ودعا بعضهم
اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك
قال صوت المقلى وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب كان يالفه عنه وقيل له صف لي مائدته
فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قيل افما ياكل معه احد قال بلى الذباب
فقيل سوءة لك انت خاص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا
ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهم السلم يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعرنا اياها لنخيط بها قميص يوسف النبي الذي قد من
دبره ما فعل وقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله

فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت عليه واكل منه الوانا اكل عينه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفي مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجايزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الف فاعطاها اربع دوانيق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فياتي عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال بورك فيك فلما سال الثالثة فقال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني بكسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الإيثار وفضله

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجده مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة به فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام ايما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عايشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله تعالى من صنيعكم الى ضيفكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته فدخل الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم فقال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيها من الالات فاعتق الغلام ووهبها منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله راس شاة فقال ان اخي كان احوج اليه مني فبعث اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى اخر حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبريل وميكايل عليهما السلام اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكايل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله تعالى بك الملايكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد

وعن

نسخ

وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سايل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عمي ومعي شي من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام انطلق به اليه فجيته فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول اخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قايلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قايلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسالة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسايل والفرح بالعطاء بما امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يومر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابره فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة

والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فإن منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكن يشق عليه فإنه بخيل بالطبع وإنما يتسخى بالتكلف أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فإن ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامرأة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة فإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس علي غيره ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصى وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل سمي جوادا فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والإيثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لأن الله وعد بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قالوا فيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخو نفسك بتلفها لله تعالى ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير إكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك ٥

بيان علاج البخل

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فإن الدنانير رسول مبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر وأن ولده إن كان تقيا صالحا فالله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يفهم مقاصد المال وأنه لماذا خلق فلا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه أدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فإذا تحركت الداعية فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه وحكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فإن كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فإن كان البذل يثقل عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع إلى اثنين قويين

وسن عظيمين ثم لا يزالان يقتتلان الى ان يغلب احدهما الآخر فيأكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيسلط الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منه ومنع القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفات البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض الشيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيه نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق واحد منه المتألم به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله تعالى اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله تعالى اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يأخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل بها احد لقناعة الناس منها بمقدار الحاجة

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا وكان من جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارت عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما قد يحتاج

اليه

اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله تعالى فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقيل

هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت

وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال البتة

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نذل على ان الفقير افضل واعلى من الغني على الجملة من غير التفات الى تفاصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلم قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث المحاسبي رحمه الله اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجاه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله تعالى فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذره الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة الشيطان ينطق بها على لسانك ليهلكك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان طلب المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال

كذبت ورب السماء على رسول الله لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا ولهم رؤفا نعم ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت
ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في
الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل ولذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير
من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما
ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فعلى ود ابن عوف في القيمة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان
الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحيي عظم بعير فاخذه
بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر
فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له
ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه
فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله
وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله
اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان
عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن
قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت
فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا
فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك
بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامة واهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف ولصنايع المعروف وانفق
منه قصدا واعطى في سبيل الله سخاء منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا
الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على اوساخ الناس
وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال
فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليايه وساصف لك احوالك
واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في
سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها ولكنهم جادوا لله تعالى
باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله تعالى على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله لبعيد الشبه بالقوم
وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين ولله تعالى في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله تعالى
مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن
حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا
مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب
عجلت عقوبته من الله تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند
عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان
عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك قال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كانت لي اسوة بمحمد صلى الله عليه وسلم

(هامش: يوم احد)

واذا

واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء
حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا
الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم
وساصف احوالك ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي
النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت
تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك
تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال اذهبتم طيباتكم في
حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك
تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا للتكاثر بها والتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان
وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله تعالى حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من
النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقاء الله تعالى والله تعالى للقائك اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك
من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة
سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح
باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها
ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب
بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف
ما تعنى بامور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب
مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي
المخلوقين مساخطا الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة اهون عليك من احتقار الناس
اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله تعالى عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون
عليك من الفضيحة في الناس وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب
وهذه المثالب فيك اف لك متلوثا في الاقذار وتحتج باموال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني
انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة
اشد استعظاما منكم لكباير المعاصي فليت اطيب واحل مالك مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا
على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع شانك
مثل واحدة من حسناتهم ولقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها
فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة
في العلو عند الله تعالى وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاسي بجمع المال
للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك
تحتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام
افتطمع في نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من
الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم
لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر وبلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال

(هامش: الحلال)

لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فإن زعمت
أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالغا في
الورع فلا تتعرض للحساب فإن خيار الصحابة خافوا المسألة بلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم
ألف دينار من حلال وأنفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لأني غني عن مقام
يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام والحلال موجود لديهم تركوا
المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الأوساخ ثم تزعم
أنك تجمع المال من الحلال ويحك وأين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا
أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه فتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق
في أمرك وأحوالك لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء ويحك إني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال
لأعمال البر ولا تتعرض للحساب فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من نوقش الحساب عذب وقال
عليه السلام يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حرام
وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال قف لعلك قصرت في طلب
هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من
حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول
لا يا رب لم أختل ولم أباه في شيء فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول
لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علي ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه قال فيجيء أولئك فيخاصمونه
فيقولون يا رب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإن كان أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل
في شيء فيقال قف الآن هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسألة
التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف تراه يكون حال أمثالنا
الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف
منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع والتقوى ولم
تجمع المال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله
تعالى ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فإن كنت كذلك فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا
للسؤال وتسبق مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسألة والحساب فإما سلامة وإما عطب فإنه بلغنا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين
الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم
فيما أعطيتكم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا
السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون
لقد بلغني أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه
وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا يوم عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما معه في البيت أحد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول إليك عني فقلت له فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحدا
فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلي بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت إليك عني فقالت إن تنج مني يا محمد
فإنه لا ينجو مني من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا
وجلا أن تقطعهم عن رسول الله شربة من حلال ويحك أنت في أنواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى
الانقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لتنظرن إلى

الجماعة من الخيل

أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق ليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير
ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال المخلفين لتنقطعن عن أصحاب اليمين
وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين
تدبر ويحك ما سمعت وبعد فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك
مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة
مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله تعالى وأحكمت
أمورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى ولن توقف في المسألة ولا يحاسب مثلك من المتقين وإنما تجمع المال الحلال
للبذل في سبيل الله تعالى ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأحسن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر
والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب
وأعلى لقدرك عند الله أضعافا بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله تعالى
لكان الذاكر أفضل وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار
التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فإنه جانبها فلم
يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل فقال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا
الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال أن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم
لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وشغلك
بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله تعالى فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل وبعد فلو كان
في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك عليه السلام إذ هداك الله تعالى به وترضى بما اختار
لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى
سابقا إلى جنة المأوى فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد
عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح
راضيا عن ربه عز وجل فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
ألا يا أخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر
تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك
راقب الله تعالى واستحي من دعواك أيها المغرور ويحك إن كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا أن الخير والفضل في الرضى
بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا بإساءتك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب
إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا ومع ذلك كانوا من أورع الناس
وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا
فأعاذنا الله وإياكم منه وبعد فأين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم
وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فيا لسعادة المخفين يوم النشور وحزن
طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته هذا
آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا
وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روي عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله
أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أما لك في أسوة أما
ترضى أن تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق

لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن فقال عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما
ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان فيسألهم
عن الأخبار وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة
وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا
من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله فقال ما هذه إلا جزية
ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى خيار
أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك هذا وما نريد نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسي
بها طيبة فإنما هي لنا خذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال
هذه أخت الجزية حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي عليه السلام فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمي فأخبراه بالذي
صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فأنزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة
حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب
على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فأبى أن يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين أنه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام
وقمت معه حتى وقفت بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا أبت وأمي يا رسول الله قال أنا
ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي إلا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده
فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل
فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله
فقد أضر بي الجوع فبكى النبي عليه السلام فقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت
ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة
فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة
سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله
لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن إلى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
آثرت الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال
أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الهم بإصلاحه
وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم
عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف
فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري قال فانطلق

ومعه

ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم بإذن
الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدري قال ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ
عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدري قال فانتهيا
إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا أو كثيبا ثم قال كن ذهبا بإذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث فقال ثلث لي وثلث لك
وثلث لمن أخذ الرغيف قال فأنا أخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه
المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاث قال فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا أحدهم
فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكني أصنع في الطعام سما فأقتلهما قال ففعل وقال ذانك لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال
ولكنا إذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده
فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في
أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها فصلوا عندها ورعوا البقل
كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال ما لي إليه
حاجة فأقبل إليه ذو القرنين فقال أرسلت إليك لتأتيني فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيتك فقال
له ذو القرنين ما لي أراكم على الحال التي لم أر أحدا من الأمم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة
فاستمتعتم بها قالوا إنما كرهناها لأن أحدا لم يعط منها شيئا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد
احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا
من الأمل قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها
فقالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وإنما جاوز الحنك
من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين
أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله تعالى سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما
رأى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى
بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس
من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله تعالى عليه عمله
حتى يجزيه في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال
له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله تعالى من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا
أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من
الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين
متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق ومنه المعونة

تم كتاب ذم البخل وحب المال بحمد الله ومنه وحسن توفيقه
والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد المصطفى وآله الطيبين
الطاهرين

كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك وهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وآله واصحابه المبرائين من الخيانة والافك وسلم كثيرا

اما بعد

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فنازعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيه للشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حيوته بالله تعالى وبعباداته المرضية وانما حيوته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها الا العقول الناقدة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله تعالى ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين

الشطر الاول في حب الجاه والشهرة

وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها تنشا معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه

تبذل

تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن سيرين في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة قال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني قال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله الجنة اعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قد اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فمن صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله بيده فقال عجلت

نقرة

الخواظ الكثير اللحم المختال في مشيته

ابو قلابة نذ ابم

الحاذ الحال

منيته وقلت فوائده وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر واحب عباد الله الى الله تعالى الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم وقال الفضيل بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما من الدنيا قط الا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه وماربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر

في

في المحافل والتقدم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شي مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا يصلح لمطعم ومنكح وملبس وانما هي والحصا بمثابة ولكنها محبوبة لانها وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك القلوب والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر جاهه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه وسيلة وآلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض للبلوى لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمي ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا اعظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطأها قط ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة

مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان
وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما تلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله
هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا
لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر
الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند
مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الا ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا
يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم
يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف واما السبب
الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه
ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم
ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية
كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول
شرحها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال
فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة
فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية
والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا
معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق
نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة
مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد
بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من
انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر
على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس
عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهو محب للكمال ومشته له وملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود
فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته وعدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان لم يسلم له
التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا
عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ
به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب
الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه
كذات الله وصفاته والى ما تقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس
الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن
والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثر والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت
الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملائكة والسموات
فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط
به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب
السموات

السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز
عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع
وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه
يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات
التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهو قسمان اجساد
وارواح فاما الاجساد فالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم
والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان
لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه والى شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة
حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته
فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثالث نفوس الآدميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض
فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه
بالصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا حب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات
الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا
يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخير القلوب
ومن تسخر القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب
بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم
ومقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال
والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب
في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط
الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات
ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي
هو من صفات الربوبية وكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة مغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد
بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة
اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان
اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون العلم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات
مكشوفة لله سبحانه وتعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم
في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول
فان علم الله سبحانه وتعالى لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب كان
اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم
ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدته
اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا
ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وما بينها من الاميال
والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار
والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب

والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات
ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى
وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وبافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض
وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت
وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة راس مال
يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل
النور بذلك النور الخفي على سبيل الاتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن
له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من
فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة
لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهم ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه
والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات
والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال
قد افلح من زكاها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق
معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله ويندرج فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات
كلها من افعاله فمن عرفها من حيث انها فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم
كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها
كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب
ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من
ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة
الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول
بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى
قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على قرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل
والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى الاعيان بالمال بسعة الغنى
وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال
الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى
واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم
الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات
الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه
ومنزلته عند الله تعالى اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى
عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال
للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية
للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال
القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على الاعيان والاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم
بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله سبحانه فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا
على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل

للاستتمام

كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا
فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما
مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقوله تعالى
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا
وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له
وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها
فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا
فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني
عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه
وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه
لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب استاذه ما
يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب السلطان ما يحثه ذلك على دفع الشر
عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه
في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى
عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس حبا لبيت الماء وكل ما يراد للتوسل الى محبوب فالمحبوب
هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة فيه بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة
كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء
ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول
فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما
لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة
معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى
الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتي فان قلت طلبه الجاه
والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى
حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه محظور اما الوجه المحظور
فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم
او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول او بالمعاملة واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة
هو متصف بها كقول يوسف صلوات الله عليه فيما اخبر الرب عنه اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه
طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه
ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك
الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه
يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب
ومن جملة المحظور ان يحسن الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين
الخاشعين لله تعالى وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك

يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يملك مال غيره بتلبيس في عوض او غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضه للذم ونفرته منه

اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا بانه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يوبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب اذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع هو ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والغلبة والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال ايضا انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل

والنفاق

والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبلت القلوب عليه كما جبلت على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فاخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري رحمة الله عليه حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهؤلاء التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للتقوى فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالافات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له فالاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة فهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من افة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس عنده كالارذال فلا يبالي ان كان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة ومن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم

يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا تتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المومن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمادح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزا به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فان المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله تعالى وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله تعالى فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار وان صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب ولهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المومنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه فاما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بفعل انتفعت انت به وتضرر هو الحالة الثانية ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك عن ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما لك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهية المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا تنال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان تطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الثانية ان يتغيض الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهو اول درجة الكمال ان يستوي ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما ينال من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال

وقد استفدته

اي يغضب

هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلبهم وهم لا يشعرون
حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك
ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من
الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته
ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره
كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب
وللهوى يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على
مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر الآخرة وفيهم قال الله تعالى
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة
الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب
الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهدي اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم راس
التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله
عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت
نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر
الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام
فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لا بد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته
وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب
ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت
الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحد من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في
المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي
بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبها بالمباحات
ولا يطلبها بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود
الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى
لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط
السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو
في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان
كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى
درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان
يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنهما وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار
الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون اظهار الفرح الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها
الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع
ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ
صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبرا للعيوب
التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي ذامه ومادحه لكان
له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا

بالمجاهدة

بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب

في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان
ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في
كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق
وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول

بيان ذم الرياء

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراءون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد
ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله واما الاخبار فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله
يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتابه كما اوردنا
في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال
فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم
وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله
تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا
الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن
قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم من عمل عملا اشرك فيه
غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن
راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله
تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء وقال
عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى
الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا
الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان
يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي
ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن
اوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا
ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون باعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض مادت
باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد
فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله تعالى الماء باطفاء النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة
فقالت نسأل الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن آدم حين
تصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن
جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك

وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان خلق السموات
والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فيصعد الحفظة بعمل العبد من حين
اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم يأتي
الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر
على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به
الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا فاضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من
تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه
انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه اذا كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من
العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج
وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم
انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ويصعد
الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه
ثلثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا به وجه صاحبه واضربوا جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي
كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المداين امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا
الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة
على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا
معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك
عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر
الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار
يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب في النار
تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت
اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث واما الآثار فيروى ان عمر رضي الله عنه رأى رجلا يطاطئ رقبته
فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب ورأى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده
فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا
كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد
به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى
الاغنياء عن الشرك الحديث وسال رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب

ان

ان يمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله وللرحم
فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت
شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله تعالى وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم اذا وقال الحسن لقد صحبت
اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر
فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي
يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون
وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها
وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه
محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال
مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد
ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار
للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمن التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان
الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل وكيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق
الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية
والسمعة مشتق من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة
تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب
بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب
رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به
كثيرة تجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة
وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون
من الرياء بالطاعات الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة
الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن
في الدين وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب
مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك يدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك
الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان
وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم
فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء
ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراؤون باظهار
السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها الثاني الرياء بالزي
والهيئة اما الهيئة فتشعث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه
وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك
يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد به بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس الثياب
الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه انتهى
تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من
من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار

الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا
نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة
ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب
الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا
فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب
الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصالحين فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب او وسخ لكان
عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الابيض او القصب المعلم وان كان
قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته
في زي مخصوص يثقل عليه الانتقال الى ما دونه او الى ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب
النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة
النفيسة وذلك ظاهر من الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم
يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار
لاجل الاستعمال في المحاورة واظهار الغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر
في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس
المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث
ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح
او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه
لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على
اهل الفضل واظهار التودد للناس لاستمالة القلوب الرابع الرياء بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل
السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو
والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى
ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه
الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون يجدد
الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه خشي ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من
ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمراى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس لم يفتقر
الى التغيير ويظن انه تخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة
ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب
الخطى والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين
كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته
ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ
ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم ويباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت
من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون
وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين
كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبيته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى
جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم

مع انه قد قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال
لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد
ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجح الحوائج على
يده فيقوم له جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير
ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت
فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات
او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب
المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه
وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف صلى الله عليه وسلم حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع
وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه
اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال
وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدا الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال
على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه
اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه
نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام
لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اراد ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت له او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم
ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة
الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن
احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا
مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانسوا به فاذا
المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به
ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا
مراياة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلوة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احدهما ان
لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم
لا يقتصر على احباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه الاخبار والآيات
والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله تعالى وانه من اهل
الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع ليعتقدوا
سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما قصد بعبادة
الله خلق الله تعالى فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا الى عبدي كيف يستهزئ
بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري
الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصدت به عبدا من عبيده
فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه
ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى وانه اولى بالتقرب اليه من الله تعالى اذ آثره على ملك الملوك فجعله

مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب
ما به المراياة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله تعالى لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد
قصد غير الله تعالى لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت
تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان
ذلك قريبا من الشرك الا ان قصده تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله تعالى فعن هذا
كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من
نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم واقبل
بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون
عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول
الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يترقبه بطمعه الكاذب في الدنيا
من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله تعالى من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر
فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما
نقلناه في الاثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر له اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المراءى به
والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله تعالى
والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا
لارادة العباد فيكون الدرجات اربعا الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر
الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك
من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداه فهذا في الدرجة العليا من الرياء الثانية
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن
الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم
الثالثة ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا
انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه
او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة
ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم
عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله
تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح الركن الثاني المراءى به
وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو اغلظ الرياء بالاصول
وهو على ثلث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي
يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى
كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم
على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى
سعى في الارض الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤون الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيه كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض

وذلك

وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او
يعتقد طي بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين
المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وهؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر

خال صح

الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله
ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله تعالى يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها
او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان ويشتهي خلوة من الخلق
ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس
او يغزو او يحج لذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله تعالى او يسجد
لغيره لم يفعل ولكن يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند
الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله و
هذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة ان
لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته
في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع
الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من
المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله
فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده
من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركه فكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف
عقابه فهذه هي الرياء باصول العبادات

القسم الثاني

الرياء باوصاف العبادات وهي ايضا على ثلث درجات
الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة
فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من
فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه ادمي احسن
الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام
على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج
الزكوة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم
يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لاجل العبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما
للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة
فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن
هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة
منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن
يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا
كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك
يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام
قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة
واذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين
الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره

السنة فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة
الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام
وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السور المعتادة وكذلك
كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما
لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم
وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله تعالى منه انه لو خلي بنفسه لكان لا يبالي
اين وقف ومتى تحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم

الركن الثالث

المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات
الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل
والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة
الزكوات او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج
فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر زي
التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون
مجالس الوعظ والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان ويخرج الى الحج
ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه
آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هولاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي
التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس به فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل
مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى الرتبة الثانية ان يكون غرضه
نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل
له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم
عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب
بهذا مباح في نفسه الرتبة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص
ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي ويطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من
اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار
وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك
وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون
فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشوراء او
في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى الطعام فيمتنع ليظن
انه صائم وقد لا يصرح باني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز
من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا
تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش او يمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك
متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد
الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة
علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ
عرق الرياء في الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد
ان

ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له
ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء
ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهي من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب
هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي
هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لم يحمل على العمل بمجرده الا انه
يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عليه الضيف نشط له وخف
عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف
ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته
ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا
اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح
السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان
النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية
فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا
يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا
وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة
النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى
الناس احب ان يبدأوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه
في البيع والشرى وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى
الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في
حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي
من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه
انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن بالسلام الم تكن تقضى
لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من
السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من
الطغيان اكثر مما دخل على ارباب الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان
تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل
والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب
الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال
الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من
الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء
فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة
الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون
بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم وكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم
الذهب المغربي الخالص والفضة الخالصة لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية

ولا وطن تفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فهكذا شاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي تزود به له من
التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من
الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرت البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا
قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل وزيادة ثواب
ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا
للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه
وبعضه مذموم ومحمود فنقول اولا كل سرور مذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة الاول
ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على
حسن صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم
من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه
في الدنيا انه كذلك يفعله في الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره عليه
في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل الثالث ان يظن رغبة
المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى
به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ
وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى
الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزا به وينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح
حسن بايمان عباد الله تعالى وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم
فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره
وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل
الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء
فما يطرا بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق
ظهوره باظهار الله تعالى ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن
ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود
انه سمع رجلا يقول قرات البارحة البقرة قال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال
له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر
وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد
الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرا بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب
على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فان
ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها
وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون
في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس
لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم
العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من رايا بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل

على

على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه مفرد فما يطرا يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج
من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته
ففرح بحضورهم واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل
وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا
ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرا
ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد
هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمة الله عليه الى الاحباط في ما هو اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد
السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه محبط
لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه
بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء
ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمة الله عليه انما هما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم يضره الثانية وقد روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر
واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم
يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها
انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به للاقتداء الناس به او لسرور آخر
محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة
اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل
الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقف على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به
بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا من باعث الدين وانما انضاف
اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما
الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا
لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان
يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله تعالى والخالص ما لا يشوبه شيء
فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع
اليه فهذا حكم الرياء الطاري بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم الثالث** الذي يقارن حال
العقد بان يبتدي الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة يلزمه
اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه ولا يخرج التحريم عن
كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة
كما لو ابتداها بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد
الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله تعالى لكان كافرا ولكن اقترن به عارض
الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فيصح صلوته ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن
قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم تصح صارت افعالا زائدة
في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية
واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في

ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلى بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث له ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة فقد عصى الله باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلوته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة فاما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان تفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله فيه

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

لقد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الاول

في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله

عليه وسلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الاشهاد والعباد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله تعالى وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد في الدنيا بما يفوته من الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فيترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضى الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضى بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله تعالى ان كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله تعالى لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح به صدره وينفتح له من لطائف

المكاشفات ما يزيد به انسه بالله تعالى ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه
وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما
الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله
تعالى واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به ويروى ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا
واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى
الزهد فيها فلا دواء في الرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه
ذلك بتواصل الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة
ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع
مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان
لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان
يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول
العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون
اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال
القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق
علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء
وتعرضه للمقت عند الله تعالى في القيامة في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثمر شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة
آفة الرياء تثمر كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى
الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة
على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب
بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشوم
عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم
عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب
ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب
امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان
ومهما انمحت المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه
يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ويسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم
من عالم يحضره كلام لا يدعوه اليه الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته
وكونه مذموما عند الله تعالى ولا تنفعه معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به
لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا
اجتماع الثلث وهو المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة
بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في آفات الحيوة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج
بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي
التي تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن

صادف

صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره
لحبه ولميله اليه وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان
عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب
وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلفه ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في
مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا
يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة
في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك
ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما
رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة
والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله
على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور
القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى يوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله
والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل
يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن
الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعرج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك **الثانية** ان يعرف
ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه
ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا
للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب
الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفاء الصدقة والعبادة
غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع روي عن الفضيل بن غزوان
انه قيل له ان فلانا يذكرك قال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه
ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة ان يزيد في حسناته وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان
ليدعو العبد الى باب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا
طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة
قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا
الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله
وهو يظن ان ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر
الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فقط ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه
ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ثم مر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني
في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله
فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل
على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهبت فرقة
من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله تعالى واشتغلوا بحبه واعتزلهم

الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنى فصار ملاذ الدنيا عندهم وإن
كان مباحاً كالخمر والخنزير عندهم وإذ خلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر
وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك
لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراد الله تعالى فهو الضار
والنافع والعارف يستحيي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم
لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية
وهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غروراً إذ الأنبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم
وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال
وغيره ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى
ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه
ليغان على قلبي مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمر إلا بخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله تعالى أكثر من اشتغال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء فهو مغرور ولم يأمنوا من ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في
الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله تعالى لهما إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك
ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن
في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام هذا من عمل
الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة وقال إنه
يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الأمن منه واتخاذ
الحذر حيث أمر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو
كما أمر بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا أسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
فإذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال
محمد بن صبيح تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وعدو يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك وأشار إلى الشيطان كيف
وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا القتل وهو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم
فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله وبه بطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل فإن
أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل
الخوف مما خوف الله تعالى به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن أن معنى التوكل
النزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثاله التوكل مهما
اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن المضل
والهادي هو الله تعالى ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله عليه
وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون أن ما
يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على
ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره
والحذر منه والترصد له فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن
ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا
ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وإن

تجردنا

تجردنا للذكر كنا أهملنا ذكر الله تعالى فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد
لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى فلا يخفى غلطه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل
ذكره أغلب الأشياء على قلبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله فإذا قصد الشيطان
مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار
الشيطان ولا بإدمان الذكر وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين الله تعالى والشيطان
وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره
فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل
بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان
له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغ الشيطان بل الرجل ينام وهو
خائف على أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات
قبل أوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي
يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور القلب والعلم وأماط ظلمة الشهوات
فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر
شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى أبصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر لتتفجر
منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء
القذر من جانب ولكن تركه جارياً إليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذي
جعل المجرى للماء القذر سداً وملأه بالصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة
تعب

بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات

اعلم أن في الإسرار
للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء
قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ولكن في الإظهار أيضاً فائدة ولذلك أثنى الله تعالى
على السر والعلانية فقال إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والإظهار قسمان
أحدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل

القسم الأول

إظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ
لترغيب الناس فيه كما روي عن الأنصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من سن سنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة
والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة أغلب نعم الغازي إذا هم بالخروج واستعد وشد الرحل قبل
القوم تحريضاً لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليس
من الإعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل
عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه
شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس
في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام وإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من
العلانية وإن كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة
أفضل من السر ويدل على ذلك أن الله أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن أنهم
حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله له أجرها وأجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث أن عمل السر يضاعف على
عمل العلانية سبعين ضعفاً ويضاعف عمل العلانية إذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفاً وهذا لا وجه
للخلاف فيه فإنه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل

لا محالة وانما يخاف من الظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل
منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احدهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله
دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل
محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق
وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل
الاقتداء به الثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته
التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه
بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم
حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة
وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالرياء
والتفطن لذلك امر غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في
السر مثل اجر الاعلان فان قلبك ان يكون هو المقتدى وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير
فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراياتهم
فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال الظاهرة عن
الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا نقوى عليها امثالنا فالحذر من الاظهار
اولى بنا وبجميع الضعفاء

القسم الثاني

ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار
العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة
في اظهار الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون
والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من رجا الاقتداء
والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك
عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة
فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال
عمر ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون
على غيرها وقال عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال
شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ايتنا بالسفرة لنعبث بها حتى
ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال
عمر بن عبد العزيز ما قضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله
اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدر ممن يرائي به وفيه غاية الترغيب اذا صدر ممن يقتدى به فذلك على قصد
الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء
بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء
بمن هو مراء عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين
بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك
الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
وباقوام لا خلاق لهم في الآخرة كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب

وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص

استواء

استواء السريرة والعلانية كما قال عمر لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية
قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس
عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه
وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك
فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه
ورع وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي له ستر المعاصي
ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من سبعة اوجه **الاول** هو ان يفرح بستر الله
عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر عليه في الدنيا
ستر عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي
ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله
فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان وكراهة الله ظهور المعاصي
واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له به
من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة
وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا قوة الايمان
اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته
لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس
بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا
من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي
ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم
لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذم من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء
الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات
الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحمد بطاعة الله تعالى فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره
فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم
فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا
وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم
فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب عن الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد
وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان
يكون غمه باطلاع الله تعالى وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان
وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع **الخامس**
ان يستر كيلا يقصد بسوء اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه
وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه
السادس مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالسوء وهو خلق كريم يحدث في اول
الصبى مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال
الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم والذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس

جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه
به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحيي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس
وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه
ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا وتسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم نفسه لا
انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد
الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل ويقرض فان اعطى فيتصور له ثلثه
احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان يعطي حتى لا
يذمك ولا ينسبك الى البخل واذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء الثاني ان يتعذر عليه الرد
بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية
عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص
هيج الحياء اخلاصه والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه
مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه لمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من
الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة
الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض
ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد بالحياء ما ليس بقبيح كالحياء من
وعظ الناس وامامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من
شيبته ان تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان تستحيي من الله
فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب
التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب **السابع** ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه
العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان
يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنب هذه الاعذار السبعة وليس في اظهار الطاعة
عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة
فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك
فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله
تعالى لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلوتك وعلى
طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله تعالى عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات
محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحب ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال
فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الافات

اعلم ان من الناس
من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك
لخوف الافات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها
مقاساة للشدائد ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انه يوصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند
اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات
والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الافة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من
اللذة **القسم الاول** الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلوة

والحج

والحج فخطرات الرياء فيها ثلث احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين
فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن
نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيي من مولاك لا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث
الرياء وسخت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل **الثانية** ان ينبعث
لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل
وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن
القبول **الثالثة** ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل صح
لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت
فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاي فايدة لك
في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من ترك العمل لخوفه ان يكون
مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقية بالغة فترك اصل العمل وقال
اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى
له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه
اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة
وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا
انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر
بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها من مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان
بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك
بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس تزهدك وهربك منهم وتعظيمهم
لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة افة الرياء وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه
في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا
ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد
خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله تعالى اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك
ولو اطلع الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك
فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه
وحيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك
وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام
ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرا فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى
هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابرهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن
كان احدهم ليمر بالاذى فما يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة
وقد ورد فيه اثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا
الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز
والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه
وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابرهيم
النخعي المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستينافه بعد خروجه للاشتغال به ومكالمته

فرأى ان لا رياء في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاستغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك رفع الاذى فذلك
ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون
تركه للمحافظة على عبادات اكبر منها لا لمجرد خوف الرياء واما قول النبي اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون
تداردية مباحات الكلام كالفصاحة من الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح
محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما يعظم
في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا يعظم فيه الآفات
ثم كلام الحسن في ترك البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل و لا
يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبه

القسم الثاني

ما يتعلق بالخلق
ويعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير ثم التدريس ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة
فهي من افضل العبادات اذا كان مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة
الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اول من
يدخل الجنة ثلث الامام المقسط وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال
صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري والامارة والخلافة من اعظم
العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها وتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك به الصفات
الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان
الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد
في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه
ولهذا الخطر العظيم كان يقول عمر رضي الله عنه من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية
فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي
صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال
الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها بمسألة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن
عمر لا تتامر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تتامر على اثنين وانت قد وليت امة محمد
عليه السلم فقال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد
في فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا
من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا ياخذه
في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها
وقمعوا الشيطان فايس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل
في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق
كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر
فتكره العزل فلا من خيفة من العزل فهذا قد اختلف الفقهاء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون
لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح
ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية
فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال
فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى
الموت

الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل من يحب الولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على
السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي امرنا من سالنا فاذا فهمت اختلاف
حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس متناقضا واما القضاء
فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع
والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه
وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة
ينبغي ان يتركها الضعفاء وكل من كان للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلدها الاقوياء الذين لا ياخذهم في الله
لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل
المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم
بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل
ان كان يقضي لله تعالى فان لم تسمح به نفسه فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا
وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد
العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من
السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال
اوسعوا لي ودفن بشر كذا وكذا قمطرة من الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت
والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك
على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ونفر عن كل كلام يستثقله العوام
وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة
الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكر على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة
وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فافيضها ليشاركني في
نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة
والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه ويقوى في الدين همته ويامن على
نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة
الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة
وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة
والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع
ذلك وضرب عمر ابي بن كعب حين راى قوما يتبعونه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه
يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر رضي الله عنه اذا فرغ من صلوة الصبح ان يعظ فمنعه فقال اتمنعني
من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء
والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما
قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى
تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس
وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وكسروا السلاسل وطلبوها
وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم
اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عند الخوف الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان

كلهم لا يصغون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن
سمته في الظاهر وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا يمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد
نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب
وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجمع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا
هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب
في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ
المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات
النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل
الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء
ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى صلى الله عليه وسلم يا علماء السوء تصومون وتصلون
وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى
ما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة
كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من
الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت
اقدامكم بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم
حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا
يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم
منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم
على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم
على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فقد روى الحرث المحاسبي رحمة الله عليه هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال
هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا
فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم
والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم
فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتم العمل
وجاهد فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله تعالى اترك العلم
اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام
يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل
الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان
آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلث الاولى
الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلاة والصوم والحج والغزو
وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها
مع اتمام العمل لله بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهي التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية
والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلاة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر
الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولاية

اشبه

اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين
فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة
ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما
يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من زهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني اني اقمت على
درج مسجد دمشق واصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرى ولكني اريد ان اكون من الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق
فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل
عن الله تعالى وقد قال عيسى صلى الله عليه وسلم يا طالب الدنيا لتبر تركك لها ابر وقال اقل ما فيه
انه يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من تعرض لآفة الرياء فتركه لها ابر
والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع
الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما
يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على القلب فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل
اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد
القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من
الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف
فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل هو الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات واما المال الحاصل
من الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت باي علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق
مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر
منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا
مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي
خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى
جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل
يلتفت في المجلس فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه
الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين
الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع كلامه
قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه
يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم
حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال
صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر
الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج
فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزو فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا واني في ثلثمائة درهم
من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن
رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا واغزى عدو
الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب

ثم ابتدى — ابتداء

فاشتد ذلك على الحسن فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج
فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يبتسم
وقال ما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يبتسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة
كانهم يظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى
بنا الى شررة من نار اني اتيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا اغزا عدو الله غزا كذا واذا اعتزى لخاه اعزاه كذا
لا ابا لك تحرض علينا الناس اما على ذلك لا نتهم لنصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد
المنزل فبينما هو يسير اذا التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسالون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى
هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها ينبغي ان يمتحن الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون
ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون **بيان** ما يصح من نشاط العبد للعبادة
بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون
الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي
مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث
هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب
في عبادة الله تعالى في قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشغال وتغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه
الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في الموضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله
فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على الفراش الوثير وتمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او
الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه الشواغل التي تفتر رغبة الخير
وحصلت اسباب باعثة على الخير كمشاهدتهم اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه
ان يسبقوه بطاعة الله تعالى فيتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او سبب آخر فيغتنم زوال
النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم ويضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا
فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع ساير العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر
عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فينبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث
الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان
عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلوتك المعتادة وقد تكون
رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون انه يقوم الليل فان نفسه لا
تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله
وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا
عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله
وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو راى هؤلاء
يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سخت
به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان
يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لم يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون تحرك نشاطه بسبب
نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع في النفس الى حب الحمد فمهما علم ان
الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة
وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر

وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي
تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض
ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر
الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال
ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم
في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وسواس
الشيطان بالكبر والعجب كما خلع الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاجل هذين المعنيين ومنها ان لا يزور
غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث ابرهيم
ابن ادهم اليه ان تعال حدثنا فجاءهم سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت انظر كيف تواضعه ومنها
ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابو وهب جلست الى عبد العزيز
ابن ابي داود فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي كما تفعلون بالجبابرة واني
لا اعرف فيكم رجلا شرا مني قال انس كانت الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا
ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنه وهو كبر روي
انه دخل رجل وعليه جدري تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه
فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم جنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم
على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان
يكتب فكاد السراج ينطفي فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه قال فانبه الغلام
قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملا المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال
ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر خير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته
وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل
من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن
ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك
وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله
وقال بعضهم رايت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين قال لا
ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة
من الايمان قال هرون سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت
عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب
علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلم جودة الثياب خيلاء
القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين وروي ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان
يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة
دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من
الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل
وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه

فقال له رجل يا امير المومنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه وقال ان افضل القصد عند الجدة
وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة
تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله تعالى ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى صلى الله
عليه وسلم جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا
من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد
في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس
اذ قال له اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون
من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضى بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس
ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره
فذلك ليس من الكبر فاذا انقسم الاحوال تنزل قول عيسى صلوات الله عليه على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث
خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو
مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال
صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال
بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل
الصلاح وقد قال عيسى صلى الله عليه وسلم ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب
الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ
حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل من السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق
والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت
لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس
لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع
الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله
في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله من صغير
او كبير او اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي
وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة
لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا
في غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع
قال ابو سلمة فدخلت على عائشة ام المومنين فحدثتها كلها عن ابي سعيد فقالت ما اخطا فيه حرفا ولقد قصر اذ ما
اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من
اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه
فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح
بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من
اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا من
الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك

البشم التخمة

جمعة

جمعة حتى قبضه الله تعالى فما نقل من احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن
راى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله تعالى منصبا في
الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام
فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان لله تعالى عبادا
يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله تعالى مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه
وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة ولا حسن حلية لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين
والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبر بخير وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه
وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله
تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون
احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم
السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الرياح
العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة
وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة
وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد
واكنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال
يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا
يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة
له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض
منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره

المقام الاول في استيصال اصله

وعلاجه علمي وعملي فلا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر
فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع والذلة
والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله تعالى اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول
فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفة نفسه فهي ايضا تطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع و
المذلة ويكفيه ان يعرف آية واحدة في كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد
قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا
شاء انشره فقد اشارت هذه الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان في ذلك ليفهم معنى
هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا لم يكن لعدمه اول واي شيء
اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده وحيث صار
شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر
ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه
قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله
من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا

انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر وكان من ذاته لا شيء واى شيء اخس من لا شيء واى قلة اقل من عدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضى ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهى الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما يكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا غيره فاى شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط احواله فليتأمله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدى بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقى كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حيوتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك واحصاه الله تعالى فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تعالى

ثم اذا شاء انشره فمن هذا حاله فما له وللتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر اول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان مستحقا عند الله للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت لبست اشار به الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله تعالى وعلى رسوله عليه السلام بالايمان وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كان عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفى العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت

المقام الثاني

فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوى شرف ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من بول الانسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من التراب فليحقر به نفسه ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل

وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل يغسل منه الأبدان فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه
لم يتكبر بالنسب ويكون بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم
وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى
القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أفترى أن ذلك يبقي شيئاً من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر
الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة
والمضغة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرهما لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة
أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التي يتنزه منها هو في
نفسه **السبب الثاني** الكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم
ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه
والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان
تحت إبطيه يغسل الغائط كل يوم دفعتين ويتردد إلى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره
فضلاً من أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذلته هذا في حاله وأول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور من النطفة
ودم الحيض وأخرج في مجرى الأقذار إذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم إلى الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى
القذر قال أنس قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من
مجرى البول مرتين ولذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء إذ رآه يتبختر
قبل خلافته هذا أوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار
وصار أنتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فإذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن في أقذار وحشي من أقذار
وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار في البوادي فبينما
هو كذلك إذ صار هشيماً تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقياً وعن هذه القبائح خالياً لكان يجب أن لا يتكبر به على
القبيح إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جماله إليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور أن
يزول بمرض وجدري وقرحة وسبب من الأسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من
القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها **السبب الثالث** الكبر بالقوة والأيدي ويمنعه من ذلك أن
يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل
وأنه لو سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت أنفه أو نملة دخلت أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت
رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن
نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفتخر بقوته ثم إن قوي الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأي افتخار في صفة تسبقك
البهائم فيها **السبب الرابع** الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين
والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الإنسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع الكبر
فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدم داره لعاد ذليلاً والمتكبر بتمكين السلطان
وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غلياناً من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج من
ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فأف لشرف
يسبقك اليهودي به وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلاً مفلساً فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو
في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشيء
من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه بقي وإن استرجعه زال وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف
ذلك لا بد وأن يزول كبره ومثاله أن يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة

خيوله

خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم
فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يديه وهو يخشى مع ذلك أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب
مالكه ليعرف له مالكاً ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوساً في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل
حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقاً في الخلاص البتة أفترى من هذا حاله
هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فإنه يرى نفسه كذلك
فإنه لا يملك رقبته وماله وبدنه وأعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات
يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر
بالأسباب وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فإنهما كمالان في النفس جدير بأن يفرح بهما ولكن في التكبر
بهما أيضاً نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب الخامس** الكبر بالعلم وهذه أعظم الآفات
وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله
تعالى عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلاً إلا إذا كان معهما علم وعمل
ولذلك قال كعب إن للعلم طغياناً كطغيان المال ولذلك قال عمر العالم إذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم
عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا
بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله تعالى على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم
وأنه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله تعالى عليه في العلم ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من تعلم
ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً أراد به علماء اليهود
وقال في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها إلى قوله فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس
أوتي بلعم كتاباً فأخلد إلى شهوات الأرض فهو قوله إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء عليه آتيته الحكمة أو لم أوته فلا
يدع شهوته وكفى العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره
بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر
غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيراً
فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله تعالى منه فهذا الخطر يمنع التكبر فإنه إن كان من أهل النار
فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني
أمي ويأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيراً أوكل كل ذلك خوفاً
من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالاً من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال
بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها وترك بعضها وأدخل النقصان
في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها كما يرتضيه مولاه أم لا فأخبره مخبر بأن مولاه أرسل إليه رسولاً يخرجه من كل
ما هو فيه عرياناً ذليلاً ويلقيه على بابه في الشمس والحر زماناً طويلاً حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه
وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده
قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري أنه من أي الفريقين يكون فإذا تفكر في ذلك انكسر
نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه
عند نزول العذاب به فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه
من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة **الأمر الثاني**

ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله تعالى جل وعز وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله تعالى
منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه
ما يحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا لو تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ
علموا ان من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله تعالى بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم
فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم
وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يبعد ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق
والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر
فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن
هو عند الله تعالى من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد
رزقه الله تعالى الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر رضي الله عنه وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا
الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله تعالى
وانا عصيت الله تعالى بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم يقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه قال انه
اطاع الله تعالى قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله تعالى قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او
كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة
يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له
ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوف
عاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية وهم موعودون
بان يضرب رقابهم لم يتفرغ واحد للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد همه نفسه عن الالتفات الى هم
غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله تعالى وابغض الفاسق
ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه ملتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله تعالى
في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه
ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك
لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله تعالى وهو خير فان
الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز
بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف
ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني
ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة
فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب نفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه
ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال
فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا
بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ولعرفك ذلك مثال لتعلم انه ليس
من ضرورة الغضب لله تعالى ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو
في رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا
محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه يريد التقرب بامتثال امره
اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق

قرة عينه

قدر

قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك
ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله تعالى في الآخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى
في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى
ما يكرهه مع التواضع لمن تجوز ان يكون اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف
والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور
فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر ٥

السبب السابع

التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله
في ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان
لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل
العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات
وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه فكل واحد منهما ممكن وقد
وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له ٥
فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر
مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله تعالى اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه
هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته الله به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد
خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء
وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العالم مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستور
والى مكشوف فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله تعالى واما
المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد عليه ذنوبك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر
مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد
كما لو رايت منه القتل والشرب والزنى ومع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل
واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله سبحانه وتعالى وتخيل الخطاء فيه كل ذلك شديد عند الله تعالى فربما
جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات
القلوب من حب الله تعالى واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم
القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك مشفقا على
نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا
من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب
ابن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد
مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى
فهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا
ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله تعالى
فيرحمه الله تعالى ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي ولا يأمن فيما اظهر من الطاعات ان يكون دخلها
الآفات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق

ساد
نى
تقلبه

القضاء الأزلي لشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة
كما روي ان عابدا آوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فاخبره انه
يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة
الله تعالى فأتي في النوم ثانيا وقيل له ائت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما
رأيت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم
على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشيته لهم مشفقون
فمتى زال الاشفاق والحذر بما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلبه الامن من مكر الله تعالى وذلك يوجب
الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار
الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب
لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها
ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل بالعمل وتجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان
الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة
الامتحان الاول ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد
له والاعتراف والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله تعالى فيه وليشتغل بعلاجه
اما من حيث العلم فبان يذكر في نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه
ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن
ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها
فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على
اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملأ فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه
من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان
ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين
فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس
في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان
مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف
على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي
ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن الامتحان الثالث
ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم
الاخلاق والثواب عليه جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه
من المعارف التي تزيل داء الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت
نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل
ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد
كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى
عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب

نفسي

نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من حمل
الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء
وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله له مسح يلبسه بالليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتقل
البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف
واعقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما
يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ
فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي
يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن
يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه و
اجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود
عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجة
فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك
وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره
وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن
العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو
متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل
عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان
يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل
عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد
عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومتان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية
التخسس والتذلل مذمومتان واحدهما اقبح من الاخرى والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب
وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله
قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم
وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو
مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة
لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وظفر بمراده

فلا سعي في الموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط
فمن جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال
زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكأنه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر
رضي الله عنه فقال ما زال يعرف في طلحة بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو الكبر
في اللغة الا انه لم ينقل منه انه اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر رضي الله عنهم
اين انت من طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا
حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا
رئي ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف
عن الصلوة قال لا يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل
لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب
الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض
ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها يستصغرها ولا يستعظمها
فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله
تعالى بفعلها وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان
اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق
والخوف دون العجب فالمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله تعالى وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة
وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برأيه
وعلمه وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه
وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ
واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما
فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب
على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات
ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خائفا على زواله مشفقا على تكدره
او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى
لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به
مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به
من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله تعالى
مهما شاء سلبه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان
انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري

عليه

عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك
قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن
قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة
المدل لا ترتفع فوق رأسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب
فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال
لا يتم الا مع توقع فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد
دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه ٥

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها
وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد
كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب
وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراها من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به العجب انما يعجب
به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه
فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل
فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي ان
يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك
نعمة من الله تعالى اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع على
واحد من جملتهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه
من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم
عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار
بالخلعة لما آثرني به فيقال وتلك الصفة هي ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة
او هي عطية غيره فان كان من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك
غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي
اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك
جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا
يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت
وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده
ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك
وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني
بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله ٥
فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب
فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا
اعجب فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك
وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها

القدرة والقوة والصحة وخلق لك العلم والعقل وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه
ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعه من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم
يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي
هو محل العلم فتدرجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية
الثواب على عمل هو من خلق الله تعالى سيأتي تقريره في كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك
بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا تتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك
وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا
المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها
القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة ارايت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن
ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان
تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها كان اعجابك
باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد
باخذ المال قريب انما الشأن كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلق القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي
والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث
وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه
الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها
عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها وصرف عنهم
بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا
جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك
بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها وكأنه
الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا حقيقة فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل
الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله تعالى ولا خالق سواه والعجب ممن يعجب اذا رزقه الله تعالى
وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا
وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه
في ظاهر الخيال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما في او هلا رزقتني
احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب
ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك
لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم تعجب منه والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة
القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك القبح ولا يدري المغرورة ان الجمال محسوب
عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذا نعمة الله تعالى عليها اكثر وقول الحكيم
العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام
وانا صاحب فرس فيقول كيف لا تتعجب من هذا لو لم اعط الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة
تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله
واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف
من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود

عنك صح

صلى

صلى الله عليه وسلم يا رب لا تأتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية
ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن
اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود
ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال
داود يا رب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت
فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك
وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان
ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة
بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على رأسه وقال منك يا رب
فرجع عن نسيانه اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم
فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب
ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة
الله تعالى الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من
غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب
بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب
التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام
الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة
تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في
الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب
وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما
اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبها الله تعالى حتى صارت في عنقه وقد
يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله فحرم
ما اراد من الولد وكذلك قول داود ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء
النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم
تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبه الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن
لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج
الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله
تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن ان يسلب عقله
ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما
عرفه الناس اكثر مما علمه الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر
العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه

يُثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا السابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله تعالى وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما انزلت هذه الآية حيث اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم بين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية رضي الله عنهما اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلام اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضا يرجوه ولكن بشرط ان يتقي الله تعالى ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة والى ما يغفر عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكميل لذتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب واخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى

لهم

لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله تعالى وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله تعالى منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون لا نغلب اليوم عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد واهل وقريب وحميم وعشير فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الآية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه الثامن العجب بالراي الخطا قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هي استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله تعالى عليه بلية مهلكة وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة

لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم مع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق
عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب
والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي
واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقايد هلك
من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم
له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه
الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسال الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به
من الاغترار بخيالات الجهال انه الكريم المتعال

تم كتاب ذم العجب والرياء بحمد الله ومنه وحسن توفيقه
والصلوة على سيدنا محمد وآله الاكرمين ٥

كتاب ذم الغرور

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور
ومورد اعدائه وركات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم
الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور

اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله
تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدور بنور البصيرة ولا نقمة
اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكوة
فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له نور والاكياس
هم الذين اراد الله تعالى ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد ان يضلهم فجعل
صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا
وبقي في العمى فاتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف
ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر من وقوع الغرور
فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم
والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا
بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر
مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف
الصنف الاول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من ارباب
الاموال والمغتر من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد
ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول

والجاه

والجاه ومنهم من ترك المهم ويشتغل بغيره ومنهم من ترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من ترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا
بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده ٥

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم
انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور كاف في ذم الغرور
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم
ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وكل ما ورد في فضل
العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد
الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل الغرور يستدعي مغرورا
فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب
للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون
النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل
او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا
مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض
واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور ٥

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور واما الذين
غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا هو خير فلا بد من ايثاره
وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة
فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور
اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بالايمان فهو ان يصدق الله في قوله تعالى وما عند الله خير
وقوله تعالى والآخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله ولا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد
اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوايف الناس فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان
ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا وكان يقول بلى فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور
وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا
واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل
مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان
كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا
نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان
كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل
في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه به واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ
الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار
ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب

لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من ألف ألف
جزء من الآخرة فكأنه ترك واحداً ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى
لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فإذاً قد غلط في قوله النقد
خير من النسيئة وهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه
فإن من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيراً من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان
إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فساداً من الأول لأن كلا أصليه باطل
إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله وإلا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين
وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب
العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أتجر بقيت جائعاً وعظم ضرري وإن اتجرت
كان تعبي قليلاً وربحي كثيراً وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين
ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم
الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كاذباً
فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم وإن كان
ما قيل صدقاً فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين إن كان
ما قلته حقاً فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقاً فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه
في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقناً فهو مغرور وأما الأصل الثاني من كلامه
وهو أن الآخرة شك فهو أيضاً خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الإيمان والتصديق تقليداً للأنبياء
والعلماء وذلك أيضاً يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق
الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم
بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن
الأحوال أنهم أكثر منه عدداً وأغزر منه فضلاً وأعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد
كذبهم بقوله ولا يفتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوهاً مغروراً فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة
والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة
بالبصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم معظم الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد
من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم
من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه
الأطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والعلماء وهذا القدر من
الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة
هو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظنن أن معرفة النبي لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل
بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وإنما تختلف المقلد فقط هيهات فإن التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء صلوات الله عليهم عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع
وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله تعالى الأمر الذي
يقابل النهي لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله
تعالى فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الأمر وعالم الخلق ولله الأمر والخلق

فالاجسام

فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية
والمقدار فإنه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي
منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه
أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض
غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة
التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي
إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك
فقد ظلم نفسه إذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون أي الخارجون
عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها إذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه
إشارة إلى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فإنها تضرهم كما تضر
رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب
إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه ولياً وعارفاً وهي مبادي مقامات الأنبياء وآخر مقامات
الأولياء أول مقامات الأنبياء ولنرجع إلى الغرض والمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إما بيقين
تقليدي وإما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بألسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى
وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا
على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضاً من
المغرورين فإنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال الله
تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقال إن رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الحديث وقال والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعاً لا بالإيمان
وحده فهؤلاء أيضاً مغرورون أعني المطمئنين إلى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت
خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعاً
ولنذكر للغرور بالله تعالى مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكافر بالله فمثاله قول بعضهم في
أنفسهم وبألسنتهم إنه لو كان لله تعالى من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظاً وفيه أسعد حالاً كما أخبر الله
تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها
منقلباً وجملة أمرهما كما نقل في التفسير أن الكافر بنى قصراً بألف دينار واشترى بستاناً بألف دينار وخدماً
بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصراً يفنى ويخرب
ألا اشتريت قصراً في الجنة واشتريت بستاناً في الجنة لا يفنى وخدماً لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين
لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان فليكونن لي في الآخرة
خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتين مالاً وولداً فقال الله تعالى رداً عليه أطلع
الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا وروي عن خباب بن الأرت أنه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه
فلم يقض فقلت إني آخذه في الآخرة فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك منه فأنزل الله تعالى
أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً الآية وقال تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله تعالى وسببه
قياس من أقيسة إبليس وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون

مرة إلى تأخير الله تعالى العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون لولا يعذبنا الله بما
بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون
أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيراً ما سبقونا إليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون قد
أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فإنه يحسن في المستقبل أيضاً كما قال الشاعر
لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وإنما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولا
أني كريم عند الله تعالى ومحبوب لما أحسن إليّ والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه
في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله تعالى إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان
ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه
فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش
كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من
شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا فإنها مهلكات
ومبعدات من الله تعالى وإن الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه
هكذا ورد في الخبر وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك أمارة
المقت والإهمال وإذا أقبل الفقر قالوا مرحباً بشعار الصالحين والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنه كرامة من الله تعالى
وإذا صرف عنه ظن أنه هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول
ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا بين أن ذلك غرور وقال الحسن كذبهما جميعاً
بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمته بطاعتي غنياً كان أو فقيراً والمهان من أهنته
بمعصيتي غنياً كان أو فقيراً وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة وإما بالتقليد أما البصيرة
فبأن يعرف وجه كون الالتفات إلى شهوات الدنيا مبعداً عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقرباً إلى الله تعالى
ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته
بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به
من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال
فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم
أنهم كلما أحدثوا ذنباً أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً وقال تعالى
ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى
وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن
مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات وينظر إلى فرعون وقارون وإلى ملوك الأرض كيف أحسن إليهم ابتداء ثم دمرهم
تدميراً وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال ومكروا مكراً
ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون وقال والله خير الماكرين وقال إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين
أمهلهم رويداً فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن
يحذر أن يكون ذلك مكراً منه مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى
فإذاً من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان
ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة
وهذا هو حد الغرور المثال الثالث هو غرور العصاة من المؤمنين بالله تعالى بقولهم إن الله كريم وإنا نرجو عفوه
واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة

الله

الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة
الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة
آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله تعالى من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا
خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية أن
من أحب إنساناً أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى المغرور أن نوحاً
صلوات الله عليه أراد أن يستصحب ولده في السفينة فقال رب إن ابني من أهلي فقال إنه ليس من أهلك إنه عمل
غير صالح وأن إبراهيم استغفر لأبيه فلم ينفعه وأن نبينا صلى الله عليه وسلم استأذن في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها
فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة فهذا أيضاً اغترار بالله تعالى
وهذا لأن الله يبغض العاصي ويحب المطيع فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد
العاصي بحبه للأب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضاً بل الحق أن لا تزر وازرة
وزر أخرى ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالماً بتعلم أبيه ويصل
إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئاً وعند جزاء التقوى يفر المرء من أخيه
وأمه وأبيه إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن له في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب
فإن قلت فأين الغلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنا نرجو مغفرته ورحمته فما هذا إلا كلام صحيح
مقبول في القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره
لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء
حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك
يرجون رحمة الله يعني أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى جزاء
بما كانوا يعملون وقال إنما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوانٍ وشرط له
أجرة عليها وكان الشارط كريماً يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلفه بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس
ينتظر الأجر ويزعم أن المستأجر كريم لا يخلف الوعد أفيراه العقلاء في انتظاره متمنياً مغروراً أو راجياً وهذا للجهل بالفرق
بين الرجاء وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك
أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة
حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل إنا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئاً طلبه ومن خاف
شيئاً هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك
من رجا رحمة الله تعالى وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحاً أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما أنه إذا نكح ووطئ وأنزل
بقي متردداً في الولد يخاف ويرجو فضل الله تعالى في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك
إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردداً بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه
وأن يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه عن صواعق سكرات الموت
حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا
هؤلاء فهم المغرورون بالله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً ولتعلمن نبأه بعد حين
وعند ذلك يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً أي علمنا أنه كما لا يولد الولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت
الزرع إلا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحاً فقد علمنا الآن
صدقك في قولك وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وكلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم

نذير الم يسمعوا كم سنة الله تعالى في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم
بالله تعالى بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب
السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك
اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا ان يقمع القنوط
بالرجاء ويتذكر ان الله تعالى كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة
وقال تعالى واني لغفار لمن تاب فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من
ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب
الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط
الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني ان يفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر
على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر
قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة
وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل
بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتره به عن التوبة والعبادة فهي الغرة
وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب
شديد العقاب وانه مع انه كريم فقد خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل
والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو على ازالتها قادر فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف
والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب
اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور
سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات
والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا
من كرم الله تعالى وعفوه وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال
بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان
يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبرهم يضعون الطمع موضع الخوف
لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه ومثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا
الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان
او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر
الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها
وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم غرور
يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله تعالى وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي
الا ان معصيتهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية

الجهل

الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال او الحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين والشبهات
اضعافه ولعل ما تصدق به هو من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق
بعشرة دراهم من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان
تشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا
يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله تعالى بلسانه او يسبح له في
اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله تعالى طول النهار من غير حصر وعدد ويكون
نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكان مثل تسبيحه مائة مرة
او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبون وقد اوعده الله تعالى العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين
والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون
يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته
وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه
ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة
لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال
من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله تعالى ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه والتيقظ مع
هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى
وتعاليل الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين

واقسام فرق كل صنف وهم اصناف اربعة الصنف الاول اهل العلم والصنف الثاني من ارباب العبادة والعمل والصنف
الثالث من المتصوفة والصنف الرابع من ارباب الاموال

الصنف الاول

اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد
الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وانهم قد
بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله تعالى مثلهم بل يقبل شفاعتهم في الخلق وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم
على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم
بالله تعالى وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق
النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم
قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة
لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل
له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه
فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل
بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض
حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه
كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك كله فهو
على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي
احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم
علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية

تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك
القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضايل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا
وافق ذلك هواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضايل العلم وتنسيني ما ورد في
الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد
من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا وقوله شر الناس
العلماء السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات وان العلم حجة عليه
اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم
القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الاخرة اكثر من ان يحصى الا انها
لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة
فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبر بذم العلماء السوء وان حالهم اشد عند الله
من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم
بالله تعالى وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثل من
اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف
ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل
عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما
يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة
غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى
نيله المراد من قربته ولكن تقصيره بل تهجمه على التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى
الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه
وقد اوحى الله تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكانه
ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك مثله الافا
مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم تاخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وفواتح الحكمة خشية الله تعالى وقال ابن مسعود كفى بخشية الله تعالى علما وكفى بالاغترار
بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت [فقيها قط] الفقيه القايم
ليله الصايم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله تعالى فان قبلت منه حمد الله
تعالى وان ردت حمد الله تعالى فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وكرهه وهو العالم ومن يرد الله
به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات
الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة
والعلاء وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز
منها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء الشرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار
التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهولاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان
الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل
اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هولاء كبير الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة
وباطنها

ام
فاتحة الزهد

وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على سطحه حتى استنار ظاهره وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص باب
داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر
بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي
الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر
به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء اما الطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء لقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك
الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى
علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم
ارفع عند الله تعالى من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هم فاعظم عند الله تعالى من
ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف
العلم ونصرة دين الله تعالى وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من
المجلس شمتت اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه
يفرح بما يفعله ويسخر به ونسي ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي من الصحابة
من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال
انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الدقيقة من القصب والدبيقي
والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه
وفيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته
وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه
وعداوته مثل غضبه الان فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه
وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار
العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله تعالى ويتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح
باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى
يريد معالجتهم لا يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب اخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان اذا
ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه
بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس
مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من
تدريس او وعظ وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين
الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر
عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع
في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب
عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو
لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس
في ثلثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء
قيام واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها
فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان
كل واحد قد اختلط بالاخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا

أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها
وأقبلوا على الله تعالى بصدق وعلى التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين إذ الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض
عن الدنيا والإقبال على الله تعالى كالأنبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله تعالى والإقبال
على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حيوته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلم للعالم السوء أنه كصخرة
وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار المتأخرة
خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة أخرى أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها
بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا
أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد
الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش
فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وقد
كان نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد طهرها فإذا هو بها في غفلة
وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري ولا يرى فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهب عن المراقبة
للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى
أن باعثه الحرص على إظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة
الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض
والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه
والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال الجمع
بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من إطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن
إدلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من أمر الإمارة وعز الانقياد والتوقير وحسن
الثناء فلو تغير عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويخلف أوراده ووظائفه وعساه
يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد
والورع وإن كان فيه فوق قدره ويتبوأ قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على خلاف حاله وعساه
يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه
وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه
وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك يكفر لذنوبه ولم يتفقد
مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إيثار الخمول والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده
في العزلة والإخفاء لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من ابن آدم أنه بعلمه
امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله تعالى لينتفع به وإنما يريد به استطارة
اسمه بحسن التصنيف ولو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة
من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله تعالى عالم بأنه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على
نفسه إما صريحا بالدعاوي الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن
فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه إلى قائله
وما يستحسنه لعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق
قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى
أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعساه غافل عما روي أن بعض الحكماء

وضع

وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض نفاقا وإني لا أقبل من نفاقك شيئا
ولعل جماعة من هذا الصنف من المغرورين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فإذا
افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أم غيره فيفرح إن كان أتباعه
أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف
إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه
إلى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لآفة من الآفات كان يلحقه في هذه الفئة وسلامة عنها في تلك الفئة ومع ذلك فلا يزول
النفرة عن قلبه ولعل واحدا إذا تحرك فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه
على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به وإن أثني عليه ربما ساءه
وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع
عليه في ذلك فهذا وأمثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها إلا الأكياس ولا يتنزه منها إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا
من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله
بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكي لنفسه
الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله تعالى من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا
العيوب مع الإهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم
بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة
اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش
وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا
الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا
قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم
أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم
مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة
وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني
عنه وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر و
الرياء وسائر المهلكات الباطنة ولربما تختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك
ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات
وبكتاب الحيض ولا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص
عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس
يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال ولو كان قد
قصد بالفقه وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه
فهذا غروره من حيث العمل وأما غروره من حيث العلم اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وربما طعن على المحدثين وقال إنهم نقلة وحملة أسفار لا يفقهون وترك
أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة
والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله تعالى مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم
يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما يسمع في

الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله تعالى ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب
الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم والذى يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال
وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات
القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله
تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك انه لو
لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا سبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر
من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو
طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشبيبات
المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران
فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى من محو الصفات المذمومة وتبديلها
بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجرى بين
المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذا اشتغلوا بما ليس من فروض
الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليه علم المذهب
وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع
والتركيب والتعدية انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من
قبلهم وفرقة اخرى استغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم
واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا
كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا
انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى
نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل
لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اوتيت
من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة
المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه
لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل ولا بمقرب
عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم
واهملت نفسها وقلبها حتى عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة والباطنة وهو يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله
تعالى وافضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها
فلم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى
فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل
تكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا
على ضلالته مجرده واعرضوا عنه وابغضوه في الله تعالى ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى
السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل
قوم قط الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتخاصمون ويتجادلون فغضب عليهم
حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم اهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله تعالى بعضه

اثبت

ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله تعالى
بالحجاج والجدل ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس
مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في
المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم
وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس
واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم
وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم
فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطأ في تفاصيله
ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدالنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة
نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا الوقت لانه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت
عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما
يحبه لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ والاعلام ورتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل واليقين والاخلاص والصدق
ونظائرها وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا
موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله تعالى الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور
هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى
وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم منزهون ولولا انه
مقرب عند الله تعالى لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله تعالى
فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين
ويرى انه من الراضين بقضاء الله تعالى وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز
والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف
الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه
على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى
وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة
وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى
الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا
على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على اقرانه لكان ابغض خلق الله تعالى اليه فهؤلاء اعظم
الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها
وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل
تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة
يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله
ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي
الانس بالله تعالى فمتى طاب له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق
به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا انيسا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره

فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزوير بل بموثق من الله تعالى غليظ
والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا انكشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فدوره كما يدور الحمار
بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون
في قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف
المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى علمه وما نفع الناس بكلامهم
فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للتعلم وان كل ذلك غير
الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما
زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض بصف المرض ويصف
دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته
واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة
الصحة انه صحيح غاية الجهل وكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف
بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذا حال الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم لان منهاج
وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله رضي الله عنهم وفرقة اخرى منهم
عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على الندور في بعض اطراف
البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا
للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار
الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا
واضلوا وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء
فانهم يصدون عن سبيل الله تعالى ويجرون الخلق الى الغرور بالله تعالى بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي
ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فيشهد فرقه الى قدمه بشدة حرصه على
الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى
منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها
فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا
القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن
عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء
اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعها وجمع الروايات الكثيرة
منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت
فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني
السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد
يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون
بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي غلب على اهل الزمان
انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث
اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة
على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ نائم والصبي يلعب ثم

يكتب

يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل
بحديث وينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل
في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ
عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن
الراوي كسماع من يسمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظته وتحفظ كما سمعته
بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه
بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه
يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر
بتغيره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب
ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق
حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا يخالف
ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها بالمقابلة فمن اين تعلم انك سمعت
ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب
اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير
ولو جاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه
ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي
الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي
في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا
وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت
مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما عليه فهو كذب
صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه يسمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل
ومن اين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها
كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا من افحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل
الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه في الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف
المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا
الشرط بل ربما عدموا ذلك واستحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري
ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه
مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل
وفي افناء عمرهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي
يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى وربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر
مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني
هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره هكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا
بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين
بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة
الشعر وفي غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم

العاصي

لا يفهم وصح

لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمه وتصحيحه ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيف ما كان
والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع
في لغة الترك والهند وإنما فارقهما لأجل ورود الشرع ويكفي من اللغة علم الغريبين في الأحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب
فأما التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل
بها فهو أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من
الحروف المعاني والحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع أوقاته في
تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق
في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب
الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها
بطريق الرواية وهو قشر بالإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي
القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل
فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراءه حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى
عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع
وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصود فقد خاب سواء كان
في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فأما علم الطب
والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم
فكان الغرور فيها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا
ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذه مقصودا وعرج عليه فقد اغتر
به وفرقة أخرى عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء
فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ
في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فلنشر إلى أمثلة له فمن ذلك فتواهم بأن المرأة مهما أبرأت
عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء
الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو إبراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فإن طبن لكم عن
شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس فالإنسان يريد الحجامة بقلبه ولكن
يكرهها بنفسه فإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة يقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما
فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر
وأنها لم تكره بسبب ظاهر والإكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء
لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء وكذلك لا يحل مال الناس أن يؤخذ إلا بطيبة نفس منه فلو طلب من إنسان
مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة
الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة
إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الألمين والسؤال
في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن
عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك
من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك ما يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام إلا أن يرى إلى ما جاء
في قصة داود حيث قال بعد أن غفر له يا رب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال وكان ميتا فأمر بندائه في صخرة بيت المقدس

فنادى يا أوريا فأجابه لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد قال إني أسأت إليك في أمر فهبها لي قال قد فعلت ذلك
يا نبي الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال
لبيك يا نبي الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال أولا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا
نبي الله قال كذا وكذا فذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا ألا تجيبني فقال يا نبي الله ما هكذا
يفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الرأس حتى وعده الله تعالى
أن يستوهبه منه في القيامة فهذا ينبهك على أن الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالعلم
فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيره إلا إذا خلي الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه
لا أن يضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والإلزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه ما لها
لإسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعي قد سقط عنه فقد
صدق فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجة إلى
البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن
البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وإنما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن
مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله تعالى مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وأنه بلغ من
حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك إباحة الله تعالى
مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأكالي والفضول والشهوات وبين الحاجات
بل كل ما لا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الله
تعالى فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف
غرور الفقهاء في أمثال هذا لحصلت منه مجلدات والغرض التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك
يطول **الصنف الثاني** أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره
في الصلاة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من
مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما
تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء
المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات
القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توضأ
عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في
هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن
لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور للإسراف في الماء وإن لم يسرف
فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله تعالى
بطرق ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله تعالى بمثل ذلك وفرقة أخرى
غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعها الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة
ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره يكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير
حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون
قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا
الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم وفرقة أخرى غلب عليها الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر
الأذكار من مخارجها فلا تزال تحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع

صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه وهو ذاهل عن معنى القرآن ولا يتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعود مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسانهم يجري به وقلبهم يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه في تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه مكرر للكتاب بنغمته وصوته وكل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل يحفظ وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به وللانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرأه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هو لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام آخر لالتذ به فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه ليعرف ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته وفرقة اخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء للديون واسترضاء للوالدين وطلب للزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه حتى يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذمائم الصفات لم يقدم تطهيرها على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه تعالى وهو مغرور وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله تعالى ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع منه واعلم ثقل عليه وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بها ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفهم ان فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي واحب ان يعرف الناس ذلك ثم انه يجاور ويمد عين الطمع الى اموال الناس واذا جمع منه شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب وفرقة اخرى

زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم واما بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال لكان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بها على الاقران والاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعزلته ويتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه بالظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باعمال القلب وان توهم وظن ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله تعالى واحبائه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلوة الضحى وبصلوة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب الى المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والآخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من ابر فقال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدأ في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهم محذور والحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان الفقه

معرفة ما يحتاج اليه غيره في جوارحهم لمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى الآن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم تعمي قلبه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه ٥

الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق

فرقة هم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة وفي السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اساميهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائه في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوزة ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وللاستهزاء باهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فالقوها الى قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب ٥ وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا من الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما تعدى الى الخلق اذ هلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه يلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد

انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله تعالى محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله تعالى من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة منهم وقعت في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله تعالى مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله تعالى وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين كثيرة متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة وكفر فيدعي حب الله تعالى قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله تعالى وعن ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة فيخوض البوادي من غير زاد لتصحيح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادته وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظنون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا

يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علماً وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن
عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيباً عيب والالتفات
الى كونه عيباً عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب
وتحرير علم علاجه كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى
جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا
بها واعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها
على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه
وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله من قصد ملكاً فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رأى
قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا
الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها
جادين في المسير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله تعالى فوقفوا وغلطوا
فان لله سبعين حجاباً من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى اخباراً عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي وليس المعني به هذه
الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست الهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب
ليس باله فمثل ابرهيم عليه السلم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب
الله تعالى وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض
واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما اري ملكوت السموات
حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد
وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في
حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
الآية وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين
العبد هو نفسه فانه ايضاً امر رباني وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه
ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقاً عظيماً اذ يظهر فيه الوجود كله
على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكوة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله
تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه
الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير
من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى
فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشابه الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكباً في مرآة او في
ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه يده ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله
تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر
الذي ذكرناه ايضاً كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه
بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي
هو فيه او ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق

ايضا

[في الهامش: بقول ابرهيم]

ايضاً بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذباً بما يسمعه الآن كما يكذب
بما سمعه من قبل

الصنف الرابع

ارباب الاموال والمغترون منهم فرق ففرقة منهم
يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم
بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انه قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من
وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال كسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا
لسخط الله تعالى في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذ عصوا الله تعالى
بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان
عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح
وربما يكون الاهم التفقه على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر
وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني
انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق ديناراً ولا
يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه
يريد به وجه الناس لا وجه الله تعالى لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت
على المساجد وهي ايضاً مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او بلده فقراء
وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس
والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم
والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله
يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة له الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض
لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع لله تعالى وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله تعالى بما زخرف من المسجد
وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد
للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجداً فوقف احدهما على الباب
وقال مثلي لا يدخل بيت الله تعالى فكتبه الملكان عند الله تعالى صديقاً فهكذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان
يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى
وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك
الله تعالى من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا
بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله تعالى الارض
وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم
وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة
اتاه جبرئيل فقال ابنه سبعة اذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه رأى المنكر معروفاً
واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة
ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ
منهم خيانة عليهم وكفراناً وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعاً
ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون
محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر
التمار ان رجلاً جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة

[في الهامش: التفرقة]

فقال الف درهم قال بشر فاى شئ تبتغى بحجك نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله تعالى قال ابتغاء مرضاة الله
تال فان اصبت رضا الله تعالى وانت فى منزلك وتنفق الفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى اتفعل
ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مدين يقضى دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغنى به عياله ومربى يتيم
يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة
الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا ابا نصر سفرى اقوى فى
قلبى فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضى به وطرا فاظهرت
اعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى من ارباب الاموال
الصالحين
يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام
الليل والختم للقرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنه فهو محتاج الى قمعه باخراج المال وقد
اشتغل بطلب فضائل هو مستغنى عنها ومثاله من دخل فى ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ
السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتله الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم
والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره انما حاله هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على
المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلوته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء وفرقة اخرى غلبهم
البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردى الذى يرغبون عنه ويطلبون من
الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم او من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة او من لهم فيه
على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته
وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله
تعالى عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس
الغرور وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بالحضور فى مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك
يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون
لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت
عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من
فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما يدخله رقة كرقة النساء فيبكى وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه
ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله تعالى او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض
يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى او الجائع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى
عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيئا فكل وعظ لم يغير
منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة
حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور لا يتخلص عنه احد ولا
يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول
الانسان اذا فترت همته فى شئ اظهر اليأس واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى
واستنبط بدقيق النظر خفايا الطريق فى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اراد ان يستنزل الطير المحلق فى جو السماء مع
بعده منه فاستنزله واراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار فاستخرجه واراد ان يستخرج الذهب والفضة
من تحت الجبال فاستخرجه واراد ان يقتنص الوحوش المطلقة فى البرارى والصحارى فاقتنصه واراد ان يستسخر
السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخره واراد ان ياخذ الحيات والافاعى ويعبث بها فاخذها واستخرج
الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذه واراد ان يعرف مقادير
الكواكب

الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات
فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك
من دقائق حيل الآدمى كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد
وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتجادل وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه
هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحون
ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق فى استنباط
حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت فى ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من
الغرور فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لا بد منها اما العقل فاعنى
به الفطرة الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقايق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة
فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه فى اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر
فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوى عملهما وبرهما
وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل
واليقين وعن ابى الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو
فى سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما يعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيمة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله ومن
خلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال
ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال
ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لن يبلغ صاحبكم
حيث يظنون فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى فى اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا
تدارك له الثانى المعرفة واعنى به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويعرف الدنيا ويعرف
الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية
وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف
ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر
اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه
فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب فى هذا الكتاب الا فى علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين
عليه بما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه
وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله تعالى وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة
الدنيا الرغبة عنها ويصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه فى الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت
نيته فى الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة
وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية
وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا
غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله تعالى وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم
اعنى العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله تعالى والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته

وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتاب احياء علوم الدين فيعلم من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها
ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بادب الشرع وما هو مستغنى عنه فيعرض عنه ومن ربع
المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله تعالى فان الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم
ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لابد وان يوضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا
احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب
ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى به الارادة ويصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت
فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر
العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى
صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق
فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن
اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه ويأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله تعالى
والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله تعالى فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى
في دينهم صما عميا استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة
لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة
ولزوم غرامة فكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وكان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب
ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ
وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة
العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع
الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اوجز زمان فاخذته الرحمة والرقة
ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض
القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث
من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فدعا الى الرياء
دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين
الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد
على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم واقاربهم
فآثروه بابدانهم واموالهم فصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند
ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان
قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتد الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه
تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه من بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه
ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله تعالى لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه
انقطعوا عن طريق الله تعالى فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه
للحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك
اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك باستغفار وتنفس
صعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتروا عن طريق الله تعالى
فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه

من

من اطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما احب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله و
زاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم
ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه وقد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجرة كبيرة فعجزوا عن الترقي
بسببها فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجرة من رأس البئر وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه
او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص
اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم
الم يكن ينبغي ان يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه
دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى
ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له
قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن
ثنائهم وعن اموالهم فاستوى حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله تعالى يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن
بها حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم
ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم
فانه لا يبالي كيف رآه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب
عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال
باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان
قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب
فاقول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا
لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا
مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح
وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى
على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول ان الوعظ لحب
الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنى والسرقة والربوا والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله
ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص
واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق
لهم فانما يخشى ان يستطرق الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ وورائهم باعث الرياسة وحب الدنيا
فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح
او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من حبائل الاغترار
فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وقد قدرت على
جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من
التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه
غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك
بعلمك سلمت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه وعلم ان ذلك من الله
تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه

وعجزه عن اقل القليل فما ذا قدر على هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه ولا امن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة ولا انقلاب فيكون حالة الاتكال على فضل الله تعالى فقط دون ان تقارنه المخوف من مكره ومن آمن مكر الله تعالى فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا الجملة ذلك من فضل الله تعالى ثم خائفا على نفسه ان يكون قد شذ عنه صفة من صفات قلبه من حب دنيا وريا وخلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خايفا ان يسلب حاله في كل تطريفة غير آمن من مكر الله تعالى ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما تمثل الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر عظيم فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله تعالى ابدا فنسال الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها وبالله التوفيق وعليه التكلان

تم ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد وآله واصحابه الطاهرين اجمعين

كتاب التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج برجائنا الخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد وصحبه الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله تعالى زلفى وحسن مآب

اما بعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم صلى الله عليه وعلى ساير الانبياء اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة نعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملايكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شايبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى آدم بملازمة

حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملايكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا تخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون الشرين والمبادرة الى اخف النارين قبل ان تطوى بساط الاختيار وتساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغاير وكباير وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغاير الركن الثالث في بيان شروط التوبة في دوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان انقسام التائبين في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة

الركن الاول في نفس التوبة بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلثة امور مترتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما في الماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فاشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث تلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة في الحصول تطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدم والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطاء فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب يلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل التستري رحمة الله عليه التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلثة وتلازمها وترتبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة

بيان وجوب التوبة وفضلها

بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور هم من طلب الألقاب المجردة
اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالأخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت
بصيرته وشرح الله تعالى بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا
عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم
يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة
فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله تعالى او سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان
طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله تعالى صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه
بادنى اشارة لسلوك طرق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه
يجتزي بادنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من
يشاء وهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة
الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب
ما هو واجب في الوصول الى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه
لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالإيجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا
في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة
الأبد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه
محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله تعالى الا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني
والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله تعالى الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم
والإقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب
التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى
فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم
يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يتندم ولم يتوجع بسبب سلوكه طريق البعد وما لم يتوجع فلا
يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضروري في الوصول الى المحبوب فهكذا يكون الإيمان
الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع
له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله وقول السلف الصالحين
فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم
وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذا من النصح ويدل على فضل التوبة قوله
تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب
حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح
بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة
فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي
كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه
فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الألفاظ فقال من فرحه اذا اراد ان يشكر الله اللهم
انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة فهبط جبريل وميكائيل
ورد رسل عليهم السلام فقالوا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام فان كان بعد هذه التوبة

سؤال

سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم اورثت ذريتك التعب والنصب واورثتهم التوبة فمن دعاني
منهم لبيته كتلبيتك ومن سألني المغفرة لم ابخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين
ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها اذ معناه
العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن قد يدهش
الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيه ترك المعاصي في الحال
والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال وذلك لا يشك في وجوبه
واما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل
لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله تعالى فان قلت تألم القلب امر ضروري
لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى
تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك
محال بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله تعالى وفعله فالله خلقكم وما
تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار في الفعل والترك
قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله تعالى والعبد مضطر
في الاختيار الذي له فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة
وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة
مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بان لا مانع فعند اجتماع هذه
الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول فانجزام الإرادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد قوة الشهوة
يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الإرادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد
الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون
الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة وهما من خلق الله وانجزام الإرادة حصل بعد صدق
الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا
جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله تعالى حركة اليد بكتابة منظومة
ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق
شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل
ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الإرادة
الجازمة والإرادة والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله
تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الإرادة الا بعد
العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة
تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا
اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لا ان العلم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة الا جسم حي عالم
ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللإمكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد
المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد
ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والعبد مجرى
هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها
بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء

الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر
ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل جازم قوي في نفسه
يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد
مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل
قد تحركت وكتبت ورميت فنودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما
قتلت اذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل
انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب
والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط
علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه
احدا الا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات
وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينيا ان لا
خالق الا الله تعالى ولا مبدع سواه فان قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع بانه
صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال
فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا
سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقعت يد
بعض العميان على رجله ووقعت يد بعضهم على نابه ووقعت يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالهم
بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين
منه وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في الاسطوانة اصلا
بل مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود
ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صادق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه
من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر
بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها
وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم والترك
وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة
بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان ان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي
عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره عن ذلك الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق
بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم
بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته
وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى
وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله فقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى
انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم
بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل

هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم
الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها
واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح
والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقود العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة
والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها
الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا
صدمته الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله
ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما
سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع
لشجرة الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت
رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة
عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع
نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان
لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان
الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم
اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير
مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فان كان الخائف
من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف
من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله
بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه
الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك
مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها
نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار
البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء
فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به
الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي
هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع
سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا
فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل
فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاءه يستدعي وجود الفروع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم
المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني احدهما عن الآخر وان كان احدهما في
رتبة الاصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها لم
تعمل عملها الذي يراد له ثم قام مؤكدا للحجة على صاحبه ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل

الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم

بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه احد البتة

اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون فعمم الخطاب ونور البصيرة يرشد اليه ايضا اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملايكة واذا اجتمعا قام القتال بين الجندين بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة مهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبى والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وتعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله تعالى وجنده ومنقذ اوليايه من ايدي اعدايه شيا شيا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات فلا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملايكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم صلوات الله عليه يقولون لي هند لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنه احد من البشر كما لم يستغن عنه آدم صلوات الله عليه فخلقة الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبه على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء عليهم السلم كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكايهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور عن العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرا على القلب من الهم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنها وان القصور عن معرفة كنه جلال الله تعالى نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضايل لا فرايض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما ترتفع من نفس الانسان ظلمة

الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في المراة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المراة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل الصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصورة في المراة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيية الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في كل حال من احواله عن محو آثار السييات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السييات هذا في قلب حصل اولا صفاوه وجلاوه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المراة كشغله في عمل اصل المراة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يودي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود من الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرنا واجب في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها وكما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحيوة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحيوة عين ولا يد ولا رجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحيوة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي النجاة يجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيا الحيوة وفيها سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليها كان حرصهم وحواليها كان تطوافهم ولاجلها كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى صلوات الله عليه الى ان توسد حجرا في منامه فجاء الشيطان اليه وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى الحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه بالحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى صلوات الله عليه لم يعلم ان وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخليع ما علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذ علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه رآه موثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان قد وعد به او ترى ان الصديق بعد ان شرب اللبن وعرف انه على غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرف ذلك السر ان فتوى العامة حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هولاء الذين هم اعرف خلق الله تعالى بالله تعالى وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله تبارك وتعالى واياك مرة واحدة ان تغرك الحيوة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روايحها علم

ان لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على
الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمن الداراني رحمة الله عليه حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره
الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من
عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فائدة
بكى عليه لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد فكل ساعة من العمر
بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة
الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت
هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل
مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا
انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع الياس عن التدارك قال
بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلم اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين
فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى
ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد
يا ملك الموت اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه
في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك
الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان ممن سبقت له الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له
القضاء بالشقوة والعياذ بالله الرحيم خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان بل التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها على
ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال
لقمن لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين
احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض والموت
فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا
بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم
ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله تعالى عنده وكذا سائر
اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله تعالى
الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا
نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج
روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها
فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر
المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى

ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على
الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة
وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام
الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه
فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب
وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة
الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما
عليك التزكية بالتطهير فاما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله
تعالى قد افلح من زكيها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي
والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم
وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه
وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل
واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم
ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف
الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا
القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا
ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة
وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله تعالى بالكلية فهذا البيان كاف
عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد
له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى
غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن
الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يبسط يده لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية
عن الطلب والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه
وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى
ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله
اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس
ساله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى
وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن
السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى

واما الآثار

فقد قال سعيد بن المسيب انزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب
وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت
عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين

وامسوا آيسين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألمّ بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب ويروى
أن نبيا من أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت
وأنا أنا وعزتك لئن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال
نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت يعرض على الرجل
ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منه فيغفر له ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود
عن ذنب ألمّ به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان فقال إن للجنة ثمانية
أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن
ابن القسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال إني لأرجو أن يكون المسلم
أحسن حالا عند الله تعالى ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم
إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين وقال
عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا
تاب علي وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة أي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة
ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته
فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا
أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فإن رجعت إلينا قبلناك وقال ذو النون المصري رحمه الله
إن لله تعالى عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون
وتبلدوا من غير عي ولا بكم وإنهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله تعالى ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر
على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا
صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا
خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلى حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا
في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة
وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن
كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة فإن قلت أفتقول ما قاله المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله تعالى
فأقول لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله تعالى إلا ما يريده القائل بقوله إن الثوب إذا غسل
بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع الماء مدة وجب العطش
وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى بل أقول خلق الله تعالى
الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الله تعالى الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه
لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة فإن قلت
فما من تائب إلا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فأقول شكه في القبول
لشكه في وجود شرائط الصحة فإن للتوبة أركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي
يشك في دواء شربه للإسهال في أنه يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت
وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبوله
لا محالة على ما سيأتي في شروطه

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها
اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل
إليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب إذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى من ترك أو فعل

وتفصيل

وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها

بيان أقسام الذنوب

بالإضافة إلى صفات العبد اعلم أن للإنسان أخلاقا
وأوصافا كثيرة على ما عرف شرحها في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات
صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لأن طينة الإنسان عجنت
من أخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الأخلاط في المعجون منها أثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران
في السكنجبين آثارا مختلفة فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح
والثناء والعز والغنى ودوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا
يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات
لأكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي
والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال الثالثة
الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط
والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد
والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها
تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم إذا اجتمعا استعملا العقل
في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب
الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها
في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان
وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك
فإنها واضحة قسمة ثانية اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد
فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله
النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه
وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ
بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن
شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك
فالديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك وأما الديوان الذي
لا يترك فمظالم العباد أي لا بد وأن يطالب به حتى يعفى عنه قسمة ثالثة اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر
وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله تعالى فهي كبيرة وهذا ضعيف إذ
قال الله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون
كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن إن
اجتنبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن إلا الكبائر وقد قال النبي عليه السلام فيما رواه عبد الله
ابن عمرو بن العاص الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة
والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن أربع وقال
ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي إلى سبعين أقرب
منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما توعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر
وقال بعض السلف كل ما أوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر

وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنه اقرأوا من اول سورة النساء الى رأس ثلثين آية منها عند قوله
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة الى ههنا فهو كبيرة وقال
ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن
عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره
تعالى واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل
بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار
والسحر وهو كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر
من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهو الزنى واللواط واثنتان
في اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين
وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما
وان يسألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل
به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربوا ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية على
الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقؤ العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب
وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من
الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن
وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان
نظر الناظر في ان السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا لا
مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام ثم البحث عن وجوده للسرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص
في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الى ما دونها
وصغيرة بالاضافة الى ما فوقها فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنى وقطع يد
المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة
ونعني بوصفها بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه في
الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل
على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات
لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم
من المهمات ان تعلم معنى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم للكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في
نظر الشرع الى ما نعلم استعظامه اياها والى ما نعلم انها معدودة في الصغائر والى ما نشك فيه فلا ندري حكمه فالطمع
في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يقول اني اردت بالكبائر عشرا او خمسا ويفصلها فاذ لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلث من الكبائر وفي بعض
سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن الثلث والسبع علم انه لم يقصد به العدد
والحصر فكيف يطمع في عد ما لم يعدده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر
ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها
فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم

عدد

شواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانه
لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف
نفسه وربه تعالى فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء صلوات الله عليهم ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا وهو المعنى
بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من
الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حيوة
النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على
الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا
يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة
رسله او يأمرهم باتلاف النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة
الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله تعالى هو الجهل والوسيلة
المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن
من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته تعالى فان هذا عين الجهل بالله تعالى فمن عرف الله تعالى لم يتصور
ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله
وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل على حسب تعلقها بذات الله تعالى وبافعاله وشرائعه
وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انه لا يدخل تحته والى ما يشك فيه وطلب دفع الشك
في القسم المتوسط في غير مطمع الرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها يدوم الحيوة وتحصل المعرفة
بالله تعالى فقتل النفس لا محالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم
وسيلة المقصود اذ الحيوة في الدنيا لا يراد الا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة
قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنى واللواط
لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود
واما الزنى فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور
التي لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنى ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث
يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنى مباحا في شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنى في الرتبة
دون القتل لانه ليس يفوت الا الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد
من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة
الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما
بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها
فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فينبغي ان يكون ذلك من الكبائر وذلك باربعة طرق
احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك الثاني اكل مال اليتيم وهذا
ايضا واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فعظم الامر فيه واجب
بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه الثالث
تفويتها بشهادة الزور الرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا
يجوز ان تختلف الشرائع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس
وهذه الاربعة جديرة بان يكون مرادا بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم

تميز ح

في مصالح الدنيا تأثيرها واما اكل الربوا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان يختلف
الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضى الشرع من الكبائر فاكل الربوا اكل برضى المالك
ولكن دون رضى الشرع وان عظم الشرع الربوا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانه والمصير الى
ان اكل دانق بالخيانه او الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل
تحت الكبائر بل ينبغي ان يختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فبقي مما ذكره ابو طالب المكي القذف
والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل
عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظ بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل
من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب
ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوه
البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف
فليس فيه الا تناول للاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبه ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافه الى فاحشه
الزنى وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره
الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز ان يختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على
كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد الشهاده
فان لم يقبل شهادته فتحديد ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجمله من المصالح الظاهرة الواقعه في رتبة الحاجات
فاذا هذا ايضا ملحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده وظن انه يساعده على الشهاده غيره
فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من
هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون في محل التوقف واذا قطع
بان سب الناس بكل شيء سوى الزنى وضربهم والظلم عليهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلاهم
من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبعة عشر كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد
ولكن الحديث يدل على تسميتها كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات
الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما ينبغي ان يكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه
بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنه واذ لا مطمع فيهما فطلب رفع الشك
فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حده فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفته فاعلم
ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق الابهام اليه لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص
لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومه باساميها كالسرقه والزنى وغيرهما وانما حكم الكبيرة
ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق بها حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن
على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها
فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من
اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف
امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي
هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها
في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذه احكام اخروية
يجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع

بل

بل ورد بالفاظ مختلفه فقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال الصلوة الى الصلوة كفاره ورمضان الى
رمضان كفاره الا من ثلث اشراك بالله تعالى وترك السنه ونكث الصفقه قيل ما ترك السنه قال الخروج من الجماعة
ونكث الصفقه ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل
على حد جامع فيبقى لا محاله مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس
شرطا في قبول الشهاده وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهاده بالكبائر ولا خلاف في ان من يسمع
الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضه لا يقبل شهادته ولم يذهب احد الى
ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته
فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل
الذنوب يقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبه والتجسس وسوء الظن والكذب
في بعض الاقوال وسماع الغيبه وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا
على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في
الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد
نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات
وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه
الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادات وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد
هذه الصغائر التي لا ترد الشهاده بها لو واظب عليه اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسه
الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبه كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبه كاللعب بالشطرنج والترنم بالغنا
على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات

والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهاده والآخرة
من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك
صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنياك والمتاخر آخرتك ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن
في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا
بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون لان عالم الملك
نوم بالاضافه الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون
في اليقظه لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا
الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلثه امور فقد جاء رجل الى ابن
سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان
قبل الفجر فقال صدقت وجاءه آخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك
جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت
امه وقد سبيت في صغره وقال آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة
غير اهلها وكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى
في صورة ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على
الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي
يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم
وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا ينكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله
الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى
من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله يدا واصبعا تعالى عن قوله وكذلك في قوله عليه السلم خلق الله آدم على صورته
فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثله تعالى عن قوله علوا كبيرا ومن
ها هنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه
يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله
صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل
به على كذب الانبياء ويقول سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال
ولكن الله تعالى عزل هولاء الحمقى عن معرفة اسرار الله تعالى وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان
من قال رأيت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رأيت
وهذا يدل على ان هذا ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذا المعبر صادق في تعبيره وهو صادق
في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا هو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه
ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل
ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهو بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة
من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت في صورة
كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت
المعاني فيها بواسطته وكذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات
فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود ان تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب
الامثال فليفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت
درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق
الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته
الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول
الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام الهالكون والمعذبون والناجون والفائزون ومثاله من
الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم
المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك
الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاقه الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته
مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه
ولا يخلع الا على من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات
خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين
في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة
من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب
مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى
او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك
آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذا الهالكون الآيسون عن رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات

بحسب

بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي الهلاك
ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك
واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين
بالله وبرسله وبكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه وذلك لا ينال
اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون المكذبون فهم الآيسون
عن رحمة الله تعالى ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا مع نار
جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا
اللقاء ومهربنا الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره
بل العارف يعبده لذاته ولا يطلب الا ذاته فقط واما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد
لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك
قيل وفي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان ينكر هذا في عالم الآخرة اذ له
نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلبه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم
وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات
وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب
قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس
الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزئين يرتبط احدهما بالآخر بواسطة التاليف
في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تالف اشد احكاما من التاليف
بالاجسام فهي اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من
لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن
الكرة والصولجان وبين الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان ولم
يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس
عليه بل من يغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح
به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود
المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا ولذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه
الصفات الملكية التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها الا البعد
والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذن فلا يكون هذه الصفة الا في
القلب فمن لا قلب له ليس يوجد له هذا الحس كمن لا سمع ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصور
والالوان وليس لكل انسان قلب ولو جعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعني
بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو
من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن
ذلك السر الذي قال الله تعالى قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الخلق
وعالم الامر ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد
من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي رواح

المعنى المطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ونظر بعين الرحمة الى الجامدين على
ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسفين
في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر
والحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمته يخص بها من يريد ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي
نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب
الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده الرتبة الثانية رتبة
المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو
ان لا يعبد الا الله تعالى ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله
الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وهو ان يذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليها ادق من
الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف بالآخرة فلا ينفك بشر عن ميل لاستقامة ولو في امر
يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم
فلذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفايت
بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مايل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من جهتين
ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان
وضعفه وكثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ولذلك قال الخايفون من السلف انما
خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج عن النار
بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار
ما يدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة الاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة
الاف سنة حتى يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون فيه لبث وبين اللحظة وسبعة الاف درجات
متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وساير المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها
التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب
ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في
غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بالمال وقتل الولد
واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات
ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها
وكثرة السيئات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف
انواعها فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان
وهو المعني بقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
لا ظلم اليوم وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل
لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما حكى عنه رسوله عليه السلم سبقت رحمتي غضبي وقال
تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا هذه الامور بالكلية من ارتباط الدرجات

والدركات

والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف
الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل
من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير واحسن جميع الفرايض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه
صغاير متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت
حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك
اجتناب الكباير بحكم نص القرآن مكفر للصغاير واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع
الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد
الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في جنات عدن
او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام يصدقون
بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى حتى ينكشف فيه الوجود
كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله
فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على اصناف
فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله عز وجل ودرجات العارفين في
المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيها الغواصون
بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله تعالى لا نهاية لمنازله والسالكون لسبيل الله
تعالى لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا
على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب
من الكباير وادى كل الفرايض اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكوة
والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كباير او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل الاجل التحق
بمن لم يرتكب لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة
فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان
ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد عن ان
يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عز وجل عذابا يزيد على عذاب المناقشة
في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكباير
ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون
في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا
كلها عشرة اضعاف فلا تظنن ان المراد به تقدير المساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة
فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القايل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يسوى
عشرة دنانير واعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضع في كفة
الميزان والجمل في الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها
فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحها الماليه وجسمه اللحم والدم ومائة دينار
عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب
والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا
يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرة لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب
بها الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الابل الف الف مثقال

فقد كذب في قوله إني أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده
الا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي به يدرك أرواح الجواهر وسائر الأحوال فعند ذلك
ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
الموازنة إذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا فكيف تكون عشرة أمثال الدنيا
في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوي كما أن الجوهري مرحوم إذا بلي
بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلي بالبليد الأبله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر والأنبياء مرحومون
بين الأمة لهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله تعالى وبلاء موكل بهم
سبق بتوكيله القضاء الأزلي وهو المعني بقوله عليه السلام البلاء موكل بالأنبياء ثم بالأولياء ثم الأمثل فالأمثل
فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب وهو الذي نزل بالبدن فإن بلاء نوح صلوات الله عليه أيضا من البلاء العظيم إذ بلي
بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله تعالى إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس
قال رحم الله أخي موسى عليه السلام لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فإذا كما لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين
فلا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما انفك الأولياء عن ضروب الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج
من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند
أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المعتاض عن الإبل الكثير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين
فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات وإياك
أن تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فيكون حمار أرجل منك لأن الحمار يشاركك في الحواس الخمس وإنما
أنت مفارق للحمار بسر إلهي عرض على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس
الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارقت الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة
البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالإعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله
فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله فأنساه الله لا محالة نفسه ونزل إلى أفق البهائم
وترك الترقي إلى أفق الملأ الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم بها عليه كافر النعمة ومتعرضا للنقمة
إلا أنه أسوأ حالا من البهيمة فإن البهيمة تتخلص بالموت وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها فإليه
مرجع الأمانة ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب الفاني وغربت فيه و
ستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة
مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضا راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير للكل
إليه إلا أنها ناكسة رؤوسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى إذ المجرمون
ناكسو رؤوسهم عند ربهم فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون منحوسون قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست
رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال
والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار
إلا موحد ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في
عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال
لا ينفع القول باللسان بل ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله وعلامته أن
لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه
في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له

مقدار

مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار فهو أول من يخرج من النار وفي الخبر يقال أخرجوا من
النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال
والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال
والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا من الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود وأكثر ما يدخل
الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فأما بقية السيئات فيتسارع
التكفير إليها ففي الأثر إن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال
لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب
هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي
طالبون كثير فيقال ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا إلى النار وكما يهلك هو بسيئة
غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم إذ تنقل إليه عوضا عما ظلم به وقد
حكي عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال لا أفعل ليس في صحيفتي حسنة
أفضل منها فكيف أمحوها فقال هو وغيره ذنوب إخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي
فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم
بظاهر الأسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر
بأن عارضه خفيف وعلاجه هين فإن ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد يتوب إلى المشرف
على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع
عليه وذلك لأسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب
بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة له أسباب
خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي إلى النجاة بالعفو والرضا وعما
يفضي إلى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك
يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت
طاعاته الظاهرة فإن الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه
فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب
إلا بسبب باطن يقتضي البعد من الله عز وجل ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال
والأوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد
ولا قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح ليس للإنسان إلا ما سعى وسعيه سوف يرى وكل
نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما غيروا أنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله
تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح
من المشاهدة بالبصر إذ البصر يمكن الغلط فيه إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب
لا يمكن الغلط فيه وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب وإلا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب
وإليه الإشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الرتبة الثالثة رتبة الناجين وأعني بالنجاة السلامة
فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا
حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا
على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم
فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه

بالأعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار من أنواع الاعتبار فاما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن ولا اطلاع عليه تحقيقا في عالم الشهادة وبعد ان يترقى اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان متعارضة حتى قالت عائشة لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما يدريك فاذا الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام الرتبة الرابعة هم الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه او الفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصار همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق منه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاكمه والاصم الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه لم يتصور ان تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات ٥

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقطر على الحجر على التوالي فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها وان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره وكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تأثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة يكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيه ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر

على

على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها ولهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله تعالى اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كبائر ولهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رأيت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة فيتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ومنها ان يأتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله تعالى الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله تعالى ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان لا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد به الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة وهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيئا قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم زلة العالم مثل انكسار سفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسرائيليات

وانظر الى صغر الخطيئة

ان عالماً كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهراً فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني
وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا اتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان
احدهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك تتضاعف ثوابهم على الحسنات
اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي
به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت الطباع ممن دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل
الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان
تضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث

في تمام التوبة وشروطها في دوامها الى آخر العمر قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن
ندم يورث عزماً وقصداً وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلاً بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم
والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلابد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة
وسيأتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب
الدمع وطول البكاء لمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز
اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله
ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيباً ان مرض ولده لا يبرأ وانه سيموت طال في الحال حزنه فليس ولده باعز
من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض بادل على الموت من المعاصي
على سخط الله والتعرض به للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب
وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلاً عن حلاوتها
وتستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله تعالى قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد
بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته
وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها
فاقول من تناول عسلاً كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وتناثر شعره وفلج
اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا
فان قلت لا فهو جحد للعقل والمشاهدة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضاً لشبهه به فوجدان التائب
مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فهو فيه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق
الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضاً عن الله تعالى متهاوناً بالذنوب
مصراً عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد
ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل
بل فيما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنى بل من حيث مخالفته امر الله وذلك جار في كل ذنب
واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس به
واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك
المعصية الى الموت وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالاحتلام ويفتش عما مضى من عمره
سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً ونفساً نفساً وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيها والى المعاصي ما الذي قارفها
فان كان قد ترك صلوة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها من آخرها فان
شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان يأخذ فيه بغالب
الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمداً

او

او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائها واما الزكوة فيحسب
جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكوة واجبة على الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في
ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي
رضي الله عنه فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلاً وحساب ذلك الزكوة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى
تأمل شاف ويلزمه ان يسأل كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين
ولم يتفق له خروجه وكان الآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان
لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسأل الناس ليصرف اليه من الزكوات او الصدقات ما يحج به فانه ان مات
مات قبل الحج مات عاصياً قال عليه السلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهودياً وان شاء نصرانياً
والعجز الطاري بعد القدرة لا يسقط عنه الحج هذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي
فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وساير جوارحه ثم ينظر في
جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغايرها وكبايرها ثم ينظر فيها فما كان
من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كالنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف
بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر
عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من
الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من
قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن ومجالس الذكر ويكفر القعود في
المسجد جنباً بالاعتكاف فيها مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثاً باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن
منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب
واحب اليه وعد جميع المعاصي وانما المقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت
الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو
كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق
من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة فيه اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان
كان ذلك ايضاً مؤثراً في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا رأس كل
خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس لها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم
ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى
الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث
عايشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال يكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فيكون
كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب
بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالباً بماله وولده وجاهه وهي خطيئة فكيف
يكون كفارة فاعلم بان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان
جبريل عليه السلم دخل على يوسف عليه السلم في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن
عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذاً الهموم ايضاً مكفرات حقوق الله تعالى
فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى واما مظالم العباد ففيها ايضاً معصية وجناية على حق الله تعالى
فان الله نهى عن ظلم العباد ايضاً فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان
بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه

العبد صح

الحلال ويكفر تناول الاعراض بالغيبة والقذف بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه
وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق ايجاد
لا يقدر الانسان على اكثر منه فقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في
التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل بالاعتاق ثم اذا فعل ذلك كله لم يكفه ما لم يخرج عن
مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس
فان جرى عليه قتل خطاء فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة
ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي
الدم ويحكمه في روحه فان شاء قتله وان شاء عفا عنه ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس
هذا كما لو زنى او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان
يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على
نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب من التائبين النادمين فان رفع امره الى
الوالي حتى اقام عليه الحد فالحد يقع موقعه وتوبته تكون صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي
ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني
اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وقد زنيت فرده الثانية
فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم وكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به
خطيئته وقائل يقول ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب
توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه ردها
فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى قال اما الآن
فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت اتته بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته قال فاذهبي فارضعيه حتى تفطميه
فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة خبز قالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل
من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس برجمها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فتنضح الدم
على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة
لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا
بد من تحكيم المستحق فيه فان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس
كترويج زيف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد
بلوغه بل من مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه
فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات
والدوانق من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه
في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب
اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة
تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم على كل واحد
منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة
فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم وليكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فان لم تف
بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم
وهذا يوجب استغراق العمر بالحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف فربما

يكون

فربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع
الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما الاموال الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا
وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال فعرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق
بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس
بما يسوءهم او يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل
واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات ليؤخذ عوضا
في القيمة واما من وجده واحله بطيبة قلبه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه
له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر
ذلك في القيمة ذخيرة يأخذها من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته
عليه ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا
عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها ثم تبقى
له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر بها مظلمة الميت والغايب واما الذكر والتعريف فهو
سيئة جديدة تجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال
بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة
عليه ما يستميل قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة توده
وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته
التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه في قدر سعيه

سعيه في ه

في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك منه ايضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن
اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له المال عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه
شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي الخبر المتفق عليه
من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل
قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين
نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم
فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا
وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق
حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة
الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم
ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا
فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها
بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال
قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات
ولو بمثقال فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم
المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله تعالى عقدا موكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود
الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جازما انه لا

يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني
الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة
والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب
بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا
يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم
من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام
عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل
وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يوثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب
كالذي يتوب عن الشرب والزنى والغصب مثلا فليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه
التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا يصح ان عنيت به ان
تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها
سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا
ايضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله تعالى وان قال من ذهب
الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل
ان يندم عليها دون الزنى ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع
على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف او السكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه
وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنى فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها العلم بكون المعصية
مفوتا للمحبوب من حيث انه معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب
الخمر من احد الدنين دون آخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان
المعاصي آلات المعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحد فاذا معنى عدم الصحة ان الله تعالى وعد التائبين رتبة
تلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم
يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لم يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان
ينقطع عنه ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونه معصية
وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيله ينكشف الغطاء فنقول
التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة
دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله تعالى واجلب لسخط الله
ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك
وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام
الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن
احد معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر
تحذيرا اخف منه على وجه يشعر معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر
فهذا غير محال وجوده فان اكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض
الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله تعالى كالذي يتوب عن القتل والنهب
والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله تعالى يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في

تفاوت

تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبيها ولذلك يتوب عن
بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنى مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا
زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجح شر الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل
وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب
عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه
ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه
في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب
توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن
شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد
تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وقد تكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر
الى غير المحرم وخوفه من الله تعالى قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند
الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة
في بعض المعاصي فلم ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهد في بعض المعاصي فعساني اغلبه فيكون
قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لم يتصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان
كان صلاتك لغير الله تعالى فلا تصح وان كان لله تعالى فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور
ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله عز وجل ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي
على المخالفة فيهما عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي
فيه ان يكفر عني بعض ما عجزت عنه لفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع
بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده و
الخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط
الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني
كلها يتبين ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى نعم يجوز
ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا
في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذي يحذره الطبيب الفاكهة
فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد
وان يكون تائبا عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل التفاوت في اعتقاد
التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب وفعله
به يعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي فان قلت فهل يصح
توبة العنين من الزنى الذي قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك
فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرا عليه بعد العنة كشف وصرف
لحق به ضرر الزنى الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم لو كان شهوة الوقاع باقية لكان حرقة الندم يقمع تلك الشهوة
ويغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات
عقيبه لكان من التائبين وان لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة ويتيسر اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب
باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنى لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان يبلغ قوة الندم في
حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف

والله مطلع على ضميره وعلى مقدار تنده به فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة
المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة
بزوال الشهوة وليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة ما لم تعش التا[ئب] (لا تقبل)
بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل عليه ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا
فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو
يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان
الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الاجتهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر افضل لانه لو
فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرصة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من
الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان احدهما ان يكون
انقطاع نزوعه اليه لفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه
واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان
يدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القايل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ
الافضل فيه خطأ وهو كقول القايل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه
اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدايه لان المفلس لا عدو له والملك ربما تغلب مرة وان غلب مرات
وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغوار
بل هو كقول القايل الصياد الذي ليس له فرس وكلب افضل في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب
الكلب والفرس لانه آمن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من ان يعضه الكلب
ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بدرك
سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة
اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت باداب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين
عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها فقول القايل ان الافضل الجهاد قصور عن
الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى
شهواته فان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما
دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثال المكتال عن قهر العدو واسترقاقه بالاضافة الى من هو
مشغول الجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم الكلب الصيد وراض
الفرس فهما كان عنده معتزلا الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب
بعد لكن قد لمح هذا من فطن ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوايق الطريق
وظن آخرون ان قمع الشهوات وامانتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال هذا محال فكذب
بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب
رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه
والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا
قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وقال آخر حقيقة التوبة ان تنصب
ذنبك بين عينيك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون
قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط فلا يهمه حال غيره فيختلف الاجوبة باختلاف الاحوال
وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان ... عليها الافضل والاعلى ولكنه كمال بالاضافة

الى

الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله تعالى
نفسه ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعلم فالطرق الى الله كثيرة وان كانت
مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول
تصور الذنوب وذكرها والتفجع عليها كمال في حق المبتدي المريد لانه اذا نسيها لم يكثر احتراقه فلا يقوى
ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الخوف والحزن الوازع عن الرجوع الى مثله فهو
بالاضافة الى الغافل كمال لكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك
الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب
استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق الى بلد من
البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث انه قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطي النهر بعد عبوره
يبكي متاسفا على خربة الجسر كان ذلك مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت
وقت الرحيل بان كان ليلا وتعذر السلوك وكان على طرقه النهار وهو يخاف على نفسه ان يخربها فليطل بالليل
بكاوه وحزنه على خرب الجسر ليتاكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق
نفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر خرب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه
الا من عرف الطريق والمقصد والعايق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم من ربع العبادات
وفي ربع المهلكات بل اقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن ان
كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما حرك رغبته
فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير
له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان
افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا النحو ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته فان قياسك
نفسك على الانبياء في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللايقة باممهم فانهم
ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم
فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه
عن المجاهدة وتادب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما اني
لا انسى ولكن انسى لاشرع ولا تتعجب من هذا في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء و
كالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما
قال صلى الله عليه وسلم للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته
تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى الكنة
بل الذي يعلم شاة او طيرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطير تلطفا في تعليمه فاياك ان
تغفل عن امثال هذه الدقايق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين ٥

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان طبقات الناس (التايبين) اربع الطبقة الاولى
ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود
الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة
في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح
واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهولاء هم الذين اليهم
سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة

الا انهم كانوا اختاروا وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت
شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملى
بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك
يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل
طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما يمحوها
حسنة حتى قال بعض العلماء الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان تمكن منها عشر مرات مع صدق الشهوات
ثم يصبر عنها ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره ولو فرض ولكن لا ينبغي
للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الاسباب حتى تمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن
خروج عنان الشهوة من اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى
يسد طريقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه يسلم توبته في الابتداء **الطبقة**
الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن
ذنوب تعتريه لا عن عمد وصمد وتجريد قصد ولكن يبتلى به في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليه
ولكنه كلما اقدم عليه لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها
وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم
عزم وتخمين رأي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين
لان الشر معجون بطينة الادمي قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فيترجح
كفة الخيرات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى
اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة
لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال الله تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم
لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه التوبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه
خياركم كل مفتن تواب وفي خبر اخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من
ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق
صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة
بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه
عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل
على نقصان الفقيه والطبيب بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم
من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بني ادم خطاء وخير
الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع
بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فما وصفهم
بعدم السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في
بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات
وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود ان
لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم
افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه يسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد

يوم

بعدا

يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما تعاطاه مرجو فعسى الله
ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة
فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته
شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا
الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه
واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط
سعادات الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول
الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة
على تفقد النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه
فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير
هكذا سبق في الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح
من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات
الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها
ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل
نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرة حين لا
ينفع التحسر **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة
الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل
في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا
سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله تعالى فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا اخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات
على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع
عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده وان يجلس في البيت ليجعله الله عالما
بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء عليهم السلام فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب
المال بالتجارة وركوب البحار وطلبه بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب
العلم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صام وصلى غفر له فالناس كلهم
محرومون الا العالمون والعالمون محرومون الا العاملون والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم فكما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جائعا يزعم انه ينتظر فضل الله تعالى
بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره
غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مصر على الذنوب
غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه
الحماقة في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب
البحار ويقتحم الاوعار في طلب دينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك
بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ
به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب

العبد صح

واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله وليعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد فان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا فكيف يقول ليس مقتضى الكرم القعود عن كسب المال ومقتضاه القعود للملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب فيحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب التي بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب ٥

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب

ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح فلتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فيكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة والعزم على التوبة وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم او ما صليت معنا الغداة فقال نعم فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله تعالى وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن راس

امرأة صح

صلوة صح

امانان

الغفلة

الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة وللاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل حسنة قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة بترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا تخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذر وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فتشيل كفة السيئات واياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد واي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله تعالى اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله تعالى اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في شر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع تلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول

هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الآخرة اكثر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فيفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انكم ارباب البصاير واهل الفطن لخفايا والسراير فاي خير في ذكر اللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قال

وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه

واما المقتصد فلم يقدر على ارغام الشيطان باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسال الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحايك ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحايك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فان عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة اللسان فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القايل الصادق حسنات الابرار سيات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيا فلعل غضبه فيه وخبا ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله تعالى

الركن الرابع في دوا التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشا على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تايبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدوا فيه واعلم ان شفا التوبة لا يحصل الا بالدوا ولا يقف على الدوا من لا يقف على الدا اذ لا معنى للدوا الا مناقضة اسباب الدا فكل دا حصل من سبب فدواوه حل ذلك السبب ودفعه وابطاله ولا يبطل الشي الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا ضد الغفلة الا العلم ولا ضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال تعالى اوليك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دوا اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع في السكنجبين من حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما يقمع الاسباب المهيجة للصفرا فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدوا اصلان احدهما العلم والآخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلت اينفع كل علم لحل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان العلوم جملتها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علما مخصوصا فكذلك دا الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بامور الاول ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار

على

على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل القلب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرايع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتما فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتما ووزانه من الدين الاصغا الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه بنفسه الاحتما عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من افعاله واحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتما عن كل شي ولا ينفعه كل دوا بل لكل علة خاصية علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطبا الدين وهم العلما ورثة الانبيا فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري انه مرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهلها دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبيا والانبيا ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتدا ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مراة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلما كافة وعلى السلاطين خاصة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان فالعلما اطبا والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن ساير الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثاني ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الدا العضال فقد الطبيب فان الاطبا هم العلما وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغوا الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الدا المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الدا على الاطبا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الدا وعظم الوبا وهلك الخلق لفقد الاطبا بل اشتغل الاطبا بفنون الاغوا فليتهم

ولم يصلحوا الا افسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يزعج العوام
ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان
ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة
على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في
غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر
الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة اسرافه على الخوف بذكر
اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها لحكم القنوط واليأس
اعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور
استعظاما صح
المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال
والاغبياء فاذا فساد الاطباء هي المعضلة الزباء التي ليس تقبل الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي
ينبغي ان يسلكه الواعظ في وعظه مع الناس فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة
في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع **النوع الاول** ان يذكر
ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم
ما من يوم يطلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا
الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا
خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما
عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم
عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من
عبد يعصي الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا
فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله
يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله حسنات فذلك معنى قوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت
الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف
المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال
الحسن ان بين العبد وبين الله تعالى حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلوبهم فلم يوفقه بعدها
لخير والاخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منه ان كان وارث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما وانما خلف العلم والحكمة ويورثه كل عالم بما اصابه ٥
النوع الثاني حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصايب بسبب ذنوبهم
فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى
روي انه لما اكل الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان
يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلم فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا
من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار
الحبيب وروي ان سليمن عليه السلم لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل ان المراة
سالته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب
ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسال بكفه ولا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمن بن داود

شج

شج راسه وضرب وحكي انه استطعم من بيت امراة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية اخرجت عجوز
جرة فيها بول فصبت على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام
العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت
حوله واعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم الآن هذا امر
كان من السماء لا بد منه وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلدة وارسل عبده ليحملها اليه
فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله ببركة تقواه فكان في بني اسرائيل
نبيا وفي قصص موسى عليه السلم انه قال للخضر عليه السلم بم اطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بترك المعاصي
لاجل الله تبارك وتعالى وروي ان سليمن كان الريح تسير به فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد
فكانه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قال انما نطيعك اذا اطعت الله تعالى وروي
ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلم اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته
اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وكذلك
لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
وامثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار
ليعلم ان الانبياء لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا
بالعقوبة ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة اشد واكبر فهذا
ايضا ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث**
ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصايب
فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف
فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شومها في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمن حتى قد يضيق على
العبد رزقه بسبب ذنبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال صلى الله عليه
وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب
يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض
السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله
او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان
من رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع
في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين
انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول
هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وهو اشارة
الى ان الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان
فذنوبك اورثتك ذلك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر
اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض الصوفية بالشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت
انظر اليه فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه
الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين
قال فعوقبت بعد ثلثين سنة وقال ابو سليمن الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا صلوة
جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى

ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابن عمرو ابن علوان
في قصة تطول قال فيها فكنت قايما اصلي ذات يوم فخاطر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال
فوقعت الى الارض واسود جسدي كله واستترت في البيت فلم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج في الحمام بالصابون
فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي اشخصني من الرقة فلما اتيته
قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قايما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة واخرجتك
من بين يدي الله تعالى فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف
علم ذلك وهو ببغداد واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على
ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في
الدنيا من الفقر والمرض وغيره من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان المكتسب ما هذه صفته فان اتى لشي كان عقوبة
له وتحرم جميل الرزق حتى تتضاعف شقاوته وان اصابه نعمة كان استدراجا له وحرم جميل الشكر حتى يعاقب على
كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه
وزيادة في درجاته ٥ **النوع الرابع** ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنى والسرقة
والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي
ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجه
فليستدل بقراين الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
له واحد اوصني ولا تكثر علي فقال له لا تغضب وقال له آخر اوصني فقال عليك بالياس مما في ايدي الناس
فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلوة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد
واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكانه
صلى الله عليه وسلم توسم في السايل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السايل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول
الامل وتخيل محمد بن واسع في السايل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصني فقال كن رحيما اكن لك
بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظ وقال رجل لابرهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس
وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس
بل غمسوا في ماء الناس فكانه تفرس فيه آفة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذاه
بالناس والكلام على قدر حال السايل اولى من ان يكون بحسب حال القايل وكتب معوية الى عايشة رضي الله
عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني به ولا تكثري فكتبت اليه عايشة الى معوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس
كفاه الله مونة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التي يكون الولاة بصددها وهو
مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتب مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس
واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيا والسلام فاذا على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات
الخفية وتوسم الاحوال اللايقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال
بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمع او ساله في الحاجة
اليه من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق
في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية والاغذية للكافة والادوية لارباب
العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه
راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر في اهل السماء
وعليك

وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله
تعالى يعزك الله تعالى وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا
بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا على اعناق الرجال كلا
وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلوتك فان الصلوة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه
ولا تخالط ذا الوجهين وقال ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا
تسال عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني
انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم
وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك
الموت رايته مصيبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلم للخضر اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا
وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين
خطاياهم وابك على خطيتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك
بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف
المصحف كيلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة
الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فخف ما خوفك الله تعالى واحذر ما حذرك الله تعالى وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت
ياتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يساله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان
الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان
من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن
خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع
واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان
الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المومنين كالمداوي جرحه
يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا
عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياوه فغمتهم واما اعداوه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله
اما بعد فقد امكنتك المقدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي الى
الناس شيا الا كان زايلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله تعالى آخذ للمظلومين من الظالمين والسلم فهكذا
ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في
الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هذا الوعظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق
بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط
عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القايل متصلف والمستمع متكلف
وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطبيب اول علاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا
آخر اركان العلاج واصوله **الاصل الثاني** الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه
لتناوله ما يضره وانما يتناول اما لغفلته عن مضرته واما لغلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة
فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بماكول
مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر
ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال له من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في

واما لشدة غلبة

المعاصي كالشاب مثلاً اذا غلبته الشهوة وصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي ورآء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشتد خوفه تباعد من الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة قوته واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من ورآء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبيآء الا شرح طرق الهدى وانما لله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله فهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي واستولى بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفوس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق النار فقال لجبريل عليه السلم اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر وقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذن كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه توفيق التوبة ربما يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبات للاصرار مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب لسبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظر قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قربت والمتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت المحذور لحظة اذا لم يخف ما بعده وفراق الدنيا لا بد منه فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه

يقول

فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبيآء المؤيدين بالمعجزات دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة ولا تشهد له الاعوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا الفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف واخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو مثل من ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات صدقه هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو اخرق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعاما في البيت لحظة انه قد ولغ فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني الحيوة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال يا سبحان الله كيف تأخر صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة ولا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من ابد الآباد شيء فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الآباد ولذلك قال ابو العلآء المعري

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر ... او صح قولي فالخسار عليكما

وكذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصت وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن باصل الشرع

وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة واهوالها وشدايدها وخسران العاصي في الحرمان من النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مولم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذايذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حال من احواله ونفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تالما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتالم به واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا هو ان تحقق ان فوات لذة الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية من غير كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذا هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة من الطبع ومن الفكر الذي هو سبب الخير توفيقا اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وروى في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال يا امير المومنين لعلي بن ابي طالب اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال على اربع دعايم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكره بيان لبعض آفات الغفلة عن الفكر وهذا القدر في التوبة كاف واذا كان الصبر من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فلنذكره في كتاب مفرد

ان شاء الله تعالى آخر كتاب التوبة بحمد الله ومنه

وحسن توفيقه والصلوة على نبيه محمد وآله الاكرمين

كتاب الصبر والشكر

وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله اهل المجد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات العز والعلاء المويد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة والاتقياء صلوة محروسة عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء

اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاخبار وشهدت له الآثار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل للوصول الى القرب الى الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر

الشطر الاول

في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

وقد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قايل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر قال الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين ساير العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملايكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول واما الاخبار فقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امري منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان يفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم الآية وروى جابر انه سيل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسيل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله تعالى الى داود تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امومنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مومنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما يكره خير كثير وقال المسيح عليه السلم انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال صلى الله

عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخبار في هذا لا تحصى **وأما الآثار**
فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما عليك بالصبر واعلم أن الصبر
صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم أن
الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر فقد قال علي رضي الله عنه بني
الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس
من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة
للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية
إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب بكى وقال واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال
أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فأما من حيث النظر
بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل
معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم أن الصبر
مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إنما ينتظم من ثلاثة أمور معارف
وأحوال وأعمال فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال
كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الإيمان تارة يخص بالمعارف
وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم
إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة
كيفية الترتيب بين الملائكة والإنس والبهائم فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة أما في البهائم
فلنقصانها وأما في الملائكة فلكمالها وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث
لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة
في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا وأما الملائكة فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب
منها ولم يسلط عليها شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر
يغلب الصوارف وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي
هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة إذ الصبر
عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند
الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال
شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين إحداهما
معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله عليه السلام ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي
إليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصالح العواقب بل إلى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا
تطلب إلا اللذيذ وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف
أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم يكن له قدرة على ترك
ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر
الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه
بجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب إمداد الله
تعالى عبده بالتأييد كما أن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان

البهائم

والعلاوة الهدى صح

البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم
أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد
باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء
الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة
الشهوة فقد نصر حزب الله تعالى والتحق بالصابرين وإن تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر في دفعها
التحق بأتباع الشياطين فإذا ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين
في مقابلة باعث الهوى والشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها
لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة
عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه
الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة
الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما
وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى
من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسلما
له فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة
فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية
فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء
إليه فيثبت له به سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وإنما ثبتت هذه الحسنات
والسيئات بإثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين أما كراما فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة
كلهم كرام بررة وأما الكاتبان فلإثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر
القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فإنهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم
الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر
هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة
الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده
وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أما في
القيامة الكبرى الجامعة للخلائق كلهم فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الناس وفيها يساق
المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا والهول الأول هو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة
الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تتزلزل في الموت فإنك تعلم أن
الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تتزلزل البلاد المحيطة بها بل لو تزلزل مسكن الإنسان
وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته
من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان فاعلم أنك مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك
فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله
أن يتزلزل بدنك بسببه وإلا فالهواء أبدا متزلزل ولست تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الأرض
كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس
أرضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحار أرضك وشعورك نبات أرضك
وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها فإذا

ضعف حتى صح

انفصال العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال
نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا واذا ابطل سمعك وبصرك وساير حواسك فقد انكدرت النجوم
انكدارا واذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا واذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا
واذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض
فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة
ولا يفوتك من القيمة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ما ذا ينفعك وقد انتثرت
حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت في حقه
دفعة واحدة وهو حصته منه فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة
الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي الصاخة الصغرى والخوف بعد اسفل والهول
بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال
وهذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشر اوصافها فهي بالنسبة الى القيمة الكبرى كالولادة الصغرى
بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم
في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق
الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيمة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم
ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا الى الرحم بل اوسع واعظم
فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشاة الثانية الا على قياس النشاة الاولى بل اعداد النشات
ليست محصورة في اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة
وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال
والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن
بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال فلا يكفيك القيامة الصغرى او ما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا او ما
سمعت كربه في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت او ما تستحيي من استبطائك هجوم الموت والساعة اقتداء
بالغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون افيظنون انهم في الدنيا خالدون او لم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون
ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا
وهم عنها معرضون وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون فسواء عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول
قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الادميين لما وكل بهم
من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة
في الاعراض وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض
من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري يظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما
يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب
على ترك الصلوات ابناء عشر ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الاخرة بل على القيم العدل والولي البر
الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة قلبه فيكتبه
عليه بالحفظ ثم ينشر عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعمل

في

في حق الصبي فنال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال
الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان نيفا وسبعين
بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان
باعتبارين على مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما
اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد
بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة
على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا
الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر
الحديث الى اخره الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه
العبد الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال
الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال
ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة
وباعث من جهة الغضب والشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المولم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة
فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف
الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان
فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان يعرف كثرة
ابواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل
المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما
بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق
الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى
ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه
عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى
الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان
كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة
ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان
مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي
صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي
قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو
الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى
في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا
هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها

التذمر ان يلوم نفسه على فايت

وحقائقها من حيث ذاتها لا اسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دلالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد وان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمانت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله تعالى وامر من امور الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بتفاحش جنايته سببه انه يسخر ما حقه ان يستسخر ويسلط من حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الشيطان وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله تعالى وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله عز وجل خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل

ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا

لغوب

لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا تنبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر

وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل من المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح به ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يرعى حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد محتاج الى الصبر عليها والصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا

فاظهر اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره
وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك منهم
ليس يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات
ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر
على الطاعة صبر على الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح
النية والاخلاص والصبر عن شوايب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر
الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله وسلامه عليه
اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية
حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر
فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدايد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا
اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة
والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم
وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات
تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى الآية فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هي المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر ٥
الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه ويروى من جاهد هواه والمعاصي
مقتضى بواعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة
فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما
ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب
والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزاح المؤذي للقلب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار
وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فانه في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه
شهوتان احدهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية
ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها
واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعمومها لا انها فترى الانسان يلبس حريرا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق
لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنى ومن لم يملك لسانه في
المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت
مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة
اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب
هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس ٥
القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول وجني عليه في نفسه
او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان
الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله

فاخبر

فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى فقد اوذي باكثر من
هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي
تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك
واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن
والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا السن بالسن بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن
اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر
على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث
ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض
وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة فساير انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن
عباس الصبر في القرآن على ثلثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله
وله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة
مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر
على بلاء الله فلا يقدر عليه الا بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين قال ابو سليمن والله
ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله عليه وسلم قال الله اذا وجهت الى عبد من
عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له
ميزانا وانشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا من
اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني
خيرا منها الا فعل الله ذلك وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا جبريل
ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي
وقال عليه السلم يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال عليه السلم ما جزاء
الحزين يصبر عند المصايب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال
عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها
افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا
بقضاء الله قيل وكيف ذاك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل
عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤوا زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي
لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيه فاصبر لحكم
ربك فانك باعيننا ويقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين
الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمن عليهما السلم يستدل
على تقوى المؤمن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك

ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صايم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا ينال درجة الصبر وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهة المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمطعم والمفرش وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كانت وديعة فاسترجعت كما روى عن الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غايب فقمت فسجيته في ناحية من البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي قلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى اسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بيس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله تعالى قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن وروى جابر انه عليه السلم قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة اذ يشبه غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضى فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي والباقي بعدك هو الماخوذ منك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فاذن مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصايب وقد قيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والمصايب والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن والاكثر لان الخاطر انما يكون في فايت لا تدارك له او في مستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع زمان واله العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دايم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمين من حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصايه بان قال

خلقتني

خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد اظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحتشم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشتغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح ان اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يزدوج فروخه ايضا ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد ساير الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابس كثر توالده فلا تزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئا شيئا على الاتصال والشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابس وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سيل عن التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عنها وهذا صبر دايم لا يقطعه الا الموت

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان يكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فسبيل تضعيفها ثلثة امور احدها ان ننظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدايم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه محترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنعه الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور واذا انفلت عن صوب الصور لم يصبك سهمه

الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما تشتهيه الطبع ففي المباحات
ما يغني عن المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء مضر يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا
يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن
الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى
لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها
من القوة ما تصبر على التاديب واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة
وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا
والاخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا
يبقى معه الا مدة الحيوة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات
الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث
الدين وهيجه تهيجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل
ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا
حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد
القوى التي تصدر منها الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للاعمال
الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول
يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه
اياهم بموسى حيث قال انكم لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة
مباشرة اسباب ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجري عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر
ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت فيه باعث الدين فلا يقوى ومن عود نفسه مخالفة
الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن
حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر
فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن
الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة
به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له
مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولى
ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد
المتواصلة المرتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان
الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها
اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان
من مخالط اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد الانواع الشاغلة واما النوع
الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهيئة
ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن تولاه ولكن بعد قطع العلائق
كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف
فيه من اسراره تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب

بالعلائق

بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف و
مبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل
الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها
توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق
الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلم ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات
والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية
غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب
اجله كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله
تعالى اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة
من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة
والاخلاص وعرضها لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم
فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة
وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار الرحمة حتى يستدر بها الامطار في اوقات
الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار
قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما
انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها ولا تحتاج الا الى ان تكسر الشهوة وترفع الحجاب
فتشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القني اسهل واقرب من استنزاله اليها من
مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا
فقال وليتذكر اولوا الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس
والشواغل وهو اخر درجات الصبر وانما الصبر عن العوائق كلها مقدم على الصبر على الخواطر قال الجنيد المسير
من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب
شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس
علقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس
العقلاء وكيف لا يكون اعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع
للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب
مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلطة وقعت له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ
حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الاخرة ليس يطلب
الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من
اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك طالب
للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الالام وملك مرتهن بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو
في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر والم ولا يقطعه قاطع ولكنه اجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة
فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه
بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الاخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الاخرة كما قال عليه السلم الاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره فاشتغل بطلب عز الدنيا وملكها كل على قدر امكانه ولم يتدارك

الموفق لحسل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخلد ولس وقيل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله الملائكة
الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك
المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتورية والانجيل
والزبور والفرقان وصحف ابرهيم وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان
يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة فاما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فبالقرب من
الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة اعين اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان
يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو
كان يسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر
اسباب الجاه ثم لا يسلم ويتم الاسباب ينقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون
عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا وقال واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا
لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادا لـ
لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه
وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار
الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا
في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة فقال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال
كيف فقال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال انت عبد لشهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكتهم فهؤلاء
كلهم عبيد لي فهذا اذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا
الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى
الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط فيها وكيف تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن
الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه
الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد
وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه لئلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب
كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال تعالى
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا بخلاف ما اعتاده فيبدل التكلف
بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء
بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى
للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل
فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض
ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا
التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض عبادة الله الى نفسك فان المنبت
لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه

في

في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضيفه الى ما ذكرناه من طرق المجاهدة في كتاب رياضة
النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورا لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان
تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر كما كان يشق الصبر عليه معه
فينعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف
الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب
والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب
والى هذا اشار ما حكي عن بعض الصالحين العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال
لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال ايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت
روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا
مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقيل
والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل
وهذا آخر ما اوردنا شرحه من علوم الصبر واسراره

الشطر الثاني من الكتاب في

الشكر وله ثلثة اركان الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في
حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الاول في نفس الشكر بيان فضيلة الشكر

اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال وسنجزي الله الشاكرين وقال تعالى
اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال
ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى المزيد مع الشكر
ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة
فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء
وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى
والله شكور حليم وجعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم
الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت اي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي وقالت في لحافي
حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى
قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع
راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى علي ان في خلق السموات والارض الآية
وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير
فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسأله ان
يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور
وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا يزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون

قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم
الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل
وأوحى الله أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند
الشكر أستزيدهم وبالنظر إلي أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فأي المال نتخذ فقال
صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن المال وقال ابن
مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الإيمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم أن الشكر
من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل
أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه
ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر
فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه فالأصل الأول العلم وهو علم ثلاثة أمور بعين النعمة
ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه فإنه لا بد من نعمة
ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في
حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن تعرف أن النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والأوساط مسخرون من جهته وهذه المعرفة
وراء التقديس والتوحيد إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتاً
مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك
الواحد فقط فالكل نعمة منه فيقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد
بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال
لا إله إلا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله وقال ليس شيء من الأذكار يضاعف كما يضاعف الحمد لله ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان
بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله تدل على التوحيد
والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين واعلم
أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو لوكيله دخلاً في تيسير
ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه
عليهما فلا يكون موحداً في حق الملك نعم لا ينقص من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه
الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث
هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضاً مضطر من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر
إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره
إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركاً في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك فكذلك من عرف الله وعرف أفعاله علم أن
الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلاً في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها
فإن الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ولو خلي
ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة الله على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي
وألقى في قلبه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به وبعد
خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلاً إلى تركه فهو إذاً إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء
لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعك فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعماً عليك بل اتخذك
وسيلة إلى نعمة أخرى هو يرجوها وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار

به

به مضطراً إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحداً وقدرت على شكره بل
كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكراً ولذلك قال موسى في مناجاته إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف
شكرك فقال علم أن ذلك مني فكانت معرفته شكرها فإذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه فإن خالجك ريب في
هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان
فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الأصل الأصل الثاني الحال المستثمرة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة
الخضوع والتواضع وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكراً إذا كان جامعاً شروطه وشرطه
أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالاً فنقول الملك الذي
يريد الخروج إلى سفر فأنعم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من
حيث إنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس
فقط ولو وجده في صحراء وأخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث إنه فرس بل من
حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك
لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أصلاً واستحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه
الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي
إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرساً ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو
طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته ثم إنه ليس يريد من الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك والقرب
منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالأولى لا يدخل فيها
معنى الشكر أصلاً لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث
إنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالمنعم ولكن لا من
حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه
خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وإنما الشكر التام في الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث إنه يقدر
بها على التوصل إلى القرب منه والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وأمارته أنه
لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لأنه ليس
يريد النعمة لأنها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث يحمله في صحبة الملك حتى يدوم
مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة
على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن
والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر
الله تعالى ومعرفته ولقائه وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع
بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا
فإذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم يكن أبل الحرى وإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الأولى فخارج
عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله تعالى
لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه الأصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة
المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان
فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من
الاستعانة بها على معصيته حتى إن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه
فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال بخير فاعاد السؤال واعاد حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله
واشكره فقال هذا الذي اردت منك كان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق
له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر
طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا يقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شي الى
عبد مملوك لا يقدر على شي فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان
يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار
الذل للعبد مع كونه ذلا قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان
وفدا قدم على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المومنين لو كان الامر بالسن
لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها
الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي
اصول معاني الشكر المحيط بمجموع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع
فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى
مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني
الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك منها طفيليا اشارة الى
معنى المعرفة من معاني الشكر وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا الى النعمة اشارة الى حال من احوال
القلب على الخصوص وهولاء اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في
حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم استغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا
بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم
وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها ما كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل قط اصلا الا ان يفرض منازعة
من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من
توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى

لعله خطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب
ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به جاههم وصيتهم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم
في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين له الا بشي من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى
من وجهين احدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة
بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا وساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك
المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نركع او نسجد اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في افعالنا كلها والوجه الثاني
ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله تعالى اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي
هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا
آخر له فركبناه او اعطانا مركوبا آخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر
الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله عز وجل من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع
قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود صلى الله عليه وسلم وكذلك لموسى عليه السلم
فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك

توجب

توجب علي الشكر لك فاوحى الله تبارك وتعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني فقد
رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة
الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل
يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان
امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير
منها الى لوائح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور
وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شي هالك الا وجهه وان ذلك صدق
في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد
اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فان اعتبر ذاته ولم
يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا
فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في
الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر
وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب حيث قرأ قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشارة الى انه اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه
ومن ههنا نظر ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق
يحبهم لانه انما يحب نفسه لتشيره الى ان المحب والمحبوب هو وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك
ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد
اذا احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعه
فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب كما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية
عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله تعالى فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول
كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم ومن ضرورة
العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا
بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين
ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الآيه وكذلك امة نوح عليه السلم
كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر
الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهولاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم
رب يعبد وهولاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو الذي هو قائم
بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم
من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد
وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قيوم وقائم والموجد هالك
وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن لهم عور يبصرون باحدى العينين
وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى
وهذا مشرك تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات
التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في
بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته

ما سوى الله تعالى فلا يرى الا الله تعالى فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله عز وجل
دخل في اوايل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على السنة رسله هي الكحل
الذي يحصل به انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه
ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف
الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوايل التوحيد دخولا
ابواب
ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح له حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت
وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ما ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز لكل الى شأو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات
ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب وقيل له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة
فعل الله تعالى فقط فكانه لم ير الا الله تعالى وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال
وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى نقصانا في التوحيد فاقترب
ورقي من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير روية فعل
وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا واقترب فقال
انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدته وقوله انت كما اثنيت
على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه
نهاية مقام الموحدين وهو ان لا يرى الا الله تعالى وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا انتهى نهايته اذ انتهى
الى الواحد الحق حتى ارتفع في نظره ومشاهدته عما سوى الذات الحق وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرتقي من رتبة الى
اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية وكان يستغفر الله تعالى من الاولى ويرى ذلك نقصانا في سلوكه وتقصيرا
في مقامه واليه الاشارة بقوله عليه السلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان ذلك لترقيه
الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اوايلها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها
فكان استغفاره لذلك ولما قالت عايشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود
وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة
حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول
الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة
وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر
فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بالامثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا
من الملوك ارسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك
ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانية ان
لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة يغني منه غناء وغيبته
لا ينقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه
لا لينتفع الملك به وبتباعده نزل العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية
غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي اراده الملك منه
واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه
مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب
وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه

واستدبر

واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعمله فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب
ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله تعالى الخلق وهم في ابتداء
فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات ليكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم
ما يقدرون على استعمالها في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين الاية فاذا نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن اسفل سافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة
القرب والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها
في معصية فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعمل
في طاعة ولا في معصية فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرة
ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله تعالى في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان
ترك الاستعمال او عاصي استعمل في طريق البعد فهو كافر غير جار في محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشية ولكن لا
يشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد
انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذ لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف
نعمة الله تعالى في جهة محبة الله تعالى فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء من
الله عز وجل ومن حيث انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا
لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة
عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له فقد
وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء ان جعلك خالق الاشياء شيئا وانما انت لا
شيء اذا كنت ناظرا لنفسك شيئية من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا
فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل
له ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ عنها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم
ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو
فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية
جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله تعالى ولكن بعض افعاله سبب لبعض افعاله اي الاول
شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحيوة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط
لخلق الارادة والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل
الحيوة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حيوة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض
بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد
الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء
فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان
الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى
والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها
الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله تعالى الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى
وكلام رسوله عليه السلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا
واذا لم يترك بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود

الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليهم فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يساقون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله تعالى اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عز وجل عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفته تنبني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لم يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس ان يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيقة التي يقصرون عن فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا الآية واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف الى عشرة آلاف وكذا اعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والرقة والغلظة وسائر الاوصاف فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه وياخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريدتا به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء ولا يتم الغذاء الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله تعالى فقد كفر نعمة الله تعالى في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم بها طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل

صاحب

المراد خلق

صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او الصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان بشيء واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه مهما تساويا

عاقل

ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه ونحن لا نخاف على العقلاء بأن يصرفوا
أوقاتهم إلى وضع الدراهم على الأرض وأخذها بعينها فلا يمنع مما تتشوف النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود
وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك
مما قد يقصده فلا جرم يمنعه منه ويحكم بأن جيدها ورديها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد
في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مصادفات دقيقة في صفاته وإنما الذي هو الذي ضرب النقود مختلفة
في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة بأعيانها وحقها أن لا تقصد وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فإنما لم
يجز لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة
فيكون له حمد وأجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة
وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها
في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له فما خلق الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج
عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يتعامل على الأطعمة إلا مستغنيان عنها إذ من معه الطعام فلم لا يأكله إن كان
محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا إليه فأما
من يطلبه بغير ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في
كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور

البر صح

ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى
به صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة
ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد
الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان
مذهب الشافعي رضي الله عنه في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات إذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب أولى
بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات لكن لكل معنى يرعاه الشرع فلا بد وأن
يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو
ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة
ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فعين المعنى بكمال قوته يختلف بالأحوال والأشخاص
فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني
لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما حد شرع عيسى عليه السلم تحريم الخمر بالمسكر وقد حده شرعنا بكونه من
جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره وللداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الحتم كما دخل أصل المعنى بحكم الأصلية
فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن
يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي
مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر إلا أولوا الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك
وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفران لا يتصور أن ينفك عنهما ونعرض لك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام
الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد
كفرت نعمة اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف
والتفضيل إذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها
شريفة كأخذ المصحف وبعضها خسيسة كإزالة النجاسة وإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد

الله صح

خصصت

خصصت الشريف بما هو خسيس وغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بزقت مثلا في جهة القبلة أو
استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات ليكون متسعك في
حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد
بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات
وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق فإذا رميت البزاق إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع
القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل
فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي أن تكون للأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف
وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه
فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر
في هذه الأمور لأنه مسكين بلي بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الأنعام وهم منغمسون في ظلمات أطم وأعظم من
أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فقبيح أن يقال للذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين
أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خالف من وجهين أحدهما
بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء
الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد
قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بذلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم
ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا به في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة وإلا
فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب نعم بعضها يؤثر
في البعد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين
وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار و
خلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة وللأعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى
وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه
لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذ الشجر
والحيوان جعل فداء لأغراض الإنسان جميعا وإليه بقوله تعالى وسخر لكم ما في الأرض جميعا نعم إن كسر ذلك من ملك غيره
فهو حرام واحد ولو خصص به من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه
في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فإن نبت ذلك في موات الأرض لا بسعي
آدمي اختص بغرسه أو بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل
هو أن يكون أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات
وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله تعالى والأرض مائدة الله تعالى
وقد أذن لهم من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن أخذ لقمة بيده واحتوت عليها براجمه فجاء عبد
آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك
ولكن إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص
والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فيمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي أن يفهم أمر الله تعالى في
عباده وكذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو
ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته
أموال الدنيا إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات

واحد صح

حقيقة والنفوس مع استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر العمر غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف
الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم لحكم نقصانهم لا يطيقونه فمن كان الاعتراض عليهم في اللعب
واللهو اباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في
الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه وقال ان يسالكموها
فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله تعالى من مال الله تعالى
الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله تعالى ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه
عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن
والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله
تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا
بالقليل وانما اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله
ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله واموراً اخر وراء هذا يقتضي الاعمار دون استقصاء
مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل من يعرف اللغة ولهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت
فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سبباً لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد
منها وجعل بعض افعالهم مانعاً من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف
ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى
ما يتم الحكمة والى ما يمنعها هو ايضاً من فعل الله تعالى فاين العبد في البين حتى يكون شاكراً مرة وكافراً اخرى فاعلم ان
تمام التحقيق في هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر
بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلاً عن ان يجول في جو
الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى
واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها عبارة
لعلو شانها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفض عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار
الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها
الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادي حقايقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها
اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق
ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسامها واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها من
الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها امراً مجملاً عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها
وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة
الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمها والى ما يقف دون الغاية فكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها
الى الاختصاصات التي بها تمت القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف
دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعاً داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة
توهم لفظ المحبة والكراهة منهما امراً مجملاً عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسمت عباد الله الذين هم ايضاً من
خلقه واختراعه الى من سبقت لهم في المشيئة الازلية ان يستعملهم لاستيقاف حكمته دون غايته ويكون ذلك قهراً في حقهم
بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان
لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين
استوقفت بهم اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون

غايتها

غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت
بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل
انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه ثم يلبسه
من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني
على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر و
الصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازال وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقديرات رب الارباب و
مسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه
كلمح بالبصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدرات بعضها على
بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان
شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم
العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه
فالجموا عما لا يطيقون خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلا
مشكوة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زيتهم اولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسسه
نار فمسته نار فاشتعل نوراً على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليها
فقيل لهم تادبوا باداب الله تعالى واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للجدران آذاناً وحواليكم ضعفاء الابصار
فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق
الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء
حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليالي فيحيى بها حيوة يحتملها شخصه وحاله وان كان
لا يحيى به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم

شربنا شراباً طيباً عند طيب ... كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض كاسنا ... وللارض من كاس الكرام نصيب

فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلاً له واذا كنت اهلاً له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج
الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر
قدر الطائر ان يطير عليه ولم يقدر ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف كالماء مثلاً ولم يمكن العبور الا
بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه آخر فهذه
امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة
يمكن ان تتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه
وسلم ان عيسى يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة
والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً
الى افهام الخلق اذ عرفنا انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه وكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له
عبدين يحب احدهما واسمه جبرئيل وروح القدس والامين وهو عنده امين محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر
واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبرئيل فقال قل نزله روح القدس من
ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن
سبيله والاغواء هو استيقاف العبد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد
سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة لها مثال فالملك اذا كان
يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من ينظف منزله عن التراب والى من يحجمه فلا يعين للتنظيف والحجامة و

تنظيف فناء داره عن القاذورات إلا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض أمر الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحبهما
إليه ولا ينبغي أن يقول هذا فعلي فلم يكن فعله على وفق فعلي فإنك أخطأت إذ أضفت إلى نفسك بل هو الذي صرف
داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماما للعدل فإن عدله تارة
يتم بأمور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فإنك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر أسباب
حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا يصدر منه الأفعال المعتدلة إلا أنك لا ترى إلا نفسك
فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه إلى نفسك وإنما أنت
مثل الصبي الذي ينظر ليلا إلى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي
مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها إنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعوذ
وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما
العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم
المشعوذ الذي الأمر إليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان إلا العلماء ينظرون إلى
هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم
الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة
من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا يدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس
تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات
وشاهدوا أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منها ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كيلا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المكاشفات في القرآن فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون
وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من الأمر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر
بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون
في العلم وعبر ابن عباس عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن
فقال لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج
عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول إذا رجع
حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إلى الله الملائكة
ولهم أيضا ترتيب وما منهم إلا له مقام معلوم وأعلاهم في رتبة القرب اسمه إسرافيل وإنما علو درجتهم لأنهم
في أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض ويلي درجتهم درجة الأنبياء
فإنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله تعالى بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم
إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في أنفسهم صالحون وقد
أصلح الله تعالى بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل
لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه
وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء
ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا أنفسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم إلا فيهم ومن عداهم فهمج رعاع واعلم
أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص إمام
غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم
أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من أنكر
إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل

وسئل

وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال مهلا إن لله تعالى كل يوم
نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان
يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون والسلام

الركن الثاني

من أركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها
فيما يخص وما يعم فإن إحصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة
الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة وأقسامها

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر
فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز
كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن
يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو
بوسائط فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة واللذات المسماة
نعمة لنشرحها بتقسيمات القسمة الأولى أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة
كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع
الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل
هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل
بلاء محض عند ذوي الأبصار وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان
جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال
ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي
الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع
الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب بكمال عقله يلحظ العاقبة والأم لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال
والصبي بجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوا له ولو عقل لعلم أن الأم
عدو باطن في صورة صديق لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل
شر من العدو العاقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو
قسمة ثانية اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال
والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ما نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال
والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ
ضره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في
سبيل الله تعالى ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب إنسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا
يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع الخذلان بلاء في حقه قسمة
ثالثة اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هي مؤثرة لذاتها وإلى ما هي مؤثرة لغيرها وإلى ما هي مؤثرة لذاتها ولغيرها
فالأول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة
الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها
الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت
هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال
محبوبة في أنفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء

مثال من احب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم يعشق في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره
ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته و
لغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفاء
لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضا
سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو
نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من
حيث هما وسيلتان فيكون نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصوده العلم والعبادة
ومعه الكفاية التي هي ضرورة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حيوته يستوي عنده الذهب والمدر فكان وجودهما
وعدمهما بمثابة واحدة ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة قسمة
رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع
هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل
واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة
فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل
بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم
اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك
التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص
في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع
الاصبع الزائد والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع اذ يقال استراح
من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه
كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق
في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا
كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه قسمة خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها
عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية
مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها
السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل
اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل
العلم والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في
الآخرة دائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان تمل
وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم
لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس
المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السارق
بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم
نافع ولذيذ وجميل في كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى
المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق
لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا

يدرك

يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور فطنتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالصبي الذي لا يدرك لذة
العسل والطيور والسمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته للبن يدل على انه الذ
الاشياء فالقاصرون عن درك لذة الحكمة والعلم ثلثة اما من لم يحي باطنه كالصبي واما من مات باطنه بعد الحيوة باتباع
الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله لينذر من
كان حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله تعالى من الموتى وان كان عند الجهال
من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة
يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات
والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك
فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا
بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر
ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واما كسر شره البطن والفرج فيقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة
لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال
فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة
والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريها الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون
مقهورة ولا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله
ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله تعالى وانما لذته بالجاه
والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله تعالى والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن
قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في
بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا
طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت
في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه
القلوب الى ان يقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة والملك
عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان
الدنيا مرآة الآخرة فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان
الصورة في المرآة تابع لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة ان كان هو الثاني في رتبة الوجود فانه اول في حق رؤيتك
فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب
التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس
والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاكية لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر
الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا
يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسيفتح الى حبسه ابواب جهنم
وهذا الحبس مملو نارا شانها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك الهلاك حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت
ادرك وعن هذا اظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك
مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا
ولكن للذين توفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا

ثم لترونها عين اليقين اي في الآخرة فاذا قد ظهر ان القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح
لملك الدنيا قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم اعلم ان النعمة تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى
ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور
لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش
الآخرة قال ذلك مرة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا
للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسالك
تمام النعمة فقال عليه السلم وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب
والاخص كفضائل النفس والى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوزه الى غير
البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة من
النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا اربعة انواع النوع الاول وهو الاخص الفضائل النفسية
ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة وهو العلم بالله
تعالى وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب
واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون
اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزل الله تعالى على لسان رسوله عليه السلم اذ قال الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن اخصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن
من الآفات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد
طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضائل الخاصة
بالنفس المقربة الى الله عز وجل اربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني
وهي الفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيا هذه الاربعة الا بالنوع الثالث وهي
النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة
والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي اربعة هداية الله تعالى
ورشده وتسديده وتاييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحد الى اربعة وهذه الجملة
يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان
وحسن الخلق اذ لا سبيل للوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الآخرة الا ما
تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري واما الحاجة
النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو
عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من
المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود
اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز متصيد بلا جناح ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال
وكيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب الاقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات
المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الفكر والذكر لا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج و
الزكوة والصدقات وافاضة الخيرات وقيل لبعض الحكماء ما النعيم قال الغنى فاني رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا
قال العافية فاني رايت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رايت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب
فاني رايت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال
صلى

صلى الله عليه وسلم من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما
الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المراة
الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوائد الاهل
والولد في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي وتيسر
له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو
معين على الدين فهو اذا نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الضيم والذل ولا يستغني عنه مسلم فانه
لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز
والجاه فلذلك قيل الدين والسلطان توامان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخر له ارباب القلوب
لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة يدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن
ماشيته فيحتاج ايضا الى ما يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة
يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم او الاستئثار والاستكثار
في الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن
له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كان اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب
والهجرة فان قلت وكرم العشيرة وشرف الاهل هي من النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان عليه السلم من اكرم ارومة في نسب آدم عليه السلم ولذلك قال عليه السلم
تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء
فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى ائمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل
البدنية فاقول لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بها
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملته
امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن صحيحا سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات و
لعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين
احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع
فكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات
لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها الثاني ان الجمال
في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك
عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئة البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك
يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح
الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المامون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط
اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا
ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر
رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات
المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا به وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا
نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال

في اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها فان قلت فقد ادخلت
المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله وكذا العلماء وقال
تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي في ذم النسب
الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا
فاعلم ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب
ما لم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هي عليها ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة والتخصيص
اخرى فهذه نعم معينة على امر الاخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها
ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع
كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء مهلك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن
ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه
جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون
على التقوى المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله بان اظهره على الدين كله وحببه في
قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو
ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس
اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل
الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين بالاضافة
الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليه الغنى كما كان
لسليمان عليه السلم فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم
نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده
واخذ الحية اذا راها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في
الترياق بغرضه في حفظ الولد واذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذ الصبي
ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا راها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه
ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يحدثه اصلا بما فيه من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم
عليها من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان
يحذر الصبي ساحل البحر والنهر وان كان لا ينزجر الصبي بمجرد النهي والزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل
فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان الاغبياء
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش
وانا اخذ بحجزكم وحظهم العظيم في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر
القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك فيه
السم ولو فتح الناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت
الاموال والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا
ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر
زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما ان سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء
فلا باس بالاستكثار وقوله عليه السلم لا تاخذوا من الدنيا الا بقدر زاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان
ممن يروى هذا الحديث ويعمل به ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقه في موضعه ولا يمسك منه حبة

ولما

ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الاغنياء يدخلون الجنة لشدة استاذنه عبد الرحمن بن عوف في ان يخرج
عن جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذن
النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته
فله ان يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار ولا تعدل
بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية
الراجعة الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة عن التاليف
والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت
العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص
بمن يميل الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق الى طلب السعادة الا انها لان داعية الانسان
قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد
الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء
وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله
فقال ولا انا وللهداية ثلث منازل الاول معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد
انعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى واسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصاير العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر او حب
الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها
وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وعن الحسد والكبر بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء
هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى العبد بها حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي
يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل التكليف وامكان
تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداها حجاب ومقدمات لها وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان
الكل من جهته فقال قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حيوة في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية
التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده وتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من
الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة
السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه يبذر ولا يريد الاستنماء
لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد
اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد
الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها
عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي
الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسر الحركات لمساعدة الاعضاء والالات حتى يتم المراد مهما انبعثت الداعية اليه
فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء
الى صوب السداد واما التاييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش

ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى إذ أيدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود
إلهي يسنح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله
تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن يستتب إلا بما خوله الله تعالى
من الفهم الثاقب الصافي والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن
المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد
من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا ويستدعي تلك الأسباب أسبابا إلى أن ينتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ
المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإن كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب
استقصاءها ولنذكر أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ٥

بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء

اعلم أنا جعلنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة
في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي تمت بها هذه النعم لم نقدر عليها ولكن الأكل
أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع
فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم
بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب
الإدراك ثم أسباب الإرادة ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك

اعلم أن الله تعالى خلق النبات
وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فإن النبات خلق فيه قوة بها
يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة
التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورق حتى
تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه لو أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب
الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى
عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة
الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهو أول حس
يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان إلا وأن يكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما
يلاصقه ويماسه فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين
فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق
لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدود لا يقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يماس بدنك فتحس به فتجذبه
إلى نفسك فقط فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت
من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لا تعثر فتكون في غاية
النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم
يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدرات والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا
حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من
وراء الجدرات عند جريان الحركات ولأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من
حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليك حاجتك فخلق لك ذلك وميز بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك
ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب

في

في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك
إدراكا آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك
إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مضر ما لم تذقه
ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك
الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده المرارة والصفرة جميعا حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا
وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا ذلك لكنت ناقصا فإن البهيمة يحتال
عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص إذا قيدت وقد تلقي نفسها في البئر ولا تدري أن ذلك يهلكها
ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر
فأما إدراك العواقب فلا فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة
وتأليفها وإعداد أسبابها وتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة
الكبرى فيها معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك
فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة قد وكلت واحدة منها بأخبار الألوان والأخرى
بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة
والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى
الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص
والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة إذ ليس له إلا أخذها وحفظها وأما حقائق ما فيها فلا ولكن
إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار
المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح من الأحكام والمصالح يحرك الجنود
وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله تعالى
عليك في الإدراكات ولا تظنن أنا استوفيناها فإن الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة
الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية
كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنها بياض البيض وبعضها كأنها الجمد ولكل واحد من
الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشرة أو
صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنها الأطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة
السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن يستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمته في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن
جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف الظن بجميع البدن وجميع أعضائه وعجائبه فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق
الإدراكات ٥

الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك
الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض
يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه فاضطر
إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق
الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول
وتغتذي وتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة
أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها كالزرع لا يزال يجتذب الماء
إذا انصب في أسافله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء

اخرى وكما خلق لك هذه الشهوة حتى تأكله فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا
عليك عجائب صنع الله عز وجل في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق
السالكة اليه من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر
الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فيتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فيتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار
خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى رأس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لقضيت
العجب من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ الخلقة كل العجب فضلا مما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى
في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه يأتيك المهلكات من
الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولأخذ عنك كل ما حصلته
من الغذاء فان كل احد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك
اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيها هذه الارادة فخلق الله تعالى
لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك
للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا تغنيك في الاحتراز عنها
ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادات افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب
وقد سميناه هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا

الطرف الثالث

في نعم الله عز وجل في خلق القدرة وآلات الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل
الى الطلب او الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه
لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج او خدر فيهما فلا بد من آلات الحركة وقدرة في تلك
الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر
الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطائر والقوائم للدواب ومنها ما هو
للدفع كالاسلحة للانسان والقرن للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد
غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب
وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها تتم الاكل فقط لتقاس عليها غيرها فنقول ——— رؤيتك الطعام من بعد
وحركتك اليه لا يكفي ما لم تأخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمتد الى الاشياء
ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق
الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربع
الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها
وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق
لها اظفارا واسند اليها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع
فتأخذها برؤس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن
فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليه حتى يدخل الطعام فيه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى
كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعها فتحتاج الى طاحونة
تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها
الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة
طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم

الفك

الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخرى مثل تصفيق
اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع
الله جل جلاله فان كل رحى بناه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحى الذي بناه الله تعالى اذ
يدور فيه الاسفل دون الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء
الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف تتصرف باليد في داخل الفم فانظر
كيف انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة
كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك
طحنت الطعام وقطعته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان تزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى
تحت اللسان عينا يفيض اللعاب وينصب منها بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام وانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك
ترى الطعام من بعيد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام
المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام
فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى
ينقلب الطعام بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا
يصلح لان يصير لحما ودما وعظما على هذه الهيئة بل لا بد وان يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة
على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة
التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدامها الترائب ومن خلفها لحم
الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ
في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى
بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من
طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزائها فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر
في اجزائها حتى تستولي عليها قوة الكبد فتصبغها بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة
الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان
كما يتولد في جميع ما يطبخ احديهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهو
الصفراء ولو لم تفصل عنهما الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما
عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى
الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيها من المائية ولولاها لما انتشرت في تلك العروق الشعرية
ولا خرجت منها صاعدة الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن
عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما لم يدخل في تجويف الكبد بل اتصلت بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى
تجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو جذبت قبل ذلك لغلظ ولم تخرج من العروق
فاذا انفصلت منها المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلث نقيا من كل ما يفسد الغذاء وقد اطلع
الله تعالى من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من
الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المقسمة
شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا يدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو
حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حل بالطحال
آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق الاسود والجذام والماليخوليا وغيره

وان لم يندفع المائية نحو الكلى حدث الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء ليحصل بها في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع تحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وتنزلق ويكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيها حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرت كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى ساير البدن وبواسطتها تصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى ساير البدن وبواسطتها تصل الحس وكيفية انشعاب العروق من الكبد الى ساير البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور آخر سواه بل في الآدمي آلات من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شي منها الا وفيها حكمة او اثنتان او ثلث او اربع الى عشرة وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك ولو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى ولا تقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فيقمص ويمرح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر الله تعالى وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما تحتاج اليها من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببها بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحيوة الظاهرة في ساير اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا يقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تتشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصفة او بتطفية انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقتها انوارها التي كانت تستفيد من الروح وهو انوار الاحساسات والقدر والارادات وساير ما يجمعها معنى لفظ الحيوة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعمة الله تعالى وعجايب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر

قبل

قبل ان تنفد كلمات ربي فتعسا لمن كفر بالله وتعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة من الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفتها ووجودها وكيفية سريانها في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء بها حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواضع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى ساير الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها ساير البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم يصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شي من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدة العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه فانى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة فظن انه راى الملك ولا شك في ان خطاه فاحش وهذا الخطا افحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله ان يتحدث به بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل

الطرف الرابع

في نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة البر ولندع ساير الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى الطعام مخصوص بدليل انك لو تركته في البيت لم يزد لانه ليس يحيط به الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائه ولو تركته في الماء لم يزد ولو تركته في ارض لا ماء فيها لم يزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤه بالارض

فيصير طيناً واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم
لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركه في ارض
رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليه ثم الهواء لا يتحرك اليه بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف
على الارض حتى ينفذ فيه واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحه في ايقاع الازدواج بين
الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شاتي فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف
فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة
الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما
يكون مرتفعة المياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها ليسوقها باذنه الى اقطار العالم
وهي سحاب ثقال حوامل الماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الخريف والربيع على حسب الحاجة وانظر
كيف خلق الجبال حافظة للماء تنفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم
الله تعالى في الجبال والسحاب والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل من الماء والارض وكلاهما
باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد
عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم الاشجار
اذا ارتفعت عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى ما ينضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته
الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت
الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد
اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك في الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام
فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر
لنوع فائدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن
كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم
كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول
ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة
مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها
فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق
المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان
علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا
فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل
هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد
تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار
عليه لحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان فقال ضربتني الشمس في الطريق فاسود وجهي
لم يلزم تكذيبه وقس بهذا ساير الآثار الا ان الآثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة فالمجهولة لا يجوز دعوى العلم فيها
والمعلومة بعضها معلومة للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام بشروق
القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء
وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح

خلقها صح

بها

بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب
وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والآفاق والانفس
والحيوانات والنبات عجايب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه
ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه حبا له فكذلك الامر في عجايب صنع الله تعالى فان العالم كلها من تصنيفه
بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف
بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعبذ يرقص
ويتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعبذ المحرك
لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب
ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملايكة سماوية يحركونها وكذلك
تتمادى الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات

الطرف الخامس

في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد
في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد بعد عنهم
الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انه
لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بها السفن او تنهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فيا
خذها
السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم
حتى يقاسوا الشدايد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع
الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق
خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة
الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة
على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة
وساير الحوائج وتامل ما تحتاج اليها الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى
جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر تركها طلبا للايجاز

الطرف السادس

في اصلاح الاطعمة اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات
لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهي كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء
البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف
الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض
والثور الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش
ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد
الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في
اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس
وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت
علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليها اكثر من الف صانع فابتدا من الملك
الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر اعمال الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه
قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة عمل الانسان
في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة

تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابرى خمسة وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد
وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله تعالى عبده
الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان
ينطبق احدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا
وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد
منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا من غيرها فسبحان من
الجم ذوي الابصار بالعيان فسبحان من منع اللبس مع هذا البيان وانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد
او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب
عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه
الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

الطرف السابع في اصلاح المصلحين

اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش
لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف
الف الله بين قلوبهم والانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف وتعارف
الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات
وساير اصناف البقاع مما يطول احصاؤها ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة
الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وامدهم
بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق
اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا
الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار
الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وساير اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحارث والحارث
بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه
كما تتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا
وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة
واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه في اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء
بالملائكة وكيف اصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى
فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراث والنجار يصلح
آلات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناعين والانبياء يصلحون
العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي
هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب
ولولا فضل الله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة
من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا عن ان نطمع بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء
ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان
سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع
القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا
النداء قبل انقضاء الاعمار

الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة

ليس يخفى عليك
ما

كما سبق من نعمه في الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر
بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش
فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما جاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرها
اعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل به سبع من الملائكة هو اقله الى
عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير
دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة
واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير
طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا
بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليهم نعمه ظاهرة
وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمته الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء
لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه
صورة اللحم والعظم والعرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب
صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق
بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد
قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته
فينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما
يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما عظم بعض المواضع وضعف بعض المواضع
بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والقسط فساق الى راس الصبي وساير بدنه من الغذاء ما ينمو به الا الى
احدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل
واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظن
ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة
الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي اليقظة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم
وذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل
ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهها الا الله ومدد
الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن المتفرد
بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارضين مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار
الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب
ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد بها فان قلت فهلا فوضت هذه
الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يميز عنه النخالة
ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعها كرات مدورة خامسا
ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد
ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة
الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد
واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة
كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان

الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم
اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول
عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل
ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة
بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل
والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور
ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك
لك فانه مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى
بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه به من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له
بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يفعلون فاذا هذه نعمة الله تعالى عليك في الملائكة
الارضية والسماوية وحاجتك اليها في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لا نطول
بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات
فاذن قد اسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه
الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو شكر النعم الباطنة وترك الاثم الظاهر
بالجوارح شكر للنعم الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر
فقد كفر كل نعمة الله تعالى عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات
والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره ايضا به فان لله تعالى
في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض
الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض
يفرق الضوء والسواد يجمع ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا
للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك الاهداب
نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تشتبك الاهداب
فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل
ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة او مرتين
وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدان
فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد
على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله
تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين
الا بالراس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس
والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض
ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق
فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان
تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون
العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على ما في الملك والملكوت
وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة الحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه

واوحى

واوحى الله تعالى الى ايوب ما من عبد لي من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما
على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو مرتبة عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم
والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل تطريفة نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض
نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب
ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة
وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الف الف نعمة وفي كل جزء من اجزاء بدنك
بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها
وان طامنت راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر
عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم
على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق
عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد
معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان
يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريد بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين
الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا
يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق
مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح
الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة وانقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء
ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليه وهذا
غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال
اولى بان تشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به
وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل في جميع الاحوال فلم يعده الجاهل نعمة وهذا
الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام
غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون
جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال ايسرك انك
اعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال ايسرك انك اقطع
اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا فقال اما تستحي
ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى
في المنام كان قائلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود
قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة الف وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل
ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع
اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا
تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك
الارض كلها وان كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة

فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو انعم النظر في احواله رأى من الله تعالى نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض من الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقلما يسال الله العقل فان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمه من حيث انه يقدر نفسه بريا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو متفرد به ولو كشف الغطا حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله تعالى فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او سائر محابه امورا لو سلبها عنه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض به بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حاله بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله تعالى عليه نعمة ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله تعالى وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بالله تعالى فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال من آتاه الله القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى اي عبدا اغنيته عن ثلثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال

اذا ما القوت ياتي لك والصحة والامن … واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن

بل ارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى في هذه الثلث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في

للامان

الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا تنافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا ملذها بمولمها وفرحها بغمها هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغبي حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا وقعة ارباب الدنيا في شبكات الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقول المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع القصود عنها وتالم المعرض يفضي الى لذة في الآخرة وتالم المقبل يفضي الى الآلام في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة وان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله تعالى فعساها تشكر فاقول اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله تعالى العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها او شعر بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل كما كان يفعله بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود وكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع بلاء الله تعالى عليه ثم يتامل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ومشاهدة الجناة الذين يقتلون ويقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى فليتدارك واما من اطاع فليزيد في طاعته فان يوم القيمة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكونوا في الدنيا وقد بقي لهم من العمر ما بقي فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله تعالى في بقية العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس فاذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذه علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع ابن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق تاكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعني لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة عن الشكران يعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا تمام هذا الركن

الركن الثالث فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالآخر بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذن وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عنه والصبر

يستدعي الغم والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من ان لله تعالى في كل ما اوجده نعمة على عباده
فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان
ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة في كل وجه اما في الاخرة فكسعادة العبد
بالنزول في جوار الله تعالى واما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه
كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الاخرة فالبعد من
الله تعالى اما مدة واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر
والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق
في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي
نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية او غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه
عاص فعليه تركه بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم
المه فلا يؤمر بالصبر بل بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق
بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك
الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز
ان تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حالة فرب عبد يكون
الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده الدنيا
وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى
الايمان وحسن الخلق فانها يتصور ان يكون بلاء في حق بعض الناس فيكون اضدادها اذن نعمة في حقهم اذ قد سبق ان
المعرفة كمال ونعمة فانه صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد من بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة
مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله
بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه وحقده وحسده
واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه وآذاه وكان ذلك
وبالا عليه في الدنيا والاخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى
وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف وآذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس من آذى نبيا او وليا وهو يعرف
كمن آذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى امر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه
بعض الكبائر وكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل
فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل واحد ولا يستثنى عنه بالظن
الا الالام التي خلقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتألم وان لم يكن نعمة في حقك كالالام الحاصلة
في المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه لبشرته فانه يتألم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهي ايضا نعمة ولكن في حق
غيرهم من العباد لا في حقهم لمصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة
لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم به ففرح اهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في الام اهل النار اما ترى
اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليه من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر
الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها
ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة
اما على جميع عباده او على بعضهم فاذن في خلق البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذن كل حالة لا توصف

بانها

بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان
فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد يغتم به من وجه ويفرح به من
وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور
ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكبر منها اذ مقدورات الله
تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزاده ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذ لم يكن اعظم منها في الدنيا الثانية
انه كان يمكن ان يكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي فاخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل
الشيطان قلبك فافسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى صلى الله عليه وسلم في دعائه اذ قال اللهم
لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى فيها علي اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن
اعظم واذ لم احرم الرضا بها واذ ارجو الثواب عليها وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه
فقال له اشكر الله تعالى فضرب فقال اشكر الله فجيء بمجوسي مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة
على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله تعالى فكان يحتاج المجوسي ان يقوم مرات وهو محتاج ان يقوم معه ويقف
حتى يقضي حاجته فكتب اليه ذلك فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل
الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذا ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه
ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على
عشرة فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست من رماد فسجد لله سجدة الشكر فقيل
ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء
فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف افرح وارى جماعة
ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ما هو اكثر
وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال الله عز وجل انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي
فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر
والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان
غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله عليه وهذا هو الوجه
الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان يؤخر الى الاخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب
اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب
التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال صلى الله عليه
وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فيصيبه شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابعة ان هذه
المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ و
استراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامسة ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى
الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب
نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم وكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب
والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء فقد يكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو
اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى
فما من شيء من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى
ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على
البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة

ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله تعالى وعنايته بعباده اتم واوفر من عنايته الآباء بالاولاد فقد
روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنا فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله
عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان
خيرا له وان قضى له بالضراء وكان خيرا له الوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب
النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب
الى الدنيا وانسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب
انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكان نجاته منها غاية اللذة كالخلاص
من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض
عن الله تعالى ولم يرد الا الحيوة الدنيا فرضي بها واطمان اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين
الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد
المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذه الجهة فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك
يضاهي فرحك عند الحجامة ممن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر
على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المآل
بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء
عليه لانه يورث له الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه
ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل والناس داخلوها من باب الرحم وخارجون عنها الى
باب اللحد فكل ما حقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه
ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يومن
بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابيه
فقال اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس
فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد
من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا
او انشر له ديوانا وقال ما من عبد اصيبت بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز من قائل من
سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في الجنة والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم
جسمي فقال النبي عليه السلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه
صبره وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله حتى يبتلى ببلاء في جسمه
فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردا له في ظل الكعبة
فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله الا تستنصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل
فيحفر له في الارض حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه
قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا من اجلال
الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب
وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلث الفقر والمرض والموت وعن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا

الحاجة الى م

فان دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسألني
شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيء باهل
الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا
ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض
اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس قال شكا نبي من الانبياء الى ربه تعالى فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك
ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء والعبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه
البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تبارك وتعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه
من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه حسناته ويكون الكافر
له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه حسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي
انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الاية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن فهذا
ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا رايتم الرجل يعطيه الله تعالى ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا
من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن البصري ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها
فجعل الرجل يلتفت اليها وهي تمشي فصدمه حائط فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم
بارجى اية في كتاب الله تعالى قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير
فالمصائب في الدنيا بحسب الاوزار فاذا عاقبه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم
من ان يعذبه يوم القيمة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله تعالى
من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرتان احب الى الله تعالى من قطرة دم اهريقت
في سبيل الله تعالى وقطرة دمع في جوف الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله تعالى وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى
من الخطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال توفي ابن لسليمن بن داود عليهما
السلم فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه بزي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر
به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال
سليمن عليه السلم ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل
الآخرة فتاب سليمن عليه السلم الى ربه تعالى ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال
يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحبه احب الي من ان يكون ما احب
وعن ابن عباس انه نعي له ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفاها الله تعالى واجر قد
ساقه الله تعالى ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى حيث قال واستعينوا بالصبر والصلوة الاية
وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي تعزية فقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام
فقال ابن المبارك اكتبوا عنه وقال بعض العلماء ان الله تعالى ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على
الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير
وقال حاتم الاصم ان الله تعالى يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان

بكسب الاوزار

وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله عليهم وروي ان زكريا لما هرب من الكفار
واختفى في الشجرة فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة بالمنشار فلما بلغ المنشار راس زكريا ان منه فاوحى الله تعالى اليه
يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلم على الصبر حتى قطع شطرين وقال
ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وقال لقمن لابنه
يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله تعالى قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا
ومن سخط فعليه السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من
وجع الضرس حتى قلتها ثلثا فقال اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلثين سنة ما علم بها احد
واوحى الله تعالى الى عزير اذا نزلت بك البلاء فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملايكتي اذا صعدت مساويك وفضايحك

بيان فضل النعمة على البلاء

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا
من النعم فهل لنا ان نسال الله تعالى البلاء فاقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يستعيذ في دعايه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيره وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسالك
الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله البلاء فسله العافية وروى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن
مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر
فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقد
قال صلى الله عليه وسلم في دعايه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا
لان البلايا صارت نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هي اكبر منها اما في الدنيا او في الدين والآخر بالاضافة
الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسال الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه ويساله الثواب في الآخرة على
الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون
جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيف
ما شئت فاختبرني فهذا من سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر
وكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان لان
يكون هو في النار دون ساير الخلق فغير ممكن ولكن قد يغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه محب لمثل ذلك فمن
شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه
من هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة
كانت يراودها زوجها فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمن عليه السلم ظهرا لبطن لفعلته
لاجلك فسمعه سليمن عليه السلم فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال
وقول الشاعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد هو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا
اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما
ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة
الى الرضا والرضا وسيلة الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما
في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط
ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه يزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهيته فعند ذلك يتصور ان
يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضا الله تعالى عنهم اكثر
من

من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهولاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه
حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها
حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق
ان العافية خير من البلاء نسال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة

بيان ان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون
الشكر افضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف باختلاف الاحوال فاستدل
كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى
فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا تطلب
بالتفتيش حقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقايق الغامضة
وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظير
المشفقة لا ينبغي ان تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوة بل باللبن وعليها ان تؤخر عنه
اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام
في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر
فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضايل الصبر اكثر بل فيها
الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل
الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا
هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر
عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله
الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة
الشكر فالحقه بالصبر وكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاقه للشكر به مبالغة
في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج الفقراء وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله صلى الله عليه
وسلم شارب الخمر كعابد الوثن واذا المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر
نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما
نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل على ان العمل
يساوي العلم وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمن بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف
لغناه وفي لفظ آخر يدخل سليمن بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة مصراعان الا باب
الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلم وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل
على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقراء والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ
اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام الثاني هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار
بحقايق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم
يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة مع الجملة بل يجب ان
يفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان
والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلثة امور علوم واحوال واعمال والشكر
والصبر وساير المقامات هي كذلك وهذه الثلثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر
ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الافضل واما ارباب البصاير فالامر عندهم بالعكس

من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل ما يراد لغيره
فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه الثلثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها
الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي
ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون علوم المكاشفة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم
بالمعاملة على العابد اذا كان يعلم ما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل
من العمل القاصر فنقول فايدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفايدة اصلاح حال القلب ان ينكشف
له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وارفع علوم المكاشفة معرفة الله تعالى وهي الغاية التي تطلب
لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها
في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها ولا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها
فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كانت تتفاوت بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان
بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة واما بوسايط كثيرة فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله تعالى
اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل القلب حتى
اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق تعالى فاذن فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده
لان يصلح له علوم المكاشفة كما ان تصقيل المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها اقرب الى الصقالة من
بعض فكذلك لاحوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب الى
المقصود وهكذا ترتب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفات القلب هي افضل مما دونها وجلب الاحوال اليها وكل عمل
فاما ان يجلب اليها حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليها حالة مهيئة
للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علايقها عن الدنيا واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث
التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعة في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات
تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلوة النافلة افضل من كل
عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال
وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليال وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبه
شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما
هذا المدبر اذ لم يكن حاله هذه الاحوال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله
بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا اشتغل بدواء الصداع فلا ينفع به
حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام الف ليلة
منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه
فاذن باعتبار هذه الاحوال تختلف الاعمال وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطا ولو قال قايل
الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب الا ان الخبز للجايع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فينظر الى الاغلب فان
كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر
لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين
يراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذن في بذل المال عمل هو الانفاق وحصل به حال هو زوال
البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتهيؤ القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله تعالى وحبه
فالافضل المعرفة ودونها الحالة ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى
طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل في

لانفاق

الانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء يراد لعينه او على انه افضل من
الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه
من لا مرآة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد
مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود
زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه ولنضرب مثالا اقرب من هذا فنقول
من له ولد علمه العلم والقرآن واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار
والدراسة ليبقى له محفوظا فقال انه محفوظ ولا حاجة بي اليه لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك
ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك الجميل ليتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعلم فربما يظن
الصبي المسكين ان المقصود تعلم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالي
قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه
دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي بفقد هؤلاء العبيد فضلا من عدم علمهم بالقرآن فربما يكسل
هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما
من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخداع والمثال طايفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن
عبادتنا وغني عن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام
المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء
الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك
بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين او
لاجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك
الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه
وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره
الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل في هذا الطريق فاذا المسكين الآخذ للمال كالمستوفي بواسطة
المال لخبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة
المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له
غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبايث الصفات امتنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس
وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرة في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب
بحسب تاثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع
اليه في معرفة فضايل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول
في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الآخر بل يقابل كل
واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل فمهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر
ربما رجعتا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله
وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا ان اعتبر في البلاء والمصيبات وقد بينا ان الصبر قد يكون
على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان
الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في

مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فاثبات باعث الدين في مقاومة باعث
الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه
الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل
الشيء على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلثة الطاعة والمعصية والبلايا فقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية
اما البلاء فهو عبارة عن فقد النعمة اما ضروري كالعينين مثلا واما يقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية
من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله ولا يترخص بسبب العمى في بعض
المعاصي وشكر البصير عليه من حيث العمل امران احدهما ان لا يستعين بهما على المعصية والآخر ان يستعملهما في
الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا
وقعت عينه على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك
اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرهما بالنظر الى عجايب صنع الله تعالى
ليتوصل به الى معرفة الله تعالى فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكان رتبة شعيب عليه السلم مثلا
وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلم وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلم لم يصبر ولكان
الكمال في ان يسلب الاطراف كلها ويترك الانسان كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه
الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكره استعماله فيما هو آلة فيه من الدين وذلك لا يكون
الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يوت الا قدر الضرورة وكان
محتاج اليه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرفها الى الخيرات وان لا يستعمل
في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة
الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل
من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان
شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل
من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد
نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع
شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة
التي يصدر عنها صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي
يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان
فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الاخبار
والآيات انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق
الى الافهام من الشكر ان يقول الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذن الصبر
افضل من الشكر اي الصبر الذي يفهمه العامة افضل من الشكر الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار
الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم
وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها ويلذها
والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما
كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر
والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه ولم نورد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال
الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فلحقه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف ماله وزوال

نعمة وصح

ولم

عقله

عقله اربع عشرة سنة وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما
لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني
شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك
لنفسه من ماله الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين
وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرفه اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه او صيت ولا لتقلد منة بل اداء حق
الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه
الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر وان كان متألما بفراق المال فبمجرد ذلك
ملتذ بالقدرة على الانفاق فاعلم ان الغني براه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه
وهو بخيل به وانما يقطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس
ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبه وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب اكمل من الكلب المحتاج الى
الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية
بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التأديب عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما
اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول بان
الذي يولم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذن اذا كتب لا تفصل الجواب
وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما
اذا اردت التحقيق فتفصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة وورآءها الرضا وهو
مقام وراء الصبر وورآءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح
والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل في جملتها ادونها
فان حياء العبد من تتابع نعم الله شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة
بعظم حلم الله وكنه ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر
ايضا نعمة من نعم الله تعالى وهو هبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر
اذ قال عليه السلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض
وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال
والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما
على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص بلفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار وقد روي عن بعضهم انه قال
رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري
اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي نحيي هذه الليلة
شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل
ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز
كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ان لم يجمع الله بينهما او انتسب صبر الفرقة الى شكر الوصال
على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذن لا وقوف على حقايق المفضلات الا بتفصيل كما سبق

والله اعلم بالصواب تم كتاب الصبر والشكر
بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين
والصلوة على خير خلقه محمد وآله اجمعين

كتاب الخوف والرجاء

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وصرف بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لنقمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا للاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته **اما بعد**

فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف **اما الشطر الاول** فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وفضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء

بيان حقيقة الرجاء

اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريع الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء والرجاء ايضا يتم بعلم وحال وعمل العلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسما للحال من جملة الثلث وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليه والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سياق المياه اليه في اوقاته ثم طهره عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة

الى

الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية فانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الشرع والايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الله سبحانه فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد بالطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تعالى تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه ان اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجون رحمة الله ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهدها بسقي ولا تطهير قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر فيه لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهده والرجاء محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سياتي بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان من مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شي منه

سارعت اليه وايقنت ثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى
هياك لها ثم لا يبالي في اي شي من اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ادعى ان يكون مرادا
بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجا والترغيب فيه

اعلم ان
العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ملكين يخدم
احدهما خوفا من عقابه والاخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما وقت الموت قال الله تعالى
لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب ان الله اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك
اخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون لم خفت الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي
له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله وقال قال الله تعالى انا عند
ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي
وارجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وقال علي رضي الله
عنه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله تعالى اعظم من ذنوبك وقال سفين من
اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله تعالى عير قوما فقال وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم الآية وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان آتاه الله تعالى حجته قال يا رب رجوتك
لقنه
وخفت الناس قال الله تعالى فقد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس ويسامح ويتجاوز عن المعسر
فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجايه ان يعفو عنه مع افلاسه
عن الطاعات قال عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون
تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات
تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلم فقال ان ربك تعالى يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم
وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلم احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب
كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل
وراى ابان بن عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقيل له ما فعل الله بك قال اوقفني الله بين يديه فقال ما الذي
حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك وراى يحيى بن اكثم في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا
حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال تعالى صدق نبي صدق انس صدق الزهري
صدق معمر صدق عبد الرزاق وصدقت فقال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر
ان رجلا من بني اسرايل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى يوم القيامة اليوم اويسك من رحمتي
كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا ينادي الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله
لجبريل عليه السلم اذهب فاتني بعبدي قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فقال
شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورايه فيقول الله تعالى الى اي شي تلتفت فيقول لقد رجوت
الا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله اذهبوا به الى الجنة دل به على ان رجاءه كان سبب نجاته

بيان دواء الرجا والسبب الذي يحصل حال الرجاء ويغلب

اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد
رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه
واهله وهذان رجلان مايلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال

فاما

فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجا تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل
منزلة العسل الذي هو شفا لمن غلبت عليه البرودة وهو سم مهلك لمن غلبته الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية
الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها
لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط
الى احد الطرفين عالج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق
اسباب الرجا بل المبالغة في التخويف ايضا يكاد لا يردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم
ويردهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب
واستنطاق الخلق للثناء كيف ما كانوا مالوا الى الارجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا
قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يومنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا
ليستعمل في حق الآيس او فيمن غلبه الخوف اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله فانهما مشتملان على الخوف والرجا
جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفا في حق اصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال
الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شي من الادوية صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء يغلب
بشيين احدهما الاعتبار والاخر استقراء الآيات والاخبار والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف
النعم في كتاب الشكر حتى اذا علم لطايف نعم الله لعباده في الدنيا وعجايب حكمه التي رعاها في فطرة الانسان حتى اعد له
في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له كاستقواس
الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت
به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقايق حتى لم ترض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا
في الزينة والحاجة كيف ترضى بسياقتهم الى الهلاك المويد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب
السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس
كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة
هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليها الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب
ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تومل
حق التامل قوي به اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد
بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيه من الرجا فقال الدنيا كلها
قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول آية ليهدي عبده الى طريق
الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه

الفن الثاني

استقراء الآيات والاخبار
فما ورد في الرجا خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم
وقال تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها
لاعدايه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقال ان النبي عليه السلم لم يزل يسال في امته حتى قيل
له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار كان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون
ارجى آية في كتاب الله تعالى قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونحن اهل البيت نقول

أرجى آية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى **وأما الأخبار** فقد روى أبو موسى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتي مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها
في الدنيا بالزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل هذا
فداؤك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي
وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أن الله تعالى أوحى إلى نبيه إني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا
يا رب أنت خير لهم مني فقال إذن لا أخزيك فيهم وروي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه
في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم إلي لئلا يطلع على مساويهم غيري فأوحى الله تعالى إليه هم أمتك
وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا ينظر في مساويهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع الشرائع وأما موتي فإن أعمالكم
تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله
كما رأيت صح
عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل أتدري ما تفسير يا كريم العفو هو أن عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها
حسنات بكرمه وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام
النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلماء قد أتم نعمته علينا برضاه الإسلام لنا إذ قال وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الإسلام دينا وفي الخبر إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم
أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له وفي الخبر لو أذنب العبد حتى يبلغ ذنوبه
عنان السماء غفرتها ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة
وفي الحديث أن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة
وفي لفظ آخر فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي
من حسناته واحدة في تضعيف العشر وأرفع تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى أنس في حديث أنه
عليه الصلوة والسلم قال إذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه قال الأعرابي فإن تاب قال محي عنه قال
فإن عاد قال عليه السلم يكتب عليه قال الأعرابي فإن تاب قال محي عن صحيفته قال إلى متى قال إلى أن يستغفر
ويتوب إلى الله تعالى إن الله تعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فإذا هم العبد بحسنة كتبها
صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها عز وجل إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بخطيئة
لم تكتب عليه فإن عملها كتب خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله تعالى وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد ولا أصلي الخمس لا أزيد عليه وليس لله في مالي صدقة ولا حج
الا م
ولا تطوع أين أنا إذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي إذا حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد
ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنين النظر إلى ما حرم الله تعالى وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة
على راحتي هاتين وفي حديث طويل لأنس أن الأعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى
قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا أعرابي فقال إن الكريم إذا قدر عفا
وإذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا ولا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين
ثم قال فقه الأعرابي وفيه أيضا إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ما بلغ جرم
من استخف بولي من أولياء الله تعالى قال الأعرابي ومن أولياء الله قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى
أما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور وفي بعض الأخبار المؤمن أفضل
من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته
سوطا

سوطا يسوق الله تعالى به عباده إلى الجنة وفي خبر آخر يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليربحوا
علي ولم أخلقهم لأربح عليهم وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
خلق الله شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور أن الله تعالى كتب
على نفسه قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله
عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا إله إلا الله
لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن
ذرة من إيمان وفي خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما أيس من جنته أحد ولما تلا صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال أتدرون أي يوم هذا يوم يقال
لآدم عليه السلم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقال كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين
إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن الأشغال والعمل
فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا
بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى إنما
أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق
الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن
حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول
ولكن ذكر في الأول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر فعلى الواعظ
أن يقتدي بسيد الوعاظ فليتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل
الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى
خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون ليغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم و
في الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيمة
مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن تصيبه وفي الخبر إن لله تعالى مائة
رحمة ادخر عنده منها تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة
إلى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها
على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرضين قال فلا يهلك على الله تعالى إلا هالك وفي الخبر
ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وقال
اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله وقال إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي
أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال بعثت بالحنيفية السهلة وقال أحب أن
يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم لا تحمل علينا إصرا
الآية وقوله ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي أنه قال لما نزل
قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه
فقال يا جبريل وما الصفح الجميل قال إذا عفوت عمن ظلمك فالله تعالى أكرم من أن يعاتب
من عفا عنه فبكى جبريل عليه السلم وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل وقال
إن ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والأخبار الواردة في
أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى **وأما الآثار** فقد قال علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا

يستره الله تعالى في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى
اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله
ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه
وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فيرفع يديه يدعو فيقول يا رب حجبت
الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدي
عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابرهيم بن ادهم خلا لي
الطواف ليلة وكانت مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك
ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابرهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم
فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب
وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى
متى تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيمة ما تخرق له كساءك
هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات
اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي عز وجل
فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم
ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه
وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان
يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك
قال فيقول الله تعالى يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد
وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان
يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلم وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين
فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه ولو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان
يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد واحس به
الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى عليه السلم فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه
قال فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم قل لهما ليستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري
فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص
اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه
حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله تعالى لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى
علي في عبادي اني قد غفرت له وقريب منه ما روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين
ويلعنهم في صلوته فنزل ليقطع طرفا من الذين كفروا الى قوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم فترك الدعاء عليهم وهدى
الله تعالى عامتهم الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فاذا ادخلا
الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في
عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت
كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منه على الخائف فكم من فرق
في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله

فا

فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك
ابن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون
من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد
رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا
بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا
استضاف ابرهيم الخليل عليه السلم فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابرهيم
عليه السلم يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك
فمر ابرهيم خلف المجوسي واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني
ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان
يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا وراى بعضهم ابا سهل
الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال يا استاذ بم نلت هذا قال بحسن ظني بربي حسن
ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار
سبحانه يقول اين العلماء فجاؤوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا
قال فاعاد السؤال كانه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت
ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل كان رجل شريب
جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب
مجلس منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيئا ويقول من دفع اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال
فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه
فدعا منصور وقال الاخرى قال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يتوب الله على
سيدي فدعا فقال الاخرى ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور ورجع الغلام فقال
سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت
حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم قال لك اربعة آلاف درهم قال وايش الثالث قال
ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر
قال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك ترى
اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب
ابن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى
المقبرة وصلينا عليها ودفناها فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت
نعم ولكن صغروا امره فقلت وايش كان هذا فقالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها
دراهم وحنطة وثيابا فبت تلك الليلة فاتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكر
لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابرهيم الاطروش
كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون
فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم
في الآخرة فقالوا انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم وكان بعض الصالحين من السلف يقول
في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك
انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجتلب

نها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر النفوس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيمون الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين

الشطر الثاني

من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما مانعان يمنعان النفس عن الخروج الى رعونتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العباد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة اذا اشتغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهو سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذا الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف العذاب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم لخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلكه فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره وهذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه

وهكذا كان جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف عن المحظورات ورعا وان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن تحريمه ايضا ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به البأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول للانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت انه صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف فلا ينبغي ان يظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معاني كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارات الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة عنه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكلما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية لا يؤلمها ايلاما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضته وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلماء بالله وبايامه وبافعاله وذلك مما عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج

الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله من الدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وساير الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحيوة مع صحة البدن وسلامة العقل وكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك لسبيل الله تعالى بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او ولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين والصديقين فاذا الخوف ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل او الصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره المعاصي لادائها الى مكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خايف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة او خوف ان يكله الله تعالى الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله تعالى او خوف البطر بكثرة نعم الله تعالى عليه او خوف الاشتغال عن الله تعالى بغير الله تعالى او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله تعالى ما لم يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله تعالى على سريرته في حالة غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهي سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب والخايف من الخاتمة بالاضافة الى الخايف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما توقيعا يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى

القضا

القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله تعالى كتب فيه اهل الجنة باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله تعالى كتب فيه اهل النار باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاء حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاء بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم وهذا كانقسام الخايفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة فلذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الآخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله عز وجل خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله تعالى حق المعرفة لخاف الله تعالى ولم يخف معصيته ولولا انه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها وسهل له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذلك المطيع فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم رفع الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابو جهل في اسفل السافلين من غير جناية منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة وكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي كما يشاء ويحكم كما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه تعالى في صفاته الا بالامثال لولا اذن الشرع لم يتجاسر على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري هذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقفك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين في ان يتمثل في انفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها وانكالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف احوال الخايفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب من الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه ويتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله تعالى

لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة
البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها
غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له
فالى هذه الاقسام ترجع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشي
بقدر اعانته في الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب
منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الاخرة الا بتحصيل محبته
والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة
على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع
الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشي كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات
ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة
وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف
خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات
اهل الجنان قال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم
بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف
لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة
الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك
لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن
ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى
مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين
والعاقبة للمتقين والصلوة على محمد واله اجمعين وقد خص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم
ولذلك وصى الله تعالى الاولين والاخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مومن عن خوف
وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى
اذا جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم فاذا هم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس
اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم
نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان
فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلوا الجنة بغير حساب
وقال صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله تعالى وقال عليه السلام لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر
من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله
يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا وتلحقه حسنتان
خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه السلام انه تعالى يقول واما الورعون فانه لا يبقى احد
الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا المتقين فاني استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى
اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلت منها عن الخوف لم تسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل

الذكر

الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا
اخفته يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الله خافه كل شي ومن خاف غير الله خاف
من كل شي وقال عليه السلام اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ
مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه
وصح له لبه وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسين الضرير
يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن
معاذ من امن الخلق غدا قال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف
نصنع بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط اقواما يخوفونك حتى يدركك امن خير من ان تصحب قوما
يومنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها
قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا
يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله تعالى وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشي ثناء لضده
الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة
الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان
يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه فلا يكون انتظاره رجاء فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما
عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته
عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز
عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران متقابلان لا محالة و
اذا كان الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما
على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال
الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء وقال تعالى
لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القران الرجاء بمعنى الخوف لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشي بما يلازمه بل
اقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله تعالى فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال
تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كانت مثل راس الذباب
من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله تعالى على النار وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المومن
من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من
خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك و
ليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل الجنة احد من امتك بلا
حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال عليه السلام ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او
قطرة دم اهريقت في سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع
قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا
ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع
فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تمس موضعا مسته الدموع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع

تستبقان

صوته ويصلي حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة
يوم القيامة فإن سالت دموعه أطفأ بأول قطرة منها بحاراً من النيران ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة وقال
أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء الطرب والسوق وقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله
تعالى حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر لأن أدمع دمعة من
خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا
موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث
الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت
حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادي نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال
كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا لم
ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت
إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصافحتكم
الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة فإذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع و
فضل العلم ومذمة الأمن فهو دال على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب وإما تعلق المسبب

بيان أن الأفضل غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليهما فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما وقول القائل
الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان
فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله
يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فإن كان
الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله
فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل وجوز أن يقال مطلقاً الخوف أفضل على التأويل الذي
يقال الخبز أفضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر
فهو أفضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاغترار على الخلق أغلب فإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل
لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت
المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجها المحبة ممازجتها
للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء
وذلك لأجل غلبة المعاصي فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل رجاؤه وخوفه ولذلك
لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وروي أن علياً رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفاً ترى أنك إن أتيته بحسنات
أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك وقال عمر رضي الله عنه لو نودي
ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل
وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر ينبغي أن يساوي
خوفه رجاءه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثني من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلاً على اغتراره فإن قلت
مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن يكون
بحسب قوة أسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على تعهدها وجاء بجميع
شروطها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فهكذا ينبغي أن يكون أحوال المتقين فاعلم أن من يأخذ
المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله وذلك وإن أوردناه مثالاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم

الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وطهارتها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وإنما
مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وفي بلاد ليس يدرى أيكثر الصواعق
بها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه موجوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسألتنا الإيمان
وشروط صحته دقيقة والأرض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الأخلاق
فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك
مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات
الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لا يجرب ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب
فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي في أحوال
الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاؤه
فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً
إذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك
الخفي وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيسه حاله عليه وإخفاء عيبه منه وإن وثق به فمن
أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين
سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر وفي رواية إلا فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وفواق
الناقة لا يحتمل عملاً بالجوارح إنما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فإذن أقصى
غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه وأما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله
تعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وقال يدعوننا رغباً ورهباً وأين مثل عمر
رضي الله عنه فالخلق الموجودون كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة
فيكون ذلك سبباً للتكاسل عن العمل وداعياً إلى الانهماك في المعاصي فإن ذلك قنوط وليس بخوف إنما الخوف هو الذي
يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف
المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ
من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبد الله بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبد بالخوف والرجاء
استقام في محجة الادكار وقال مكحول النسفي من عبد الله بالعبد فهو حروري ومن عبد بالرجاء فهو مرجي
ومن عبد بالمحبة فهو زنديق ومن عبد بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فإذن لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة
الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف جار
مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف فإن
ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه ولا ينبغي أن
يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والرجاء تقارنه
المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فإن المصير
إليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما
كان الغالب عند الموت على القلب حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب فهذا رجل محابه كلها
في الدنيا فالدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه
ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فأما إذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها
شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذاً سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترسال إلى محابه فموته قدوم على محبوبه
وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا

عقيب موته من الثواب والعقاب تفضلاً عما أعد لعباد الله الصالحين مما لم تر عين ولا خطر على قلب بشر وفضلاً عما أعد للذين
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله
تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا بإخراج
حب غيره عن القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالأولى أن ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه
وسلم إذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد والغرض أن غلبة
الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا من القلب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن
بي ما شاء ولما حضر سليمن التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به
وكذلك لما حضر الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الأخبار
التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن
حببني إلى عبادي فقال بماذا فقال بأن تذكرهم آلائي ونعمائي فإذاً غاية السعادة أن يموت العبد محباً لله تعالى وإنما تحصل المحبة
بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمن الداراني في المنام
وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقالوا إنه مات البارحة ٥

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف
في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان
بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على
الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا
بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات
ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله عز وجل والفكر فيه على الدوام ويؤدي
دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات
فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه
المجاهدة والتجرد لله تعالى باطناً وظاهراً ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة
إلا المحبة والأنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فإذن فيما ذكرناه في علاج الصبر
كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان
في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه و
هو عاقل خاف من الحية وهرب منه فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه
الخوف ووافقه في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه
وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه
فيعلم أن السبع مخوف ولا يدري وجهه فإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف
من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة
والخوف والحذر والمطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته فأما الأول فهو خوف عموم
الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف
الإيمان وإنما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال القيامة وأصناف العذاب في الآخرة ويزيد أيضاً
بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأعلى
أن يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف البعد والحجاب منه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق

كقطر

كقطرة قطرت في لجة وهذه خشية العلماء قال إنما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين حظ من هذه الخشية ولكن
هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليداً لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى
إن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به فيجترئ على أخذها تقليداً له كما احترز من أخذها تقليداً لأبيه
والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها
في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فإذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة
فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعاً في مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه
بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب
الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه
يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته
ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب
إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي
شاء أم أبى فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعاً بالضرورة فإن كان أبعده لأنه
عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى تتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة
العبد بل قضي عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال حج آدم موسى وقال خلقك الله تعالى
في الجنة ونهاك عن الشجرة وفعل بك كيت وكيت فأكلت الشجرة وأخرجت نفسك وذريتك من الجنة فقال آدم وهل كان
ذلك مكتوباً علي في الأزل قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن
نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين
ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع و
السبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق وذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم
لكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقاً وإن أضيف إلى علم الله تعالى لم يجز أن يسمى اتفاقاً والواقع في مخالب السبع لو كملت
معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلى وترك وإنما يخاف
خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف عن الله تعالى الخوف من السبع بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف من
السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع
الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر المتفرع عن
القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلاً سخروا
لأسبابها شاؤوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين
بسر القدر ومن قعد به القصور عن الارتقاء إلى يفاع الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار
ويطالع آثار الخائفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم
أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء أما رسولنا صلى الله عليه وسلم
فهو سيد المرسلين الأولين والآخرين وكان أشد الناس خوفاً حتى روي أنه كان يصلي على طفل ففي رواية أنه سمع في دعائه
يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية أنه سمع قائلة تقول هنالك عصفور من عصافير الجنة
فغضب وقال وما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله تعالى وما أدري ما يصنع بي إن الله تعالى خلق الجنة وخلق
لها أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي أنه قال ذلك أيضاً على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين فقالت
أم سلمة هنيئاً لك الجنة وكان يقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أزكي أحداً بعد عثمان وقال محمد بن الحنفية والله لا أزكي
أحداً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدني قال فثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه

وروى في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع
ما لا يضره وفي حديث آخر انه دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم
من هذه المتالية على الله تعالى فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت
وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله الا بعدا لثمود الا بعدا لعاد الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة
اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفو ضين
في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة اذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم
يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره
مخاوف لمن قراه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة
على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله
تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخا سرون
وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن الآية وقوله
وان منكم الا واردها الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره الآية وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر فهذه
اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاضت عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبرئيل عليه السلام بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيان
وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان الله تعالى هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان
يكون قوله تعالى قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان
ابرهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله تعالى وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى
قال الك حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه فقال وابرهيم الذي وفى اي بموجب
قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى عليه السلام حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال لا تخافا انني معكما ومع هذا لما
القى السحرة سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل لا تخف انك
انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هؤلاء لم يبق على وجه الارض
احد يعبدك فقال ابو بكر دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد
الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار
الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه
صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وعرف قصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك
قال عيسى لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية فوض الامر
الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس اليه من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد
المعقولات والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب
العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل
في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم اخبر عنهم ويقول

ولو

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم
الآية فكيف لا يخاف ما حكم من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة
فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن تيسر
له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة
التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا
وظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة
وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون
فاجهل الناس من امن منه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله تعالى لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم
بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى واسباب الغفلة رحمة على عوام
الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب ومن خوف تقلب القلوب قال بعض
العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري
ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة
لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة وباب الدار وكان ابو الدرداء يحلف
بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة
عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي
ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت
اني اموت على التوحيد لم ابال بان القى الله تعالى بامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى
بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به
لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك
حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم
اعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد
يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي
زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا الي كل يوم خمس مرات
وروي عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروي
في اخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله
تعالى اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان يكفر بي حتى تسألني الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه فقال
بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف
لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة
ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اني اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت
عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا
وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت
فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم
فجر وفي لفظ واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عنها الا صديق اذ قال الحسن
ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني

بل صارت هذه الامور كالوظيفة بين الناس معتادة ونسي كونه منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا
حتى قال حذيفة كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير به منافقا اني لاسمعها من احدكم في اليوم
عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان يكره من الناس ما ياتي به نفسه وان يحب على شيء من الجور
وان يبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق ان اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هولاء
الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه
سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا
نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون
في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول ياتي على القلب
ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة وياتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة
فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو
العبد عن جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين
اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة
خائفا منهما ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله
تعالى صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا من
دار الا الجنة والنار

بيان معنى سوء الخاتمة

فان قلت ان اكثر خوف هولاء رجع الى سوء
الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احدهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة عند
سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حالة غلبة الجحود والشك فيكون ما غلب على القلب من
عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان تغلب
على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا او شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة
متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما
انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين
فاما المومن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله عز وجل فتقول له النار جز يا مومن فان نورك اطفا لهبي
فمهما اتفق قبض الروح في حال غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن صفة اخرى للقلب بعد الموت
تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال
فلا مطمع في عمل ولا مطمع في الرجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد
رسخ في القلب مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت
فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن
الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد الف سنة فان قلت فما ذكرته يقتضي ان يسرع النار اليه عقيب
موته فما باله يوخر الى يوم القيمة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور
الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة
من رياض الجنان وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل
به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سوال منكر ونكير
عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملا من الاشهاد في القيمة ثم بعد ذلك

خطر

خطر الصراط وهول الزبانية الى اخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مرددا في جميع احواله بين اصناف العذاب
وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل
جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد الروح اليها التي هي محل الايمان وقد كانت
من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحالة
ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا
يمكن احصاوها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيين احدهما يتصور
مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة
ولست اعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله
تعالى وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برايه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه
يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما
ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد
ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا
في هذا الاعتقاد خاصة لانه احاله فيه الى رايه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده
فرق بين ايمانه بالله تعالى ورسوله وساير اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن
عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى
اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهولاء هم المرادون بقوله عز وجل وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال
الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب
من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليها فيكون مثل هذه الحالة سبب
الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله
شيا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا
الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا
مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وساير العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا لا
ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في اقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله
ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان
يومنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان
الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كوود ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة
وهداية الله بنور اليقين عن القلوب لما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة
ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في مبدا النشو آلفة وبها متعلقة والتعصبات الثايرة بين الخلق مسامير موكدة
للعقايد الموروثة والماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات
الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صادفة فاذا فتح باب الكلام في الله تعالى وفي صفاته بالراي والمعقول مع تفاوت
الناس في قرايحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي كمال الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم
بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص
عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان

وقد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان
وانه صفو الايمان ونظر الى ما قنع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وسيعلمون نبأه بعد حين وينبغي ان ينشد في هؤلاء
عند كشف الغطاء
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في تلاطم الامواج يرمي به موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة يتلقفها من الباحثين بضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله تعالى مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله تعالى ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهو المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده وامواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله تعالى اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد من هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فاذا من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله تعالى بقلبه في تفرقته بينه وبين اهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله تعالى قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء السفر طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببه غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله تعالى وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكره على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى والذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان

الذي

الذي قضى عمره في التفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب لطول الالف او بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليه روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها اسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما بالمشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة او واسطتين مثل ان ينتقل من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنه وفي قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت ولقد قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له في القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذا سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثير فلهذا اعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا يدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبته لما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف الي وجه حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم الكرجاني مناما لي فقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليها من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله تعالى من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم حزنك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب

امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك
قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف
نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام و
بالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت الرياح العاصفة واضطربت الامواج كان النجاة في حقه ابعد من الهلاك
وقلب المؤمن اكثر اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الممات خاطر سوء يخطر
فقط وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة
الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر
خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كأني ادخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبي فسألتهم ما اخوف ما كنتم تخافون
في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطة وكان موت الفجاءة مكروها اما الموت
فجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور
المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخروج حب الدنيا والاهل والمال
والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم احد على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لرضاه وبائعا
دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله تعالى به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة
قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا
فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة
كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيه فاشتغل بالاستعداد له وواظب على ذكر الله تعالى واخرج
من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها
جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد له اذا جاءت
الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك وان تهمله لحظة
فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان
يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله تعالى على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجرده ضعيف الاثر واعلم قطعا
انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا يبعث
عن نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة وكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته
ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وحقق قطعا
ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب
ان لم تكن من اهل المشاهدة لذلك بعين اليقين ونور البصيرة فراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله تعالى طرفة عين
فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا
العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من
الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعمك وملبسك ومسكنك والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك
فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال
الطعام في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تشغل به قلبك فلا ينبغي
ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن
قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلثة امور من ماكولك
في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا يزيد على

ثلث

ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما تتفق فان قدرت على هذه الثلث وسقط عنك مؤنات
الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان اكل الحلال عزيز ولا يفي بالشهوات
واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره
فضول منك تضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة
وقس بهذا ما تدفع به البرد والحر عن بدنك وكل ما حصل مقصود اللباس ان لم يكن في خساسة قدره وجنسه لم يكن
لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا
والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك
هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا عنك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه
دافعا للامطار واخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعيد رقيك منها وهكذا
جميع ضرورات امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت
حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو
احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبر والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما
بيوم في تسويفك وغفلتك اختطفتك بغتة في غير وقت ارادتك ولم يفارقك حسرتك وندامتك فان كنت
لا تقدر على ملازمة ما ارشدناك اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا نورد
عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء و
علمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك احوالهم
لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه
وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان منها
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان احوال الانبياء والملائكة في الخوف

روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصف تغير وجهه
ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الحاقة
فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبرئيل بالابطح فصعق
وروي انه عليه السلم كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال عليه السلم ما جاءني جبرئيل
قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل عليهما السلم يبكيان فاوحى
الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري
وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت
وعن انس انه عليه السلم سال جبرئيل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك فقال جبرئيل عليه السلم ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار
منذ خلقت النار وقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله
عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار
فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه قال لكني اشتهيه وهذا صبح
رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم
يخبأون رزق سنتهم لضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال
ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حيوة فانية فان الحيوة بيد الله تعالى الا واني لا اكنز دينارا ولا

اخبار وقال الغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام اذا قام الى الصلوة من مسيرة
ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه
حتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم او ظمآن فتسقى او عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر
جوفه ثم انزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت في كفه مكتوبة فكان
لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته
فما يضعه على شفتيه حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من
الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض بما رحبت واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي
روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل
بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع
فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء
وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل ان تؤمر بي
ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص
صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد
غمه فقال يا رب اما ترحم بكائي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى
ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي
الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود
آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري
وشكا الي الوحدة فزوجته حوا امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق
اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك
وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب
الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية فامر سليمان ان ينادي بصوت يستقرئ البلاد
وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فليات
قال فياتي الوحوش من البراري والآكام وتاتي السباع من الغياض وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من
خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به
وسليمان عليه السلام قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت
الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع
طائفة فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن
الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك
قال فخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع
داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المراة تاتي بالسرير
وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل
بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي فياتي سليمان ويقعد على الباب و
يستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج
الى بني اسرائيل فيحكم بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا
فمات منهم ثلثون الفا وما رجع الا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب

تعدتا

قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنه دخل يحيى بن زكريا
عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا
التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا
يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان
يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه
فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد
الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسال ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه
فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل
يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك
عن الناظرين فاذن فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين
اتت اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين
فقال له يوما زكريا يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة
لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا يحيى وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب
قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول الجبار يقريك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت
خطيئتي نسيت خلتي وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة
ويباعدان من الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس كثير وقيل كان الخليل عليه السلام
يقول مثل ذلك فهذه احوال الانبياء فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله تعالى وصفاته

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطاير ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد
وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عايشة وددت اني كنت نسيا منسيا و
روي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض
فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر
خطان اسودان من الدموع وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيمة
لكان غير ما ترون ولما قرا عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار
انسان وهو يصلي ويقرا سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حائط
ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي رضي الله عنه وقد سلم
عن صلوة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم
لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون
بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى تبل
ثيابهم والله كاني بالقوم كانوا غافلين ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين
لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي
وياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول
اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت بنا لما
نرى من خوفه وجزعه وقرا مضر القارئ يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق
وقال وعزتك لا اعصيك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القرآن

عليكم

من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم
نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد علي القول
فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وروي عن يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على النار فصاح صيحة ومكث منها
مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة
متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب أما كان لك أدب
وعقوبة إلا النار فبكى فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا
أقول ثكلت مالكا أمه وروي أن الفضيل رئي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت
الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسوأتاه منك ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس
عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة
موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس
فقال الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري إلى الجنة أو إلى النار تصير قال لا قال فما هذا الضحك
له صح
قال فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فقيل له لو اطمأننت
فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز إنما جعل الله تعالى
هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد لئلا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك بن دينار لقد هممت إذا
مت أمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده وقال حاتم الأصم
لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول
تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين
فلا شخص أكبر من المصطفى عليه السلام لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه وقال السري إني لأنظر إلى أنفي في يوم مرات
مخافة أن يكون قد اسود وقال أبو جعفر منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله تعالى لو نظر إلي نظر السخط
وأعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة وقالت
أم محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني إني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك أحدثت حدثا موبقا لما أراك تصنع في ليلك
ونهارك فقال يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال
الفضيل إني لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة إنما
أغبط من لم يخلق وروي أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال النبي عليه السلام جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده
وروي عن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه يا أبا ميسرة إن الله تعالى قد
أحسن إليك هداك للإسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها وقيل لفرقد
السبخي أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل فقال بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح
فتذاكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين وكان لا يسأل الله الجنة أبدا وكان
يسأل العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لا يدع في قلبي موضعا للشهوة وقيل إنه ما رفع رأسه إلى
السماء ولا ضحك أربعين سنة وأنه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن
يكون قد مسخ وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا
مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم
في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور
يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فبينما هم يمشون إذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في

يوم

يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في
ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسولا فصعق ثم أفاق وقال زدني يا صالح فإني أجد غما فقرأت كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فخر ميتا
وروي أن زرارة بن أوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ فإذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي
على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكى قال زدني فقال يا أمير المؤمنين
ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا
عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على
رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر وهي تقول يا أبتاه ليت
شعري بأي خديك بدأ الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب
ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت أن في الحنيفية مثله وقال أحمد بن حنبل
سألت الله تعالى أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله
ابن عمرو بن العاص ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى
ينكسر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال العنبري اجتمع
أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة
ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ لسانك واخف
مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورئي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له إلى أين فقال لا أدري وكان يمشي والها
من الخوف وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت سمعت البكاء من كل
جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة وحكي أن قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك
يرحمك الله تعالى قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى وكان الخواص
يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فأعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك
مرة فقال أرني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه فإذا رجل يعمل
خوصا فقرأت إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه
فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا
واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة
فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده
ونتركه مغشيا عليه ثم أتيت به السابع فاستأذنا فإذا امرأة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في
مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال إن للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا
فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فإنكم لا تنتفعون به الساعة
فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته
مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك
أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا فما رئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال
الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد
أعدت وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك
بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة على أي حال هم قال الرجل على حالة
شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت إلى المسجد في بيته

فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها فقالت يا امير المؤمنين اني رايت والله عجبا فقال وماذا كان
قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما
مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى
انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر
هيه قالت ثم جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المؤمنين اني رايتك
والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى ان اويس القرني كان يحضر القاص فيبكي من
كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يسكن
روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة
حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام وقال ليتني كنت ذلك الرجل
وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه
يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع على
بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك وانا اعمل في غير معمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال
يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول
الخلود من لها في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس فلم اره فسالت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا
اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود من لها في الجنة او في النار قال ثم مات رحمه الله
فرايته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء
والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة
طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة
الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا
فيصلحها ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا
واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب
اقواتنا ولا نثق بضمان الله تعالى رزقنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا
بان نقول بلساننا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى
ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا و
امانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا
بل نساله ان يشوق الى التوبة سوابق قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا
يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا
فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية احوال الخائفين على ما اوردنا فان القليل
من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن
مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد دمعه يرقا من كثرة
البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك
ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو
فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان امن المغترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون
ثم ولى وتركني فقلت له لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه
ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقدير انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير

بل

بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة
والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين
عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها
فترى بعينيك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها فان اردت
ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم فؤادك فضلا
من ظاهر بشرتك والله اعلم بالصواب

تم كتاب الخوف والرجاء من كتب احياء علوم الدين

كتاب الفقر والزهد

وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي يسبح له الرمال
ويسجد له الظلال ويتدكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن
تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال
ثم كحل بصيرة المخلصين في خدمته بنور العبرة حتى لاحظوا بضيائه حضرة الجلال فلاح لهم من البهجة والبهاء والكمال ما استقبح
دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال فاستثقلوا ما صرفهم عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل لهم ظاهر الدنيا
في صورة امراة جميلة تميس وتختال وانكشف لهم باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال
وهي متلفعة بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال كي تقتنصهم بضروب
المكر والاغتيال ثم لا تجري معهم الا بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع
البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر
بالاموال واقبلوا بكنه همتهم على حضرة الجلال واتقنوا منها بوصال ليس يردعه فصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها فناء
ولا زوال والصلوة على سيد الانبياء وعلى اله خير آل **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله تعالى اضل من
ضل بمكرها وازل من زل بحبالها وحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات وراس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها
وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن نذكر الآن فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع
في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء
العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر
حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه
ونبدا بذكر الفقر

الشطر الاول من الكتاب في الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان حقيقة الفقر
مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطاء وبيان
تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر

واختلاف احوال الفقير واساميه اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى
فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو
فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام الوجود مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس
وجوده من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم
محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا
نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا
حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه

نقص بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر
ونحن نميزها ونخصص كل حالة باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال
لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون
بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا
الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا
صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك
الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى
طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشتغل بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من
المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب
اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد
وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي ذكره ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهو ان يستوي عنده وجود
المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده فكذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من
العطاء فاخذتها وفرقتها في يومها فقالت خادمها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فان كانت الدنيا
بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان
يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله
تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان كثير المال من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه
واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتاذى به ليحتاج الى
الخروج وليس يفرح به ليحتاج الى البقاء وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فغناه الى العموم اميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله اقرب
وانما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما
لمن له الغنى المطلق عن كل شيء واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن
مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي
اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع
الرحمن فلذلك لم يطلق اسم الغني عليه الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار
الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول
بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد
وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك
شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهواتك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول
ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت
قلب العاشق الى الرقيب وبغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة
معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق
شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الاخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب
الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة لا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول
ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل
وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان
بغض الدنيا مطية توصل الى الله فالمبغض والمحب كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما

مستدبر

مستدبر للكعبة والاخر مستقبل لها فهما متساويان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول
عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة
والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان تظن ان بغض الدنيا مقصود
في عينه بل الدنيا عائق عن الله ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه
فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالاخرة فبين ان سلوك طريق الاخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع
الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجوده وعدمه فهو غاية الكمال وان اريد به
الرغبة في عدمه فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق
المال ان يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة
مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل
تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله تعالى بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد وهكذا ينبغي ان يكون المال
لان الخبز والماء واحد في الحاجة انما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي
دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز ياتيك لا محالة ما دمت حيا كما ياتيك قدر حاجتك من الماء على ما سياتي
بيانه في كتاب التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى
البيت فخذ الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها قال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية
قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فقيل ان كراهيته كون الركوة في حقه الآفات لها سببه الضعف والنقصان
فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار قلت كما هربوا من الماء على
معنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم فقد واعموا وراء ذلك ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونها مع انفسهم بل تركوها في الانهار
والبراري للمحتاجين لا انهم كانت قلوبهم مشغولة بحبها او ببغضها وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب
والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا
حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء
واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في
الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده
اذا راوها وهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة للانبياء والاولياء والعلماء وقد عرفت اذا ان المراتب ستة واعلاها
رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف
بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقر يطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي
فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون
اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق
فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين
واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله عليه السلام اعوذ بك من الفقر وقوله كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني
مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي يستعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله هو الذي سأله
في دعائه

بيان فضيلة الفقر مطلقا

اما الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في
الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار
وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله
فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وسلم
لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف
ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي
اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص والمراد بخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني
الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص
على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا ينطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى وهذا كقوله عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس
في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره
وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة لا كما
يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة بها تتم له
الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة
والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق
الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح
المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها
الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة واحدا من جملتها ولكن
تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين لا يتيقن انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام لا وانما المعلوم جامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشد الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم
ان للفقراء درجات كما سبق وان الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم الا باربعين
من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين ولا يوثق
به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه الامور فان الضعيف الجاهل قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك فلنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم خير هذه
الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني
ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله
يقرأ عليك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا جبريل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروي ان عيسى
عليه السلام مر برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه وقال يا نائم قم واذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له
فنم اذا حبيبي ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال
يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن
ابي رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول
محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال اما والله اني لامين في اهل السماء امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه
فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الآية تعزية له عن الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في

سربه معافى في جسمه عنده طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى
يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل
فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها حوت واذا هو بآخر فقال باسم الشيطان والقى شبكته
فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل للملائكة اكشفوا
لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما اعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى
الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء وفي لفظ آخر فقلت اين
الاغنياء فقال حبستهم الجد وفي حديث آخر فرأيت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران
وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر
اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه السلام بشدة
يدخل الغني الجنة وفي خبر عن اهل البيت انه صلى الله عليه قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما
اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل
ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون
الثاني للتأكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الضر وقال عيسى عليه السلام اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسامي
اليه ان يقال يا مسكين ولما قال سادات العرب واغنياؤها للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا
نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة
واصحاب الصفة من الفقراء فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك لانهم شكوا اليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة
الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن
مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجمعهم واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحيوة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولما استأذن ابن ام مكتوم
على النبي عليه السلام وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى
وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما
زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك
في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فياخذ بيده ويدخله الجنة
وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم
القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم افضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت في اسفلها
فاذا فيهم من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا
بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال والله يا
رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا و
عبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل
الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر
بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض
لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بملوك الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر

أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره. وقال عمران بن الحصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة. وروي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الأحكام والشوكة من الأعداء. وأما الآثار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حبساً أو قال أشد حساباً من ذي الدرهم. وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء كئيباً حزيناً فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صرراً وفرقه ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج. وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد. وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنياً ما قربتك وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً. وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر. وقال لقمان لابنه لا تحقرن أحداً لخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد. وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين. وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صباً. وكانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد توجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت. وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعاً حتى ترقعيه. وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال إبراهيم تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لا أفعل

[illegible]

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به. وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا. والأول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر. وروي عن عمر عن النبي عليه السلام أنه قال لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة. وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى. وقال النبي صلى الله عليه وسلم

اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً. وقال ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا. وأوحى الله تعالى إلى إسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون. وقال عليه السلام لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً. وقال عليه السلام يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون. فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى. وأما الآثار في القناعة والرضا فكثيرة ولا يخفى أن القناعة تضادها الطمع. وقد قال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر واليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم. وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وقال أبو الدرداء ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص. وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك. وقيل كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وبيده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فجئني به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيباً قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر. ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضاً عن الآخرة. وكان محمد بن واسع يخرج خبزاً يابساً فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد. وقال الحسن لعن الله أقواماً أقسم الله تعالى لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون. وكان أبو ذر يوماً جالساً في الناس فأتته امرأته فقالت أتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه إن بين أيدينا عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية. وقال ذو النون أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له. وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس عما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقيل في القناعة

أضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني من استغنى عن الناس

وقيل

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مقدراً أي باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتيه منيته ... أغادياً أم بها يسري فيطرقه
جمعت مالاً فقل لي هل جمعت له ... يا جامع المال أياماً تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة ... أن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هماً يؤرقه

بيان فضل الفقير على الغني

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والأكثرون إلى تفضيل الفقير. وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر. ويقال إن الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه فيه فأصابته محنة. وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل. وأما الفقر والغنى إذا أخذا مطلقاً لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر. ولا بد فيه من تفصيل فنقول إنما يتصور الشك في مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع أو راض بالإضافة إلى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصاً على إمساك المال. والثاني فقير حريص مع غني حريص إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص. أما الأول فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير لأنهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات

والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور
ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء
بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء
ذلك فكانوا يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد
ابن عطاء ايضا لما سئل عنه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا
يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقراء في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد
روى انس قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن
جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون
ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم
ثلث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اهل الجنة اليها كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها
الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة
اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف
درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي يزيد ثواب الفقر
على الذكر واما قوله ان الغني وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب
آخر بان التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد
كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته
وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل
الغني والفقير وحاصلها التعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة
الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس
لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف
الى مقصوده اذ به تظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه
ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمن النبي عليه السلم وعبد الرحمن
ابن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته
وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا
اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون
في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان
فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة
ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد
اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قالت الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة
السراء فلم نصبر وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ الفرد الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع
مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلم
لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان
وفي الخبر ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال
والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم
يقول للدنيا اليك عني اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري

فقالوا

وما المنع منها

وذلك

وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الانس بهما الا من رأى نوعا منه وذلك هو الغني المطلق اذ قال عليه السلم ليس
الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فالاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات
لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس
بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة لله تعالى
يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطع اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزينتها والقلب اذا تجافى
عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن
اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما
بقدر بعده عن الآخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الآخر
بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه
عن الدنيا او انسه بها فاذا فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة
القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا
فقده فليجرب نفسه بتفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه
انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعل من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق به انه كان مغرورا وان
العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا
او بعيدا فليطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته
يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تاثيره
في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو في
طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمن تنفس فقير دون
شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال
فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول
مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع
علم المعرفة من الاغنياء وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد
فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من
وجوده وما ذكره ابن عطاء ان الغني وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه
جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى
لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا
بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا يليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته
وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى
قبل ان يقطع الطريق يصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان
التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله عليه واما التكبر على من يستحقه كتكبر المومن على الكافر وتكبر العالم على
الجاهل والمطيع على العاصي يليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله
انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل
والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المومن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد
والنبات واقرب الى الله منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلا له ولائقا به وفضيلة
في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون فلجهله به وجب ان لا يعتقد لنفسه

رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لا نقصا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة
ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضره صار
ذلك العلم نقصانا في حقه اذ ليس من اوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التي لا تضره فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى
فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى
يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان
نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر المقام الثاني في نسبة حال الحريص الى الغني الحريص ولنفرض في شخص واحد هو
طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر ان كان مطلوبه ما
لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب
القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت
آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب
قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب
المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على الطريق واستويا في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر
والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون
الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله
اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو
الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك
لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا القادر عليه بالدنيا اكثر من انس الفاقد
لها وان كان حريصا فاذا انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح للخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عائشة
رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وهمتهم والثاني الفقر على
مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر
والمعاصي فلو كانت جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغنى
والفقر بقي النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه
بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما
بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

بيان ادب الفقير في فقره

للفقير آداب في باطنه
وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادبه في باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه
لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتالمه به ولا يكون كارها فعل الحجام
ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه
ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى واثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة ويكون
كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة
ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علاماته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر
الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل المحمود الذي لا يتسخط ويرضى او يفرح بالفقر ويعلم ثمرته اذ قيل ما اعطي عبد
شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب واما ادبه في ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر
الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل

اغنياء

الفقير — لا ضطراب — منه — عليه

اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما
في اعماله فان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب
الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله تعالى فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم
لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الغني فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال
بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت
عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل
ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وينبغي ان لا يدخر ما لا بل ياخذ قدر الحاجة
ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر
لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء من ذلك ميعاد الله لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في امل
الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في
الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنة
وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة

بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه

بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون
حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة و
ما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب
وهو الصدقة والزكوة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية
فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيه منة فان كان فيه منة فالاولى
تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل
السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض فقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي
او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرده على الله تعالى ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها
وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي
هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول
العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم
المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندي وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول
فاخبرني حتى آخذه والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته
فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سالت احدا قط شيئا الا
السري السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما
يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش حتى آكل هذا
فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوي والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك
فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه
انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كانت صدقة و
كان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله تعالى
بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام لا شبهة فيه الثالث ان يكون
غرضه الشهوة والرياء والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفين

روي عن ... درهم من الصدقة ... قيل كيف ... درهمين ... الدرهم

كيسا

الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما
ارده عليهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر
اهو محتاج اليه فيما لا بد منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهات والآفات التي ذكرناها في المعطي
فالافضل له الاخذ قال صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله
عليه وسلم من اتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال
بعض العلماء من اعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان السري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فرده فقال السري يا احمد احذر
آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه
لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلي بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما
اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق
والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله
تعالى فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان يأخذ في العلانية ويرد في السر او
يفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا يأخذه
ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او يأخذ ويوصل الى من هو احوج فيفعل كلاهما في السر او كلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل
اظهار الاخذ او اخفاؤه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب منه وامتناع احمد عن قبول عطاء السري السقطي انما كان
لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذورا
من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله
فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد
تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم
انفقه ثلاثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده علي قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطاف
معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبة منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر
للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة
على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والبلاء
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم
الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذك قدر الحاجة من هذه الثلث مثاب
وما زاد عليها ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله متعرض للعقاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات
تقربا الى الله تعالى وكسرا للصفة النفس فيأتيك عفوا صفوا لتمتحن به قوة عقدك فالاولى الامتناع منه فان النفس اذا رخصت في
نقض العزم الفت نقض العهد وعاودت العادة ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم فهو الزهد فان اخذت وصرفته الى محتاج فهو غاية
الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء
فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زايد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة
واختبار وربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال
والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله تعالى
لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط
ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدع بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه عن بصيرة ودين
مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
قيل معناه يبيع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم

ولله

ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله للثلث طوايف الاقوياء والاغنياء والاسخياء فقيل من هولاء
فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله تعالى واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله تعالى واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله
تعالى فاذا مهما وجدت هذه الشروط فيه في المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي ان يرى ما يأخذه من الله تعالى لا من المعطي لان المعطي واسطة
قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات فقد حكي ان بعض الناس دعا شقيقا في
خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته
فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ما ذا قصدت بهذا فقال اردت
ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني
هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى
المعطي من حيث انه مسخر مأجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت مناهي في السؤال وتشديدات وورد فيها ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء
على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة
فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام
وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر
لقصور نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى
وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل
نفسه بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما ساير الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل
للسائل بالاضافة الى المسؤول الثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب فان
بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي
البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما
فهمت هذه المحذورات الثلث فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر
كيف سماه فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه
من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت
مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم
السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا وكان يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن
استغنى اغناه الله وقال ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول
الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال
الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة
ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه
الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير فاما اخذ
ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين يظهر
فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله تعالى ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة
بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله تعالى وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق قد شرعها نبي الله
صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي لاح فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه
قطعة فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز القطع وردها اذ
لا يعرف اصحابها باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح وينزل اخذ السائل

مع اظهارها الحاجة كاذبا كاخذ العلوى بقوله انى علوى وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفى والصالح الذى يعطى
لصلاحه وهو فى الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطى لما اعطاه وقد ذكرنا فى مواضع ان ما اخذوه لا يملكونه وهو حرام عليهم
ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقها وقد قررناه فى مواضع و
لا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضى الله عنه فاذا عرفت ان السوال يباح بضرورة فاعلم ان الشى اما ان يكون
مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سوال الجايع عند خوفه
على نفسه موتا او مرضا وسوال العارى وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجد بقية الشروط فى المسول لكونه مباحا
والمسول لكونه راضيا فى الباطن والسايل لكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السوال الا اذا استغرق
طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغنى فهو الذى يطلب شيا وعنده مثله وامثاله فسواله حرام
قطعا فهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذى يحتاج الى دوا ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن
خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها فى الشتا وهو يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهى الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكرا وهو قادر على
المشى بمشقة فهذا ايضا ينبغى ان تسترسل عليه الاباحة لان هذا ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عليه اولى وهو بترك السوال تارك
للاولى ولا يسمى سواله مكروها مهما صدق فى السوال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يوذينى اذى اطيقه ولكن يشق على فاذا صدق
فصدقه يكون كفارة لسواله ان شا الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سواله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستر به الخروق
فى ثيابه عن اعين الناس وكمن يسال لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسال الكرا لفرس فى الطريق وهو واجد كرا الحمار او يسال
كرا المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شى من المحذورات الثلث
من الشكوى والذل وايذا المسول فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيه شى من ذلك
فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلا السوال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله
تعالى والاستغنا عن الخلق ولا يسال سوال محتاج لكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبنى رعونة النفس بثوب فوق ثيابى
وهى فضلة على الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فان يسال اباه او قريبه او صديقه الذى يعلم انه لا ينقصه
ذلك فى عينه ولا تزدريه بسبب سواله او الرجل السخى الذى قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط
عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة فاما الايذا فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسوال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث
لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان فى القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايضا ايذا فانه ربما يبذل كرها خوفا من
الملامة ويكون الاحب اليه فى الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسال شخصا معينا فينبغى ان لا يصرح بل يعرض تعريضا
يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متاذ به وينبغى ان يسال من لا يستحيى منه لو رده
او تغافل عنه فان الحيا من السايل يوذى كما ان الريا مع غير السايل يوذى فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطى الحيا منه
او من الحاضرين ولولاه لما ابتداه فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب
والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحيا وخوف الملام وسياط الباطن
اشد نكاية فى قلوب العقلا ولا يجوز ان يقال هو فى الظاهر قد رضى به وقد قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر
والله يتولى السراير فان هذه ضرورة القضاة فى فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقراين الاحوال فاضطروا الى
الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سوال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه
احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند ساير الحكام فلا تنظر فى مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك فان المفتى معلم القاضى
والسلطان ليحكموا فى عالم الشهادة ومفتى القلوب هم علما الاخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الاخرة كما ان بفتوى
الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما ياخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه الرد على صاحبه فان
كان يستحيى من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوى قيمته فى معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته
فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف فى يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف وبالسوال

الذى

الذى حصل به الاذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السايل انه راض ولا يكون هو فى
الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون السوال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيا اصلا فكان بشر رضى الله عنه لا ياخذ
من احد شيا اصلا الا من السرى وقال لانى علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير فى السوال
والامر بالتعفف لان هذا الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير
كراهية واذى فيباح له ذلك كما يباح له اكل لحم الخنزير واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته
فى الاطلاع على قراين الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقايه ومنهم من كان ياخذ
مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكبش والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سوال فان ذلك لا يكون
الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا فى جاه او طلبا للريا والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فاما السوال فقد امتنعوا عنه راسا
الا فى موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلثة من الانبيا فى مقام الضرورة سليمن وموسى والخضر صلوات الله عليهم ولا شك فى انهم
ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثانى السوال من الاصدقا والاخوان وفى حق الاخوان فقد كانوا ياخذون مالهم بغير سوال
واستيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم
فاذن كانوا يسالون الاخوان عند شكهم فى اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السوال وحد اباحة السوال
ان تعلم ان المسول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السوال فلا يكون لسوالك تاثير الا فى تعريفه اياه حاجتك فاما فى
تحريكه بالحيا واثارة داعيته بالحيل فلا وتتصدى للسايل حالة لا شك فيها فى الرضا بالباطن وحالة لا شك فى الكراهة ويعلم ذلك
بقرينة الاحوال فالاخذ فى الحالة الاولى حلال طلق وفى الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت فيها قلبه
وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقراين الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه
وشهوته فان قوى الحرص وضعف الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه ولا يفطن للقراين الدالة على الكراهة وبهذه الدقايق
يطلع على سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم
لان من لا كسب له ولا مال له من كسب ابيه وما ورثه فياكل من ايدى الناس فان اعطى بغير سوال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث
لو انكشف لما اعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطى بسوال فاين من يطيب قلبه بالعطا اذا سيل واين من يقتصر فى السوال
على حد الضرورة فاذا افتشت من ياكل من يد الناس علمت ان جميع ما ياكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذى اكتسبت
انت او مورثك فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدى الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله
عن حرامه بمنه وسعة جوده

بيان مقدار الغنى المحرم للسوال

اعلم ان قوله
صلى الله عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح فى التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسر وليس الينا وضع
المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد فى الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غدا يوم وعشا ليلة
وفى حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد فى لفظ اخر اربعون ومهما اختلفت
التقديرات وصحت الاخبار فينبغى ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق فى نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع و
غاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا فى
ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلث اصلا فى الحاجات
لبيان اجناسها والنظر فى الاجناس والمقادير والاوقات فاما الاجناس فهى هذه الثلث ويلحق بها ما فى معناها حتى يلحق بها
الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر على المشى وكذلك ما يجرى مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته واما
المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس فاما الثانى من كل جنس فهو مستغنى عنه
وليقس على هذا اثاث البيت ولا ينبغى ان يطلب رقة الثوب وكون الاوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه
فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن فى غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره فى اليوم مد وهو
ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار وفى طلبه فى بعض الاحوال رخصة

واما المسكن فاقله ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة
الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا
له ثلث درجات احدها ما يحتاج اليه في غد والثانيه ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين والثالثه ما يحتاج اليه
السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل
التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير يكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه
قبل السنة فان كان قادرا على السؤال لا تفوته فلا يحل له السؤال لانه مستغني في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا
يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من
يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو بتاخير السؤال خايف ان يبقى مضطرا عاجزا عمن يعينه فان كان خوف
العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان لا يجد السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية ويكون كراهته بحسب درجات
ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره
لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الاخرة فكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل
اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله تعالى اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله تعالى قوت يومك لك ولعيالك
الا من ضعف النفس والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التي ابيح بالضرورة وحال من يسال
لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه قبل السنة اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان
في الفتوى الظاهر ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهي من امهات المهلكات ۞

بيان احوال السائلين

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ
فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع
الصادقين من اصحاب اليمين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم
ابن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا
وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق
فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ
فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها
واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى ذروتها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق
الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا وانما
الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد يغلبهم حالة تقتضي ان يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى
احوالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسين النوري رحمه الله يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن
قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس ليعطوه
وانما سالهم ليثيبهم في الاخرة فيوجرون من حيث لا يضرهم وكانه اشار به الى قوله عليه السلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي
هي يد الاخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها
على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت
بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا وزنت واخذ ما زاد على المائة قال
فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب للاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن
لله تعالى فاخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان
فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان

ولكن

فرصة صح
عندنا صح
ليثيبهم

ولكن بمشاهدة القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله تعالى فمن انكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل
كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا
وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له
مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك
وصدق به فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن
عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول
الضعيفة واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القايلين آمنا به كل من عند ربنا ۞

الشطر الثاني

من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد
واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد ۞

بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال
وعمل كساير المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف يرجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال
اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال
يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى
زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشي الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شي الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل
عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه
يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا اليه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون
ايضا هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك التراب والحجر والحشرات لا يسمى
زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده
من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى
المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
معناه باعوه فقد يطلق الشري بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم
احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو
ايضا زاهد ولكن في الاخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل
خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شي هو احب منه
والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق
والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا
زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في المال ولا يترك
التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التايبين وهو زهد صحيح
كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي
حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى
زاهدا وان كان قد زهد في المحظورات وانصرف عنها ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذن الزهد عبارة عن
رغبته عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله عدولا الى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب اليه ان يكون خيرا
عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن السماك
يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها فاما انا ففيما ذا زهدت واما العلم الذي هو المثمر لهذه

الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله تعالى باق وان الاخرة خير وابقى اى لذاتها خير في انفسها وابقى كما تكون الجواهر خيرا من الثلج مثلا وهي ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلى فكذا مثال الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى ان ينقرض والاخرة كالجواهر التي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والاخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة وقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى التعريف بخساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى التعريف بنفاسة الاخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة في محبوب هو احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق هو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرا في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك بالكلية لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب وقت فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولا تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انك وان لم تاتك الدنيا فانت زاهد فيها فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها فاذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار جميعا ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة قال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو لكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع المسلمين على عهد النبي عليه السلام انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلنا حتى نزل قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاية الى قوله ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل قال وما عرفنا ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى

منكم

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وليس من الزهد ترك المال على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي الذ واهنأ من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون انسا بغير الله تعالى ومحبا لما سوى الله تعالى ويكون مشركا في حب الله تعالى غير الله او تركها طمعا في ثواب الله في الاخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسرايا والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك ما وعد في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ووصف الكفار به فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال عليه السلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له منها ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنا الدنيا ويحب الاخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان قلبه فانظر كيف بدا في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله الايمان قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار

الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال
صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيي قال ليس كذلك تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض
الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه وفد قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء
والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون
ولا تنافسوا فيما انتم عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء
بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها
صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله
ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من
شك وقال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل
ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها
واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت
من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار
عطلت فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال
قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت
قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت
ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها
وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر
على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد
من طاعتهم واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال لابنته حفصة حين
فتح الفتوحات البس لينا من الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضرك فقال عمر يا حفصة
الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك
الله هل تعلمين ان النبي عليه السلام لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك الله
هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت
ووضع الطعام على دون ذلك او وضع بالارض ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية
فثنيتموها له باربعة اثناء فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليل بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه ليغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا يخرج به الى
الصلوة حتى يجف ثوبه فيخرج فيه الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين
ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلوة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك
فما زال يبكي حتى ابكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر
وهو انه كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك
معهما عيشهما الرغد وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر
فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد
موسى ماء مدين كان خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا كان ما اختاره انبياء الله المرسلون وهم اعرف خلق الله بالله وطريق

الفوز

الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة قال عليه السلام تبا للدنيا تبا
للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر قال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا
وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله
بثلث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وقال عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف
احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى صلوات الله عليه الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء
فقال كيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال عليه السلام ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك
وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذي
بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال
ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا
وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع لله فقال نبيا عبدا ثلاثا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه
وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال عليه السلام من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم
وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال عليه السلام من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن
الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا وعن عيسى عليهما السلام اربعة لا يدركن
الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن ان يحصى فان الانبياء
ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وفيما اوردناه كفاية واما الآثار فقد جاء في
الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم
على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها
فلم نر في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدور التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل لم ذلك قالوا كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا
راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان
اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل
الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط
اني لاشتهي من الله تعالى ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين وعلى عظمي لحم فاعطي ذلك كله ويروى ان
بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك
هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها كذلك
انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس الشعر
وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ لغد شيئا اينما ادركه المساء نام وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا الشتاء
قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى
ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية
فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص
واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب محبط وقال ابن مسعود

الدائم

وكم كان من زاهد فلعله خير له ولجعله الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر مرهما وقال بعض السلف نعمة الله علينا
فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكانه التفت الى معنى قوله عليه السلم ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام
والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع الموفي الى الصحة اكثر منه في الاعطاء المودي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار
التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع من
اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف ما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل ولا ياسفون
على شي منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين
الارض شيا ولا امر من في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
كانوا اذا عملوا الحسنة داوموا في شكرها وسالوا الله ان يقبلها واذا عملوا سيية احزنتهم وسالوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك والله ما سلموا من الذنوب
ولا نجوا الا بالمغفرة

بيان درجات الزهد

واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب اليه اعلم
ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلث درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها
مايل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد
يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما يغلبه نفسه
وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة
الى ما طمع كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت
اليه كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا
نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي
فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الاخرة اخس
من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك
الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شي تتكلم قال في الزهد قال في اي شي قال
في الدنيا فنفض يده فقال ظننت انه يتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب
المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال
القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى الكلب في مقابلة ما ناله فالشيطان
كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي
على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج الى اخراج الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة
الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي
الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى نعيم الابد وكيف ومدة العمر
قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا
يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيا معتدا به ولا يراه شيا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد
وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده
في قدر التفاته الى زهده واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه
النجاة من النار ومن سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيه
ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان
الخلاص من الالام يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله عز وجل ونعيمه واللذات الموعودة في جنته
من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فانهم ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم قائم
لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله تعالى وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص
منها

منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي
الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله تعالى
من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر
على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور
العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يوثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى
يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب
الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب
للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق
الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة ولا نشتغل
بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد
له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمل للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى
الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات
الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ
اليهما ترجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت اصنافها
فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى
الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من
هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في آية اخرى الى خمسة فقال
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع آخر الى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا
الا لعب ولهو ثم رد الكل في موضع آخر الى واحد فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس
في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح
مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا
فقصر امله لا محالة لانه لا يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من اراد شيا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا
حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون
وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين
وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رايحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله و
نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان
يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الآن اموت موت العجايز فلما مات عد على جسده ثمانماية ثقب
من آثار الجراحات فهكذا كان حال الصادقين في الايمان رضي الله عنهم اجمعين واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت
فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو ادنى بالذي هو خير ولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا التمتع عشرين سنة او ثلثين سنة تمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود
فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه
او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي

الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب
الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال
الثوري الزهد هو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر
امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج يطلب ذهب الزهد فما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا
في الزهد وقال اويس ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي
والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح
ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة والى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الآخرة وقد طولوها
حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي
اذا رأى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال
بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف
ابن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه
فلم نر في نقله فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق
في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق به واطلع على قصر من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع
كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر
الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سببه الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد
في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع
من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمن الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد
عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد
ركن الى الدنيا فجعل كل ذلك ضد الزهد وقرأ ابو سليمن الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال
انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة وهذا بيان اقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه واما بالاضافة
الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال ابرهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفصيل
درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما
يترك فلا غاية للزهد اذ لا غاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وساير الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك
لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلم
اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد فقال توسدك الحجر اي
تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقب
جلده تركا للتنعم بلبس اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه
آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري الى ان جلس في قوصرة وجلس عيسى
عليه السلم في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما اقمتني انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط فاذن درجات الزهد
ظاهرا او باطنا لا حصر لها واقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور
فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما
سوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى
الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما
اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله تعالى فان ما لا يتوصل
الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله تعالى مثل

ناقتك

ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان يكون
في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن البرد والحر المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ
بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضر
اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك
ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور
ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه
نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله
ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق
عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم
على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة بين الدنيا والدين ه

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول
والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ يقتنيها الانسان لا ليركبها وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر
على تفصيل اصناف الفضول لان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم يتطرق اليه ايضا فضول في مقداره وجنسه واوقاته
فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه
الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء في ربع المهلكات ونحن الآن
نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض
فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فلا يقنع به واما عرضه
ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فاما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع
عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا والدرجة
الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوما والثالثة ان يدخر لسنة وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته
زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي
كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل
شرط الزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد
وهو ما قدره الله تعالى في طعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار
على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير
والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا من اوايله
واما الادم فاقله الملح او البقل والخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع
مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما
بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل وياكل ليلة ولا
يشرب واعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات
ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها
كانت تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت الاسودين التمر
والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل
المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد وقال عيسى عليه السلم بحق اقول لكم انه من
طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ

تدعو المدينة من خبز البر وكان عيسى عليه السلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم
لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قبا
اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله تعالى واتي عمر رضي الله عنه بشربة
من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابه وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه
ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب تعالى انيسه والذكر
رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته
والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع
الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا
من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار
صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه
الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستره سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق
الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه وطلب ما يبقى الى اكثر من سنة خروج الى طول
الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع قوته ودوامه ومن وجد زيادة فينبغي ان يتصدق به فان امسكه
لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة
كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل على دثار ابدا ولا اركب
على مأثور ابدا ولا املأ جوفي من طعام ابدا وقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا واشترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره اربعة اذرع ونصف واشترى سراويل
بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او
سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم وكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل هذا عليك
من الجنة تعجبا وقد كان اهداه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسله الى رجل من المشركين وصله به ثم
حرم لبس الحرير والديباج وكانه لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال
لعائشة في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتاكيد امر النكاح
وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم وائتوني
بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال
اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس عليه السلم خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال
شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا
وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه وعن سنان بن سعد قال
حيكت للنبي عليه السلم جبة صوف من صوف انمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها وما الينها قال
فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي وكان رسول الله عليه السلم اذا سئل شيئا لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر ان يحاك
له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة
وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة حرارة الدنيا لنعيم الابد فانزلت عليه ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انبأني الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم

ويبكون

ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض
وافئدتهم عند العرش فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن
بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله واوصى عائشة رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه
وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة
وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا
يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه
يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته
وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمن الثياب ثلثة
ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من
رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته
ويعطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال
وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجه الله كان حقا على الله تعالى ان يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت
واوحى الله تعالى الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي
ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه
ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به
فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه
ان الله تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة
لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
ورأى فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار
واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي
رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال عليه السلم ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام
ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلم ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل
من ذلك ففي النار ولا ينظر الله تعالى يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق وقال الاوزاعي لبس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن
واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره
ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمن لما اتخذ الله ابرهيم خليلا اوحى الله تعالى اليه ان وار عورتك
من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه
حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد وللثوب الحسن فاذا اعتق فله والله
ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما اذا قام من الليل يصلي وقال الحسن لفرقد
السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود
وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقيل انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم
بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي المهم الثالث المسكن وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها
ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ

ومعنى من سعف أو خص أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشرا أو بإجارة فإن كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة
ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة
أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بأن يكون بالجص والقصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره
بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك
وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد
للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأيدي وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول
كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
التدريز والتشييد يعني درز الثياب فإنها كانت تشل شلا والبنيان بالجص والآجر هو التشييد وإنما كانوا يبنون بالسعف و
الجريد وقد جاء في الأثر يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشى البرود اليمانية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن
يهدم علية كان قد علاها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه
كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا
قصبة على قصبة وقال عليه السلام إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال أرى الأمر أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام
بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه
فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل مات وهذا قائم وقال عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيمة وفي
الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد إلا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض
إنه الرياسة والتطاول في البنيان وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة إلا ما أكن من حر أو برد وقال عليه السلام
للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت
أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر ويقال إن فرعون
هو أول من بني له بالجص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الأمصار
فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن قال فكان أصحاب
السعف خيرا من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف
بنائه وقصر أمله وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم
من الحشيش والجلود وهو عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت إذا
دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي إلى السقف وقال عمرو بن دينار إذا أعلى العبد البناء فوق ستة
أذرع ناداه ملك إلى أين يا أفسق الفاسقين ونهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه
وقال الفضيل إني لا أعجب ممن بنى وترك ولكن أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود يأتي قوم يرفعون الطين
ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم المهم الرابع أثاث البيت وللزهد فيه أيضا
درجات أعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط ورأى آخر
يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل أثاث فإنه إنما يراد لمقصود فإذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى
عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به وأوسطها
أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد
فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعلاها أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من
الجنس النازل الخسيس فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة فقد قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها كان ضجاع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه فقال له عليه السلام ما الذي أبكاك
يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير
مرمول بالشريط فقال عليه السلام أما ترضى يا عمر أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على أبي
ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا
فقال إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر قال له ما معك
من الدنيا فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي
وثوبي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلوة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة فرأى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع
وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من أجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين
ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها فقال بأبي أنت وأمي قد أحسنت ورأى صلى الله عليه وسلم على باب عائشة رضي الله عنها
سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلي به إلى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان
صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني
الليلة وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى
سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما
وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا قط كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس المنكح وقد قال
قائلون لا معنى للزهد في أصله ولا في كثرته وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد
فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما
قاله أبو سليمن الداراني إذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والمرأة قد تكون شاغلة وكشف الحق فيه
أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع
الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وإن لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب
إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله تعالى فترك ذلك من الزهد وإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن تركه احترازا من لذة
النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القربات واللذة التي تلحق الإنسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره إذا لم يكن هي المطلب والمقصد وهو كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء
احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد لأن في تركه فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك
النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت
هذا من حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق
عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم
كثرة النسوة فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف أن يشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة
غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمن الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة
وقال الجنيد أحب للمريد المبتدئ أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال
أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله تعالى فهو محذور فيهما جميعا

المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة
في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة في قلب خادمه لانه
ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب لكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها و
من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او الخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال
فان من يخدم باجرة يخدمه وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدمه بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج الى الجاه
في بلدة لا يكمل العدل فيها او يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة
فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى
لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف
بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل
عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير
منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه
فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان
جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل
فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية سنته ولكن
يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد
نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من
الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه
فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي
ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها
بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة
سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر
وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه
امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على
الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط
ويدل عليه ما روي ان ابرهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما
فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالى
اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر
احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته ان يسلم لورثته
فيأكلونه وهم اعداؤه وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات
بدود القز لا يزال ينسج على نفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر
عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد
اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه
باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل
من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة
فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون كمثل من نشر بالمنشار وانما تنزل المؤلم ببدنه وتألمه من حيث يسري اثره الى قلبه فكيف الظن

بالم

بالمتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول
في اعلى عليين وجوار رب العالمين وبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم اذ النار
غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار
على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار وكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى ان يقرر في سمعنا
ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولذلك قال الشاعر
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه
باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن لقد رأيت سبعين بدريا
كانوا فيما احل الله تعالى لهم ازهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب
والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم
الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب كان يخاف من
فساده والذين اماتت حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا
غافلون وقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني
معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني قال لا استطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال
بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الآفاق واربعة اصوات فملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم
من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان
في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من
احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما
مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في
المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب
الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون
بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى
المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما
ياخذون بعلة وغيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية
اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مائلون الى الدنيا
متبعون للهوى فهذا كلام الخواص فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في
باطنه على ثلث علامات العلامة الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده والثانية ان
يستوي عنده ذامه ومادحه فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه الثالثة
ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا
واما محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس
بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ما افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس
بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا
وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم

عليه السلام

اللهم اني اسألك ايماناً يباشر قلبي وقال ابو سليمن من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه
شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك
يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلاً من المال على فقد زهده اصلاً قال ابن ابي الحوارى
قلت لابي سليمن اكان داود الطائي زاهداً قال نعم قلت بلغني انه ورث عن ابيه عشرين ديناراً فانفقها في عشرين سنة فكيف
كان زاهداً وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات
النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها وكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد
بقدر ما ترك واخره ان يترك كل ما سوى الله تعالى حتى لا يتوسد حجراً كما فعله عيسى فنسأل الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيباً وان قل
فان امثالنا لا يستجرئ على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله عز وجل غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجايب نعم الله تعالى
علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه امر فلا بعد في ان نعظم السؤال اعتماداً على الجود المجاوز لكل كمال فاذن علامة الزهد استواء الغنى والفقر
والعز والذل والمدح والذم وذلك لاجل غلبة الانس بالله تعالى ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي
من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي لا يقول ابني رباطاً او اعمر مسجداً وقال
يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضاً الزهد
هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمن الصوفي علم من اعلام الزهد ينبغي ان لا يلبس صوفاً بثلثة دراهم وفي قلبه
رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد اذا
اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب
في الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضاً الزاهد يسعطك
الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين
قال اذا صرت من رياضتك لنفسك الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة
فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضاً الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد
فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى لا يلتفت اليها وقال السري مارست
كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر
كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة
الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه وبالله العون والتوكيل

تم كتاب الفقر والزهد

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مدبر الملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بلا عماد
المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسايط والاسباب الى مسبب الاسباب
ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علماً بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققاً
بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا
انه رزاق عباده وانه ضامن به كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء
السبيل وعلى اصحابه الطيبين الطاهرين **اما بعد** فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات
الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم
ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على
الاسباب من غير ان يرى اسباباً تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى

التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء
الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا
ونحن الان نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال
التوكل وعمله في الشطر الثاني

فضيلة التوكل

اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله
يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه
ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال تعالى اليس الله بكاف عبده
فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز
لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذماره وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال
تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف
تتكل عليه وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى
ولله خزاين السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما
ذكر في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما الاخبار
فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملأوا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم
وهياتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله
فقال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله
ان يجعلني منهم فقال عليه السلم اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه السلم سبقك
بها عكاشة وقال عليه السلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح
بطاناً وقال عليه السلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول
بهذا امرني ربي وقال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال عليه السلم لم يتوكل من استرقى واكتوى
وروي انه قال جبريل لابرهيم وقد رمي الى النار من المنجنيق الك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله
ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى واوحى الله تعالى الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده
السموات والارض الا جعلت له مخرجاً واما الاثار فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت
علي امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال
ما ينبغي لعبد بعد هذه الاية ان يلجأ الى احد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال
بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله
تعالى لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم
بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان
لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك
فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلاً وجدت الى كل خير سبيلاً

بيان حقيقة التوحيد

الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل
كذلك ايضاً ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل

وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشيا كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفنا في التوحيد لانه من حيث انه لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الاخرة ان توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يختص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يومروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فايدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور

ان

ان لا تشاهد الا واحدا وهو يشاهد السما والارض وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشا سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشي قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشايه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعايه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواه كثرة وبعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا فتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتومن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مومن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرا كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز جدا والى هذا اشار الحسين الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتنا التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول فهو النفاق فواضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وقواعد العقايد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي ينبني عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمل امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطا ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاوك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي بهما ان يطرق الى قلبك شايبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمايه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استوا السفينة وسيرها وهذا ايضا شرك في التوحيد وجهل بحقايق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استوا الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهوا والهوا لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فوقع الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة

ويشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات
في قبضة القدرة تسخر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله تعالى
هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات
على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات
الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله تعالى وهذا الانسان يعطيك رزقك
باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك
وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول نعم ان كنت لا ترى
القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان
عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا
ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كان يدب على الكاغد فرات راس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد
والاصابع فضلا من صاحب اليد لغلطت فظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق
حدقتها فكذلك من لم يشرح الله صدره قصرت بصيرته من ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قهارا
وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في
الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ن
ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات
فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما تشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي
ولا هو عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت
وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك
مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل
رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا
ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة ببعض الاسرار فاذن عن حكاية مناجاة
ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر
والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا نفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه
ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم يكن هي حروفا واصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن
مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم
سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه
كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر
عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد
واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما تراه على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال
القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار د
متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني
وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو ذا تستخدمني وتمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك
وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سال اليد عن ظلمها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم

وعظم

وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة فهي التي ترددني
وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منه مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل
هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين
القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت
ثم سال القدرة عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم
وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت راكبة لها قبل التحريك وما
كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك
حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل
يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو
خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك
وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني
ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد
علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم
والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته ولكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا
الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما
جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد على نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار د
لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع
عني عتابك فاني كما قال متى ترحلت عن قوم وقد قدروا الا تفارقهم فالراحلون هم فقال صدقت واقبل على العقل
والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا
فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم
انما انا نقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا
فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت ت
منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد د
وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا
لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج
والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة
وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا
بعشك فادرج منه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم
ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد
جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراءي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال
الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت وقد قطعت منها
ثلث منازل اذ في اوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا
وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي بين الارض والماء فلا هي
في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته
الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت

من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافي
فاول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد
تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من
علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك فان ظهر لك القلم الذي انكتب به في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق
فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالعلم اما ترى ان النبي عليه السلم في اول امره كوشف بالقلم
اذ نزل عليه قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله
ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت
اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام
ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم
ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص
فان كنت لا تشاهد هذه الامور فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذلك لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في
يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت ان الله تعالى خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها
كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتورية وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها
صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك
من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السائل من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه
مخنث في التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي
في مشكوة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم
الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم
في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان
له في كل قلب راس ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله تعالى عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف
القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراودتي لك وانا عازم على ان اسافر
الى حضرة القلم واسأله عن شانه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى
اشخاص القدرة وتصرفها الى المقدورات فقال او قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته
فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته
قال بلى قال فسل عن شاني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي
في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه
قال بلى قال والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد
على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان
ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شانه وتحريكه القلم فقال جوابي
ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة
فسافر الى عالم القدرة فرأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقال انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة
على الموصوف لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب
سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما افاق قال سبحانك

ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ
الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسالك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح صدري لاعرفك
واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد المرسلين بل ارجع اليه فما آتاك
فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين
فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك
الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع
السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت
غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل فالآن قد صح عندي عذركم
وانكشف لي ان المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون
في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الغيب والشهادة استبعد ذلك منه وقيل كيف يكون هو
الاول والآخر وهما متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة
الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين
من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة
الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في البصيرة
الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد
فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد
فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس
فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا
اهتدي الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار
السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال انا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات
فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك اياما فما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء فهذا حكم الجاحد واما الذي
لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيه ان ينظروا الى العين التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل
وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيتها اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشده
الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك السبيل
الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت ونزلوا ذروة
التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين
فيقال له على حد عقله الاله العالم المدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة
فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل
القرآن بلسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا
للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف و
يتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة
التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك
بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى الانسان في وقت الاسفار لا يزداد يقينا
بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري

كان سحرة فرعون لما أن كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فرأوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف
لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا
فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا فإن البيان والكشف يمنع التغير وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر
إلى الثعبان فلما نظروا إلى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله موسى ونسوا أنه لا يرجع إليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان فيكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف
والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا أصلا فإن قلت
ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الإنسان فإنه يتحرك
إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء إن شاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلة
القدم وموقع الغلط ولكن علمت أنه يفعل إذا شاء ويشاء شاء أم لم يشأ فليست المشيئة إليه إذ لو كانت إليه لافتقرت
إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن المشيئة إليه ومهما وجدت التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت
القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة
تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على البعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى
المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فإن قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور
فهو إذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما يذكر متطفلا
وتابعا فإن هذا الكتاب لم يقصد به إلا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه إذ يقال
الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق والتنفس والكتابة
وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحدة ولكنه تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات فنسمي خرقه
الماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا إراديا ونسمي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي
لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح الهواء انخرق لا محالة به فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه
فإن نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل
إليه فكذلك الإرادة ليست إليه ولذلك لو قصدت عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان اضطرارا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لا يقدر
عليه مع أن تغميض الأجفان فعل إرادي ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة للتغميض ضرورة وحدثت
الحركة ولو أراد أن يترك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا فأما الثالث وهو
الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء
فيظن من هذا أن الأمر إليه وهو جهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه أن الإرادة تبع العلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء
تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير
تردد أن يقصد عينك بإبرة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الإرادة بالعلم والقدرة
بالإرادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ويكون ذلك من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء
ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر
والروية الحكم بأحدهما التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الإرادة هاهنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان
فإذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختيارا مشتقا من الخير أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو
عين تلك الإرادة ولم تنتظر في انبعاثها إلا ما انتظرته تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية
بل على البديهة وهذا افتقر إلى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبعثت بإشارة العقل فيما له في إدراكه توقف
وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم

من

من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحز رقبة نفسه لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية
المشخصة للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا
يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فإن العقل هاهنا يتوقف في الحكم ويتردد لأنه تردد
بين شر الشرين فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا
ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمي نفسه من السطح
وإن كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي فإن كان يتبع بضرب خفيف فإذا انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون
من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا ينبعث له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس
والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور
فأما أن يكون منه فكلا ولما فإذن معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا أنه محل للإرادة
حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم أيضا جبرا فإذن هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الإحراق
مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا
عبارة ثالثة لما أن كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما
عند من فهمه وفعل الله يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع
الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن يستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم و
يطول القول فيه فإن قلت فهل تقول إن العلم ولد الإرادة والإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وإن كل متأخر
حدث عن المتقدم فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا
على البعض فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل إحالة جميع ذلك على المعنى
الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق إلا الراسخون فإنهم وقفوا على كنه معناه بل وقفوا على
مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث
ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حيوة ولا حيوة إلا بعد محل الحيوة و
كما لا يجوز أن يقال الحيوة حصل من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة
وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم وكذلك جميع أفعال
الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا وإلى هذا أشار
قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب
واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط
محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط ولا يتأخر عنها الإرادة بعد الحيوة إلا لفقد
شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير
ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن
تقدر إنسانا محدثا قد انغمس في الماء إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر
القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها كملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل ارتفاع
الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل في سائر الأعضاء وارتفع الحدث
وربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليد بغسل الوجه لأنه حدث عقيبه إذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا
والماء لم يتغير كما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليد عند غسل الوجه فإذن غسل الوجه
هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك
خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير ولم يحدث فيه

شيء ولكن حدثه وجود الشرط فظهر وجود العلم فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات
حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وان
الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من حياض
المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطوي
تحت قول لا اله الا الله وما اخف مؤنتها على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما اعز حقيقتها ولبها عند العلماء
الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع
اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا
ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون
الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد
فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة
بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط
بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له
كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا
لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجله توافق ذلك وتطابقه نسب الله الافعال في القرآن مرة الى الملائكة
ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى
الانفس حين موتها وقال افرايتم ما تحرثون اضاف الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها
حبا وعنبا وقضبا وزيتونا وقال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان
النافخ جبريل وكما قال فاذا قراناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه اذا قراه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا و
ما رميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه
البيان وقال ان علينا بيانه وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام
معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر فيصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال
بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه
روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة
عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات
ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وليس ذلك متناقضا
بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى
كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف
الله تعالى نفسه بانه المحيي المميت ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت
انا اميت الاحياء وقال ملك الحيوة انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وانا المميت
والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة تاتي لا على الوجه
الذي ياتي الانسان اليها وكذلك لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال عليه السلم عرف الحق لاهله فكل من

اضاف

اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحق الذي عرف الحق والحقيقة لاهله ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان
للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق
وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق
لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره
بالمجاز اي تجوزه عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره
فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم
بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم
صرت تقول انا وانا كن الآن كما لم تكن فانك اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب
والرضا وكيف غضب على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي
راينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى
مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا تتم حال التوكل كما سياتي الا بالثقة بالوكيل
وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر
حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه
ولا ريب ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمل نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة
ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف
وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منه جناح
بعوضة ولا ان يرفع فيها ذرة او يخفض فيها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او
غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها من تفاوت
ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض
لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم
ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله كان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض
الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة
الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء
ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان
الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا
خلق البهائم لما عرف شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع
اليد اذا تآكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة
فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر
التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي فيه تحير
الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق
المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن
ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه الرموز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم
المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ

في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل
في ازالة المرض بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال
وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان
حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا
فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان
اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق
به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب الوكيل
في الخصومة مثلا فمن ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق
القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة
اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما القدرة والقوة فليستجري على التصريح
بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او
صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على
الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدته واما منتهى
الشفقة فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي
بخصمه ظفر به او لم يظفر هلك به حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في
هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله
وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه و
الاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة
تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله
فانه تحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعيا وكذلك سائر الخصال يتصور ان
تحصل القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على
نصرة الحق على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله عليه فان ثبت في نفسك
بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله تعالى كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام
العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته
لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله
كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة
من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه
بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين
يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او في فراش او بيت نفر طبعه وتعذر
عليه ذلك وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان
قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا
اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او المبيت معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف
قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه
فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين
شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يكون مشاهدا احياء الميت بعينه

ليثبت

ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن في القلب في ابتداء امره الى ان يبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك
لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب في تهوده وكذا النصراني
ولا يقين لهم وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذن الجبن
والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا
اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال عليه السلام
من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف
ثلث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل
الدرجة الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها
ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول
خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له
ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء
الادراك فمن كان باله الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه
والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط
فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما المتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لانه ملتفت الى توكله وشعوره به وذلك
شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه فقط وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني
قال واوسطه ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة
وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه
القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات
وان كلا يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو
خلفها بل مثاله مثال صبي علم ان امه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه وان لم يسألها
اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل
مما يسأل فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك
السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل تتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني
والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه
الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى
جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى ينمحي عن ظاهر
البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب
الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام
الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة المريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم
ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي
التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى
بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات
فالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير
الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل
لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة ولا

حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته
واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته
ووفايا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار
السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر وقام باشارته واحضر السجل وقام
بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته
اذ لم يبق له حول وقوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نيابته فلم يبق
الا طمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس
من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على انقسام وسياتي تفصيله في الاعمال
فاذن فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا
وتعبا محضا بلا جدوى فاذن لم يصر مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا لمحاجته وعرفه ذلك
باشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة له الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يحمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله و
قوته بل هو جاعلهما مفيدين في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى
اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدا اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوايد و
المقاصد فاذن لا حول ولا قوة الا بالله صدقا وحقا لمن شاهد هذا لذلك كان الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول
لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة
اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها
الى كلمة لا اله الا الله وثوابها نسبة معنى احدهما الى الاخر اذ في هذه الكلمة اضافة لشيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة
واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا
وكما ذكرنا من قبل ان التوحيد قشران ولبان فكذلك لهذه الكلمة ولساير الكلمات واكثر الخلق قيدوا بالقشرين ما ظنوا الى اللبين
والى اللب الاشارة بقوله عليه السلم من قال لا اله الا الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص
اراد بالمطلق هذا المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع
والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث
نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب
اليمين ايضا درجات عند الله تعالى وان كان لا ينتهي الى الملك الا ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين
تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه
والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات
البهائم من لذات الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفع
عنها درجة الملائكة افترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة
بالنزو والسفاد اعلى واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطا من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار
الله تعالى في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من لا يختار ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل عليه السلم
ويختار درجة الحمار على درجة جبريل ليس يخفى ان شبه كل شي منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الكتابة اكثر
من نزوعها الى صنعة الحياكة فهو بالكاتب اشبه في جوهره منه بالحايك فكذلك من كان نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم
اكثر من نزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم اولئك كالانعام
بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته
ذلك والقاعد عن نيل الكمال الحري والجدير بالذم بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذ كان هذا كلاما معترضا

فلنرجع

فلنرجع الى المقصود وقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله ومن ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور
منه حال التوكل فان قلت ليس في قول لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله تعالى فلو قال قائل السماء والارض خلق الله
فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة الثواب ولا مساواة بين الدرجتين ولا تنظر الى عظم السماء والارض
وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليس من جهة الادميين
فهو من الله واما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول حتى يشوش
الشرع بحجة نظر فهي مهلكة مخطوة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم ارادة وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى
الله تعالى ومن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا
بالله وقد ذكرنا ان ليس في التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وساير الجمادات والثانية
النظر الى اختيار الحيوانات وهو اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة
التي هذه الكلمة ترجمتها فاذن رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل
اعمال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل ليتبين ان شيئا منها لا يخرج عما ذكرناه

ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت
قلت اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو
ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى
فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم
بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا
اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس من التوكل الاحتراز عن
الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان
يقال فعل ذلك بيده ولم يتغير بسببه سره او يقال فعل ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يزول التوكل بحركة سره
وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سياتي ان امثال ذلك والاكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات
هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله
وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والقدر وسيل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب
فخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه
فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسيل
حمدون عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة
الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسيل ابو عبد الله القرشي
عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السايل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك
فالاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم عليه السلم اذ قال له جبريل
الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سواله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان اراد سخر
جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه
ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله
يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى
فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال
ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب
التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه

والحكم يتبع الوصف ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول به فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل بعد كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول

في جلب النافع ونقول فيه الاسباب التي بها جلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم وكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال الحصول دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق لكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع ان يلقاه ادمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارق الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بلا دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي وكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا ملتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب

او

او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين البابين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال عليه دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في التوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب الخفي لا الى السبب فان قلت فما قولك في القاعد في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح ام مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه فانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم ياكل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده تعالى ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لماله لئلا ياخذ الشبهة والاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون في الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بذلك وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له

او قوم قد يشغل الوصي بالمولى الى ان يحضر حتى من ذلك فان الذي يحمل الزاد معه يوجد زاده او يفضل بعيره فهو متوكل فذلك مثل مع الزاد
كالتوكل مع فقده العقد والثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل
لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض
لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان
البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله عليه بتعريفهم وتحريك دواعيهم الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على
الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينته نفسه
الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسباب له
بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه ماذا
يحركه والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف
من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال المتوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق
رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح آخذا الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة
فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان ضيعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم
وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه
كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب
وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من
درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا وصاحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا
نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت
التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه
كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي والجلوس في رباطات الصوفية
مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال
والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهذا اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون
داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او ان يخرج فيكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ
بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك ومع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من
يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى
الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف
اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه
واعطه فانه يأخذه فلحقه واعطاه فاخذه فسأل احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذه وكان الخواص اذا نظر الى عبد
في العطاء او خاف اعتياد النفس لم يقبل منه شيئا وقال الخواص يعني ان سئل عن اعجب ما رآه في اسفاره رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكن
فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصانا في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد
الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول
علامته انه اذا سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان
حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب بفقده فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل
فترك ذلك وذلك ان السلمي كاتبه وقال بلغني انك استغنيت بالمغازل أرأيت ان اخذ الله سمعك وبصرك فالرزق على من فوقع ذلك في
قلبه فاخرج آلة المغازل وقيل تركها لما توفيت امه وقيل ترك ذلك لما كانت عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر
فيها فلما كانت عياله فقد فان قلت كيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن

فاقول

السلمي

فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فهم اكثر وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فهم كثيرة وان
يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد
دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك
من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من
امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه
من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني
لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن الحواري
لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات
الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله تعالى ولا رازق سواه وبان كل ما
يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق
وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تنبني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي
قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد
طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينفع في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله
تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله عز وجل
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع
تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب
والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي عن
عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي
في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف
بين يدي الله والعباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام مسجد
لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء
الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق
الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم
ابرهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد
خراب فنظر الي ابرهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى

انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا عاري ... هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا جاري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ... ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة
الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها وقرأ وبكى وقال ما فعل صاحب هذه
الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقال هذا نصراني فجئت الى
ابرهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابرهيم يقبله
واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت الى
الوادي لعلي اجد شيئا اسكن ضعفي فرأيت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قائلا يقول
لي جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين
يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة

على العرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانا اوله من اعتقه فقلت افتحها فاذا فيها سبع تمرات بصرية ولون مقشرة وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى الصبيان هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي ان قدرك يسير الى ان تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي فرأيت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك قصابا ولا بقالا ولا غيرهما وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امرأة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر وحكي ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رأيهم على واحدة فقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله تعالى به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم يأكله وبقي عنده القرص وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة ووارت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر رضي الله عنه فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال له عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر ينتابه بعد ذلك ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد رأس البئر لئلا يقع فيه احد فاتيا بقصب وبارية وطما رأس البئر فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى واغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كانما تبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع مدة اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط فيه في نفسه ان اتفق ذلك

نادرا

نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذا لا يمكن في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا به بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقه ونفسه عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا بان تساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيق ذلك ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى ولا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه بما اشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل تيسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخص واحد وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على قلبه فكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فلما رأوه محتاجا ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية من الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذوه ويكفلوه فما رأى الى الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان الشفيق واحدا والمشفق الآن الاف نعم كانت شفقة الام اقوى واحظى لكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له ام واب فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بالصبا واما هذا فانه قادر على الكسب ولا يلتفتون اليه ويقولون هذا مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد او للبيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في

توكل الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل من بين الناس وما رأينا الى الآن عالماً او عابداً استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعاً قط بل لو اراد ان يطعم جماعة بقوله لقدر عليه ولقد احسن الشاعر حيث يقول

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين

فان من كان لله تعالى كان الله له ومن اشتغل بالله ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيراً كافياً لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم لا يدبر تدبيراً يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور والسمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضاً في بعض الاحوال لكن دبره تدبيراً يصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص شعير او حشيش يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر من ذلك بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضاً ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادراً وفي النادر ايضاً قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيراً لا يجاوز عبداً من عباده رزقه ان سكن والا نادراً ندوراً عظيماً يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس كما قاله الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاساً والارض رصاصاً واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين الافلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقاً والافلاس عن الايمان به علماً فاذا عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فانه يأتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله ان يبعث عليك رزقك على يد من لا تحتسب وان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي يدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله تعالى من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا مطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسأل الله تعالى فقلت ليس هذا من فعل المتوكلين فطالبتني ان اسأل الله عز وجل صبراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً يقول

ويزعم انه منا قريب ... وانا لا نضيع من اتانا
ويسألنا القوى جهداً وضعفاً ... كانا لا نراه ولا يرانا

فقد رأيت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابداً واثقاً بالله فان اسوأ احواله ان يموت ولا بد ان يأتيه الموت كمن ليس متوكلاً فاذا تمام التوكل بالقناعة من جانب والوفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع به وجربه لتشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك فلا يكن في توكلك منتظراً للاسباب بل المسبب للاسباب كما لا يكون القلم الكاتب منتظراً الا لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخرج البوادي او يقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن مما يليق باهل الدين فذلك يأتيه من حيث لا يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه اضعافه فتركه التوكل

واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر لجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا يأخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه اولى لانه تفرغ منه واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيماً عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال

اعلم ان مثال الخلق مع الله مثال طائفة وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلماناً كثيرة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفاً رغيفاً ويجتهدوا ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر منادياً ينادي فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بهم وآذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلاً به الى ان اتقدم بعقوبته على ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطأه غلماني فما اوصلوا اليه شيئاً فبات الليلة جائعاً غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته اوصل الي رغيفاً فاني غداً استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى الغد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان وآذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكنا لا نأخذ اذا اعطونا الا رغيفاً واحداً ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم الغلمان في كل زاوية من الزوايا واعطوا كل واحد رغيفاً واحداً وجرى مثل ذلك اياماً حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعاً راضياً من غير تأخر ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعلق بالاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعاً راضياً فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واما سبعة من العشرة الباقية متعرضاً للسبب بحضوره واشتهاره وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان ذلك في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف

الفن الثاني التعرض للاسباب بالادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلاثة احوال الاول ان يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعاً ويلبس ان كان عارياً ويشتري مسكناً مختصراً ان كان محتاجاً ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا القدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقاً وهي

الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه وهي التي تخرجه عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم الثالث ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويزه اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل واما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعالي درجات اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده واما الناس فيتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمرا للانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يامل اكثر من شهر فهو اقرب الى المقصود ممن يامل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال تعالى خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكرنا فاما رجاء السعة لا يدخرها الا لحكم ضعف القلب والركون الى الظاهر من الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل بغير اثر بالحاطة التدبير من الوكيل الحق لخفايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات يتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين فليست درجته كدرجة من امله شهر ولا كدرجة من امله ثلثة اشهر بل هو متوسط بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة فغسلاه وكفنه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة واما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشرف نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفة واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف الادخار وصواب القوي ترك الادخار هذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين وادخاره لما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان يدخر له شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ فالاقتداء به سيد المتوكلين عليه السلام والادخار لم ينقص ذلك من

توكله

توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكن ترك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك فيحتمله وهذا يحتمل وجهين لانه حاله يحتمل حال اليس احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من الآخرة واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فليشهد له ما روي عن بشر عن الحسين المغازلي من اصحابه قال كنت عنده ضحوة من النهار فدخل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار ۝

الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المتعرض للخوف

اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهو التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يتقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم عند الخروج سفرا في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ودع اذاهم وتوكل وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس فاما الصبر على اذى السباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه الاسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال عليه السلام للاعرابي لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو نوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه في الغار عن اعين الاعداء دفعا للضرار واخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك

فاقول وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه ولا ينبغي أن يغرك ذلك فإنه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء
بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامة وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا تقف عليها ما لم تنته إليه
فإن قلت وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليه فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن
العلامات السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فإن سخر لك هذا
الكلب بحيث إذا هيج وأشلي لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك
السباع وكلب دارك أولى بأن يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب إهابك أولى أن يسخر لك من كلب دارك فإذا لم
يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فإن قلت فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو
وأغلق الباب حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا فأقول يكون متوكلا بالعلم والحال
فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب بل بدفع الله تعالى إياه فكم من باب يغلق ولا
ينفع وكم من بعير يعقل فيموت أو ينفلت وكم من آخذ سلاحه يقتل فلا يتكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب
كما ضربنا الأمثال في الوكيل في الخصومة فإنه وإن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته
وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على ما في البيت من يأخذه
فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فإني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا ترجع فيها أو عارية ووديعة فتستردها ولا يدري (margin: فهو في سبيلك)
أنها رزقي أو سبقت مشيئتك في الأزل بأنه رزق غيري وكيف ما قضيت فأنا راض به وما أغلقت الباب تحصنا من قضائك
وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الأسباب فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله وهذا الذي
ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد ما في البيت فينبغي أن يكون
ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجده بل وجده مسروقا فلينظر إلى قلبه فإن وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما بأنه
ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وإن تألم قلبه ووجد قوة الصبر
فقد بان له أنه ما كان صادقا في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا
ولا يفرح بما يأتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر
سعيه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت
السرقة مزيدا له في دينه من حيث إنها أظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى
لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فإنها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير فإن قلت فكيف يكون
للمتوكل مال حتى يؤخذ فأقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يشرب منها وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده
وعصا يدفع به عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يريد يمسكه ليجد محتاجا
فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب
الذي فيه زاده وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لأن سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز إلى الفقراء المتو (margin: كلين)
في زوايا المسجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان ولا أمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس
شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد لأن سنة الله تعالى جارية بين (margin: بالفرق)
المسلمين فإن قلت كيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا يأسف عليه فإن كان لا يشتهيه
فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته إليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه
فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما
رزقه الله تعالى ولما أعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب
دينه ولم يكن ذلك عنده مقصودا لعينه إذ يحتمل أن يكون خيره في أن يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل عوضه ويكون ثوابه في التعب
والتعب أكثر فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله تعالى حسن الظن به فيقول لولا

ان

أن الله تعالى علم أن الخيرة لي كانت في وجودها إلى الآن والخيرة الآن لي في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه
الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب عناية به ولطفا
وهو كالمريض بين يدي الطبيب المشفق يرضى بما يفعله فإن قدم إليه الغذاء فرح وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت
على احتماله لما قدمه إلي وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه
وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله
تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عبيده لم يكن فرحه بالأسباب فإنه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر
رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق
فإنه لا يدري أيهما خير له في الدنيا ولا في الآخرة وكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان وكم من غني يبتلى بواقعة
لأجل غناه حتى يقول ليتني كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين

إذا سرق متاعهم للمتوكل آداب في متاع بيته
إذا خرج الأول أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقا كثيرة فقد
كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطة ويقول لولا الكلاب لما شددته أيضا الثاني أن لا يترك في البيت متاعا
يحرص السراق عليه فيكون هو سبب معصيتهم إذ إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار
ركوة قال خذه فلا حاجة لي إليه قال لم قال يوسوس إلي العدو أن اللص قد أخذها فكأنه احترز من أن يعصي السارق ومن شغل
قلبه بوسواس الشيطان بسرقته ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من
أخذها الثالث أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه
ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو في سبيل الله وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى ويكون له نيتان
لو أخذه غني أحدهما أن يكون ماله مانعا له من المعصية فإنه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام
لما جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع (margin: المعصية)
عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر أخاك ظالما أو مظلوما ونصرة الظالم أن يمنعه عن الظلم وعفوه
عنه إعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي ولكنه
يتحقق بالزهد بنيته فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل وأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وإن
كان لم يولد له لأنه ليس له من أمر الولد إلا الوقاع فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يعدم
فكذلك أمر السرقة الرابع أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه
الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه وإساءة الظن بالمسلمين وإن كان جعله في سبيل الله تعالى فيترك طلبه فإنه
قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فإن أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله فإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم
لأن الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روي أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ثم قال في سبيل الله
عز وجل فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال أستغفر الله
وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد
موته فقلت ما فعل الله تعالى بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين
فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال إني
لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت فلما هممت بدخولها نادى مناد من
فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل فقلت وما أمضى السبيل قيل لي قد كنت تقول للشيء إنه في سبيل
الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيناه لك وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما بجنب رجل معه هميان
فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكره فحمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم أعلمه أصحابه أنهم كانوا

اخذ والهميان من جامعه فجاء هو واصحابه وردوا الذهب فابى وقال خذوها حلالا لا فما كنت لاعود في مال احتسبته في
سبيل الله تعالى فلم يقبل قال فالححنا عليه فدعا ابنا له وجعل يصيرها صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء
فهذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ رغيفا ليعطي فقيرا فغاب عنه كانوا يكرهون رده الى البيت بعد اخراجه فيعطي فقيرا
آخر وكذلك في الدراهم وسائر الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان
فعل بطل توكله ودل على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وان بالغ فيه بطل ايضا اجره فيما اصيب به وفي
الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع
صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو
احب الي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في
شيء قد كان سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارأيت لو رد عليك قال لا آخذها
ولا انظر اليها لاني كنت قد احللتها له وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفي المسكين
ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى ينتصف
للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف لمن اخذ ماله وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون
بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه
وتعرضه لعقاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصان دنياه لا نقصان دينه
فقد شكى بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر
من غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي
فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسأل يوم القيامة فلا يكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن
الدعاء عليه **الفن الرابع** السعي في ازالة الضر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم
الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر ابواب
الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية
اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ وصف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال غاية التعمق في ملاحظة
الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل
بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على
درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به اما قوله فقد
قال عليه السلام ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله و
سئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله عز وجل فقال هي من قدر الله وفي الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملائكة
الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم
فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص عنه اذ لا فرق بين اخراج الدم
المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب
الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج من سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع من
احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من
الصحابة بالتداوي وبالحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان به رمد
العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب وقد رآه
يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرا وانت ارمد فقال انما آكل بالجانب الآخر فتبسم واما فعله فقد روي في حديث طويل من طريق

اهل

اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب
وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر آخر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل
عليها حناء وجعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره به خارج عن الحصر وقد صنف كتاب وسمي بطب النبي
وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا
لبرأت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به
فنبرأ فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم
داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع
العقاقير منافع الاشياء غيري وروي في خبر ان نبيا من الانبياء شكا علة يجدها فاوحى اليه كل البيض وشكا نبي آخر
الضعف فاوحى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم
فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ
فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا تبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط
المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء
العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاحتباس لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز
والماء جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول
والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط اخر في الباطن واسباب بالمزاج ربما تعذر الوقوف على جميع شروطها
وربما تفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال واما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يعرض من
العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف الاسباب ابدا يجري في هذين الفنين والا فالمسبب
يتلو السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر
المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء وقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الداء
والشفاء فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي او قضائي فاذا معنى
التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع واما ترك التداوي راسا فليس شرطا
فيه فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد
والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه وقلما يعتاد الكي
في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهي من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنه بامر وهو انه
احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار
جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيد ولا يسد مسدهما
غيرهما ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين اعتل
فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فقال كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم علي الملائكة فلما
اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله عليه
ما كان يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها قد ردها علي بعد ان كان
اجره بفقدها فاذا الكي وما يجري مجراه من الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير موهوم ويدل
ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها **بيان ان ترك التداوي** قد يحمد في بعض الاحوال ويدل
على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون
ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب نظر

اي فقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال
الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل لو سألت الله ان يعافيك قال اسأله فيما
هو اهم علي منهما وكان اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكانت فيهم
الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب
الدواء وغيره وكان به علل ولا يخبر المتطبب ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص
في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذا من ترك التداوي رأى فضلهم كثير ولا ينقدح وجه الجمع بين فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفعلهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان لترك التداوي اسبابا الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف
بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون
ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه قال لعائشة رضي الله عنها في امر الميراث انما هن اخواتك وما كان لها الا اخت واحدة
ولكن كانت امرأته حاملا فولدت انثى فعلم انه كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار
التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع
الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء
اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل
الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تأكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن
اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ما القوت قال هو ذكر الحي القيوم فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل انما سألناك
عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى
صانعه اما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون العلة مزمنة والدواء
الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال
ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد
يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد
اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة والاكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد
هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض
ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد
بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب
المرض ما يكثر ذكره فقد قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان
صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله يجرب عبده بالبلاء كما
يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق
اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم اتحبون ان تكونوا
كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما
وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها
للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدا
مع الصبر على قضاء الله تعالى افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح
ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال عليه السلام افضل
الاعمال ما اكرهت عليه النفوس قيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة

عظيمة

عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى
للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعات تعجب من ذلك ويقول صلوة من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة والصلوة
قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فهو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو
افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه
ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب من الصبر والرضا والتوكل افضل من
امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام
رحمة وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها
فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال عليه السلام لا تزال الحمى والمليلة بالعبد
حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانه تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة
وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها وتجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طايفة من
الانصار وكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال عليه السلام من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان
في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو
في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه بما به ارحمه اي به
اكفر ذنوبه وازيد درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة
فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فيعاوده الغفلة والبطر والطغيان وطول الامل والتسويف في تدارك
الفائت وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها
ان يدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد
الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالمصائب والامراض ولذلك قيل لا يخلو المؤمن عن علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله
تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي
خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين
لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى
من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي
اظهروه قالوا يا امير المومنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم
من بعد ما اريكم ما تحبون قيل العوافي وان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم
انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة فلم يصدع له رأس ولم يحم له جسد ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا من دعوى الربوبية وقال عليه السلام اكثروا من
ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت وهو مذكر له دافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض ويختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم يتب قال
ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه
بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج
امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوج وقيل وانها ما مرضت
قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع
ما اعرفه فقال عليه السلام اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر الحمى حظ المؤمن من
نار جهنم وفي حديث انس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيمة غيرهم قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة

المليلة حمى في العظام

وفي لفظ آخر الذي يذكر لو لم يحذره لا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب ولما ان كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها
اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

بيان الرد على من قال ترك التداوي افضل بكل حال فلو قال قايل ان ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسن لغيره
والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند
تبيغ الدم وان قيل ان ذلك شرط ايضا فليكن من شرطه ان لا يلدغه العقرب والحية ولا ينحيهما عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب
يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز
ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته
ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام
وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر بموت ذريع ووباء عظيم فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا
الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال
الله فيهم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل
على الوباء فقال المخالفون افرارا من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب مثلا وقال ارايتم لو
كان لاحدكم غنم وله شعبان احدهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها
بقدر الله فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه وكان غايبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك
فقال عندي فيه شيء يا امير المؤمنين سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله
تعالى اذ وافق رايه ورجع من الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط
التوكل فان قلت فلم نهي عن الخروج عن البلد وسبب الوباء في الطب تغير الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر فلم
لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر وترك التوكل في امثال هذا
مباح فلا يدل هذا على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من
حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق
فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم
الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن
صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون
فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بانفسهم فيكون
ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر فلو اقاموا لم يكن الاقامة قاطعا بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص
وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى اشتكايه
ساير اعضايه وهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل
البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول
هنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من
الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر قلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها
ونظر الى ظواهر الاخبار والاثار تناقض عنده اكثرها ومنه غلط الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر وانما شرف العلم وفضيلته
لاجل ذلك فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل
فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج
الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصر بصيرته

عن

عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى في الادوية من لطايف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه
عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني ترجع الصوارف في ترك التداوي وكل
ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى
من هذه المقامات كلها اذ كان حاله تقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم
يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الاسباب لما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة
عن المال كراهة له وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر
والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة
من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزاين الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل
هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه مع انه لا ضرر فيه
بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا
قد نهي عنه ومن حيث انه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك ولا احد
من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي
في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح
فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في
بعض الاحوال وان ذلك قد يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل
الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين ٥ **بيان حكم التوكل في اظهار**
المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم
الله والصبر على بلايه معاملة بين العبد وبين الله تعالى فكتمانه اسلم عن الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت
فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار ثلثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره
لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب
اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في والثاني ان
يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن
الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة يشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقال الحسن البصري اذا حمد
المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى
وذلك حسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي في مرضه كيف انت قال بشر فنظر
بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله تعالى فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به
من القوة والصرامة وتادب فيه بالنبي عليه السلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء وقال لقد سالت الله تعالى
البلاء فاسال الله تعالى العافية فهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله
تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السوال على الفقير الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله
تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم
الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع ويزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه
للاظهار لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى
قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلم ما الذي اذهب بصرك فقال مر الزمان وطول الاحزان
فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواك الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض
انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في مرضه فجعل

لا ابين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول للعواده فان حمد الله واثنى بخير دعوا له وان شكا
وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم
يدخل عليه احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب وبشر وكان يقول فضيل اشتهي ان امرض بلا عواد وقال لا اكره العلة
الا لاجل العواد ٥ تم كتاب التوكل والتوحيد بحمد الله وحسن توفيقه
وعلى محمد نبيه الصلوة والسلم وعلى آله واصحابه الكرام

كتاب المحبة والشوق والانس والرضا

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا
ونضرته وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى
اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احرقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء
كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف
آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى
في بحر معرفته محترقة بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق
وازمته

اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات
فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو
مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها
واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله واما حقيقة المحبة
فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء
عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى
ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة ثم بيان الاسباب المقوية
لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الانس
ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في
الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي
ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم ان الامة
مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف فرض ما لا وجود له وكيف تفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب
وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه
وقال تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث
آخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية فان ذلك جرى في معرض التهديد والانكار
وقد امر عليه السلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله تعالى ويروى ان رجلا قال يا رسول الله
اني احبك فقال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه
وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال عليه السلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله تعالى قلبه

لقد رأيته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابرهيم عليه السلم
قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رأيت محبا يكره لقاء
حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله تعالى بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج
قلبه اليه ولم يكن له محبوب سواه حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب
من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي عليه السلم فقال يا رسول الله
متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال صلى الله
عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه
احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله تعالى
خلقا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى عليه السلم مر بثلثة نفر قد نحلت
ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم
الى ثلثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون
ثم جاوزهم الى ثلثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا نحب
الله تعالى فقال انتم المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال
من شغله حب الله تعالى لم يجد البرد وعن السري السقطي قال تدعى الامم يوم القيمة بانبيائها عليهم السلم فيقال يا امة
موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا
وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر
الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ
عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما
دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من
الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني
اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا
تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف اليوم
عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني احبك وكل محب بحبيبه
مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به
اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها و
اسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة
وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات
في انفسها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ
فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب
الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه
ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي
عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته
الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس فلكل

كانت لذة ادراك النوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات
عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة ولذة الاذن في النغمات الطيبة
الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات
بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال عليه السلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا
حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس
الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان
الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية
الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها
وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصورة
الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم و
ابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر
اذا حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا الاصل الثالث ان الانسان
لا يخفى عليه انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما يشكل
على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور
وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي ذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام
وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده واي شيء اعظم
مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا
لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب وعقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت
والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان
فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص
فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال
الوجود كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع
بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته
واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة
في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله
بها حتى انه يحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله
نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن ان يطمع في بقاء نفسه ابدا نعم
لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاء نفسه
من وجه وليس هو بقاؤه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم
قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوام الوجود محبوب
بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول
الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء
اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع
دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا

حتى

حتى رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ
التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لانها كمال الوجود وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين
الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب
الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ
محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة
لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع
الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب
مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث
ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال
والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها
ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك
نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء او يوكل الخضرة او
ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية
باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عن الغموم بالنظر
اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا ينكر
احد كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله تعالى جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال صلى الله عليه
وسلم ان الله جميل يحب الجمال الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات
ربما ظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة
الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص
فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه
لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطا ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض
بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز حسن
فاي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط
الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما
معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه
فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في
غاية الجمال فان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة
وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة
ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن
به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت
فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس
ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود
في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم
والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير من هذه الصفات لا يدركها الحواس الخمس بل يدرك
بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر

كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء والصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم أريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي رضي الله عنه مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيرها فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذا علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر على ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الديار فاذن ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة

السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله تعالى

بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

وان من احب غير الله تعالى لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول

صلى

عليه السلام محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره تعالى الا آحادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا تحب احدا غير الله تعالى

السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله عز وجل فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله والى الله وبالله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله تعالى عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله تعالى عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده ودوامه ان عرفه خالقا له موجدا مخترعا ومبقيا ومقوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحب من به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشارك البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطأ بساطه الا من يقرب شبها من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم

واما السبب الثاني وهو حب من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست احصيه اذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان

إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه
في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط
عليه الدواعي الباعثة المرهقة إلى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله تعالى إليك وصاحب اليد
مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فإن اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من
حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فإنه لا يتصور الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه أما الإحسان إلى غيره
فمحال من المخلوقين لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والاستسخار
أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة والمحبة وكما أن الإنسان لا يلقي
ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه أيضاً في يد إنسان إلا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصوده وأما أنت
فلست مقصوداً بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر والثواب بسبب قبضك المال فقد
استسخرك في القبض للتوصل إلى الغرض فهو إذاً محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو أرجح عنده
من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة فإذاً هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين
أحدهما أنه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسناً
بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه
الأمير ونفسه لما سلم ذلك إليك فكذلك كل محسن لو خلاه الله تعالى ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله تعالى
الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه ديناً ودنياً في بذله فبذله لذلك والثاني أنه معتاض عما بذله حظاً هو أوفى عنده
وأحب مما بذله فكما لا يعد البائع محسناً لأنه بذل العوض هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد و
الثناء أو غرضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً متمولاً بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأموال والأعيان بالإضافة
إليها فالإحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي أنعم
على العالمين إحساناً إليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فإنه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والإحسان في حق غيره كذب
أو مجاز ومعناه في حق غيره محال ممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان
فإن كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله تعالى إذ الإحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده
وأما غيره فيستحق المحبة على الإحسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه
وإن لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضاً موجود في الطباع فإذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع
لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضاً بعيد عنك فإنك تجد في قلبك
تفرقة بينهما إذ تجد في القلب ميلاً إلى الأول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الأول وآمن من شر الثاني
لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن إليك وهذا أيضاً يقتضي حب
الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً إلا من حيث يتعلق منه بسبب فإن الله تعالى هو المحسن إلى الكافة المتفضل على جميع أصناف
الخلائق أولاً بإيجادهم وثانياً بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم وثالثاً بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التي هي
في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعاً بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم
وحاجاتهم ومثال الضروري من الأعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس
الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضروري من النعم الخارجة
من بدن الإنسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار
والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل
نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الثرى فإذاً هو المحسن فكيف يكون غيره محسناً وذلك المحسن حسنة من
حسنات قدرته فإنه خالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان فالحب لهذه العلة أيضاً لغيره جهل محض ومن

عرف

عرف ذلك لم يحب بهذه العلة إلا الله تعالى وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء إدراك الجمال
فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين
القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً
من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإن كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب
الأنبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والأخلاق المرضية فإن ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو
المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب
إليه فأحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضي الله عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبهم إلا لحسن ما ظهر له منهم
وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة
عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه
الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة وكلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالاً وعظمة كان
العلم أشرف وأجمل وكذا المقدور وكلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدراً وأجل المعلومات
هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فإذن
جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله تعالى وملائكته ورسله وشرائع
أنبيائه والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله تعالى بالإرشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل
والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخيرات الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء و
الملوك الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من
علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب
الخلق كلهم فقال وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة
أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه
كما قال تعالى خلق الإنسان علمه البيان فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكمالاً للموصوف به
فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال
أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم
الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلق وبين علم أجهلهم لأن الأعلم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور
في الإمكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه وتعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته
لا نهاية لها ومعلومات الخلائق متناهية وأما صفة القدرة فهي أيضاً كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد
واستيلاء فإنه محبوب وإدراكه لذيذ حتى إن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان
وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران فيصادف في قلبه اهتزازاً وفرحاً وارتياحاً ضرورياً بمجرد لذة السماع فضلاً عن المشاهدة
ويورث ذلك حباً في القلب ضرورياً للمتصف به فإنه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم
الأشخاص قوة وأوسعهم ملكاً وأقواهم بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه
وسياسة غيره ما منتهى قدرته وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الإنس في بعض الأمور وهو مع ذلك
لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا نفعاً ولا ضراً بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه
من المرض ولا يحتاج إلى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلاً عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات
وأفلاكها وكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها فلا قدرة
له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله تعالى خالقه وخالق قدرته
وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضاً على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس للعبد قدرة إلا بتمكين

مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله في
جزء من الارض وجميع الارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي حظي بها الناس من الارض غبرة من
تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكنه
واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم
القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من
عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب وفتور في اختراعه فلا قدرة ولا
قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته
فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث
فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب
والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن
نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله تعالى وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس
في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو
المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقدس والتنزه عن النقائص في حقه يطول وهو من اسرار
علوم المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون
مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما للفرس كمال بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل
للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد
الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت
عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا
يدور امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الارض والسموات خالق الجماد والحيوان والنبات
المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في
معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء
الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك وقال سيد الصديقين
العجز عن درك الادراك ادراك فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف هي اوصاف
الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والجلال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا
بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين
هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان
لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها
وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلم على طائفة من العباد
قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له و
تعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب
والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكون احدكم كالاجير السوء
ان لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب
اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن خلاف نوعه وانس العالم بالعالم

الكثر

اكثر منه بالمحترف وانس التاجر بالتاجر اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه
في باب الاخوة في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب التجاذب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر
كمناسبة الصبي للصبي وقد تكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما يرى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع في مال
او غيره كما اشار اليه عليه السلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب
والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان
باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق اذا استكملوا شرط
السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله
تعالى وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق
والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب
بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يشار اليها بقوله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في
الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله عليه السلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون
ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه
الاشارة بقوله تعالى لبعض انبيائه مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك فقال مرض فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر
الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال تعالى ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه وقد تحزب الناس فيه الى
قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق
وضل النصارى في عيسى عليه السلم فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به واما
الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل
ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل

لا زلت انزل في ودادك منزلا … تتحير الالباب عند نزوله

فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت وبقي اصولها
حتى تقطع قدمه فتورمت ومات فيه وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها واعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي
المعلومة من اسباب الحب وجملتها ظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول
عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما كان المقبول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من
هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب
الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال
ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا تتطرق الشركة
الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمالها استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي
خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع
فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام
مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر
والشم في الاستماع والابصار والاستنشاق ولا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في
القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة

الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع
في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني
التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق قديم حكيم موصوف بالصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا
بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة
التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق
الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى طبع سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى
ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر
عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه
بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح
الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة
العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته
وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن الناس ويخبر به يجد له
لذة وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن
حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس
فان كان خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امور الوزير
وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها
بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت
شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها
ومرتبها وهل تتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من حضرة الربوبية التي لا يحيط بادنى جلالها
وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور
الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند
الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم
بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات
اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة
المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة
النظر الى الوجه الجميل البالغ الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين
النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الملاح علم بان الصورة الجميلة عنده الذ من
الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج
اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس
الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق
والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة
وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي
الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره الرياسة يدل على انها الذ عنده
من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر
لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبى والبله والعته فلذة
معرفة

معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على
الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك
الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه منقطعا
بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا فيستعظم بالاضافة اليها
لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل سافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات
متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا اخرج النظر عن المقدرات
فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها
اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محلها الروح
الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية ولا تظن
ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا
ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار ملكوت
السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة
عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر
تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم فهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي
باطنة اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات
تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه
اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه
القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانها على لذة شم البنفسج عند العنين
ولا عند الاخشم لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين
وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة
هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير
شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله جل ذكره وقد انكشف له من اسرار ملك الله تعالى ولو الشيء اليسير فانه
يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا
يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمن
الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله تعالى خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى ولذلك قال بعض
اخوان معروف له اخبرني يا معروف اي شيء اهاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال
ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع
ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلم اذا رأيت الفتى مشغوفا في طلب الرب تعالى فقد الهاه
ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة
بين يدي الله تعالى ياكلان ويشربان فقلت وانت قال علم الله تعالى قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن
علي بن الموفق قال رأيت في النوم كاني ادخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات
وهو ياكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت
في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره

ولا شوقا الى جنته فانما همته النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان ثلاثة آخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمن من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا … فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

واما الذي انت اهل له فكشفك لي الحجب حتى اراكا … فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله تعالى لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبها له لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية وهي التي عبر عنها عليه السلم حيث قال فيما يروي عن ربه تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني لا اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الى الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي له منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله وما له صورة وشكل واي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي اهواء مفرقة … فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي

فصار يحسدني من كنت احسده … وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم … شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم

وهجره اعظم من ناره … ووصله اطيب من جنته

وما ارادوا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم تظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم تظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من ترك اللعب واشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من ترك الرياسة واشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق لمزيد الوضوح والكشف فان الصورة المرئية صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا تفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما اولى والثانية استكمال لها وبين الثاني والاول من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح كما بين المتخيل والمرئي فسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية

وهذه

وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى لن تراني وقال لا تدركه الابصار في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصداء فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم تعالى ابد الآباد نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما ورد به الاخبار سبعة آلاف سنة ولن يتخلى نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر منها فاذا اكمل الله تعالى تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما ورد به الشرع من العرض والحساب وغيرهما ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله تعالى عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيمة ووقت القيمة مجهول فعند ذلك تستعد لصفائه ونقائه عن الكدورات حتى لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لان يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرآيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما تعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر فكيف يحصل له الزرع ومن لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ يختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه السلم ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على لذة المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب وسائر ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة

اذ ليس لأحد في الآخرة الا ما صحبه من الدنيا فلا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من
المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل
خيال صورة المعشوق برؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيب الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى
فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي
عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت اضعافها لان لذة المعرفة
في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة
المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف
يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه
اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة
الشهية الى اكلها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى
وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال
قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وحبه الثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية
المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب
حائل كادراكه مع التجرد الرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق
كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر
رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما
من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر واشرق الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية
والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى
لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب
والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال قصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهو مثل
قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور
ان تخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد
القلب يتفطر لعظمه ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة
قائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في
المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالاحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله عز وجل وبصفاته وباسرار ملكوته
وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد
القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما
تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا
لا محالة فمن احب الموت احبه لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة يحصل
له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم مقصور على
شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس
كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى
الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند اهل النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعوم
عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصائر لا

يلتفتون

يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان
رؤيته تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين او غيرها فان العين محل وظرف ولا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه
ان القدرة الازلية واسعة فلا نحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع
والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجراة على ظاهرها
اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله اعلم

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد
الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب
اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع
الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن
لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل
ذلك بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء
وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله تعالى بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر
ما يشتغل بغير الله تعالى ينقص منه حب الله عز وجل وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد
الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه
وكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى ارأيت من اتخذ
الهه هواه وقال عليه السلام ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى
الاخلاص ان يخلص قلبه لله تعالى فلا يبقى فيه شرك لغير الله تعالى فيكون الله تعالى محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط
ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب
واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى
في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج
بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص
انسه بالله تعالى ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة
من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك
لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام
الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهي تخلية
القلب عن غير الله تعالى واوله الايمان بالله تعالى واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة
والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله تعالى فقط حتى
يتسع بعده لنزول معرفة الله تعالى وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور
شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب
وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تطهيرها من الحشيش وهو الشطر الثاني
ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله تعالى بها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فهي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال
له وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة اما العلم بكيفية العمل
فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضها العمل وغرض العمل صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية
الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل
وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل

الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب والفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى
وفي صفاته وملكوت سماواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به
يعرفون غيره والى الضعفاء فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني
الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات
وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في
آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة
فاعلم ان الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق وهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب
واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا
وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم
الارضين الا وفيها عجائب وآيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن ان نتطفل به على علوم المعاملة
ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى
ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجائبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى
الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم والشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيف
وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه
وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك
فهذا نظر الى الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما احقر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال عليه السلام الارض في البحر
كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر
الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه
من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراهما فانظر الى البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى
على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين
وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء وآلاته ما دبره
في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم
انظر الى هدايته كيف هداه الله الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق الخرطوم الطويل
وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم
وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان
يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال الآلة وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة عنه فيترك المص ويهرب ثم
اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر ان حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل
الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى خلق للبعوض والذباب فانظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه
بيديه واما الانسان والحيوان الكبير خلق له حدقة الاجفان حتى ينطبق احدهما على الآخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى
اطراف الاهداب وخلق الاهداب سودا ليجمع ضوء العين ويعين على الابصار ويحسن صورة العين ويشبكها عند هيجان الغبار وينظر من وراء
شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما الذباب فخلق له حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية
التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين السراج بالليل ظن انه

في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها الى الكوة فاذا جاوزها ورأى الظلام
ظن انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فيعود اليه مرة اخرى الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل
الانسان اعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الانكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار
الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا
مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الآباد او مدة
مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم فهذه لمعة من
عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا
على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصها لا يشاركه
فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبه كيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل
وجعل احدهما ضياء والآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار
وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله تعالى لاميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب
المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في
معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس
فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندس عن درك ذلك وهو ان اوسع الاشكال
واحواها المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا
فيبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل
في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية
هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنأ عيشه فسبحانه ما اعظم
شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت السموات والارض
فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء و
الانبياء ولا نسبة لما احاط به الخلق كلهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم
الله تعالى فبهذا وامثاله يزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء
الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك
اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين يشتركون
في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت
بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا
لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق
واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم
المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية واذا
كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي رضي الله عنه مثلا يشتركون
في حب الشافعي العوام منهم والفقهاء لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا
والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فمن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف
به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعف معرفته
بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد
به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن

لا يدرك ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصنيف واطلع على ما فيه من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم جملة صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله عز وجل فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنع الله تعالى ما ينبهر فيه عقله ويتحير فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله تعالى وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع الله تعالى اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما تفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه ومنعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرخاء والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا تتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ۞

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب او يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه كل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما احسسنا من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا له سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم ان النور عرض من الاعراض يحدث في الارض عند طلوع الشمس ويزول عند غيبتها فلو كانت الشمس

دائمة

دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادركت به التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله اثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنعه فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث انه آثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله تعالى وعرفها من حيث انها فعل الله واحبها من حيث انها فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله تعالى ولا عارفا الا بالله تعالى ولا محبا الا لله تعالى وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله تعالى بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني من نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى انما يدركها الانسان في الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليتحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا ۞

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى لقاء الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والآثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب وكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في

مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فان انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوف نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات فكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يحتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم بتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غيرها مما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى زيادة الاستكمال والاشراق فيكون هذا المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد ان تتزود اصولها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والآثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن

بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال آخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال آخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال آخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا علينا بجودك وقال آخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال آخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال آخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال آخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال آخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال آخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال آخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال آخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال آخر اسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال آخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ قلبه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى

نفسه

منظر المنظر لتساقط بعينه الى الشيء واريكم لوامع كل لمعة انوره من نور وجهي ان عرضته كما تحوط الوالدة الشفيقة ولدها وان
عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال
بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه
ونحل جسمه وتقطعت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري وانا اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي
يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود ايضا قل لعبادي المتوجهين
الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم ما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا
بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاي وفي اخبار داود ايضا ان الله تعالى اوحى اليه انك تزعم انك تحبني فاخرج
حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب عبد يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلده
ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدني فيه حقا علي ان اسارع الى سياستك وتقويمك
واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني واعينك على الشدائد اني قد حلفت على نفسي اني لا اثيب الا عبدا قد عرفت
من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الغنى قلبك فاني
قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الي لا تضاد عملك فتكون متعنيا
ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم اعلم بني اسرائيل
انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك التي في راسك الى الذين حجبت عقولهم عني فاخرجتها ويحبوا بانقطاع ثوابي عنهم فاني
حلفت بعزتي وجلالي لا ابيح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة
المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا
لم يكن عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس
عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي
فانما عقوبة الاقوياء عندي في بعض التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود
لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا فيصدك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم
واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب
بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا امننت به عليك واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله
الى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من
محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم
ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل على اثبات المحبة والشوق والانس
وانما تحقيق معناها ينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال
تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله تعالى فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب
عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران
الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله
رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال عليه السلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى

حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل
ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليس بمجاز اذ المحبة في
وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس
والجمال موافق وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله
تعالى للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم تنطلق عليهما بمعنى
واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده
مستفاد من وجود الله تعالى والوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك
الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية
لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها
فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق
فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا
انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فيستفيد بنيله كمالا فيلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال
ممكن في الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا لا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره
الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم
ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف
نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول
ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي
مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده
فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال لا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه تعالى وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان
الملك قد يقرب عبده من نفسه وياذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او
ليستشيره في رايه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق له وقد يقرب
عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال
الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملوك وافر الحظ من قربهم مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه
يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما
يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان
الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق
التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد
تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال
والجلال على ما كان عليه في ازل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد
يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ
يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ
متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي والاحاطة بحقائق الامور الى ان يقرب من استاذه والاستاذ
ثابت غير متغير وكذلك ينبغي ان تفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت
قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد

من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال لانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناهي ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله تعالى فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله عز وجل فان قلت محبة الله عز وجل للعبد ملتبس فمن اين يعرف العبد انه حبيب الله تعالى فنقول يستدل عليه بعلاماته فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلم لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال انا اعز على الله تعالى من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايته يحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا فقال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه وقال اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علامات حب الله تعالى للعبد حبه لله عز وجل فان ذلك يدل على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله تعالى فانها ايضا علامة حب الله تعالى للعبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها يظهر على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفايضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال عليه السلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله تعالى على السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله تعالى حيث قالوا انا نحب الله تعالى فجعل القتل في سبيل الله تعالى وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غايب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت لم يكن غايب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروى ابو اسحق بن سعد ابن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله آخر قسمه كما ابر اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي عليه السلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه فان قلت

فمن

فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شايبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقايل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني للكراهة فان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة فليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوايق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ويؤثرون على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري · فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلم انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى وكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذا عرفته فما ابقت محبته محبة سواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذا من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصي الاله وانت تظهر حبه · هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته · ان المحب لمن يحب مطيع

وقيل

واترك ما اهوى لما قد هويته · وارضى بما يرضى وان سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل فقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلبه

فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وليس ذلك شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع خلق الله تعالى لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الاخوة والصحبة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لله تعالى وقال سفيان من احب من احب الله تعالى فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في شدة الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله تعالى وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله تعالى وقال سهل علامة حب الله تعالى حب القرآن وعلامة حب الله تعالى وحب القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي عليه السلام حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها شيئا الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله تعالى كيف تصح محبته قيل لابرهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله عز وجل وفي اخبار داود لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطأ ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله تعالى كان بقدر انسه بغير الله تعالى مستوحشا من الله عز وجل ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخ نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طائر وقد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تعالى الى النبي عليه السلام قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته ووقع الحريق في دارهم فلم يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قول الله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله تعالى ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه واطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله ويقول

رب

رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم ياسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب لله تعالى من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل هذا مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز عن بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان تفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته ومن كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله تعالى رحيما عليهم شديدا على جميع اعداء الله تعالى وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا ياخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما يأوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس ام كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه اصلا فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تعالى تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم الى قوله يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما كان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود

ثم الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما يعظم هيبة البعد وخوفه في قلب
من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعد يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد
ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قد بينا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد
ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه
فهو ملعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله وانما كان استغفاره من
القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي
عن الله تعالى انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة
العموم فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز
منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابرهيم بن ادهم قائلا يقول في سياحته على جبل

كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عني ... قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت
عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق
والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو
يدخل عليه من حيث لا يشعر كما يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر
الاطلاع عليها واذا اراد الله تعالى المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء او يغتر بحسن الظن او بغلبة
الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف
الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبرية والعزة
والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاوة والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت
والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملالة لوظائف الاوراد
اسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة
الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا
كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف
من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن
خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من
المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر فانما الخوف يعدله ويخفف
وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام
في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه تعالى فقال يا رب
انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيئا من المحبة
في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة
بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله تعالى عنه جملة الجزء
وبقي فيه عشر معشاره وهو جزء من الف جزء من مائة الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين
وقد قيل في حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب ... كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه فغابت ... عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري ... له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد ... ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد ينشد ابياتا تشير الى اسرار احوال العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي

سرت باناس في الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه ... تجول بها ارواحهم وتنقل

مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو اكمل
تروح بعز مفرد وصفاته ... وفي ما كتمه اولى الديه واعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه ... وابذل منه ما ارى الحق يبذل
واعطي عباد الله منه حقوقهم ... وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه ... الى اهله في السر والصون اجمل

وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف
بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت
الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير
مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية
لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه
وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء
وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه ويضطرب
احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق
سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما انا صانع ... بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر ... يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول

يخفي فيبدي الدمع اسراره ... ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ... ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره
عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله تعالى ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء
فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه
بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر
فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق
المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل
الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط واما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في
الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا يعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل
وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت
الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا
اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسبب ان المحب ان كان عارفا
وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من كل محب لله تعالى
قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى
ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة
بعدد جميع ما خلق الله تعالى من شيء فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر
على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذا من عرف
نفسه وعرف ربه فاستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه
واحجامه وترداداته كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب
حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت

القلوب ... من ... ثم رجعت إلى السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتتبين المحبة في البول قال نعم وقد
قال السري مرة لو شئت أقول ما أيبس جلدي على عظمي ولا أسل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على أنه أفصح في غلبة الوجد
ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب لله تعالى وثمراته ومنها الأنس والرضا كما سيأتي وبالجملة جميع محاسن
الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الأخلاق نعم قد يحب الله تعالى لإحسانه إليه
وقد يحب لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى
عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم
والإحسان فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة
وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذا استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل له ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه و
عدو الله إبليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن أنه محب لله تعالى هو الذي فقدت فيه العلامات أو تلبس بها
نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء أولئك بغضاء الله في أرضه
وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال يا دوستي أي يا حبيب قيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في أذن القائل سرا
لا يخلو إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله وإن كان منافقا فهو حبيب إبليس وقد قال أبو تراب
النخشبي في علامات المحبة أبياتا وهي

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا ... متحفظا من كل ما هو قائل
ومن الدلائل أن يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل

وقال يحيى معاذ الرازي

ومن الدلائل أن تراه مشمرا ... في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيا ... أن قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل أن تراه مسلما ... كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا ... بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الأنس بالله تعالى

قد ذكرنا أن الأنس والشوق والخوف من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء
من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج
إليه فيسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور
بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشر
القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان
الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسباب
تقتضيها لا يمكن حصرها فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب
عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى
غائب فإذا كان الغائب حاضرا فإلى من أشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا
الألطاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة كما حكي أن إبراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل من أين أقبلت
فقال من الأنس بالله تعالى وذلك لأن الأنس بالله تعالى يلازمه التوحش من غير الله تعالى بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من
أثقل الأشياء على القلب كما روي أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان لأن
الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من

آنسني بذكره وأوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن لي مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت
هذه المنزلة فقالت بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت يا راهب لقد أعجبتك
الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت يا راهب ما أقل ما تجد في الوحدة
قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله قال إذا صفا الود وخلصت المعاملة
قلت متى يصفو الود قال إذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا
للقلوب كيف استأنست بسواك عنك فإن قلت فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة
الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد
في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم
هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا
الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله تعالى وهذه علامته وهذه
شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهله بأن جمال المدركات
بالبصائر أكمل من جمال المبصرات وأن لذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد
وعلى أبي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا
فغير متصور وهذا كله كلام ناقص لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر فإن المحسوسات وكل
ما يدخل في الخيال من طريق العين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره ظن أن الجوز خشب كله واستحال
عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الأنس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب
واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعا من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة
مع الله عز وجل وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس ومن لم يقم في ذلك المقام
ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى
أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين ألفا فأوحى الله تعالى إليه
كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال
له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود
قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه وقال ما اسمك
فقال اسمي برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي
بدا لك أنقصت عليك غيوثك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا
قبل خلقك الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت
بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رأيت حين
خاصمت ربي كيف أنصفني فهم به موسى فأوحى الله تعالى إليه أن برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت
أخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخص قال فأتي بشيخ
فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال إني أقسمت على ربي أن لا يحرقه فقال أبو موسى إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يكون في أمتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة
الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال إني أقسمت على ربي أن لا يحرقني قال فاعزم عليها
أن تطفأ قال فعزم عليها فطفئت وكان أبو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك

فقال الظل حائري ولا املك غيره قال فوقف فقال ابو حفص وقال دعني لا اخطو خطوة ما لم تردّ عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفّروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... فالعبد فيهم هو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له ... يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص الانبيا تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتبا والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله تعالى نبيه عليه السلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال اما من جاك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة وقال اذا جاك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامر بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم وقال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وكذلك الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض ففي انبساط الانس قول موسى عليه السلم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشا وتهدي بها من تشا وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سو الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا وهو مذموم قال الحسن العرا هو القيامة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلاف بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلم علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقال بعض العلما قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطية بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعورا من اكابر العلما فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفي عنه فقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمن يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة من عصفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمن اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السما وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل التوبة فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به مشيته الازلية وهذه القصص اوردت في القرآن لتعرف بها سنة الله تعالى في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شي الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى الخلق فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في انبيايه وفي اعدايه فيقول

الم

الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه ومعرفة صفاته واسمايه ومعرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله لم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القرآن والتمسوا غرايبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معباة في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجايب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شي لانه فعل الله تعالى فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فراوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضا الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعا والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا

اما الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال هل جزا الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل ورضا العبد سنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سالوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم راوا غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله جل جلاله ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك اكبر من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلا ونشكر عند الرخا ونرضى بمواقع القضا فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال عليه السلم من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطايفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاوا فيقول لهم الملايكة هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون هل رايتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقول لهم هل رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيا

فيقول الملائكة من أنتم فيقولون من أمة محمد فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا
فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا إذا خلونا نستحيي أن نعصيه ونرضى باليسير مما
قسم لنا فيقول الملائكة يحق لكم هذا وقال عليه السلام أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وفي
أخبار موسى عليه السلام أن بني إسرائيل قالوا سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام إلهي قد سمعت ما قالوا فقال
يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عليه السلام أنه قال من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما
لله عز وجل عنده فإن الله عز وجل ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وفي أخبار داود عليه السلام ما لأوليائي والهم بالدنيا إن
الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب
دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه إن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فإن رضاي في
رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام أي رب أي خلقك أحب إليك قال من إذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فأي خلقك أنت عليه
ساخط قال من يستخيرني في الأمر فإذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو أشد منه وذلك أن الله تعالى قال أنا الله لا إله إلا أنا من
لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت
الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير
والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف
وفي الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إليه ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو
هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد
أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن
تلجلج في صدرك هذا مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة وروي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون
يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة
واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم وقال
أنس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله هلا فعلته ولا قال
في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصمني مخاصم يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى أن الله تعالى أوحى إلى
داود تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد
وأما الآثار فقد قال ابن عباس أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن
عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس
لحمقه دواء وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في
أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود لأن ألحس جمرة
أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل إلى قرحة في رجل
محمد بن واسع فقال إني لأرحم لك من هذه القرحة فقال إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني وروي في الإسرائيليات
أن عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فأري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها واستضافها ثلاثا لينظر
إلى عملها فكان يبيت قائما وهي تبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أما لك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله إلا ما
رأيت ولا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء وإن كنت في
مرض لم أتمن أن أكون في صحة وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يديه على رأسه وقال أهذه خصلة هذه
والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا
بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر بن عبد العزيز ما أبالي على أي حال

اصبح

أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحيي من الله أن تسأله الرضا
وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون راضيا عن الله فقالت إذا كان سروره بالمصيبة
مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال أحمد بن أبي الحواري قال
أبو سليمان الداراني إن الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من
الخلق أن يرضى مولاه قلت نعم قال فإن محبة الله تعالى من عبيده أن يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم
من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الروح
والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور
فإنما أتي من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال
المحبوب ويكون ذلك من وجهين أحدهما أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك
ألمها ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الدم استدل
به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألمها لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة
كالة يتألم به فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا
بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان
يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه
من حبيبه وشغل القلب بالعشق والحب من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم
بالحب العظيم فإن الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة
البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن
ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي أن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها
ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون
راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم
ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر
في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة السفر طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا به ومهما أصابه بلية من الله تعالى
وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله تعالى عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب
والإحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه
ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا
معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد على لحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته
من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وإن نظر إلى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما
ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في
حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل تبقى بعد الموت
حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد
لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت
السري السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال
بعضهم أحببت كل شيء لحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في

شرقية بغداد ولم يتكلم ثم رحل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لأني عاشق فقلت ولم سكت فقال لأن معشوقي كان بحذائي
ينظر الي قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة وخر ميتا وقال يحيى بن معاذ اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى
ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقفت بين جماله وجلاله اذا لاحظوا جماله
تاهوا واذا لاحظوا جلاله هاموا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل
تاكل لحمه فرفعت راسه ووضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو
قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانكرتها وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث
ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف عليه السلم كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن
الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن
بذلك وقال سعيد بن يحيى رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول
يوم الفراق من القيامة اطول والموت من الم التفرق اجمل قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس
عليه السلم قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول
الهي متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى
ابن له فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر
في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله تعالى رضينا به وقال مسروق
كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء
الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذيب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل
عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال
وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي
لطف الله تعالى رضي بفعله ويروى ان عيسى عليه السلم مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام
وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلم يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال
يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله تعالى في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس
وجها وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلم وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت
بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ واحدة وايم الله لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة
وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال
ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فمالي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني
النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقاما من الرضا قد نلته لو جعلني
جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه
وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول
رضا محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر
الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء
الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق
والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين استسقى بطنه فبقي ملقى
على ظهره ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء
فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله احبه الي ثم قال احدثك شيئا

لعل

لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع سلامها فاعلم بذلك ان البلاء ليس بعقوبة
اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا قال ودخلنا على زيد بن مصعب نعوده
فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت
الحراقيف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم
سعد بن ابي وقاص الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا
وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم
فذكر قصة قال في آخرها فقلت يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله تعالى عليك بصرك فتبسم وقال يا بني
قضاء الله عندي احسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان
يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي
عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن
وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد
ابن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فانست به قال لا قال فهل
رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة
مدخولة ومعناه لم يفتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك
منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة
فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي
ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله تعالى ولعله
قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم
عند الله تعالى والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهل الآخرة ويستنكفون منها واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق
وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره
توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا
بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حب الله تعالى وحظوظ
الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة وشرب
الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد
المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل
فما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة
والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم
يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحرث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة
عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي
افتاذنين لي ان اموت فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال
الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر
فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا
وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا
هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى

تساقطت أصابعه قالت الجارية له ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا
على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى نفسه إلى
الأرض فحملوه ميتا فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من
من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي
فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضا هذه اللذات
التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن
مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا
يناقضه وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله تعالى وقدره فيجب الرضا به
وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
على ما نقلناه في كتاب الدعاء يدل عليه ولقد كان صلى الله عليه وسلم في أعلى مقامات الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده
بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال رضوا
بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به
فكأنه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود أن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل
وكيف ذاك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضي به آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد أمر الله تعالى
بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد
إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله
القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما فعل وأما بغض الكفار والفجار والإنكار
عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر إن الله
تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال المرء مع من أحب وقال من أحب
قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا ذكرناها
في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الأمر بالمعروف فلا نعيده فإن قلت فقد وردت الآيات
والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها
ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى فكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء
واحد فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكر
مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة
واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض
أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك فكذلك المعصية لها
وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله
فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله تعالى وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد
والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه إني أريد أن أميز
بين من يحبني ومن يبغضني وأنصب فيه ميزانا صادقا وميزانا ناطقا وهو أني أقصد إلى فلان فأوذيه وأضربه ضربا يضطره
ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه فأعلم أنه أيضا عدوي وكل من أبغضه فأعلم أنه صديقي
ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض والذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته عالم
بشروط المحبة أن يقول أما تدبيرك لإيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة فأنا محب له وراض به

فانه

فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك
منه فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فأنا
راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث إنه وصف
لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب
ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما
بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لأن شرط المحب أن يكون حبيب
المحبوب حبيبا وعدوه عدوا وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت
عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث إنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك فهو ممقوت عندي
لمقتك إياه وبغضه ومقته لك أيضا مكروه عندي من حيث إنه وصف له وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضي فأما المناقض
أن يقول هو من حيث إنه مرادك مرضي ومن حيث إنه مرادك مكروه فأما إذا كان مكروها لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه
وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فإذا تسليط
الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب
للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره
يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما حصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من
عبيده أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله
تعالى أن يبغض من أبغضه الله تعالى ويمقت من مقته الله تعالى ويعادي من أبعده الله تعالى عن حضرته وإن اضطره بقهره
وقدرته إلى معاداته ومخالفته فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وإن كان بعيدا بإبعاده قهرا أو مطرودا بطرده اضطرارا
والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون ممقوتا بغيضا إلى جميع المحبين موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه
بإبعاده وبهذا يتقرر جميع ما ورد به الأخبار من البغض في الله تعالى والحب في الله تعالى والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم
والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله تعالى وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة
في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي فمن قال ليس الشر
من الله عز وجل فهو جاهل وكذا من قال إنهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء
عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه
وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان إمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعاصي مع أنها
من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وبهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي
وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء
منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف
كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلب لإزالة العطش مباشرة سبب
رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله
تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به
نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن
قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا تقول هذا يوم حار أي في معرض
الشكاية وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى مناقض للرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها مناقض للرضا
لأنه مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة
كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا أبالي

أصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادرى ايهما خير لى

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهى عن الخروج من بلد ظهر فيه المعاصى لان كل واحد فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة فى النهى عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقى فيه المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيه فيهلكون هزلا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة فى الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك فى كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التى تدعو الى المعاصى والاسباب التى تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون والائمة الماضون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وطلب الفرار منها واظهروا ذلك فقال ابن المبارك قد طفت المشرق والمغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله تعالى وتستصغر فيها معصية الله تعالى ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد فقال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغى ان يظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص معين حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يستعد للقافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق قال فما تصنع به بلغنى انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقيل قسم الخير عشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفى متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال يأتينا احدهم فى زى الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال فى عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد فى الحش وكان يقول لا تقتدوا بى فى المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر فى نفسى قيل واين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلى ببلدة تكثر فيها المعاصى ويقل فيها الخير فلا عذر له فى المقام بها بل ينبغى ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغى ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغى ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس فى شىء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلقا الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هى فى نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء فى ان الافضل من اهل المقامات ثلث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن اسباط فقال الثورى كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت انى مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكنى لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلى اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الى احبه الى الله تعالى فقبل الثورى بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة ٥

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتمونى فقد رأيتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لانى رأيت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسى يوما قط انه لم يبق ولى لله تعالى الا عرفته الا ورأيت فى ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل

لابى يزيد البسطامى مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك فى الله فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك فقال نعم دعوت نفسى الى الله عز وجل فجمحت على فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لى بذلك وحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى ابا يزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلوة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشى فى الهواء والمشى على الماء فرضوا بذلك وانى اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طى الارض فرضوا بذلك وانى اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك وانى اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآنى فقال يحيى فقلت نعم يا سيدى فقال مذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدى حدثنى بشىء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملكوت السفلى وارانى الارضين وما تحتها من الثرى ثم ادخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وارانى ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفنى بين يديه فقال سلنى اى شىء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدى ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك اياه فقال انت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه منى لا احب ان يعرفه سواه وحكى ان ابا تراب النخشبى كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال المريد انى عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابى يزيد قد رأيت الله تعالى فاغنانى عن ابى يزيد قال ابو تراب فهاج طبعى ولم املك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله عز وجل سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولى وانكره فقال وكيف ذاك فقلت له ويلك اما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله جل جلاله فيظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان يأوى الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد يا سيدى نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه فى مقام ضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله دفعهم فسكت ثم قال ان لله تعالى عبادا فى هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات فى ليلة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة فى انفسها فمن لم يحظ بشىء منها فلا ينبغى ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو فى مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحسن والجمال وقيل لى انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عينى فى سجودى لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لى بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عنى فامثال هذه المكاشفات لا ينبغى ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهد من نفسه المظلمة وقلبه القاسى لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهى اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهى اعز موجود فى الاتقياء من الناس

وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة
وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديدة اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة
المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصداء والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان
انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند
له الا قصوره عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يستنشق روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من
مبادي الطريق كما قيل لبشر بأي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله تعالى حالي معناه اسأله ان يكتم علي ويخفي امري وروي
انه رأى الخضر عليه السلم فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه يسترها
عن الخلق وقيل يسترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم قال اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله تعالى مرة ان يريني اياه ليعلمني
شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرأيته فما غلب على همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة
فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك
واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات
في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون منه ويستسخرونه في الطرق يحمل لهم الاشياء
لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به فكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا كان
اولياء الله تعالى ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين
الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على اوليائه تأبى الا اخفاءهم كما قال عز وجل اوليائي تحت قبائي
لا يعرفهم غيري وقال عليه السلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة ابعد القلوب عن
مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة
المستشعرة ذل انفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس
بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه لحسن منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل
يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان
فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء
الله تعالى فليكن محبا للاولياء والله تعالى مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلم قال لبني اسرائيل
اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في
طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روي عن استاذ الجنيد وهو ابن الكرنبي ان رجلا دعاه ثلث مرات
الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل
عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت
وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها
ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا
فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من النظر
الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله عز وجل وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد
وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شيخا شاهدا عظيم القدر
من اعيان اهل بسطام لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل
لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت
لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال
فاذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك

مخلاة

مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند من
يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك
عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا اطيقه
فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا
ينجي عن هذا المرض دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض
اذ لم يمرض بهذا المرض اصلا واقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية
من الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه السلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته والغنى وحتى لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث من كن فيه استكمل ايمانه
لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال
عليه السلم لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل
واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في
الغنى والفقر وخشية الله تعالى في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها عليه السلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين
ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة
وراء الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له غيري ولا يؤثر علي
شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ به الحب الى هذا الحد
فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته
في الزيادة والنقصان لا حصر لها ولذلك قال عليه السلم للصديق ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من امن بي
من امتي واعطاني مثل ايمان كل من امن بي من ولد ادم وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع
التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخاء
وقال عليه السلم رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء
بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة
مع غيره فقال لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه

خاتمة الكتاب

بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع
الرسول عليه السلم وقال غيره دوام الذكر وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا
كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب
عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون
بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله تعالى احذر ان تذل لغير الله تعالى وقيل
للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي

يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيى بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء اوحى
الله تعالى الى عيسى عليه السلم اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل
تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابراهيم ابن ادهم

الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني به من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري
السقطي من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح بلاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول عليه السلم فقالت
اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلم عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى
والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في
تعظم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح
وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله عز وجل بقلب
عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم
والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل
احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في
الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله
لقد سئمت من الحيوة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت
لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم
وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين
علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال
ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف
والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين
وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه السلم يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن آنس بحبيبه رضي فعله ومن
اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس
عليه السلم حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله تعالى انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي
والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال
ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية وقدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح
المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في
جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى ويقال الشوق نار
الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف
في شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله تعالى اعلم تم كتاب المحبة والشوق من ربع المنجيات
من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق
ان شاء الله تعالى وصلى الله على نبينا محمد المصطفى وآله الطاهرين ۝

كتاب النية والاخلاص والصدق

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته
اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة
المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى
الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين ۝
اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم
والناس

فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير
نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى
في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف
حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه
فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين
هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلثة ابواب ۝

الباب الاول في حقيقة النية ومعناها — الباب الثاني في الاخلاص وحقيقته
الباب الثالث في الصدق وحقيقته — الباب الاول في النية وفيه
بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن
الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال
عليه السلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم
وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها
الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا
له كذا وكذا واكتبوا له كذا فيقولون ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم
الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر
سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر
سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا
مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية
وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر
ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا لياخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي
حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو
معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي
في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى
الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار
كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله تعالى فقره بين عينيه
وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها
وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال
يحشرون على نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلم
اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل
فلان في سبيل الله ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث
كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا

القاتل فيما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن
ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك
ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة **واما الآثار** فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز اعلم ان عون الله للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير
تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي من كان اكبر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته
نيته يوما الى نيته الصالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء
اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله
تعالى فاني لا احب ان يأتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت
فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله تعالى عليكم اكثر من ان تحصوها وان
ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية
وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره
قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله تعالى وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لا يدعه حتى ينظر في
ورعه فاذا تورع لم يدعه حتى ينظر فيما ذا نوى فاذا صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر
الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق ٥ **بيان حقيقة النية** اعلم ان النية والارادة
والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل
يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان
ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد
خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن
نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر
النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر
الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق
ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في
قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المحركة حتى يتم به
التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه
كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا
انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة
وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث
والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة
للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد
يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة
اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام من موضعه فلا
مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث

فيقال

فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض
الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد
ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت ومثاله من غرضنا ان يسأله قريبه
الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك
من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم
عرفة فصام وهو يعلم انه لولا عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل
فكان الباعث الثاني رفيقا للاول فلنسم هذا موافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما
على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه
الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث
داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا
لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا
اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل
ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد
الرجل القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان
ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من
نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم
هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام
النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع ٥
بيان سر قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح
ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله تعالى
بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر
العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم
الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده
دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح
للمشتركين في اصل الخير بل المعني به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل
اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته
والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحا على العمل
فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح
بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم
ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب
والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء
الله الا من مات محبا لله عز وجل عارفا بالله تعالى ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة
بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا
اذا انقطع عنها شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في
الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى

الميل والمواظبة عليها فإن المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم وطلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفاً فإن اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لها تأكد ميله وترسخ وعسر عليه النزوع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر إلى وجه حسن فيميل إليه طبعه ميلاً ضعيفاً لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والملاحظة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه وإن فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله كان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زبراً ودفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه أو ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا للآخرة وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم القلب وترى القلب إذا تألم بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل المتبوع وكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود ولذلك قال النبي عليه السلام إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم أصلح الراعي والرعية وأراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن نعود القلب إرادة الخير ونؤكد فيه الميل إليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيراً بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه لأنه متمكن من نفس المقصود وهذا كما أن المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل إلى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضاً إنما أريد به أن يسري منه الأثر إلى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعاً فإذا استعان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن يجد رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً لأن من يمسح رأس اليتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح ثوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة فإن قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شراً فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها بل أكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيراً من العمل وبهذا أيضاً يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الإتمام بالعمل يزيدها تأكيداً فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثاراً لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى والتقوى ههنا نية القلب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قوماً بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة من القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التي أوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة

بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية

اعلم أن الأعمال وإن انقسمت أقساماً كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه

فهي

فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الأول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من قوله عليه السلام إنما الأعمال بالنيات فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيراً من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجداً أو رباطاً بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها ظلماً وعدواناً ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل فإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب علماء السوء بتعليم العلم السفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائباً عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضاً آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثاره منتشرة في العالم ألف سنة مثلاً أو ألفي سنة وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول إنما الأعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإنما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفاً من قاطع طريق وأعد له خيلاً وأسباباً ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله تعالى وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والخيل في سبيل الله فإن إعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا في أن يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاون به أعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثراً لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع من العلم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منهم تقصيراً في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجوراً واستحلالاً لحرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلاً من تعليمه لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلبة العلم فهذا وأمثاله مما يلبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا من أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير

أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر منها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي من العلوم التي تشغل الخلق
ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه السلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلثة بالطاعات
والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما
المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها
كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنية في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان
ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الريا صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما
ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضايل اعمال المتقين ويبلغ به در جات
المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان داخله زاير الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله وحق على المزور اكرام زايره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون
من جملة المرابطين لانتظاره في الصلوة وهو معنى قوله ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات
والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود
في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر في الفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد
التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره او للتذكير به كما روي من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله
وسادسها ان يقصد افادة علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف
ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فيتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله تعالى
فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله
تعالى وتحاشيا من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف
الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله تعالى او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى
او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به ساير الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة
الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف
الحسنات القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن
القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهايم المهملة عن سهو وغفلة ولا
ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسال عنه يوم القيمة انه لم فعله وما الذي قصد بها هذا
في مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال عليه السلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسال يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه
وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله
تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي
يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي ساير
الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به
رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرايحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر
اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبه يكون انتن من الجيفة في القيمة الا القصد الاول وهو
التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسال عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب
عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم يبقى واما النيات
الحسنة فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد فانه بيت الله

فلا يرى ان يدخلها زايرا الله تعالى الا طيب الرايحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته وان
يقصد به دفع الروايح الكريهة عن نفسه التي يؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتا بوه
بالروايح الكريهة فيعصون الله تعالى بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل
مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته
وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله
من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه
النيات وان ذكرت له لم ينبعث له قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصا
النية فيها فقس بهذا الواحد غيره ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي
الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين
على الدين فمن كان قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله
تعالى بعده فتكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما
غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره
له فليطيب قلبه بانه سيحمل سياته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل
اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال
ما عملتها فيقال هي اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل
الجنة فياتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملايكة قد فنيت
حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من سياتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيا من
حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السوال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار جاري فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب
فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه
فمد يده ليصلحه ثم قبضه فلم يسوه فساله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله تعالى وقد قال الحسن
ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حايطي واخذت خيطا
من قميصي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخايفين فان كنت من اولي العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب
على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتامل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا
وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك
ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه
ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا عليه السلم انه كان يعمل
في حايط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا له رغيفا اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا
منه لما علموا من سخايه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيف
لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل
نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل ولا حكم للفضايل مع الفرايض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني
حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان ياكل
فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحدهما الوزر النفاق وبالثاني تعريض اخيه لما يكره لو علمه
فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في ساير الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت

الاختيار

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس لله تعالى أو أتجر لله تعالى أو آكل لله تعالى ويظن أن ذلك نية هيهات فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو فكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا أو آجلا والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما يقدر عليه وقد لا يقدر وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال فإذا غلب شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوي أولا إيمانه بالشرع ويقوي إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة فتتحرك أعضاؤه لمباشرة العقد فإذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فإن لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني فيه نية حتى أن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هاتي المدرى فقالت أجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن أبي سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا إذا سئلوا عملا من أعمال البر قالوا إن رزقنا الله تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث إلا بنية وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيحدث فقيل له في ذلك فقال أتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرت لي نية فعلت وحكي أن داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال أحمد فرده علي حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجد له نية وقال بعضهم أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بالنية لعلمهم بأن النية روح الأعمال وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه بل هو انبعاث في القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهد جهيد وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما ينبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية إجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله

اجابة

لجابة لباعث الخوف فإنه يتقي النار ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله تعالى وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى الموعود في الآخرة وإن كان من جنس المألوف في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله وأما عبادة ذوي الألباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعوم في الجنة فإنهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى الحور العين ممن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد فإن التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبته وإلفها لها وإعراضه عن النظر إلى جمال وجوه النساء فعمى أكثر القلوب عن إبصار جمال الله تعالى وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن إدراك جمال النساء فإنه لا يشعر به أصلا ولا يلتفت إليه ولو كان له عقل وذكر له لاستحسن عقل من يلتفت إليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم رأى أحمد بن خضرويه ربه تعالى في المنام فقال كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال ورأى الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فإنا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لأن الأعمال بالنيات وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل مثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالأكل والنوم هو الأفضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة قال أبو الدرداء إني لأستجم نفسي بالشيء من اللهو فيكون ذلك عونا على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وإنما يبتغي به أن يعيد أولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به إلى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويولي الخصم دبره ليستجره إلى مضيق فيكر عليه فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضمر إنكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما إلى أن ينكشف له أسرارهما بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما والله أعلم

الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الإخلاص

قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال ألا لله الدين الخالص وقال إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال ظن أبي أن له فضلا على من دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إنما نصر الله تعالى هذه الأمة

بضعفائها بدعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من
سري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال عليه السلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وسلم يسأل يوم القيمة ثلث رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما ذا
صنعت فيما علمت فقال رب كنت اقوم به آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم
الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق به آناء الليل والنهار فيقول
الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ما ذا
صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان
شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم
نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي الحديث على معوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله اذ قال من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما
يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال
اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال
ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض فقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى
اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله
تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه
وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه
قال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني
عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على
نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع
اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله
تعالى ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات
فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على
عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الى اين فقال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل
لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد
ابليس على صدره فقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف
غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت اول مرة لله فكان نيتك الآخرة فسخرني الله تعالى لك وهذه المرة غضبت لنفسك
وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد عن الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان
معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته
وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي
موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك
يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من
صفا صفي له ومن خلط خلط عليه ورؤي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله وجدته حتى
حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات
وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل له انه قد وجه

حيث

حيث بعثت لما قيل لك قد مات فلان في لعنة الله فبطل اجرك ولو قتلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية وتصدق ثم بصدقة بين
الناس فاعجبني نظرهم اليه فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ
الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم يجتمع
فيه النساء فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة
حتى بلغ النوبة اليه والى امرأة فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع
تلك المرأة وصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه
بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت
لابي عبيد ما قال لك فقال سألني ان احج معه فقلت لا قال فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية
فاخاف ان حججت معه لاجله ان اتعرض لمقت الله لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة
ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت
فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج
فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة
تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى
في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى فيه ما يرى وقال السري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من
ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز وقال العلم بذر
والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله تعالى عبدا اعطاه ثلثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه
القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي
مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله تعالى عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم
الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى
ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفي عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله
تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن
ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الشرك
في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود
والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر
عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مشرك ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو
مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع شوائبه كما ان الالحاد عبارة عن
الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما
يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امره ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى في القيمة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع
يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ
النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح
مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان
يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع
النعاس عن نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون
عقاره او ماله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او يتكفل بخدمة

العلماء او الصوفية ليكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة
خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او توضأ ليتنظف او يتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو
الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله ولا يشغله
الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنائز
اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى
ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن
ان يكون خالصا لوجه الله وتطرق الشرك اليه وقد قال الله عز وجل انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ
الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبك
في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك
قيل من سلم له في عمره خطرة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص
هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها
وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضاف هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان يكون في رتبة الموافقة او في رتبة
المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف
ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب
فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار
حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه
يقويه على العبادة ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة
مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية
في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك
فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تعالى وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة
همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه حب الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله عز وجل فقد اكتسب جميع حركاته تلك الصفة فلا
يسلم له عبادته وصومه وصلوته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك
على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيه مغرورا لانه لا يدري
وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في الصف الاول لاني تاخرت يوما بعذر وصليت
في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب
استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما يسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في
الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الناس تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث
للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر
دين الله تعالى والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح
بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس
عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما
غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري
المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر لتصدي ابي بكر رضي الله عنهما
للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان ذلك لو كان لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في

الدين

الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء
لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك
عن نفسه قبل التجربة والامتحان وذلك محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه
الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل
به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد
والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر بذلك

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج
اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من
جملة الآفات والخالص ما صفا من جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحر[كاته]
لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل
لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه
عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس عاجلا وآجلا آفة والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة
ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار
فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط
وقول القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير
من ادعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا
وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط واما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده
الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع
نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان
الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص ان لا يطلع عليه احد [شيطان]
فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا اجمع للمقاصد
وقال المحاسبي هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد
خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان
يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض للرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص
تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان
ان يعافيك الله تعالى منهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة
في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي في بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص
فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشا[رة]
الى قطع كل ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات

المكدرة للاخلاص اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها
قوية مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بالمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول
الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلوته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلوتك حتى
ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلوته وهذا هو الرياء
الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة واخذ منها حذره فصار لا
يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت اليه ويستمر في صلوته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور

الا لكونه مما تفعله موقر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسأت فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي
بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه لو كان
يرى الخشوع وحسن العبادة لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس
بل المقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه وانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن
اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها
ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان
يكون صلوته في الخلوة مثل صلوته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه
في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصليها في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلوته في
الخلوة ليحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة
الخلق واحدا وكان نفس هذا ليس تسمح باساءة الصلوة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان
تستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص
مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس
وهو في صلوته فيعجز الشيطان ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت
واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو
عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره و
علامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر
كما لا يكون حضور بهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص
مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما
ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة
الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب
فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك و
يقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص
بسببها وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس الطبع به فالشيطان يرغبه
فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله الى
احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري
الغش الذي يمزج خالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق جدا فلا يدركه الا الناقد
البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل
واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار
المموه واستدارته وهو مغشوش زائف لا يساوي قيراطا وان الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي الجاهل فهكذا
تتفاوت العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا
والفطن يغنيه القليل من الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب

واستحقاق الثواب به اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف
في ان ذلك هل يقتضي ثوابا او يقتضي عقابا او لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو
سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب
له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني

مساويا

مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر
ومقتض للعقاب نعم العقاب على العمل الذي لله اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب
اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة فلا ينبغي ان
يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء
من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات
وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان
في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة فاذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى
ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول
ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاومه قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب
عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال
ذرة في الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما
يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد
قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا
جميعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس
نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب
فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر
عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان
يقال ادراك هذه التفرقة يحبط ثواب جهادهم بالكلية بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة
الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان
هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قيل فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة
والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وعدة من التابعين ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق
فيحب ان يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد
جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلم يقال لمن اشرك في عمله خذ
اجرك عمن عملت له وعن عبادة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى
ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في
سبيل الله فقال عليه السلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون
قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث
لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك
عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث
ورد الخبر مطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة
ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا
يرجو اللقاء مع الشركة التي هي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من
كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احدهما اغنياء والاخرى فقراء فمال الى
جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل اليأس
على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في

بجلالة ولا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك
مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد
كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر
وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا
البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب
الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا
يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله
فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر
الشيخ بذلك فسأله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل
فان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت اخلص العمل وقد قال
الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك ٥ وبالله التوفيق

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب
يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله
تعالى وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في
الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق
والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبيد الرملي رأيت منصور
الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر الله لي ورحمني واعطاني ما لم آمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله ماذا
قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال
رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله مبنيا على ثلثة اركان على الحق
والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم يا
داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال الشبلي ان كان
صادقا فالله تعالى ينجيه كما نجى موسى وان كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلث خصال انها
اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال
وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرأونها ويتدارسونها لا كنز انفع من
العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل الصالح ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من
التقوى ولا كرم اوفر من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين
من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى
من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنأ من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس
احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق اعطاك الله مرآة بيدك حتى
تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق
وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح امره سبيل فقال قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل
قد عادى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة

فقيل

فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن
الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر ٥

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق
في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين
كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء
من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن
الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ
الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي
عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم
مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في
بعض الاوقات والاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على
اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق
وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم
في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره
وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من
يصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان
في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت
للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة
وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضع الاصبع على الدائرة وقولي ليس ههنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم
عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا
عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان
قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف
بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه
فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلم
يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه
بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله تعالى من اعتق اولا عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا
فحلت فيه العبودية لله تعالى فتشغله بالله ومحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم يجاوز هذا
الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقريب او ابعاد فيفنى
ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا
لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت
بين يدي الغاسل فهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه فهذه درجات الصديقين واما الحرية عن
غير الله فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى
الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص من حديث
الثلاثة حتى يسأل العالم ما ذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه

ولم يقل لم تعملوا ولكن كذبهم في ادعائه ويقينه وقال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد ولذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا
القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب
في ذلك وان لم يكذب فيما لفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص وكل صادق فلا بد وان يكون مخلصا
الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره
او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل الى خلق فهذه
العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق
الصدق في
ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي
او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس
فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي
احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر رضي الله عنه
واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه
لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة
ابي بكر الصديق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا
حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق على قلبه ذلك
وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله
ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل
فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا بثيابه ونزلت رجال صدقوا ما عاهدوا
ببنانه
الله عليه ووقف صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع النا س
اليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غاير فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل
مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء
من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فرزقهم فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله فلما آتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم
عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء
لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر
على قوم فيهم ابو بكر فقال اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار
بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء
بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء
لان المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل

عن

عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال
عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا
بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان
يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب
ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كانت
عن غير قصد يفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال
يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته
افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا اذا السر والاعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى
وقال عطية بن عبد الغفار اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة فيقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن
قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان
من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك
فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد
انواع الصدق الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد
والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور فان هذه الامور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من
نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي
الشهوة الصادقة وقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تعالى
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرا
هذه الاية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما
من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف
سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه وتتنغص عليه عيشته ويتعذر عليه اكله ونومه ويتشتت عليه فكره حتى لا ينتفع
به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك
المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها
ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله
اما ضعيف واما قوي فاذا قوي يسمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل
عليه السلم احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا هو قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال عليه السلم
ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من
عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وساير الملايكة ليسوا
كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل
بالملا الاعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر ما تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله تعالى وقال مطرف ما
من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان
حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق
لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن

قوي وكانوا من ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول
لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا
في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلوة واتبعوا الجنازة ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق
ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قال ابو بكر الوراق الصدق
ثلثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه
في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق
هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم اني اذا احببت
عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني
الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها

تم كتاب الصدق والاخلاص ويتلوه كتاب المحاسبة والمراقبة
والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيدنا محمد وآله الاكرمين

كتاب المحاسبة والمراقبة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما
اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول
طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت
واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة
لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق
في الدنيا والآخرة وغمرت بنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت ومن يمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت
وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته
تترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد
والاشقاء والصلوة على سيد الانبياء محمد وعلى آله سادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب
ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة
النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند
السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت
سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في

المرابطة

المرابطة ستة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد
مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات المقام الاول من المرابطة
المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه
فيسلم المال اليه حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها قال الله تعالى
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها
فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا
ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه رابعا فكذلك
العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر
بسلوك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو
وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء
والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما
كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح
بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه
والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى
بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الآباد فانقضاء هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل
فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل
يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم
الجديد قد امهلني الله تعالى فيه وانسا في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسب
انك قد توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من هذه الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي ان اليوم والليلة اربع
وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من
حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو
وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويتغشاه ظلامها
وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما
يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من المباحات فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر
على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول لنفسه
اجتهدي اليوم في ان تعمري خزاينك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من
درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان دون الم النار وقد قال
بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستانف لها وصية في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والفرج والبطن واليد والرجل ويسلمها
اليه فانها رعايا خادمة له في التجارة وبها يتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب
لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر
الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا
لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء
والنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو

لا سيما اللسان والبطن أما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة
وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على الأعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهي بصدد ذلك
كله مع أنها خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله عز وجل إلى طريق الله تعالى وإصلاح ذات البين وسائر خيراتها
فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول نهاره إلا في الذكر فمنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عتيد وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة
ويشرط عليها أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشرط عليها في جميع الأعضاء
واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم
والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط
يفتقر إليها كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وإن
أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه
فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حق
الله تعالى فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد المتمرد
الآبق فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين
فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا أن الله
يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار المعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد
في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال عز من قائل ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا و
تنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلم قال لرجل لما أن يوصيه ويعظه إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن
كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته وقال بعض الحكماء إن أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة
فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ودان نفسه أي حاسبها
ويوم الدين يوم الحساب وقوله أئنا لمدينون أي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل
أن توزنوا وتهيأوا للعرض الأكبر وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في
كتاب الله تعالى قال ويل لديان الأرض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها
في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال دان نفسه فعمل لما بعد الموت ومعناه
وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها وباشرها المرابطة الثانية المراقبة إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها
ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالية فإنها إن تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة
ثم درجاتها أما الفضيلة فقد سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال أن تعبد الله تعالى كأنك تراه وقال أيضا اعبد الله
كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال عز وجل إن الله كان
عليكم رقيبا وقال جلت قدرته والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل
راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله تعالى وقال عبد الرحمن بن زيد إذا كان سيدي رقيبا علي فما أبالي بغيره
وقال أبو عثمان المغربي أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل
الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال الجريري أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك
قائما وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله
رقيب على باطنك وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب

ونحن

ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى
الشاب مثل ذلك وقال له اذبحه حيث لا يراك أحد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك
لم تذبح وقد ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك
أن تكرمه وحكي أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلم قامت وغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك أتستحيين من مراقبة جماد
ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت ألا تستحيي فقال ممن أستحيي وما يرانا
إلا الكواكب فقالت فأين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر قال بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى
المنظور إليه وقال الجنيد إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن
من جنات الفردوس فيها حوار خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله تعالى إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي
ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش
من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب وقال المرتعش المراقبة مراعاة
السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وروي أن الله تعالى قال لملائكته أنتم موكلون بالظواهر وأنا رقيب على الباطن وقال
محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل
خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله تعالى شاهده حيث
كان وسئل ابن النوري بم ينال العبد الجنة فقال بخمسة استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس فيه سهو ومراقبة الله تعالى في السر
والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقيل

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب ... وأن غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت إذا
عصيت الله تعالى خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري
عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي إن المنافق
ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال إني مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب
قال فأين الله عز وجل قال فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو
أن تعتقك في الآخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة
الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعي جانبه ويعني بهذه المراقبة حالة
للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به
والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر
رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه
المعرفة إذا صارت يقينا أعني أنها إذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم
بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون
وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الأولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم
والإجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة
لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات
وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي
والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو
الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه

ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد
هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الأرض حتى إن خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد
يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن
زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سريعا حتى دخل عتبة
الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما لقيت وما رأيت
أحدا وروي عن يحيى بن زكريا أنه مر بامرأة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها إلا جدارا وحكي عن بعضهم أنه قال مررت
بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى فقلت أنت وحدك فقال معي ربي وملكاي
فقلت من سبق من هؤلاء قال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق
بمشاهدة الله لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه ودخل الشبلي على
أبي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال
من سنور كانت لنا فإذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة
للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد إن في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت
إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين
قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله تعالى ألا رددتما علي السلام
فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل
شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا فأخذ كليتي ونظر إلي وطأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صليت الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي
فلما كان بعد العصر قلت عظني فرفع رأسه إلي فقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا
أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما فرفع الشاب
رأسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام
قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من
أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد
الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا
يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا
يحتاجون إلى انتظار القيامة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه
مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك
فإنه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء
منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج إلى أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته
ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر إلى ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره هو
لله تعالى خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله تعالى أمضاه وإن
كان لغير الله استحيا من الله تعالى وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها
وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه فإن في الخبر
أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين الديوان الأول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم لم فعلت هذا
أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت إليه بشهوتك وهواك فإن سلم منه بأن كان عليه أن يفعل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف
فعلت فإن لله عليك في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظن فإن سلم
من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالإخلاص فيقال لمن فعلت ألوجه الله خالصا فوفاء بقولك لا إله إلا الله فيكون أجرك
على

على الله أو لمراءاة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك
وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملته لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبدي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني
أقول إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
ويحك أما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن يطالب وأعد
للسؤال جوابا وللجواب صوابا ولا يبتدئ ولا يعيد إلا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة إلا بعد التأمل فقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم لمعاذ إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه فقال الحسن رحمه الله كان أحدهم إذا
أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه وقال الحسن رحمه الله رحم الله عبدا وقف عند همه فإن كان
لله مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان اتق الله عند همك إذا هممت وقال محمد بن علي
إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة
الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو الشيطان ولم يعرف ما يوافق
هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل أكثرون
يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فلا تظنن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات
بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفس ومكايد الشيطان
ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله
من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه
بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه وينزجر القلب
عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطرة الأولى في الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد
والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي أن يحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتبعه
ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى
فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد فقد
أوحى الله تعالى إلى داود لا تسأل عني عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة
بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فإن مستقى أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها
من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضتها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد أولا في إحكام العلم أو في طلب عالم معرض
عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب
البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الأمرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن
الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا فما قدر
العقل الضعيف الذي يسعد الآدمي به حتى يحتاج إلى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه
الأعصار فإن الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه
وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا للفقه الدنيوي الذي ما قصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب لتتفرغ
لفقه الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطته هذا الفقه وفي الخبر أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم
زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم كسعد وابن عمر
وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ قال فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة
بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث وأراد به الظن
بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق أبي بكر رضي الله عنه

اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فأتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام
الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم فأعظم نعمة الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك
قال الله تعالى جده امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما وأراد به العلم قال فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال جلت
عظمته إن علينا للهدى وقال ثم إن علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف
عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب و
الصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب
أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك
وإن كنت جازعا على ما أصيب من يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه والمرء يسره درك
ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما
قدمت وأسفك على ما خلفت وهمك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وعرضنا من نقل هذا كله قوله رضي الله عنه ومن التوفيق التوقف
فإذا النظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فقد استكمل إيمانه
لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وأظهر ما ينكشف له في
حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني المراقبة عند الشروع
في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه وتحسين النية في إتمامه وتكميل صورته وتعاطيه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع
أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة
الأدب فإن كان قاعدا فلا ينبغي أن يقعد إلا مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا إذ لا
يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال إبراهيم بن أدهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم
أجلس بعد ذلك كذلك وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعه فكل ذلك داخل في المراقبة
بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فإذا لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح فمراقبته في الطاعة
بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراسته عن الآفات ولو كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال
بالتكفير وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليه ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له
من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه إما فعل يلزمه مباشرته
أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع فيه إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه
عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد
نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها
فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال الله تعالى
ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت
في مشقة أو في رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة
ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية
استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه
فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع أحواله
مقصورة على ما رواه أبو ذر قال لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وما روي في معناه على العاقل
أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم
والمشرب فإن في هذه الساعة عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن يخلو عن
عمل

عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل
من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعتها وكيفية ارتباط
قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله تعالى لأسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا
بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليها
ويودون لو استغنوا عنها ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة
الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتفتح أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات
وهو مقام العارفين وعلامة المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما
يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منها إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون
إليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها و
يذمون فاعلها فيذمون الطبخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله وأن من ذم شيئا من خلق الله
تعالى بغير إذن الله تعالى فقد ذم الله تعالى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فهذه هي المرابطة
الثانية بمراقبة الأعمال على التفاصيل والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول المرابطة الثالثة
محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا
أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت
قال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات
ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال
صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وقال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم
وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي
عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فقالت قلت ما أحد من الناس
أحب إلي من عمر فقال لا ما أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين
شغله الطير في صلوته فتدبر شغله بجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من الحطب
فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن قوام على نفسه
يحاسبها لله تعالى وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيمة على قوم أخذوا هذا الأمر عن
غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا
حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه شيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله وقال أنس بن مالك
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب
بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت
بكلمتي ماذا أردت بشربتي ماذا أردت بأكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه
ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي
وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة
آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها
وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي وقال
مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول امرؤ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره امرؤ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به

امر نظر في مكيال او ميزان فما زال يقول امرأ مرحتى ابكاني وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلوته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيها على نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة حرصا على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فواته ولو حصلت لهم لكان لا يبقى الا اياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فيحاسبها على الفرائض فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاقبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه انه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ستون فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا القى المليك باحد وعشرين الف سيئة وخمسمائة سيئة كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسبها على الانفاس وعن معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظه والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليها فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى يبست وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث في ذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله عز وجل بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريبي يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا احمل على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله تعالى طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة واجد الوقوف والتأخير آليت لا اغتسلت الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس وحكي ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه فبقرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة فجعل على نفسه ان

لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش وحكي ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن ابي بعد العصر فقلنا له انه نائم فقال انوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت انوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله تعالى علي عهدا لا انقضه ابدا الا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوأة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته وحكي ان تميم الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل وبطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي عليه السلام الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله تعالى بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي عليه السلام يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل الحاجة فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله تعالى حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفسي الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله تعالى اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل في الله فما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث طلحة وانه شغل قلبه في الصلوة بطير في حائط فتصدق بالحائط كفارة له وكان امير المؤمنين عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالدرة بالليل ويقول ما ذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا وانكر وهيب بن الورد على نفسه شيئا فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك خيرا ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان الجنة النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها

المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الصبح فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على الاجتهاد والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به كان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة

نظرت إلى محمد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت عليه أسبوعاً إلا أن هذا علاج قد تعذر إذ فقد في عباد الله تعالى من يجتهد
في العبادة اجتهاد الأولين فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد
الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه
أياماً قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله منه ونحن نورد من أوصاف المجتهدين
وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وما هم
مرضى قال الحسن أجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون
أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى أن الله تعالى
يقول لملائكته ما بال عبادي المجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيئاً فخافوه وشوقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول تبارك وتعالى
فكيف لو رأوني عبادي لكانوا أشد اجتهاداً وقال الحسن أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل
ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوي
لأحدهم ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط وأدركتهم عاملين بكتاب الله وسنة نبيهم إذا جنهم الليل
فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في
شكرها وسألوا الله تعالى أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله
ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة وحكي أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له
عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة
الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون
إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهاري وأسهرت له ليلي وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله تعالى وعقابه وقال أبو نعيم
كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل
عليه يوماً فقال إن في سقف بيتك جذعاً مكسوراً فقال يا ابن أخي إني في هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا
يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا عند أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت
يمنة ولا شمالاً فقيل له في ذلك فقال إن الله تعالى خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت له
خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله إني كنت لأجلس خلفه فأبكي له رحمة
عليه وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحداً الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة أقوام يبتغون أطايب
(في الهامش: ينتقون)
الكلام كما يبتغى أطايب الثمر وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك
(في الهامش: ينتقى)
فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن الله تعالى لم يأمرك بكل
هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلي جالساً
ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلاً منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت
قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب إليه الصلاة وكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في
قبري وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت وقال الحارث بن سعد
مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون قد عكفوا
على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن أبي محمد المغازلي قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم
يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه فقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك فقال
علم صدق باطني فأعانني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكراً وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته وقد مد كفيه يبكي حتى رأيت
الدموع تتحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا أنك حلفتني بالله
ما أخبرتك نعم بكيت دماً فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع
قال

قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت فما صنع في دموعك فقال قربني ربي تعالى وقال لي يا فتح الدموع على ماذا قلت
يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك
أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل إن قوماً أرادوا سفراً فحادوا عن الطريق فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف
عليهم من صومعته فقالوا يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف هو قال ها هنا وأومأ برأسه إلى السماء فعلموا ما أراد فقالوا يا راهب إنا سائلوك
فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غداً عند
مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته
وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة
فأشرف علي وقال يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله تعالى في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه و
حمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم
وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس
لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله تعالى بعد أن عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا وزينتها
لأنها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي
لو سرحت لحيتك فقال إني إذاً لفارغ وكان أويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة وهذه ليلة السجود فيحيي الليل
كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال الرفق أطلب دعيني
أتعب قليلاً وأتنعم كثيراً وحج مسروق فما نام قط إلا ساجداً على وجهه وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم
السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عمر بن أخت بشر بن الحارث سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لأمي جوفي وخواصري
يضربان علي فقالت له أمي يا أخي لو أذنت لي حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندنا تتحساه يرم جوفك فقال لها ويحك أخاف أن يقول لي من
أين لك هذا الدقيق فلا أدري أيش أقول له فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهما فقال عمر ورأت أمي ما بشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضعيفاً
فقالت له أمي يا أخي ليت أمك لم تلدني وإذ ولدتني فلم يدر ثديها فقد والله تقطع كبدي مما أرى بك فسمعته يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني
وإذ ولدتني لم يدر ثديها علي قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار وقال عبد الله بن داود كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى
أي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة
ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا أبه ما لي أرى الناس ينامون وما أراك لا تنام فيقول لها يا بنتاه إن
أباك يخاف البيات ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلاً فقال نعم يا والدة قالت فمن هو حتى نطلب
إلى أهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال يا والدة هي نفسي وقال الربيع أتيت أويساً فوجدته جالساً قد
صلى الفجر ثم جلس فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى
المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة ومن
بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أويس فقال له يا أبا عبد الله ما لي أراك كأنك مريض فقال وما لأويس أن لا يكون مريضاً
يطعم المريض وأويس غير طاعم ويبيت المريض وأويس غير نائم وقيل قد ورد سمنون في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة وعن أبي بكر المطوعي
قال كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هو الله أحد ثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي وكان منصور بن المعتمر
إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع فلقد قالت أمه ما هذا
الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً فقال يا أماه أنا أعلم بما صنعت نفسي وقال أحمد بن
حرب يا عجباً لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك أتيت إبراهيم بن أدهم
فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف رأسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن
فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءاً فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعاً ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله
جائلاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني أدركت رجالاً كان أحدهم يصلي فيعجز

حتى ما يأتي فراشه إلا حبوا. وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل في إحدى عينيه الماء فمكث عشرين سنة
لا يعلم به أهله. وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو إلا أني صرفت طعام النهار إلى الليل
ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها وما رأيت مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل
قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح وإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج
وعند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعضهم صحبت عامر بن قيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار. وروي عن رجل
من أصحاب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس
ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا
وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى ابتل
ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله. وكان أبو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه
قومي والله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني فإذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول أنت أولى بالضرب
من دابتي ويقول أيظن أصحاب محمد عليه صلوات الله وتسليمه أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا أنهم
قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد
مزيدا وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيت ليجد الحر فلا ينام وأنه
مات وهو ساجد وكان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي. وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت
بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي
وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت
وهي كما هي تردد الآية وتدعو وتبكي. وقال محمد بن إسحق نور الله برهانه لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فكان
يصلي على قدم واحد حتى صلى الصبح بوضوء العشاء. وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل. وقال
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم
غبرة الخاشعين. وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره. وكان عامر بن قيس يقول
إلهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك إلهي
كيف أستمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرج. وقال جعفر بن محمد كان
عتبة الغلام يقطع الليل بثلث صيحات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه
بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه فإذا كان السحر صاح صيحة. قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض
البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه وانظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح. وعن القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا
بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون ألا تقومون (ون)
فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد
القوم السرى. وقال بعض الحكماء إن لله تعالى عبادا أنعم الله عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه
فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم
تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم
في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء. وقال بعض الصالحين
بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا لتلك الجبال دوي فاتبعت الصوت
فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا إلى قوله ويحذركم الله نفسه قال
فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية حتى إذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت إفاقته فأفاق
بعد ساعة فسمعته يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين وإليك

فزعت

فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك
إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعي ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا
عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه كيف يفرغ
من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما
خطري هب لي إساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عني عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك
وتثق به إلا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه إني لفي هذا الموضع ما شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني (ني)
فلم يجد علي عونا ليخرجني مما أنا فيه غيرك فإليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وملت إلى حديثك شعبة من قلبي فأنا أعوذ من شرك
ثم أرجو أن يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله أخاف أن أشغله فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته
وقال بعض الصالحين بينما أسير في مسيري إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها فإذا بشيخ قد أشرف علي فقال لي يا هذا قم فإن الموت
لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وما بعد الموت فقال من أيقن
بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك واملأ قلبي من المحبة لك وأجرني (ني)
من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الإعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني أجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما
عندك أملي ثم مضى وتركني. وقد أنشدوا فيه

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بغية في بطن وادي
ينوح على معاصي فادحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثني يا عمادي
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد (وقيل)
ألذ من التلذذ بالغواني ... إذا أقبلن في حلل حسان
منيب فر من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظفر في العبادة بالأماني
تلذذه التلاوة أين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة رحمة الله عليه يختم القرآن في كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك
فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة قال فكم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون ألف سنة قال فكيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن
ذلك اليوم يعني أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا
وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة سلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت
نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو
أنجع للقلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم يكن إبل فمعزى وخير نفسك (أنجع في القلب)
بين الاقتداء بهم والكون في غمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض
لها أن تنخرطي في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم
فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة فأخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها
ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها
وخمارها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلوتها
فإذا كان السحر وطلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أو رددتها علي فأعزى وعزتك
هذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك. ويروى عن عجردة أنها كانت تحيي الليل وكانت
مكفوفة فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهي أسألك
لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم
الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر. وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى

لا تسمع من النياحة والبكاء فقلت لصاحبي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بنفسها قال وانت وذاك قال فاتيناها فقلت لها
لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئاً كان لك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد
دموعي ثم ابكي دماً حتى لا يبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها
وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على
ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه
المرأة قال امة سوداء من اهل الايلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير بها
في الهواء فلما رايتها ناديتها يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يأن لقدومك
ولكن احفظي عني اثنين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبيد الله بن الحسن كانت لي جارية
رومية وكنت بها معجباً وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة
وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك
الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من اهل اليمن يقال لها
سرية فنزلت في بعض دورنا قال فكنت اسمع لها من الليل انيناً وشهيقاً فقلت يوماً لخادم لي اشرف على هذه المرأة ما ذا
تصنع قال فاشرفت عليها فما اراها تصنع شيئاً غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة ثم تقول خلقت سرية ثم
غذيتها بنعمتك من حال الى حال فكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك
فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت
ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني
السواد اذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة مني قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد
مع الله تعالى غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقاً
فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجباً من قولها وقال
احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذاك قامت لتفتح لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن
جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث
عطاء السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشياً عليه فاصابه فتق في بطنه فياليت عفيرة اذا رفعت راسها لم
تعص وياليتها اذ عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوماً الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع
ناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا
شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكراً لله تعالى فخفت
ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الآن فقد ذهب
عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على
آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها في كثرة البكاء
قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافاً منيخين بارض غربة ينتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا
البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما
بكاء اطول من هذا واعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول
هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني
بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على
قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان تصوم له غداً وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت
الكريم الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف

بالذنب

بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنا لك الهي قد جرت على نفسي بالنظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل
لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي براً ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يسعفني عند
مماتي بغفرانه الهي كيف اياس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد
اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني
فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك
ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى
عميت وصلت حتى اقعدت فكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذاكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت
علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله تعالى لم يخلقني ولم اك شيئاً مذكوراً ثم اقبلت على صلاتها فهذا ايضاً ان كنت من المرابطين
المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان
تطع من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر فان اردت مزيداً فعليك بالمواظبة
على كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يتبين لك بعدك وبعد اهل عصرك
من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل
زمانك رأوك مجنوناً وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى
بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة
الحال فقدرت انت على ان تفارقهم وتركب سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم وتستجهلينهم
في صنيعهم وتاخذين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفاً من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من
عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم و
الخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقتهم اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت
بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر
عن طغيانها المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد
خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها
ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة و
العذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة
عباد الله تعالى راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولاً بوعظ نفسك اوحى
الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابداً تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد
انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة و
حمقاً اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة
لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غداً فاراك ترين الموت بعيداً ويراه الله قريباً اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان
البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وانه لا ياتي في شتاء دون
صيف ولا ياتي في سن الصبى دون سن الشباب ولا في الشباب دون الصبى بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيها الموت
فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم
ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك
واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين

لمقت الله تعالى وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي
ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك
وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله عز وجل في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله
تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من
وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان
الله كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك ما
اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك
اصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات
الايمان لو كان الايمان باللسان فلم اذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك
اذا مت انفلتت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلقك فسوى اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل
يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله تعالى ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك
في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى
في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم العجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك
عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي
من جملة الاغبياء او صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك
من عقرب لا تحسين المه الا يوما او اقل منه ما هذا من افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت
قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فماذا آمنت استعجال الاجل وهبي
انه وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم
جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل
كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله
تعالى ثم هبي ان الجهد في آخر الزمان وآخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين به فان اوحي اليك
بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة افتنتظرين
يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله تعالى فلا يكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة
على النفوس وهذا محال وجوده اما تتاملين مذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اوما علمت ان الغد الذي
جاء وصار يوما كان له حكم الامس بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها
فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ويزيد
القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب
والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك
تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام
والمشقات فما احمقك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الآباد ولا مطمع
في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك
الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول عمره واخبره ان شرب الماء مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى
العقل في قضاء الشهوة ايصبر ثلاثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة

ثلثمائة يوم وثلثة آلاف يوم وجميع عمرك الا شيء في جنب الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار فاقل من ثلثة ايام بالاضافة الى
جميع العمر ولو طالت مدته وليت شعري الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على
الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله تعالى ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او حمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب
وعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك
مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك منها بجميع الحيل بهذا الجهل
تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ويحك لا ينبغي ان تغرنك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس
معدودة فاذا مضى نفس منك فقد ذهب منك بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحيوة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على
الله تعالى فضله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر
مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر
النار وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات وانما كرم الله تعالى ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك
العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعي
برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك فكذلك الاستعداد للآخرة فطاعاتك
ومجاهدتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك
انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بداكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا
تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها فاحسبي
انك غافلة عن عقاب الله تعالى وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترى ان من
يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من
العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال
سيد البشر عليه الصلوة والسلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل
ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين ان كل من يلتفت الى لذات الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة
وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله تعالى ارضهم وديارهم
اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء
ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته
وهو صائر اليها قطعا اما تستحين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذا بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما
تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل
عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء فما اعجب امرك وما اشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة
الجلية ولعلك اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها او ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من
على وجه الارض يسجدون لك ويطيعونك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك
وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر من ذكرك كما قد اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى
ابد الآباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من الملوك سلم لك المشرق والمغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت
لك الاسباب كيف وقد ابت ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة في
الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين
في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون

عليك في نعيمها وزينتها فأفٍّ للدنيا سبقك بها مولاك الاجناء فما اجهلك واخس همتك واسقط ايمانك اذ رغبت عن ان
تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الآبدين لتكوني في صف النعال من الحمقى الجاهلين
اياما قلائل فما اعز ذلك عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن
ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضي ربك عنك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان
اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها ولو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منه لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية و
اصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت
ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك قد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يأخذوك الى
انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فات منهم وانتم في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم
بالدنيا لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله تعالى في السر بالعظائم
فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك ويحك اتأمرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين
الى الله تعالى وانت منه فارة وتذكرين بالله تعالى وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر
غيرها فلا تطمعي في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك
قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا تعجبين بعملك فيها من آفات ما لو نجوت منها راسا براس لكنت
وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله مائتي الف سنة واخرج آدم من الجنة بخطيئة
واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك ويحك يا نفس ما اقبحك ويحك يا نفس ما اجرأك على المعاصي ويحك يا نفس ما اجهلك ويحك كم
تعقدين وتنقضين ويحك كم تعهدين وتغدرين ويحك اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور
كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم
دعوا الى الآخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان
بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان يبدو رسل الله اليك منحدرة بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب
فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك
انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا
وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين
تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله عز وجل على نفسه الا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه
حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين فاعدي للسؤال جوابا وللجواب
صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي
من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون لا يفطن
ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله تعالى انه من وقود النار
فليكن نظرك الى الدنيا يا نفس اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن
شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت
مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد
رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام
التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف
بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله تعالى قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهرك وباطنك فوطني نفسك
على النار فقد خلق الله تعالى الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من
نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان
ذلك

ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك
فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعيني بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم
الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت
وتماديك قد طال وقد انقطع منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجى
الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب
المتلهف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت اليه مضطرة والى رحمته محتاجة وضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق
وانقطعت منك الحيل ولم تنجح فيك العظة ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول عنه جواد والمستغاث به بر رؤوف
والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجريء الذي لا اقلع
انا المتمادي الذي لا استحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني
آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتداء بابيك آدم عليه السلام وقال وهب بن
منبه لما اهبط الله تعالى آدم الى الارض من الجنة مكث لا يرقأ له دمعة فاطلع الله تعالى عليه في اليوم السابع وهو محزون
كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي
خطيئتي فاخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد
الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على
خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي
ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا
كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام وكان
عبيد الله البدري كثير البكاء يقول في بكائه طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك
خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا ومأوى
واعبيداه ان كانت المقامع لرأسك تعد واعبيداه قضيت حاجة الطالبين وحاجتك لا تقضى وقال
منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه تعالى وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك
مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانتني
على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني وبحبل من اعتصم
ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع
المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم اتوب وفي كم اعود اما آن لي ان استحي
من ربي تعالى فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم
من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا

تم كتاب المحاسبة والمراقبة ويتلوه كتاب التفكر
والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد سيد المرسلين وعلى آله اجمعين

كتاب التفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى
بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف
آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية فكرك فكرا لانك لو تفكرت في جلال
الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء التفكر في صفاته امرا فانظري في نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك تترى
وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا

وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وان كان لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا كيف يتفكر وفيما يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه ام لثمرة تستفاد منه فان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها او قال بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قط قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت يوما انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شيء رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي عز وجل فقلت والله اني لاحب قربك واني احب هواك فقام الى قربة من ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى اذا اتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن وهو يعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وبينما ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل

بكى

العقل

يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ابو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحاق بن خلف كان داود الطائي على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف فظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رضي الله عنه استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقته وبيان مجاريه

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يمكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته

لصناعة التعبير في الإيراد فكم من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإيثار علماً حقيقياً ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين وهو أن الأبقى أولى بالإيثار وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار فرجع حاصل حقيقة الفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن في الفكر ذكراً وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فإذاً التفكر أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالإيثار فإذا رسخت هذه المعرفة يقيناً في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته ثم أثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في اطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة فههنا خمس درجات أولها التذكر وهو إحضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الأعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كالجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفاً مخصوصاً كما يضرب الحجر على الحديد ضرباً مخصوصاً فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره فإذاً ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لا نهاية لها والأحوال التي يتصور أن تنقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطاً جملياً فإن تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فإنها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلنشر إلى ضبط المجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وإنما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع أفكار العبد إما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد إما أن يكون نظراً فيما هو محبوب عند الرب عز وجل أو فيما هو مكروه ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب عز اسمه إما أن يكون نظراً في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى وإما أن يكون نظراً في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثال وهو أن حال السائرين إلى الله تعالى والمشتاقين إلى لقائه تضاهي حال العشاق والمستهترين فلنتخذ مثالاً فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فإن تفكر في معشوقه فإما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه ومشاهدته وإما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفاً للذته ومقوياً لمحبته وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها أو في الصفات التي تقربه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها فإن تفكر في شيء خارج من هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره فمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فإن هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد

مما هو مكروه عند الله تعالى أو محبوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور الأول التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله تعالى أم لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروهاً بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في أنه إن كان مكروهاً فما طريق الاحتراز عنه الثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري الفكر في هذه الأقسام على مائة والعبد مدفوع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الأقسام يطول ولكن لنحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والمهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالاً ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب التفكر فيتسع عليه طريقه النوع الأول المعاصي ينبغي أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلاً ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية منها فيتركها أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان فيقول إنه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترز منها ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد أو بأن لا يجالس إلا صالحاً تقياً ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى وإلا فيضع حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه أنه يصغي به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو وأنه كيف ينبغي أن يحترز عنهم بالاعتزال أو بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه أنه إنما يعصي الله فيه بالأكل والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله تعالى ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله تعالى وإما بأكل الحرام والشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم واحد حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها أما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة ولتستعمل في عبادة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه إني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فما لي أعطله وقد أنعم الله تعالى به علي وأودعنيه لأشكره فما لي أكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إني قادر على أن أتقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ وبالتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فإنها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقني الله تعالى مثله وإن كنت محتاجاً الآن فأنا إلى ثواب الإيثار أحوج مني إلى ذلك المال وهكذا يفتش عن أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغلمانه وأولاده فإن كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات أما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء

الشهوة والعجب والغضب والبخل والكبر والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان
ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت
التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت
الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة
ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامات على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده
وتبين ان منشأها الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي
وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله تعالى وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي
وهو الذي حرك اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي وبنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر
قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله عز وجل وذلك ينكشف بعد الموت وكم
من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند سوء الخاتمة فاذا عرف
ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه
تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله تعالى وصفات الملائكة كالعلم والقدرة
ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه
في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه
الكتب اما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف
والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه
والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي
يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم
لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها
في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال
الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه
في كتاب الشكر فليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله سبحانه وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر
في عجائب حكمته وبدائع صنعته كما اشرنا الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة
والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء
عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جميع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في
الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم
ليحضر اهوال القيامة في قلبه ثم في صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع
العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وكلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وانهم اذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها زفيرها وتغيظها وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد
ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهذا
طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحدة من هذه
الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع
المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال
وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأها العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو
مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها

اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق تأملها لم ينقطع فيها نظره
طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك
مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها
طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر
في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى
يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس
هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن
نفسه الى ان ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ
للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح
للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور
فقال فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد
الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين فاما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما
الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح
بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق
الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال
الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر
في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه تعالى فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك
المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات
المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي
البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات
عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا
والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محبوبة
فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها
وليعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة
الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم
مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر واما اكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم
المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة
الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من
هذه المعاصي في جوارحه وما لم تطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم
نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في
غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة
لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين و
التصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من يرده بل هو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره
وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم

آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع للتحسين
اللفظ والايراد حرصاً على استجلاب الثناء والله تعالى لا يحب المتكلفين والشيطان يجد بلس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف
فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاءاً لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس
على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره حتى يكون
للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراماً ويكون بلقائه اشد استبشاراً ممن يغلو في الموالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة وربما ينتهي
الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره مستفيد منه
في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه
العلامات ففتنة العالم عظيم وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه
الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي جمعاً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان تتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل
هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغنٍ عني قد كان معموراً قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت
لم ينهدم اركان الاسلام والدين مستغنٍ عني واما انا فلست مستغنياً عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية
الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلوم والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم
حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر
عن عمله الى يوم القيامة بل ينهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يؤيد هذا
الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق
حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في
القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فساداً فيها من حب الجاه
والمال في دين الرجل المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم
فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي
ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا
اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام
وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا
انه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموماً لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا
متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان
يتوفانا انه الكريم اللطيف بالمنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم
وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله تعالى وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك عن جميع المهلكات والاتصاف
بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولاً معلولاً مكدراً منقطعاً وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون
كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم
الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها
على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى

القسم الثاني

الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر في
ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه
فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر
الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهاراً وانما يتردد ليلاً لينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال

الصديق بل كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيقه دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر فنظر المختطف يورث العمش
ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذاً ان لا نتعرض لمجاري الفكر في ذات
الله جلت عظمته وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه
عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم
يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى عن ان يكون له رأس ورجل ويد وعضو وان يكون جسماً متحيزاً
له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف
الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه
في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالساً على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته
ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران
لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمناً لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة ولا
يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان ظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطراً من هذا
الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا نتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجائب صنعه
وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر
الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم
نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم
مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر
من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام
بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء
واسطة يغض قليلاً من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا انوار الذات
بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى
وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله
وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل يكون
ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها
كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما نعرف
اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر
اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض
فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارضون وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها
وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها
ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها
فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب
كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك
مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او
حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهدة لله تعالى بالوحدانية ودالة على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن

بالحث على التفكر في هذه الآية كما قال تعالى إن في اختلاف الليل والنهار لآيات كما قال ومن آياته ومن آياته من أول القرآن إلى آخره فلنذكر
كيفية الفكر في بعض الآيات فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما
تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى
بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الإنسان ما أكفره من
أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب
ثم إذا أنتم بشر تنتشرون وقال ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في
قرار مكين وقال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وقال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج
نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه
فانظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب
والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة
من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الأرحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه
حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية
إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب والعروق الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع
والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ثم مد الرجل واليد وقسم رؤسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأنامل ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة
من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف
قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة
منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه
الأعمار فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها
بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الإنسان محتاجا إلى
الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر
شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وألصقه بالطرف
الآخر كالرباط ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر نقرا غائصة فيها موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها
فصار العبد إذا أراد أن يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها
وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى البعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص
القحف وأربعة عشر للحي الأعلى واثنان للحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة للقطع وهي الأنياب
والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات
لتنطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع
وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل
عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين
فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها
خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن تعرف عددها فإن هذا علم
قريب يعرفه الأطباء والمشرحون وإنما الغرض أن تنظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها
وخصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الإنسان يحتاج إلى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج
إلى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها

فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الآلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين
عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فأربعة
وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت منها واحدة اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص
وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر
مجال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد الأعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا
تدرك بالحواس أعظم فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته لترى فيه من العجائب والصنعة ما تقضي به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى
في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في أوضاعها وأشكالها و
مقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن أن ذرة من ملكوت
السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الإنسان بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب
السموات ولذلك قال الله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولا وما صارت إليه ثانيا وتأمل
لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا
هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت إلى
صورة إنسان مصور على حائط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليه كأنه إنسان عظم تعجبك من صنعة
النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم والحائط واليد والقدرة
والعلم والإرادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب
مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الأصلاب والترائب ثم
أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم
العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا
فخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العين ورتب طبقاتها وأحسن
شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها ثم أظهر في مقدار عدسة منها
صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها
وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ولتحس بدبيب الهوام إليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر
حركة ما يدب فيها ويطول طريقها فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله
وفتح منخريه وأودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء
لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن
والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم
وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الأصوات
وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق
الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات
فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعور
والأصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجبين بدقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة
وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال
تخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه بجذب الماء عنه والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء
عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد إلى المقاصد
وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع

ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجهاً آخر في وضع الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت
الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا صلح للقبض والاعطاء فان بسطها كان له طبقاً يضع عليها ما يريد
وان جمعها كانت آلة الضرب وان ضمها ضماً غير تام كانت مغرفة وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤوسها
زينة للانامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند
الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك
بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك
الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغشاء والغطاء وامتد البصر اليه لكان
يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئاً شيئاً ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصوراً وفاعلاً لا تمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه
وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شأنه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما
كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج
الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفاً لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين
الفرث والدم سائغاً خالصاً وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما الحلمة على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي
ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجاً فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من المضيق اللبن
الكثير عند شدة الجوع به ثم انظر الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن
واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها
ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي
كان عاجزاً عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله تعالى الرحمة على قلبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز
والعقل والهداية تدريجاً حتى بلغ وتكامل فصار مراهقاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً اما كفوراً او شكوراً مطيعاً او عاصياً مؤمناً
او كافراً تصديقاً لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً
بصيراً انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربوبية
فالعجب كل العجب ممن يرى خطاً حسناً او نقشاً على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف
نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي
غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها
وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل
وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان التي
حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة
المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقرباً من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات
البهائم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله عز وجل فيها فاولئك
كالانعام بل هم اضل سبيلاً واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها
ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات اما الارض فمن آياتها ان خلق الارض فراشاً ومهاداً وسلك فيها سبلاً فجاجاً وجعلها ذلولاً لتمشوا في مناكبها
وجعلها قراراً لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتاداً لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها
وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي
جعل الارض فراشاً واكثر في كتابه من ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها موطن للاموات ولذلك قال تعالى
الم نجعل الارض كفاتاً احياء وامواتاً فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت فاخضرت وانبتت عجائب
النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف

اودع

اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقاً
عذباً صافياً زلالاً وجعل به كل شيء حياً فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه
كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والروائح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد
وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب
ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فلا ترى
فيها شيئاً بل تراها تراباً متشابهاً فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الواناً مختلفة ونباتاً
متشابهاً وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف
طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا
يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا
يستحيل دماً وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع
لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج العلاج في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخيل تؤبر والكرم تقطع والزرع ينقى منها
الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات
ومنافعها واحوالها وعجائبها لانقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات
ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال
كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة
والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني
والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب
الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الارض سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها
الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحاً مالحاً محرقاً لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييباً لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما
من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق منها شيئاً عبثاً ولا لعباً ولا هزلاً بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي
وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته
اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد
في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية
ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر
عجائب البقة او النملة او النحل او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها
لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر فترى العنكبوت تبني بيتها على طرف نهر فتطلب اولاً موضعين متقاربين
بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو
الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك ثانياً وثالثاً ويجعل بعد ما بينهما متناسباً تناسباً هندسياً حتى اذا
احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كاللحمة اشتغل بالسدى فيضيف السدى الى اللحمة ويحكم العقد على موضع التقاء السدى باللحمة
ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك كالشبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة
فاذا وقع فيها بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه
منها بخيط آخر وبقي منكساً في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى نفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله وما من
حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي وعلمه
او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه
فكيف هذا الحيوان الضعيف فلا تشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر

العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الضعيف من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن
ساير الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقطت تعجب القلوب منها
لأنسها بكثرة المشاهدة نعم إذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والإنسان أعجب الحيوانات
وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها
وأوبارها وأشعارها التي جعلها لباسا للخلق وأكنانا لهم في ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم
وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمفازات لأكثر الناظر التعجب
من حكمة خالقها ومصورها فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه
من غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير وهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه
صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله
وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله عز وجل أن
يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط
بجميع الأرض حتى أن جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة
بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض فانسب إصطبلا إلى جميع الأرض فاعلم أن
الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها فتأمل عجائب البحر فإن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر
أضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سعته أضعاف سعتها ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها
في البحر فيظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرك فيعلم أنه حيوان وما من صنف من أصناف
حيوان البر من فرس وطير وبقر وإنسان إلا وفي البحر أمثالها وأضعافها وفيها أجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكرنا أوصافها في
مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبها ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ والدرة في صدفة تحت الماء وانظر كيف أنبت
المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها
البحر وتستخرج منها ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وسخر
لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح تسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا تستقصى على الجملة عجائب
صنع الله تعالى في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال
مشف متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال
به حيوة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكها
وإذا شرب ثم منع من إخراجه لبذل جميع خزائن الأرض في إخراجه فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل
عن نعمة الله تعالى في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار
والبحار ففيها متسع للفكر ومجال للفكر وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها
معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة أما تراني وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي
وكثرة فوائدي أتظن أني تكونت بنفسي أو خلقني أحد من جنسي أو ما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنه صنعة
آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار
ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لأرباب السمع والقلوب لا للذين هم عن السمع
معزولون توهمني في ظلمة الأحشاء منغمسا في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي وأجفاني
وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تتبدى شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها
ولا خبر منها للأم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم أفما هذا النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرتين
لتعلمته فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن
غير

غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فإن كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور
كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة ما بين الفعلين وإن كنت لا تتعجب فتعجب من عدم تعجبك فإنه أعجب من كل
عجب فإن الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه فسبحان الذي هدى وأضل وأغوى و
أرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق
والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين
مقعر السماء ومحدب الأرض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في
جو الهواء ومستقلة سباحة فيها بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما
تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله تعالى الهواء وجعله ريحا هابة فإن شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال وجعلنا الرياح لواقح فيصل
بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال إنا أرسلنا عليهم ريحا
صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضبط في الماء فالزق المنفوخ
يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء
بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لأن الهواء
ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء
اللطيف كالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوي حتى تمتنع
من الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل في هواء لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما
يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى
جملته في قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال
والسحاب المسخر بين السماء والأرض وحيث تعرض للرعد والبرق والسماء والمطر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينيك و
تسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت
ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه ولا
مطمع في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء
وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء إلى أن يأذن الله تعالى في إرسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي
أراده الله تعالى على الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا يدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل
واحدة منها بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنها ولا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى تصيب الأرض قطرة
قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب
الجن والإنس عنه فلا يعلم عددها إلا الذي أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات
والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنه رزق الدود الفلاني الذي هو في ناحية الجبل الفلاني يصل إليه عند عطشه
في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل
من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد فيه شرك ومدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته
ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب
نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي
رقى الماء المصبوب في أسفل الأشجار إلى أعالي الأغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف
الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري إليه في تجاويف
عروق شعرية صغار ترى منه العرق الذي هو أصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق عروق صغار فكأن الكبير
نهر وما تشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى ينبسط

في جميع عرض الورق فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه
فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السموات
والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من
الكواكب وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات
بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر وأصغر وانظر كيف عظم الله تعالى أمر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من
قسم في القرآن بها كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب والشمس وضحاها فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس
والنجم إذا هوى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عنها الأولون والآخرون وما أقسم الله تعالى
بها فكيف ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق إليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون وأثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في
خلق السموات والأرض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي تجاوزها من غير فكرة وذم
المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فأي نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب
والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز
والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك في هذا النظر
فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن
يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب والشهادة
فلا يطلع على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها
إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لأن
بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف بك ثم النبات والحيوان وما على
وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان
السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح والمسافات
الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك
وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر وإلى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي
دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركاتها ومن غير
تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها
وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة
العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها
في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت
ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم
سباتا والنهار معاشا وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص
وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت من وسط السماء برد
الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء
عشر عشير من جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه
ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك
بما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا
في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض

واتساع

واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة وفي الأخبار
ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها أصغرها هو مثل الأرض ثماني مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض
وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار تعالى إلى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الأخبار
أن بين السماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الأرض فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء
التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك في أنه في لحظة
تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار
الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته
إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس
مسيرة خمسمائة عام فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها
في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها
كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتعلق بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل
بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك فأنت أبدا تنظر إلى هذا
البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت
بقلبك إليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأجزاء التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا
فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت
ببطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون
البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن يقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث
الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في
بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت
السموات والأرض ثم عن التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملوك والملك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرت
في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فإنها إذا خرجت من جحرها
ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهي
بمعزل عنها وعن التفكر فيها بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن
أرضها وسقفها وحيطانها وسائر بنيانها وغفلت أيضا عن سكانها فأنت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان
سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك
نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصناع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف
من عجائبها ما الخلق غافلون عنها ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له لو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على
شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نزر
بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه الأنبياء قليل بالإضافة
إلى ما عرفه الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه لم
يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال
تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله
تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت
معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة
وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا في قلبك فيستدعي

التعظيم له من نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله تعالى وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله تعالى فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء ومن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله وحسن توفيقه

والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله اجمعين

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات آخر كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه

اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعرج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق ان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيمة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ابواب ثمانية ٥

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في طول الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب

لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه واولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبه الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون الى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها هل يحشر مع الشهداء احد يا رسول الله قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره ويكفرها بعد اجتناب الكبائر واقامة الفرائض وقال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة

الآثار قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال ابن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين ايديهم جنازة وقال التيمي شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تعالى

وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصيبات الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول
في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن البصري
فانما هو النار وامر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امرأة شكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثري
ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة وكان عيسى اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود اذا
ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا اصبته من
الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال انت اول خليفة تموت قال زدني قال ليس من
آبائك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات
يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت
قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع
العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم
قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم
فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق
فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر
فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر
ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتأمل كيف محا التراب
الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم
ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش
والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه
من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه
وكيف كان يضحك واكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين
الموت الا شهر واحد وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما
بالجنة واما بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا
ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم قال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون
انكم تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله تعالى تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب
فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث
يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى
في التحذير ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه
حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى
ارتفع صوته

الباب الثاني في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا و
روى عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما
اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب
عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية

الا ان الآخرة قد تجللت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل
وقالت ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك
يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى
اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري
الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله تعالى روحي ولا
رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها في الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم
تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يخرج فيهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله الماء قريب منك فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي
انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا
الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلام
مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطأته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف
حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يأمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطأته
الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا
وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال هل تدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم فقال هذا الانسان الخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطأه هذا
نهشه هذا وذاك الامل يعني الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان
الحرص والامل وفي رواية وتشب فيه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه
الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى صلوات الله عليه جالس وشيخ يعمل بمسحاة
يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل
فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت
ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب
ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه
وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير
العمل

الآثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله عز وجل من على عباده بالغفلة
عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والغفلة نعمتان عظيمتان
على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه العيش
وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني
مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه لا يدري اساخط رب العالمين عليه ام راض وثلاث احزنتني
حتى ابكتني فراق محمد وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي ولا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار وقال
بعضهم رأيت زرارة بن اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم فقال التوكل وقصر الامل وقال
الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه
الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن
يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى
من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال
داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما وكيف اؤمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق

في ساعات الليل والنهار وحكي أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء
مصرور فقال له أستاذه إيش هذا معك فقال لوزات دفعها إلي أخي وقال أحب أن تفطر عليها فقال يا شقيق وأنت
تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً قال فأغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في
خطبته إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من
ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط أمل
من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم
من كان بالدنيا مغتراً وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وإنما يفرح من أمن أهوال يوم فأما من لا يداوي كلما
إلا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو
مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت
به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى أحدهما وكتب
أخ إلى أخيه أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام وكتب آخر إلى أخ له إن
الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى
بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب
الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره وقال عبد الله بن شميط سمعت أبي يقول أيها المغتر
بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة إنك لو فكرت في طول
عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون
إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص
وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال
أبو زكريا التيمي بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فأتي بوهب بن منبه فإذا فيه ابن
آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك
وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب
فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال
بعضهم رأيت كتاباً من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد
فإني أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر
ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك
من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من
أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم
فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الآمال وأيقظ النائمين
وحذر الغافلين أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين
فإنما نحن له وبه والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً
ولن تتركوا سدى وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد أخرجه الله تعالى من
رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى وباع قليلاً
بكثير وفانياً بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون ألا ترون أنكم في كل
يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد

قد

يا ه

القيمة

قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما
أعلم من نفسي لكنها سنن من الله تعالى عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته وأستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت
دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت
تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي
ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد
خرجت من عند القصار وقال أبو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية
وهي تدفن فجئت فقعدت قريباً منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب
واعلم أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون
بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون روي أن
معروفاً الكرخي أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها
فقال معروف أنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن منها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من
مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما
الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه
آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلاً وتحزن طويلاً وعن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن و
حصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحى الوحى ثم النجا
ثم النجا

بيان السبب في طول الأمل وعلاجه

اعلم أن طول الأمل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب
الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت
الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده
وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء
ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه وإن خطر له في
بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك فإلى أن تكبر ثم تتوب وإذا
كبر فيقول إلى أن تصير شيخاً فإذا صار شيخاً قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة
أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك ولا يزال يسوف ويؤخر
ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضي به شغل إلى
شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فيطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار من سوف يقولون وا
حزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخاً
ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها إلا من اطرحها وقيل
فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب إلا إلى أرب وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى
قوله عليه السلام أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وأما الجهل فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب
الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشباب
أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً فالمرض
فجأة غير بعيد وكل مرض فإنما يقع فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت

ص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وربيع ومن ليل ونهار لعظم استبعاده واشتغل بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت
يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد
تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع واذا وقع دفعة
لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره
ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا
وعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا
الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان
حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان
اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر ومنغص فكيف يفرح بها او يترسخ
في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في
القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز
فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه
وليتدبر انها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى اولا او باليسرى
فما على بدنه شيء الا وهو طعمة للدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب
القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي
تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له ٥

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى
يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا
حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في طلب حب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين
اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا
يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة
الشتاء او الصيف فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم
وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما للغد فلا قال عليه السلم لا تهتموا لرزق غد فان يكن غدا من آجالكم فسيأتي
فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا صلى الله
عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر
البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت
(في الهامش: قبل مضي ساعة)
نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلوة مودع وفيه ورد ما ورد عن معاذ لما سأله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها باخرى وكما نقل عن الاسود
وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب
الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تعالى
فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل فكل انسان يدعي انه قصير
الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول امله و

انما

انما لامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى
المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله
الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر ذلك الا لمن فرغ عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش
سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحيوة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير
جاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك الا بالمبادرة الى العمل اغتناما لكل
نفس امهلت فيه

بيان وجوب المبادرة الى العمل وحذر آفة التاخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى
شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل
قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من المبادرة
الى العمل فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا
الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة و
الساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك وقال عليه السلم نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا آنس من اصحابه غفلة او غرة نادى
فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف
السقف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال عليه السلم مثل الدنيا مثل ثوب
شق من اوله فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت
انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله تعالى الذي
خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر ذكرا للموت واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا
وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها
لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله
وهو يصلي فاوجز في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر فقلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال
(في الهامش: فتجوز)
فقمت وقام الى الصلوة ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني اني ابادر خروج نفسي وقال عمر
(في الهامش: شيء)
رضي الله عنه التؤدة في كل خير الا في اعمال الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل
ان يأتيك الامر ويحك بادري قبل ان يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني وكان يقول الحسن
في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله رحم الله امرأ نظر
لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد
دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان
الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجريها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى

كان وكان يقول لامراته شعثى رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما
استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا
فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يجدوه الجديدان الليل والنهار لحري
بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فرحم الله عبدا اتقى ربه ونصح نفسه وقدم
توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية
ليرتكبها حتى يهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي
غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية
ولا تحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى
فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت
وغركم بالله الغرور وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل
منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله
عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال
مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا
يكون حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذان وتخرجوه من هذه الاذان فانه من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد
راه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحي الوحي النجا النجا علام تعرجون
اتيتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض
واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم
الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا سائله يا هذا لا تشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب
ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة
حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا
عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته و
حقيقا بان يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد
سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان
الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه
لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا
الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها
اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له هو
ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حرق سرى
الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض
الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم
نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم
فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق
لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا او باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء
الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون

الم

الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب
من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى القدم فلا تسال عن كربه
والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف والنشر بالمنشار
انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه
وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل
موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة للاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان
فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على
ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد
حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان
الى اعالي اجفانه وتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق
من عروقه فلو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق
ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة
حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت
وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا
يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء
والاولياء من الموت حتى قال عيسى يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي
من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا
تسالونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت
الموت منذ خمسين عاما ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت
بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه كان عليه السلام يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين
العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته
والمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل عليه السلام عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف
فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل عليه السلام على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت على حدته
وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش
وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا
والاخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا
بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات
الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار
وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان
نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على الفاجر وروي عن مكحول عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا
يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت وروي ان ابراهيم لما مات قال الله تعالى
كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا فقد هونا عليك وروي عن موسى عليه السلام انه

قال لما صار روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى
لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي
سكرات الموت وفاطمة تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه
لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل واخذت كل
شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلم تفارقني وافارقك الى يوم القيمة
فهذه سكرات الموت على اولياء الله تعالى واحبائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت
بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول
الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فروي
ان ابرهيم عليه السلم قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك
قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب تخرج من فيه
ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم
يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود كان
رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا رجل في الدار فقالت من ادخل هذا
الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود فراه فقال من انت فقال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب
قال فانت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلم مكانه وروي ان عيسى عليه السلم مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي
باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي
اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كانت فرقة ويا
ليت ما كان من ذلك الانس كانت وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى ان للانبياء
مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه ليلة لتنغص
بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان
ابرهيم عليه السلم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال
من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من
الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني
فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن
عند الموت الا صورتك لكان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت
حتى يترايا له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق قد اجلستنا وعمل
صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا
وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة
مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت
للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا
ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من
الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرج

من ح

له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به
من اخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله
من صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم
بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة ام
بنار وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبده قال يا ملك الموت
اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه
خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة غير بشارة صاحبه
ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ فيقول له جنوده
ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان
معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله تعالى ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم
الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن عبد الله بن زيد عند الموت ما تشتهي قال
نظرة الى الحسين فلما دخل عليه الحسين قيل له هذا الحسين فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخواه الساعة والله فارقكم
الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع يا اخوتاه عليكم السلم الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في
النزع ابدا ولا يبعث لا للثواب ولا للعقاب وخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة وقد
ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره
واعادته ۞ **بيان ما يستحب** من احوال المحتضر عند الموت اعلم ان المحبوب عند الموت
من صورة المحتضر ان يكون هو الهدوء والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن
بالله تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشح جبينه واذا
ذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبد
شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها
من الخطايا وقال عثمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة
وفي رواية عبيد الله وهو يشهد وقال عثمن اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له
بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا
ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت
رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له
بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ويؤدي الى استثقاله
التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله فاذا
لم يبق مطلوب سوى الله الواحد كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا
اليها متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على راس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان
مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله تعالى بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد
ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف
ظنك بالله تعالى فقال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة ولكني ارجو رحمة الله تعالى فكبر واثلة وكبر
اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شاء ودخل عليه السلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم

ت

له ح

لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب
به حدة وكانت أمه تعظه تقول كثيرا يا بني إن لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه فجعلت تقول
يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما قال يا أماه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه
قال ثابت فرحمه الله تعالى بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه
يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبنيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رئي في النوم فقال أخبروا أمي أن
الكلمة قد نفعتني وأن الله تعالى قد غفر لي ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت قال أين يذهب بي قالوا إلى الله تعالى قال فما
كراهتي أن أذهب إلى من لا نرى الخير إلا منه وقال المعتمر بن سليمان قال لي أبي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص
لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه ۝

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت

بحكايات يعرب بلسان الحال عنها قال أشعث بن
أسلم سأل إبرهيم عليه السلم ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع إذا
كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الأرواح بإذن الله تعالى فتكون
بين إصبعي هاتين قال ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث شاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله
تعالى وقال سليمن بن داود لملك الموت ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك
إنما هي صحف وكتب تلقى إلي فيها أسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب
ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها فجاء
إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد
عليه السلم فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا
الآن فقهر على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى إليه رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب
لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة
ثم لقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره فقال أنا ملك الموت
فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك
التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر
على ذلك قال نعم إني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال
بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل و
والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى
أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض
روحه وروي أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من
غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي
سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه
مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعة أفزعته وهو على فراشه فوثب إليه الغلمة وقالوا
ما شأنك فقال ادعوا إلي مولاكم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع
الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على
مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت
صانع فإني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت
شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي فأنطق الله تعالى المال فقال لم تسبني فقد كنت تدخل على

على

على السلطان وترد المتقون عن بابك وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل
الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم ثم قبض
ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى
السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها
وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد لها فقالت الملائكة الجبار
الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال عطاء
ابن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة
قال فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري قال الحسن ما من
يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل
أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا
انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون
كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني
إسرائيل جالسا في منزله قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب داره فثار إليه فزعا مغضبا فقال له
من أنت ومن أدخلك علي في داري فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن
على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد فأسقط في يدي الجبار وارتعد
حتى سقط منكبا لوجهه ثم دفع إليه رأسه مستخذيا متذللا له فقال أنت إذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي
حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال
فإلى أين تذهب بي قال إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا
حسنا قال فإلى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي
لو تعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمن بن داود عليهما
السلم فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته
ينظر إلي كأنه يريدني قال فما تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني إلى أقصى الهند ففعل الريح ذلك
ثم قال سليمن لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي قال كنت أتعجب منه لأني
كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك ۝

الباب الرابع

في وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة
حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله تعالى منه إذ كان
خليل الله تعالى وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل
أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية
الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق في
جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت
في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل
رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق
بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله تعالى
ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لا نعتبر

به ولسنا على ثقة فما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين
وامام المتقين وحبيب رب العالمين فلعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات
هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون
لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا كذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله تعالى رب العالمين
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه
انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين
ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا
وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة المأوى وقال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيت امنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه عليه السلام ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم
الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب
الى الله تعالى والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرءوا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم مني السلام ورحمة الله
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله
في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها امته فقال
الان قرت عيني فقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك
فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم
اصبحتم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله تعالى فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن
انه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم
امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري
وجمع الله تعالى بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت
آخذه لك فاومأ براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومأ براسه اي نعم فلينته فكان
بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها فيقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت
اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رأت الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد
ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل
عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون
قالوا نقول نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج متوكئا على علي رضي الله عنه والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب
الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال ايها
الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى
اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين
خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخرها وان الامور
تجري باذن الله تعالى فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل لعجلة احد ومن غالب
الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار
خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار
الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم

الا ولا تستأثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن
يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ ابدا حصباؤه
اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا
مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم
لفاجرهم فاستوصوا بآل قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم
واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود
انه قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى
فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى
والكأس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال
ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه او في حلة يمانية او في بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله
لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة
فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فاول من يدخل علي من
خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم
فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام
واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة
كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي قال عبد الله بن زمعة جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن
بالصلاة فقال صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر
فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين
ابو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان
ابا بكر رجل اسيف رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر
بعد الصلاة التي صلى عمر رضي الله عنهما وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني
ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله بن زمعة اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله
عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله تعالى وخشيت
ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه
ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله عز وجل والقضاء قضاؤه وعصمه الله تعالى من كل ما تخوفت من امر الدنيا والدين قالت
عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم رأوا منه في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم
وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري
فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا
بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني وقال ان الله تعالى ارسلني
وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تأذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تأمرني فماذا امرك فقلت اكفف
حتى يأتيني جبريل فهذه ساعة جبريل قالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكانما ضربنا
بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل
عليه السلام في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف
تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة في امتك

فقال لجبريل هو وجعا قال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك الى ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره
الخبر قال جبريل عليه السلم ان ربك اليك مشتاق الا اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن
ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجي واذن للنساء ادني مني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت
راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك فما تطيق
الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان
يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فضحكت وادنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما
تامر يا محمد قال الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول
على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما انزل فيه الى الارض
ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث
محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا
واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب
وجبهته ترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شي قط اطيب منه فكنت اقول له اذا
افاق بابي ونفسي وامي واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه
كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلنا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يجي احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد
اليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة كان يوصي بها
حتى قبض وهو يقول الصلوة الصلوة قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتفاع الضحى وانتصاف
النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب
علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت
من يوم الاثنين وقالت لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا
الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان
فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايدي
وارجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله الموت انما واعده ربه تعالى كما واعد موسى وهو آتيكم
وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده
فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله تعالى عزز لهما على التوفيق والسداد وان
كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله الموت ولقد قال وهو بين
اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني الحرث
ابن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك
الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم وكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي عليه السلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال
فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت
حيا

حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت
حتى صرت مسلية وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت
عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه
عنا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك
عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر انه لما دخل ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر
شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس
ذائقة الموت ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا
له واذكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد
آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل
مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوه وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر واليسع حضرا
النبي عليه السلم واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس
عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على النبي عليه السلم فحمد الله تعالى على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده
ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله
هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت
به على خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام الخير ورسول الرحمة
اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه
المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله تعالى
قد اختار لنبيه عليه السلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه عليه السلم فمن اخذ
بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا
يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس
لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله اما ترى ان نبي الله عليه السلم قال يوم كذا
كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله تعالى
قبل الان لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون
وصلوات الله على رسوله وعند الله تعالى نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى ابي بكر وقالت عائشة لما
اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا
او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله تعالى عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته على صدره نائما قال
قائل لا ندري من هو اغسلوا النبي وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا فغسل عليه السلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال
علي رضي الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه
في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان يقلب لنا منه عضو لا يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا
لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله فانكم ستكفون فهكذا كان وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه
عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بني في حياته

لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته صلى الله عليه وسلم عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة ○

وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عائشة عند موته

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال ابو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه وقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد ودخل سلمان الفارسي عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تخفرن الله تعالى في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله بالليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيآتهم فيقول القايل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء فان الله تعالى ذكر اهل النار باسوا اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القايل انا افضل من هؤلاء وان الله عز وجل ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله تعالى غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكونن غايب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكونن غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك وقال ابو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله تعالى روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة ثم قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان خلقتهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان خلقتها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا تحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله تعالى ○

وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم

فقد

فقد واصوات عمر وهم يقولون سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقايل يقول اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله تعالى قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه قال ان وفى به مال آل عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المؤمنين عائشة فقل عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي وقال يقرا عليك السلام عمر بن الخطاب ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقولوا يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين واستخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمن والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان تقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله تعالى وذمة رسوله عليه السلام ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي عليه السلام قال قال جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فاذا هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله تعالى بمثل عمله منك وايم الله تعالى ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي عليه السلام يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو ولاظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمن

في الموت حين خرج ما ذا قال وهو متسخط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد بلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان
لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمن
رضي الله عنه فقال ايتوني بصاحبيكم اللذين البآكم علي قال فجي بهما كانهما جملان او حماران قال واشرف
عليهم عثمن رضي الله عنه فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وليس بها ماء يستعذب غير بير رومة فقال من يشتري بير رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها
في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله
والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة ال فلان
فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال
انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم الله والاسلام
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض
قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة
اني شهيد وروي عن شيخ من ضبة ان عثمن رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين اللهم اني استعيذ بك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني ٥

وفاة علي رضي الله عنه

قال اصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن
النباح حين طلع الفجر يوذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو
يقول اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير
شد عليه ابن ملجم لعنه الله فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة علي فجعلت تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المومنين
صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن
محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين رضي الله عنه
فقال يا اخي لاي شي تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهما ابواك وعلى خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليهما السلم وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن
محمد بن الحسين قال لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال قد نزل
من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الا خسيس عيش
كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا ارى الموت الا سعادة
والحيوة مع الظالمين الا برما ٥

الباب الخامس في كلام المحتضرين

من الخلفاء والامراء والصالحين لما حضرت معوية بن ابي سفين الوفاة قال اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره
ثم بكى وقال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم والانحطام الا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاوه
وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق
باحد سواك وروي عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فراوا في جلده غضونا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم
قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورايناها اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا لعيشنا فما
لبثت الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت
الينا فاف للدنيا من دار ثم اف لها من دار وروي ان اخر خطبة خطبها معوية ان قال ايها الناس ان من زرع قد استحصد
واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا
فان اللبيب من الله تعالى بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه
وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد

احفظ

احفظ وصية الله تعالى في الوالدين فاذا ادرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معوية وارحم الراحمين وقال
محمد بن عتبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما حضر عبد الملك
ابن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت
غسالا اكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت
يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين قال
اجدني كما قال الله تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الاية وقالت فاطمة
بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة
من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت اخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما
فقلت لوصيف له انظر انايم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المومنين
قال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه
قال ارى الرجل قد سقي السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر بصره قال ولا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل
احسست بذلك يا امير المومنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب
نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفاي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقايك
فلم يلبث الا اياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المومنين ابشر فقد احيا الله بك
سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسال عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي
الا تقوم بحجتها بين يدي الله تعالى الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا
حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت
ثلث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني ارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم
قبض وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك
عني سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه
وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه
عند موته فقيل لا باس عليك يا امير المومنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة وقال عمرو بن
العاص في الوفاة وقد نظر الى صناديق لبنيه من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته
اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي وكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة ويغبطه عليها ولما
حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى ٥

بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين

من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف لما حضر معاذا الوفاة قال اللهم اني قد
كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار
ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم
ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ولما حضر
سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون
بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا
الوفاة قالت امراته واحرباه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه
عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله
رسولا يبشرني بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن

ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضرت عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال
لا ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء ولما حضر فضيلا
الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري وقلة زادي ولما حضر ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه
اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال
اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حيوة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم
اتكلم بكلام ثاني وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد وبكى
بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال انه في كتاب الله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل
يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لينبغي ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره لينبغي ان يزهد في اوله وقال الجريري
كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القسم
فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسر ... اديرت كؤوس للمنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر
همومهم جوالة بمعسكر به اهل ود الله كالانجم الزهر ... فاجسامهم في الارض قتلى بحبه وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد
عند الموت فقال لم يكن بعجب ان طير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي
بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون الله وانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد
الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا الى مكان ثم
عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري
يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت
ووقعت ميتة وحكي عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل ابي علي الروذباري وكان راسه في
حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك
الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول

وحقك ما نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا ... اراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من جناكا

وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي
رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلوة
ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون
في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة
فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله عز وجل
ان اوصي بهم الى غيره ولما احتضر ابو سليمن الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم
الا تقولون احذروا فانك تقدم على رب يحاسبك على الصغير ويعاقبك على الكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا
فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت
باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على السري السقطي اعوده
في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول

كيف اشكو الى طبيبي ما بي والذي اصابني من طبيبي

فاخذت
المروحة لاروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق ... كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يك شيء فيه لي فرج فامنن علي به ما دام بي رمق

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت

فقالوا

فقالوا قل لا اله الا الله فانشا يقول

ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ... وجهك الماصول حجتنا يوم ياتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا يوم ادعو منك بالفرج

وحكي ان ابا العباس
ابن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى
وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي ما اخبرتكم به
وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله تعالى حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الله
حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال
ان ملك الموت يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفا ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده مقلقا
فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله تعالى في
شيء من عملي فقال حذيفة واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شيء من عمله
وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول ثم ملكك ان تعمل ما تريد فارفق ودخل
بعض المشايخ على ممشاد في وقت وفاته فقال له فعل الله وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض علي
الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضر النوري
الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس ثم امر ودخل المزني على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي
توفي فيه فقال له كيف اصبحت فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس المنية شاربا
وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك ما يغوى بابليس عابد وكيف وقد اغوى صفيك آدما

ولما حضر احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن
مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح لي
بالسعادة او الشقاوة فانى لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف
وعلى بعضهم الرجاء والشوق والحب فتكلم كل واحد بمقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنازة عبرة للبصير وفيه تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانه لا تزيدهم مشاهدتها
الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنايز يحملون او يحسبون
ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنايز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم
وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب ولعله
في غد او بعد غد فروي عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا راى
جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال اسيد بن
حضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك
في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما ذا صرت ولا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد
الجنايز ولا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنايز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا
كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه
وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد الا ما شاء
الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليه ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب

ميراثه
منهم

حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنايز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو تترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال ابو عمرو بن العلا جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنايز وانشا يقول

تروعنا الجنايز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثعلب لمغار ذيب فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنايز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى فلما ادلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا وحكي ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته ولم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملها الى الصحرا للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد قد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة وليس معها الا امراة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلثة كان كل يوم يفيق عن سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانية انه كان ابدا لا يخلو بيته عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم والثالثة انه كان يفيق في اثنا سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث يعني به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبر واقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي ما شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا قطعا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكايك قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمن بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسيل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شي لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله تعالى بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدردا يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد ياتي القبور

ليلا

ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبونني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسايه يا فلان لقد ارقت الليل اتفكر في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثلثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد ويخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهية وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان ابنك في القبر حبيسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطا السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فيا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطا في القبر غدا عطا في القبر ولا يزال ذلك دابه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم الا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شي وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبايي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى فقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله عز وجل وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قايل يقول لا يغرنك سكون اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت

وكانوا رجاء ثم اصبحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ما ذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

اخاف ورآء القبر ان لم تعافني اشد من القبر التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيمة قايد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مغلول القلادة ازرقا

وقد انشدوا في اهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها
اما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بالسن تصف الحقايق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة يفضي الى ما شا من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة ياوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطاي على امراة تبكي على قبر وهي تقول

عدمت الحيوة ولا نلتها اذا انت في القبر قد الحدوكا
فكيف اذوق لطعم الكرى وانت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشات اقول

أتيت القبور فناديتهن ... أين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه ... وأين المزكي إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينهم أسمع صوتًا ولا أرى شخصًا وهو يقول

تفانوا جميعًا فما مخبر ... وماتوا جميعًا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى ... وتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باكٍ

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد على قبر مكتوبًا

تناجيك أجداث وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وعلى قبر آخر

أيا غانم أما ذراك فواسع ... وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره ... إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت بالمقابر فإذا على قبر مكتوب

يمر أقاربي جنبات قبري ... كأن أقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي ... وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيا لله أسرع ما نسوني

ووجد على قبر مكتوبًا

إن الحبيب من الأحباب مختلس ... لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها ... يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمسًا ... وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لعزته ... ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به ... عن الجواب لسانًا ما به خرس
قد كان قصرك معمورًا له شرف ... فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبًا

وقفت على الأحبة حين صفت ... قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي ... رأت عيناي بينهم مكاني

ووجد على قبر طبيب مكتوبًا

قد قلت لما قال لي قائل ... صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه ... وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره ... من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر مكتوبًا

يا أيها الناس كان لي أمل ... قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل ... أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى ... كل إلى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتداء فقد قال بعض الصالحين رأيت أخًا لي في الله تعالى فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها أعني الحمد لله أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلانًا قام وصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه بالموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بأنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقدم سقطًا أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وإنما ذكر السقط تنبيهًا بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن أسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنًا شديدًا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهبًا قيل له فإن لك من الأجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الاستجابة ووقف سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما قلت وما قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله تعالى حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال الأكبر للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطًا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى الجبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه في طلبه فمات عطشًا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر فما مثال هذه المصائب ينبغي أن يتذكر عند موت الأولاد ليتسلى به [عن شدة الجزع] فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فيه فقد روى علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة للآخرة غير أن لا تقولوا هجرًا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيًا أكثر من يومئذ قال الأذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يومًا من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغي أن يتمسك به فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرهن ولا يخلون في الطريق عن تكشف وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف تحتمل لأجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله تعالى وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فإن لكم فيهم عبرة وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي عليهما السلام كانت تزور قبر عمها حمزة فتصلي وتبكي عنده وقال النبي عليه السلام من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال عليه السلام من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة وقال كعب ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً لوجه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فإن ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي وينصرف وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي عليه السلام ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله [عليه وسلم]

في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال ابو هريرة
اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه وقال رجل من آل عاصم
الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض
الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات
بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى
طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت
الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع
الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل
يختلف الى الجبان فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن
سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت
ادعو فبينما انا نائم اذا انا بخلق كثير قد جاؤوني قلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا
منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد وقال
بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على اطباق من
نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على اطباق النور
وخمر بمناديل الحرير ثم اتي الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره
الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كان احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا
الاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك
قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني به وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال
سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم
ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له
اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله
عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما نقعد
عند هذا وقد لقن حجته فيكون الله تعالى حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم نعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء
ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت
جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة على القبور بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد لاحمد يا ابا عبد الله ما
تقول في مبشر بن اسمعيل فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء
ابن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال
له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد بن محمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقرأوا
بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت
من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب
القبر يشتكي يقول آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما
خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال
فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن
الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به

كما

لا احياء

كما روي عن مطرف بن ابي بكر قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب
واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا
جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكأني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكأني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة
والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي
ان يحضر من صورة الميت ما ذكر عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال
له يا فلان لو رأيتني بعد ثلث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان
عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود من
المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن ويستحب ايضا الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم
ان يكونوا من اهل الجنة تأثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه قال انس بن مالك رضي الله عنه مرت
جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال عليه السلم وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال
وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم
شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم
الله فيه غيره فيقول الله تعالى لملائكته اشهدكم اني قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي ٥

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطأوا
فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات
وجفاف النبات وهذا رأي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا
ينعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب
والمعاقب هو الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة مائلة عن الحق بل الذي
تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة
واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها
حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح
والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه من انواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور
وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء
فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد في القبر ولا يبعد ان يؤخر الى يوم القيمة والبعث والله تعالى اعلم بما
حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في
الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فيكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى
عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى
الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها العلوم والادراكات
ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام
واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى
الزمانة خروج اليد عن ان تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه
وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب

والصديد م

منه اهله وولده وسائر اقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بنهب مال الرجل وتارة بان ينهب الرجل عن المال ولالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بان عاجل الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شي يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله تعالى ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحيوة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسياته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يوثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دون فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يشفع اليه من العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا البصاير بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الايات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال عليه السلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والاية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة وشقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تاخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار فقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيمة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت

قيامته

قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتاني القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مومنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله تعالى وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق المومن من السجن وانما احب قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله تعالى وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المومن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات توذيه فكان في الموت خلاصه من جميع الموذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله تعالى لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى الله عز وجل راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يدعون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تاخير وهو امر ينكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من السمع فجميع احاديث الشهداء يدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب وجد رجل في الجنة يبكي فقيل له لم تبكي وانت في الجنة فقال ابكي اذ لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في الله قتلات واعلم ان المومن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله تعالى ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الازهار والاشجار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المومن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء ورضع لم يحب ان يرجع الى مكانه فكذلك المومن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المومن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مررنا مع ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيمة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمن بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل

القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم يأتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا ويقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت

وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب للقبر فيقول ارأيت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا وتصاعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذلك فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك مطيعا لله كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب او اصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رأيت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلوة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال فيه القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظمأه لله تعالى في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا

رأسه

رأسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس فيها باب الا يحب ان يدخل بروحه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصيته فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء وليس فيها باب الا يكره ان يدخل بروحه فيه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله تعالى وعذاب اليم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا في طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض غير الثقلين قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثلت له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا عنك الى روح الله تعالى وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله تعالى وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة كان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا قال اي شيء تريد وفي اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار قال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار تبارك وتعالى كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما

بينهما يؤذي أبدان الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا
أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب
البصائر واضحة فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التسليم والتصديق ٥
فإن قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف
المشاهدة فاعلم أن لك ثلث مقامات في التصديق بأمثال هذا أحدها وهو الأظهر والأصح والأسلم أن
تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية
وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عليه السلم وما كانوا
يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلم يشاهده فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك
فإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما أن الملك لا يشبه الآدميين
والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى
المقام الثاني أن تتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق
جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى به اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره
ساكنا ولا ترى حوله حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم
اللدغ حاصلا فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد المقام الثالث أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها
وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد
توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة فإنه لو خلق في الإنسان لذة
الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب
حاصلة وإن لم تحصل صورة العين والسبب يراد لثمرته لا لذاته فهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومؤلمات في
النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية تضاهي انقلاب العشق أذى
عند موت المعشوق فإنه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه موذيا حتى يرد على القلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه
لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار
يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ منه جميع ذلك في حيوته ولم يرج استرجاعها إليه فماذا ترى
يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه فلا أتأذى بفراقه فالموت
عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة كما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد
فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم ينضاف إلى هذا العذاب حسرته على ما فات من نعيم الآخرة
والحجاب عن الله تعالى فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله تعالى والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرة
ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى هو الذي يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما
قال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله تعالى وكان
مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص عن سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق
والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود أن الرجل قد يحب
فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن يلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فإذن ألم فراق الفرس عنده أعظم من
لدغ العقرب وحب الفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فإن الموت يأخذ منه فرسه
ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه ٥
وييأس من رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات
وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك إذا مات لأنا قد بينا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات

لم

لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحيوة يتسلى بأسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء
العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت إذ انسدت عليه طرق التسلي وحصل اليأس فإذن كل قميص
له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فإن كان مخفا من الدنيا سلم
وهو المعنى بقولهم نجا المخفون وإن كان مثقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه
عشرة دنانير كذلك صاحب الدرهم أخف من صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله عليه السلم صاحب الدرهم أخف حسابا
من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر
وإن شئت فاستقلل فإن استكثرت فلست مستكثرا إلا من الحسرة وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك وإنما تكثر الحيات
والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها فهذه مقامات الإيمان في حيات
القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه رأى أبو سعيد الخدري ابنا له قد كان في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا
تخالف الله تعالى فيما تريد فقال يا بني زدني قال يا أبه لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس قميصا ثلثين
سنة فإن قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلث فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده
ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك
في حيز الإمكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر
من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب
ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ورب عبد يجمع عليه هذه الأنواع الثلثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره
هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك
ولا تشتغل بمعرفته بل تشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك
كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى
وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب
عظيم أو عن نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان ٥

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر

قال أبو هريرة
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر
نكير فيقولان ما كنت تقول في النبي فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول
دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك
وإن كان منافقا قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم ذلك ثم يقال للأرض التئمي عليه
فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك أربعة
أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك
فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما
ويحثيان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال إذن
أكفيكهما وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام
واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم
في نفسه هو المدرك للأشياء ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان
العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم قال محمد بن المنكدر

إنك تقول ح

بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسها مثل غرب الجمل تضربه به الى يوم القيمة
لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان
اتاه من قبل راسه جاء قراءته القرآن وان اتاه من قبل رجله جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني
للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية فيقول اما اني لو رايت
خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاجش عنه اعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له
عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة ترد منها حمائله وقالت عائشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم ونجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال
توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما
انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي
وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم
الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات
وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر
الصلاح دون التقوى الباطن قال الله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته
ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة
وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيا وبه
فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة
منقشعة عن اعين الانبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم
واخبروا ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر
لما استشهد اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين
يقرب درجتهم منهم فانما الممكن في امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني به المشاهدة في
المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من اجزاء النبوة وهو
ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق
رؤياه قال عليه السلام اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام
ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل
وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف لحدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول
مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات
دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح
الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق
علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب
مثاله مثال مرآة تتراءى فيه الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في
خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم
وما يجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان

الكتاب

الكتاب من كاغذ او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان
ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح
المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه كانه حين يقرؤه ينظر اليه
ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره
الله وقضاه واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور فلو وضعت في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة
تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال
القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت
هذا الحجاب ورفعته تلالا في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو
الاغلب وما دام مستيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت
ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب شيئا فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه
وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر
الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ويكون
المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر الى
هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني المناسبة التي بين التخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من
نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال
وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد
الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس عن الاكل والشرب ولكن الخيال
الف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه
نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو عجب من العجائب وهذا لانه
يشبهه من وجه ضعيف اثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت
الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة بالانكال
والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد
انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليه الاشارة بقوله عز وجل وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله
ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الحالة ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي
ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه
العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واسبابنا وذوينا واهلينا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا
نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقيل له ما قيل لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك
مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا
كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا قال لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه ملك من
حبة قلبه فلم تترك فيه متسعا لخليل وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه
وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ
العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد

اتبعته وبفقدها اتبعته صحبة من امته وبفقدها كما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت
بالذين قال تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى فلو خرجت من كمن الغرور وانصفت
يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا
للعاجل الدنيا ثم تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون
ولنرجع الى ما كنا فيه بصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفات لاحوال الموتى ما
يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوات وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات

تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلم من
رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صائم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة
وانا صائم ابدا وقال العباس كنت ودا لعمر فتمنيت ان اراه في المنام فما رأيته الا عند راس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه
وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤفا رحيما وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لي علي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني
بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم قال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك
لم تسال شيئا قط فقلت لا فاقبل علي وقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له
فلما مات واخبر الله تعالى عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى حولا ان يريني اياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا
فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف ذاك قال
ولد في تلك الليلة محمد عليه السلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله تعالى
بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد
ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا
نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذا اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله تعالى اباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت الثوب
عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة
سودان معهم عمد حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض
الله تعالى وجه ابيك فقلت من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت عنه الثوب فاذا هو ابيض فما تركت الصلوة
بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا
انظر فما كان باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية على اثره وهو
يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس عن نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره
اصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين
وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما فقتله في اليوم الذي رآه ورئي الصديق
رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله تعالى بك فقال قلت به لا اله الا الله
فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ

رضي الله عنهم قال بعض المشايخ رأيت ممشاد الدينوري في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال ديرت في الجنان فقيل لي يا ممشاد هل استحسنت منها شيئا قلت لا
فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليه ولم اوصلك الي ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل

الله

الله بك قال وقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط
لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى ان اذكره
وقال ابو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا
نحن كذلك اذا انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للآخر لا تصب على يديه فانه
ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك
واحب هؤلاء الفقراء فقال عليه السلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رأيت في النوم كاني اتكلم
على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان
وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ورئي مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الامر قال رأيت الزاهدين
في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كانك
في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا يعينه على وقال
محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشر رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك
الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في اي الدرجات
انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسئل زرارة بن اوفى في المنام
اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو
دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال
وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل
الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفره منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رأيت
في المنام امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي و
امهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابرهيم بن اسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام
فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي قلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى
اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفين الثوري رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على
الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت احسن منها وكان
وجهها يتلالا نورا فقلت لها مما ذا ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك
فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى قال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت
الاشارات وذهبت العبارات وما حصلنا الا على ركيعات كنا نصليها في الليل ورئيت زبيدة في المنام فقيل
لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله
الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني ربي
وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورئي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رأيت شابا في النوم لم ار
احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما
يكون فقلت من انت قالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك
الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها
فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت ابليس في المنام
عريان يمشي فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب

الصبيان الكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متوكيا على ابي بكر وعمر فجاء فوقف علي وانا اقول شيا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة قال رايت سفيان الثوري كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة ويقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي ... هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا اظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته ... وزرني فاني منك غير بعيد

ورئي الشبلي بعد موته بثلثة ايام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته ورئي مجنون بني عامر فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ورئي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله ابن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ورئي بعضهم فسيل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا ورئي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورئي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله تعالى وهو عنه راض ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيمة ان تراه

وراى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال انفصال قلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد وراى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيا يحال به بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلثا لا رجعة لي عليها حتى القاك وقيل راى ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فراى بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال قل لايوب لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملايكة نزولا وملايكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رايت سهل الصعلوكي في المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع التشييخ قلت فتلك الاحوال التي شاهدتها قال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسايل كانت تسال عنها العجز وقال ابو بكر الرشيدي رايت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المؤدب وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحيوة الحب حلتم وما حلنا قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت فقال بلى قلت فما صنع بك ربك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية وقال الربيع بن سليمان رايت الشافعي رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وراى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على اهل زمانه وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا ادم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قال اويس القرني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك

منه

منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء فقال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله تعالى وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون الجارف فراها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الاخرة فقالت يا ابه قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رايت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة على بيتك فلما اصبحت جئت الى البيت فاذا خط عتبة في حايط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين رب العالمين وقال موسى بن حماد رايت سفيان الثوري في المنام في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب وراى رجل من التابعين النبي عليه السلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه الايام امر امضني والمني ولم يطلع عليه غير الله تعالى فلما كان البارحة اتاني ات في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله تعالى طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات ولا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله تعالى زلفى فلننظر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور الى اخر القرار اما في الجنة واما في النار

الشطر الثاني

من كتاب ذكر الموت في احوال الميت من وقت نفخة الصور الى اخر الاستقرار في الجنة او في النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة ودواهيها واساميها وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى لقاء الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى به ختم الكتاب

في صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره وخوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الاخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بداني وانما فتور الباطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى وفي خلق

مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف تنكر ذلك من حكمة الله تعالى وقدرته من شاهد ذلك في صنعه وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقوّ الايمان بالنظر في النشاة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان به فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولاً فيما يقرع سمع سكان القبور عن نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك مغبراً بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافاً الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار للعاقبة كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وتقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديراً بان تتقى فانها نفخة وصيحة يصعق لها من في السموات والارض اي يموتون الا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم تلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث الي بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلاً واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل الجميع واصغرهم واحقرهم يوطاون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والتوحش عنهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً فتفكر في حالك وحال قلبك

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمراً فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار بان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرص نقي ليس فيها معلم لاحد والعفرة البياض ليس بالناصع النقي والنقي هو النقي عن القشرة والنخالة ولا معلم لاحد اي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ دارت السماء فوق رؤسهم وانشقت مع شدتها وغلظها

خمس

قيامه ح

خمسمائة عام والملائكة على حافاتها وارجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس عراة حفاة غرلاً قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك عن الالتفات والنظر كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف ركباناً ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي انكار كل ما لم ياتس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيئاً من عجائب يوم القيمة لمخالفتها قياس الدنيا فانك لو لم تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكاراً لها فاحضر قلبك صورتك وانت واقف عرياناً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً تنتظر ما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاوة واعظم هذه الحالة فانها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير واشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس الخلائق كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهره حرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله تعالى فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قياماً شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة العرق ومن شدة الكرب وقال عقبة ابن عامر يدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيستخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امراً واقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شدته طويل مدته

صفة طول يوم القيمة

يقف فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امرهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون شربة ولا يلفح وجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال عبد الله بن عمرو تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك

بقوم قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم واحترقت
اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم
بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر
كل واحد بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا
عليه السلام لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار
فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر
عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذي
نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اهون من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من المؤمنين ما دام يبقى
لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر
الدنيا وهو سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا ليتخلص من يوم مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا
وتعبك يسيرا

صفة يوم القيمة ودواهيها واساميها

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هولها
انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت
والنفوس الى الابدان زوجت والجحيم سعرت والجنة ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم زلزلت فيه الارض
زلزالها واخرجت الارض اثقالها يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم
وقعت فيه كل واقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام لا يسئل
فيه عن الاجرام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تجد كل نفس ما احضرت وتشهد بما
قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد شبت فقال
شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارى العاجز حظك من قراءتك ان تمجمج القرآن
وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تشيب مما شاب فيه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة
اللسان فقد حرمت ثمرة القراءة فالقيمة احد ما ذكر فيها وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر اساميها لنقف بكثرة اساميها
على كثرة معانيها فليس المقصود تكثير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيمة سر وفي كل
نعت من نعوتها معنى فاحرص على ذكر معانيها ونحن الآن نجمع لك اساميها فهي

يوم القيمة ويوم الحسرة
ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة ويوم المناقشة
ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة
ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة
ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد
ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء
ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر
ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل

ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم
ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخ
ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع
ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد
ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق
ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعد ويوم التغابن ويوم عبوس
ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي

ويوم لا انتشار

نفس عن نفس شيئا يوم تشخص فيه الابصار يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يوم
يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار ويوم تقلب وجوههم في النار يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا
يوم يفر المرء من اخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم هم بارزون ويوم
هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم
ردت فيه المعاذير وبليت السرائر وظهرت الضمائر وكشفت الاستار وخشعت الابصار وسكنت الاصوات وقل الالتفات
وبرزت الخفيات وظهرت الخطيئات ويسير العباد ومعهم الاشهاد وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت
الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النيران ويئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت
جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق
وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين
وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيمة فيقول
اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان
نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للتفاوض من دواهيه
ونعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة ٥

صفة المسائلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السوال شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب
القيمة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان
ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفري
عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم
على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين لما بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا
صالح الا ويخرون على اذقانهم خوفا من ان يكونوا ماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام
من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم
ان يكون فيهم فينادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض قالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند
ذلك يقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم
وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك
لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل
فيه عقول الانبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فدهشت عقولهم
فلا يدرون ما يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه
العقول وانمحت العلوم الا ان يقويهم الله فيدعى نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا ما

من غير رسول ويؤتى بعيسى فيقول الله تعالى له أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت السؤال سنين
فيا اعظم يوم يقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم يقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن
فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول وتتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار
ولا تعرض قبائح افعالهم على الجبار ولا ينكشف سترهم على ملأ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور
ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما يريد احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال
دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ايتني بالنار فيجاء بها جبريل ويقال لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها
جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها
وانتهضت خزانها متوثبة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد
وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا على الركب جثيا وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين
وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فيضاعف
خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من
طرف خاشع خفي وانصدعت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد
ذلك اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا راوا ما قد اقيم من السياسة على الانبياء ما اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد
من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا الامر ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها
عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيمة قال هل تضارون في روية الشمس في الظهيرة وليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في روية القمر ليلة البدر
ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر
لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول اظننت انك ملاقيّ فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني فتوهم
نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضدك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب
ففيماذا ابليته الم امهل لك في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفي ماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فما عملت
فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك
قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد
ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول للاعضائه بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المؤمن ان
يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت النجوى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
رسول الله يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول
اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته
ستر الله عورته يوم القيمة وهذا انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك
لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيمة وهب انه
قد ستره عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد
وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم
فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق
اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم فناداك الله
تعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت

كتابه

كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها وانكشف
لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعي فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب
تعقل ما تقول ثم تفكر في عظيم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح
واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت
نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك مني اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من احد الا ويسائله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن
احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر
عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن
مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت
فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنك
وهكذا حتى عد سائر الاعضاء قال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله تعالى حتى يسأله عن اربع خصال عن عمره
فيما افناه وعن علمه فيما عمل به وعن جسمه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك
فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك في الآخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والآخرون
واما ان يقال لك خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك جديرا بعظم
مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله تعالى وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا فانية لم تبق معك

دنيه

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الشمائل والايمان فان الناس بعد السؤال
ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار
وينادي عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى
الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها
ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم
ولكن يأبى الله تعالى الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الكتب والصحف منطوية
على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين ام في الشمال ثم الى لسان الميزان اتميل الى جانب
السيئات ام الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
راسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي عليه السلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة
قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضع الموازين ووزنت
الاعمال حتى ينظر ابن آدم اتخف ميزانه ام تثقل وعند الصحيفة حتى ينظر ابيمينه ياخذها ام بشماله وعند الصراط وعن انس قال
يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة
لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل
الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار فياخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في يوم القيمة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم فيقول قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعماية وتسع
وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند اصحابه
قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما
يا نبي الله قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة الا كالشامة في
جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وان
الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هي نار حامية

واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته
كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل
الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه
ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل
رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني
وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني
وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا
فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء
فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد
استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله
يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن
نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله تعالى به على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك
اموالهم وما اشد حسراتك اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان
ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك يؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي
من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي وقد شتم هذا واخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك
في مثل هذا اليوم اذ ليس تسلم لك حسنة من آفة الريا ومكايد الشيطان فان سلمت واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك
فاخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك
من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف
ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان
فقال يا ابا ذر اتدري فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال ابو هريرة في قوله تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة والبهائم والدواب والطير وكل
شيء فيبلغ من عدل الله تعالى ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا
مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى
صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما اقترفتها
قط فيقال هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمجاورة والمناظرة والمذاكرة
والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان
تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان
العبد ليجيء يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة
فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم
حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا
مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد واعظم

شدة

بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده
مظلمة ولا لاحد ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله
عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق
قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين الله وبين العبد خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم
وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله
تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين
في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب
العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي
شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق شيء من حسناته قال يا رب يتحمل عني من اوزاري قالت وفاضت عينا رسول
الله بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله تعالى للطالب ارفع راسك فانظر
في الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا
او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله تعالى وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر
الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من
مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا من الاوزار
ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك
وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد
سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برياءك ومداهنتك وتصنعك
وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك
مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله وخرجت من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيم
فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة
لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك يتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها
فاقدمت عليك بفظاظتها ودعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى
وزعارتها
سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وينادي
الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد
الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله تعالى وعقابه الاليم والسياق
بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك واهوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر العظيم وهو خطر الصراط ٥

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد

من السيف وادق من الشعر ومن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في
الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر على اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط
ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب
قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك من المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه
احدى رجليك واحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار
بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فيتسفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما
اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر بالاوزار تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم
يتهافتون والرسول عليه السلم يقول سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق
فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت يا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون
فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بهذا فما اطول
مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك
اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز وان
سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم واكون اول من يجيز بامته
من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها
الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم
سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم
من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون
ويكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما
اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون
رؤوسهم فيعطيهم الله نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك ومنهم
من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء
قدم قدمه فمشى واذا اطفي قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه
ويديه ورجليه ويجر يدا ويعلق يدا ويجر رجلا ويعلق رجلا وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني
الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلم لآخذ بحجزتي واني
لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال
القيمة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف
رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء لان
من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف
الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى السنتهم الاستعاذة وقالوا نستعين بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي
التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا رأى انياب
السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد

في مكانه فانى يغني ذلك من السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود
سوى الله تعالى ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك
كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته متشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا
بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة وان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة
العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه
فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل
الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل الله فيه ولا تستحقر
طاعة اصلا فان الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة وما يجري مجراه
وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم عليه السلم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم وقول عيسى عليه السلم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال
الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له
انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واعطيت
الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام
النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال عليه السلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض
وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم ومن دونه وقال عليه السلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبي
دعوتي شفاعة لامتي وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري
لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد وما
تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكوكا برجال قد بعث بهم الى النار حتى ان مالكا خازن
النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما
على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منه
نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر ويدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم
الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فياتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ان ربي قد غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح قال فياتون نوحا عليه السلم فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الرحمن فياتون الى ابرهيم عليه السلم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل
الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني
كنت كذبت ثلث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى موسى فياتون موسى عليه السلم فيقولون يا موسى انت رسول الله
فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عليه السلم فيقولون يا عيسى انت

رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا فيقولون يا محمد
انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش
فاقع ساجدا ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع
فارفع راسي واقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى في
حديث اخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم
فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال عليه السلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل
فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل
الجنة يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله لا اعرفك من انت فيقول
انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ويقول
اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال تعرفني فقلت لا من انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع
لي بها فشفعني فيه فيشفعه الله فيؤمر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس لاحد من الخلق يقوم ذلك المقام غيري وقال
ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال
اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابرهيم
خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى كلمة الله وروحه وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله به نبينا وقد اشتملت
الاخبار على صفته ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الاخرة ذوقه فان من صفاته انه من شرب منه لم يظمأ ابدا قال
انس اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال اية انزلت علي انفا وقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه
ربي تعالى في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاك
ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي حوضي ما بين صنعاء والمدينة
او مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة
حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد رائحة من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد
فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن
راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي نفس محمد

بيده

بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ اخر ما عليه يشخب فيه ميزابان
من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا
رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا او مغترا وهو يظن انه
راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان
الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا
مغتر ومتمني وليس من الراجين في شيء وهكذا حال اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله
اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل
هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان
النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت
من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد واهوالها فعساك تستعد للنجاة بالتشمر لاعمالها
وتامل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيمة ما قاسوا فبيناهم في كربها واهوالها واقفين ينتظرون حقيقة انبائها
وتشفع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة
الغيظ والغضب فايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية
قائلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه
بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة
الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم
والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي
ينادون من اكنافها ويصيحون من اطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود
يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون
لو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدين فعند ذلك يقنطون ويتاسفون على ما فرطوا في جنب الله فلا ينجيهم الندم ولا يغنيهم
الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار
طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم
يتجلجلون في مضائقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما
دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود وتهشم بالمقامع جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وتنقطع
من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم وتسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما
نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك
النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت
ابصارهم واخرست السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم
وجمع بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطاؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن
اجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم وانظر الان في تفصيل اهوالهم وتفكر
اولا في اودية جهنم وشعابها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب
سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال

وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد
أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر إلى عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق الشهوات فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب
أعظم منها فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا
وجبة فقال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن حين انتهى
إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً فكما أن إكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك
مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال حبة فلا تترادف أنواع
العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا
بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل النار عذاباً يوم القيمة ينتعل
بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة
عذاب النار فقرب إصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان
أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين
هرباً مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا
بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أوقدت على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقدت عليها ألف سنة
حتى ابيضت ثم أوقدت عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار
إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه من حر الشمس ومن زمهرير
الشتاء من نفسها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال
له هل رأيت نعيماً قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضراً فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضراً قط فيقول لا وقال
أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم
النار وهم فيها كالحون إنها لفحتهم لفحة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي
يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلواً من
غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد
يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت
مرتفقاً ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال أيضاً إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس
الشياطين ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم وقال تعالى تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية وقال إن لدينا أنكالاً و
جحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في
بحار الدنيا لنغصت على أهلها معايشهم فكيف من يكون طعامه من ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا
فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله تعالى به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنها لو كانت قطرة من الجنة معكم
في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون
بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون
الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل
بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب
فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون

ادعوا

ادعوا مالكاً فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك
إياهم ألف عام فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا
فإنا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل قال
أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب إليه فيتكرهه
فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميماً فقطع
أمعاءهم يقول الله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن إلى حيات جهنم
وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة
واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالاً ولم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعاً أقرع له زبيبتان
يطوقه يوم القيمة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً وإن
فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حمتها أربعين خريفاً وهذه العقارب والحيات إنما تسلط على من سلط عليه في
الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في عظم أجسام أهل النار فإن
الله تعالى يزيد في أشخاصهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عذابهم بسببها فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها
دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة
بثمانية ذراع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال
عليه السلام إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتواطؤه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم
ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل
لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول
إلقائهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى ينقطع الدموع حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو
أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون
من ذلك أيضاً قال محمد بن كعب لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون
أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيباً لهم ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده
كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً فيجيبهم الله تعالى أولم
تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون
فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس قال زيد بن أسلم في
قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة أخرى ثم قالوا سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة كأنه كبش أملح فيذبح فيقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا
أهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورئي الحسن جالساً في زاوية
وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها
لا نهاية لها فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم
بأنهم باعوا ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوها إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة
منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا كيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل ولو صبرنا لكانت
قد انقضت عنا وبقينا الآن في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق

معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم ان لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنهم تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يؤتى يوم القيمة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا
ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريتنا ما اريتنا من
ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم
اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة
على النار وقال عيسى كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على
حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك وانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان
النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال تعالى وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة به الى يوم القيمة ولكن ما قضي امر يوم القيمة بل في ازل الآزال ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق
به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري
الى ماذا مصيري والى ماذا مآلي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى
احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا ويحيط
بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات
ودلالة الدخان على النار فقد قال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك
في الدارين

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وسرورها تقابلها دار اخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد عن احدهما استقر لا محالة في
الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان
وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في
اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب
الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان
والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات
الجنان اذا اختالت احداهن في مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه
الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في
قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس
من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين
في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الله الكريم وقد اشرقت في وجوههم
نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم عن ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون وياكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا
وعسلا في انهار اراضيها فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها
من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق
المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه
آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس
من حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل
الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغير الى اهلها كيف يأنس بدار قد اذن الله تعالى في خرابها ويتهنأ بعيش دونها

والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها
وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورتها كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون
وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم
الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف
صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ
سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها
فتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما
وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب
الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله ومن قاتل في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلوة دعي من
باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد
دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن
عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا الى احدهما كما امروا به فشربوا منها فذهبت ما
في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغبر اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم
كما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف
ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما اعد الله لك من الكرامة كذا قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى
بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى في الدنيا قالت انت رأيته فيقول انا رأيته وهو باثري فيستخف
احداهن الفرح حتى تقوم الى اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر
واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره ان يبصره لذهب بصره ثم يطاطئ راسه
فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال صلى الله عليه
وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الآن
في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق
الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد
بطاعة الله تعالى فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب الحسد عيشك
واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما تراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق
والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله
وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان ابا بكر وعمر
منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا
انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات

والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رده عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلوة الغداة في جماعة فقد صلى الليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك اجمع

صفة حائط الجنة وارضها واشجارها وانهارها

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم عنها لقناعته بالدنيا ثمنا عنها قال ابو هريرة قال النبي عليه السلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل عليه السلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله تعالى الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله تعالى في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرأوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله تعالى ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي فقال هي السدرة فان لها شوكا فقال قال الله تعالى في سدر مخضود يخضد الله تعالى شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الآخر قال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع واظله فانطلق فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه قال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة هل تدري ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر ٥

صفة لباس اهل الجنة

وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله عز وجل يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي عليه السلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبؤس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية انه على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية فيها للمؤمن اهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض ٥

صفة طعام اهل الجنة

بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من احبار اليهود فذكر اسولة له الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم على اثرها فقال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم قال من عين تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون قال لاصحابه ان اقر لي بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي وقال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال تمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها ٥

صفة الحور العين والولدان

قد تكرر في القرآن اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم وموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت الجنة فرأيت موضعا يسمى البيذخ عليها خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله قلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام قال مجاهد في قوله تعالى ازواج مطهرة يعني من الحيض والغائط والبول والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار قال رجل يا رسول الله انباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم قال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعمائة بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرى الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الجواري الحسان خبئنا لازواج كرام قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه

بأحسن صوت يسمعه الجن والانس وليس من مزامير الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه ۞

بيان جمل متفرقة

من اوصاف اهل الجنة وردت الاخبار بها روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل من مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال رجل اعرابي ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال عليه السلام اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا وقال عليه السلام اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلث وثلثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال عليه السلام ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال كعب خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التورية بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها قال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين لا يسفه الاحلام ولا يصدع منه الرؤس وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابناء ثلث وثلثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله تعالى الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في اخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان له في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا نقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي قال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا في يده ثلثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى ۞

صفة الرؤية

والنظر الى وجه الله جل جلاله قال الله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في

كتاب

كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة وقال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعود الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عند هذا ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى فلا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه تشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى وبالله العون والتوفيق ۞

ختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى

على سبيل التفاؤل به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا فيه متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه واستفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع في كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان نكرم بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا او باطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله تعالى لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله يوم القيمة ضاحكا فيقول يا معشر المسلمين ابشروا فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيمة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة آلاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيمة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما رأى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته

على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حسابا
يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله تعالى قال لموسى
عليه السلم يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن
بلال يامر الله تعالى باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى لهما ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما
الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكا الاخر فيؤمر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت
من وبال المعصية فلم اكن لاتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكا حسن ظني بك كان يشعرني الا تردني اليها بعد ما اخرجتني فيامر
بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم
فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من
النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال
الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسع وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر
ثم قال اتنكر من هذا شيئا اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه
لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله
شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم
في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني
بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تعالى
شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط عادوا حمما
فالقاهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر او الشمس
ما يكون الى الشمس اصفر وابيض وما يكون منها الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ
في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة بها يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين يدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول
ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل
من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما
وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر
النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط ورايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل
لي هذا موسى وقومه ثم قيل انظر فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب
فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكنا امنا بالله ورسوله
وهؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام اخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي عليه السلم سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم
الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الينا الا لصلوة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا
فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة
من

تعالى

شفعت

او الشمس

من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل
واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا
جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال
ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال ولمن
خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان
زنى وان سرق وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل
الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل مكانه الله النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو
ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن
يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امراة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته
الى بطنها ثم القته ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال
فان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث
وما اوردناه في كتاب الرجاء تبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو الله ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو
اهله بمنه وسعة جوده تم كتاب ذكر الموت وهو اخر كتاب احياء علوم الدين
وقد فرغ من تعليقه العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف فضل الله بن عمر بن
محمد المالكي في الرابع والعشرين من صفر ختم بالظفر لسنة سبع عشرة وسبعمائة
وفقه الله تعالى لاحياء علوم الدين ورزقه العمل بما في الكتاب المبين
انه هو الرزاق ذو القوة المتين والحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه
محمد واله واصحابه الطيبين الطاهرين

هو